المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
(٠٣٢)
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة



المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى الله تعالى على ضوء منهج أهل السنة والجماعة

(جمعًا ودراسة)

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية (الماجستير)

إعداد الطالب:

بندر بن سعيد مسعود العوفي

إشراف:

د. عارف بن مزيد السحيمي

العام الجامعي

١٤٣٦/ ١٤٣٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله نستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبدُهُ ورسولُه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ – ٧١].

أما بعد[١]، فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلاله[٢].

الدعوة إلى الله مهمة عظيمة، تقوم على أساس متين وقاعدة صلبة، أصلها (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، أخرج الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما **أن معاذاً** رضي الله عنه قال: (بعثني رسول الله ﷺ قال: إنك تأتي قومًا من أهل

(١) هذه خطبة الحاجة كان الرسول ﷺ يعلمها أصحابها رضي الله عنهم، رواها جماعة منهم: أبو داود في سننه كتاب النكاح (باب: في خطبة النكاح) برقم: ٢١٢٠. وانظر ألفاظها وطرقها في خطبة الحاجة للألباني.

(٢) هذا لفظ كان النبي ﷺ يقوله في خطبته عقب حمد الله والثناء عليه، أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الجمعة (باب تخفيف الصلاة والخطبة) برقم: ٨٦٧.

الكتاب فادعُهم إلى: شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله...الحديث)[١]، وفرعها الآداب والرقائق والمعاملات، فإذا قورن الأصل بالفرع عُلِم مدى أهمية الأصل وأنه لا يمكن أن يتحقق الفرع دون إصلاح الأصل، وكل رسول بُعث إلى قومه إنما بعث لإصلاح الأصل وهو التوحيد المتعلق بحق الله تعالى من صرف جميع أنواع العبادة لله وحده سبحانه، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]، والدعاة إلى الله تعالى يجب عليهم السير على منهج الرسل عليهم السلام في تبليغ دين الله تعالى للناس كافة، ويجب عليهم البدء بما بدأ به أنبياء الله ورسله عليهم السلام، من تقرير التوحيد والدعوة إليه أولاً، وإخراج الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، وهذه هي الغاية من خلق العباد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "المقصود بالدعوة وصول العباد إلى ما خلقوا له من عبادة ربهم وحده لا شريك له"[٢].

فإذا عُلم هذا تبين أن أصل الدعوة هي الدعوة لعبادة الله وحده، التي لأجلها خلق الله الخلق، ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والناظر في ميدان الدعوة في العالم الإسلامي اليوم يجد الحاجة ماسة للتنبيه على المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى الله تعالى، والتي يقع فيها الكثير من الدعاة إلى الله تعالى، مما جعلنا نرى مدى الخلل العقدي في كثير من المجتمعات الإسلامية، فتجد من يتوجه بالدعاء لغير الله، ومن يستقبل الأضرحة ويذبح عندها، ومن يدَّعي علم الغيب، ومن يأتي إلى السحرة والكهنة، ومن يدعو للفرقة والاختلاف ونبذ الجماعة، وغير ذلك من المخالفات العقدية المنتشرة في عدد من المجتمعات الإسلامية، ولذا كانت الحاجة ماسة لجمع هذه المخالفات العقدية المهمة التي ينبغي على كل داعية لله تعالى أن يتنبه لها ويحرص على

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١/١٩٣)، برقم: ٢٩ .

(٢) مجموع الفتاوى (٢/٦).

إصلاحها، وبعد توفيق الله عز وجل يسر الله لي جمع تلك المخالفات في هذه الدراسة، والتي بنيتها على أصول العقيدة وما يتفرع منها من مسائل، وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة ودونوه في كتبهم ومصنفاتهم.

فبدأت بالتأصيل من الكتاب والسنة وما نقله الأئمة في كل مخالفةٍ أورِدُها، ثم أذكر بعض المقالات التي تبين تَبَنِّي الفرقة المعنية لهذه المخالفة اعتقاداً ودعوةً.

وقمت بالرد على المقالات مستدلاً بالكتاب والسنة وفق فهم سلف الأمة، ودعمتُ ذلك بنقولٍ لأهل العلم من السلف والخلف، من أقوالٍ ذكروها أو فتاوى افتوا بها إجابةً لسؤال سائلٍ، أو بياناً لنازلةٍ نزلت بالأمة.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في النقاط التالية:

أولا/ أن حاجة الأمة ماسة لبيان العقيدة الصحيحة وتعليمها لهم .

ثانيا / إن العالم اليوم يعيش ثورة في عالم الاتصال والتواصل، وهي وسائل تحمل غزوا فكرياً وعقدياً، يسعى أهل البدع والأهواء من خلالها لطمس العقيدة الإسلامية، وتشويهها في نفوس الشباب المسلم.

ثالثا / أن أهل البدع والخرافات، لهم نشاط قوي في نشر بدعهم وشبهاتهم، من خلال محاربة السنة وأهلها .

أهداف البحث:

أولا / إبراز منهج أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بموقفهم من المخالفات العقدية في ميدان الدعوة إلى الله تعالى .

ثانيا / المشاركة في إصلاح الواقع العقدي في ميدان الدعوة إلى الله تعالى، حيث أنه الأصل في الدعوة إلى الدين الحنيف .

ثالثا / بيان المخالفات العقدية وجمعها، ودراستها دراسة عقدية .

سبب اختيار الموضوع:

يرجع سبب اختيار الموضوع لأمور عدة منها:

أولا / لم أقف على كتاب أو دراسة تجمع كلام أهل العلم في بيان المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى الله تعالى .

ثانيا / الخلل الموجود لدى كثير من الدعاة في السير على منهج النبي ﷺ في الدعوة، يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: (**فلو سلك الدعاة المسلك الذي دعا الله ورسوله ﷺ به الناس إليه لصلح العالم صلاحا لا فساد معه**)[1]

ثالثا / بيان المخالفات العقدية الموجودة في الميدان الدعوي، ودراستها .

---

(١) الفوائد (١٥٥).

الدراسات السابقة للموضوع:

عند البحث لم أقف على حسب بحثي وعلمي على دراسة علمية تجمع المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى الله تعالى .

*خطة البحث:

بنيت البحث على الخطة التالية:

المقدمة وتشتمل على:

أهمية الموضوع وأهدافه وأسباب اختياره، والدراسات السابقة إن وجدت، وخطة البحث، والمنهج المتبع في كتابته، وغير ذلك .

ثم قسمت البحث إلى تمهيد وأربعة فصول وفهارس علمية:

فأما التمهيد ففيه ثلاثُ فروع:

الفرع الأول: المقصود بالمخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى الله تعالى .

الفرع الثاني: أصل دعوة الرسل عليهم السلام .

الفرع الثالث: أهمية الدعوة إلى التوحيد .

الفصل الأول: المخالفات العقدية المتعلقة بمصادر الدعوة إلى الله تعالى وعرض الدعوة .

وفيه ستُ مباحث:

المبحث الأول: الاستدلال بالقران الكريم على غير فهم السلف .

المبحث الثاني: الاستدلال بالسنة الصحيحة على غير فهم السلف.

المبحث الثالث: نقض إجماع أهل السنة والجماعة.

المبحث الرابع: الاستدلال بمخالفة المعقول الصريح الموافق للنقل الصحيح .

المبحث الخامس: عرض النصوص المتشابهة في الدعوة إلى الله .

المبحث السادس: استخدام المراء والجدال، والخصومات في الدين، والمناظرات في الدعوة إلى الله تعالى.

الفصل الثاني: المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى أركان الإيمان .

وفيه أربعُ مباحث:

المبحث الأول: المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى الإيمان بالله .

وفيه أربعُ مطالب:

المطلب الأول: عدم البدء بالدعوة إلى التوحيد .

المطلب الثاني: ترك الدعوة إلى التوحيد لتحقيق مصالح أخرى .

المطلب الثالث: الاكتفاء بتقرير توحيد الربوبية دون توحيد الألوهية .

المطلب الرابع: ترك الدعوة إلى توحيد الأسماء والصفات بحجة أنه من المتشابه .

المبحث الثاني: المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل .

وفيه خمسُ مطالب:

المطلب الأول: الإعراض عن تقرير عقيدة الإيمان بالملائكة بحجة عدم حاجة الناس لها .

المطلب الثاني: الإعراض عن تقرير عقيدة الإيمان بالكتب .

المطلب الثالث: النقل عن كتب الأمم السابقة في باب الدعوة إلى الله .

المطلب الرابع: تمثيل الرسل في المسلسلات بهدف نشر سيرهم عليهم السلام .

المطلب الخامس: الدعوة إلى إحياء آثار الأنبياء عليهم الصلاة السلام والغلو فيها .

المبحث الثالث: المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر.

وفيه أربعُ مطالب:

المطلب الأول: الإعراض عن تقرير عقيدة الإيمان باليوم الآخر .

المطلب الثاني: الإعراض عن تقرير الإيمان بنعيم القبر وعذابه .

المطلب الثالث: تصوير أهوال يوم القيامة بصور مرسومة، لتقريبها إلى الأذهان .

المطلب الرابع: إنكار بعض علامات الساعة وتأويلها .

المبحث الرابع: المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى الإيمان بالقضاء والقدر .

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: الإعراض عن تقرير عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر.

المطلب الثاني: المخالفات المتعلقة بالبحث والتنقيب في مسائل القدر .

المطلب الثالث: الاحتجاج بالقدر على المعائب والذنوب في الدعوة إلى الله .

الفصل الثالث: المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى مسائل الإيمان، والصحابة، والإمامة .

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى مسائل الإيمان .

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: المخالفات العقدية في مسمى الإيمان وحقيقته .

المطلب الثاني: دعوى أن الإيمان في القلب وعدم تأثير الأعمال فيه .

المطلب الثالث: تكفير أصحاب الكبائر .

المبحث الثاني: المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى حقوق الصحابة ﭫ.

وفيه أربع مطالب:

المطلب الأول: الإعراض عن دعوة الناس لمعرفة حقوق الصحابة ﭫ .

المطلب الثاني: دعوى جواز نقد الصحابة ﭫ، لأنهم بشر .

المطلب الثالث: الخوض فيما جرى بين الصحابة ﭫ .

المطلب الرابع: تمثيل الصحابة في المسلسلات بهدف نشر سيرهم .

المبحث الثالث: المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة للإمامة، ولزوم الجماعة.

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: الإعراض عن تقرير مسائل الإمامة، ولزوم الجماعة في الدعوة إلى الله.

المطلب الثاني: الإعراض عن التحذير من الدعاوى المؤدية إلى الفرقة .

المطلب الثالث: الإعراض عن الرد على أهل الأهواء، ودعاة الافتراق .

الفصل الرابع: المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة في معاملة المخالفين .

وفيه ثلاث مباحث:

المبحث الأول: المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة للتحذير من الكفر والشرك، وكيفية التعامل مع الكفار .

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: الإعراض عن الدعوة إلى ذم الافتراق

المطلب الثاني: الإعراض عن تقرير عقيدة الولاء والبراء .

المطلب الثالث: الدعوة إلى وحدة الأديان .

المبحث الثاني: المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة للتحذير من الفسق، وكيفية التعامل مع الفساق .

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الإعراض عن تحذير الناس من الفساق بحجة تأليف قلوبهم .

المطلب الثاني: عدم معرفة ضوابط هجر الفساق .

المبحث الثالث: المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة للتحذير من البدع وأهلها، وكيفية التعامل مع المبتدعة .

وفيه ثلاث مطالب:

المطلب الأول: الإعراض عن تقرير موقف أهل السنة والجماعة من البدع وأهلها .

المطلب الثاني: عدم معرفة ضوابط هجر المبتدعة .

المطلب الثالث: الدعوة إلى التقريب بين السنة والشيعة .

ثم ذكرت خاتمة البحث وفهارس علمية وهي:

١/ فهرس الآيات القرآنية

٢/ فهرس الأحاديث النبوية .

٣/ فهرس الفرق .

٤/ فهرس الأعلام المترجم لهم .

٥/ فهرس المصادر والمراجع .

٦/ فهرس الموضوعات.

المنهج المتبع:

اتبعت في البحث المنهج الآتي:

أولا / قمت بجمع المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى الله تعالى على أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، بداية من طرق مصادر التلقي ووسائل عرض الدعوة إلى الله تعالى، مرورا بأركان العقيدة ومسائل الإيمان ونحوها.

ثانياً / قمت بعرض المخالفة، وتقرير مذهب أهل السنة والجماعة عليها، ومن ثم أنقل ما تيسر لي من مقالات المخالفين من كتبهم أو بالواسطة، وأقوم بالرد عليها وفقا لمنهج أهل السنة والجماعة.

ثانيا / عزو الآيات القرآنية بذكر رقم الآية واسم السورة .

ثالثا / عزو الأحاديث إلى مصادرها الأصلية، فإن كانت في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن لم تكن فيهما أو أحدهما عزوتها إلى مظانها من كتب السنة مع ذكر حكم أهل العلم عليها.

رابعا / توثيق النقول من مصادرها الأصلية، فإن لم يتيسر لي نقلت بالواسطة عنها.

خامسا / إبراز المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة، ودراستها دراسة عقدية، وبيان أقوال أهل العلم، وذكر الآثار التي تعزز وتخدم الموضوع .

تمهيد

علم العقيدة اشرف العلوم، إذ شرف العلم بشرف المعلوم، والعقيدة الصحيحة هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم .

ومن المعلوم أن الدعوة إلى الله تعالى هي سبيل الأنبياء عليهم السلام وأتباعهم قال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال الإمام البغوي[1] في تفسيره: "قل يا محمد هذه الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها، سنتي ومنهاجي ﴿ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ على يقين، والبصيرة: هي المعرفة التي يميز بها بين الحق والباطل، ﴿ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾، أي: ومن آمن بي وصدقني أيضا يدعو إلى الله"[2].

---

(١) الشيخ الإمام العلامة القدوة الحافظ شيخ الإسلام محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي المفسر صاحب التصانيف كـ "شرح السنة"و"معالم التنزيل" و"المصابيح"، وكتاب " التهذيب" في المذهب و "الجمع بين الصحيحين" و"الأربعين حديثا"، مات سنة: ٥١٦هـ انظر: (طبقات الشافعية ٧/ ٧٥) و(النجوم الزاهرة: ٥/ ٢٢٣) و(شذرات الذهب ٤/ ٤٨).

(٢) تفسير البغوي (٢ / ٥١٨) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[١] رحمه الله تعالى:"ومن المستقر في أذهان المسلمين: أن ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء هم الذين قاموا بالدين علما وعملا ودعوة إلى الله والرسول فهؤلاء

أتباع الرسول حقا وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التي زكت فقبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير فزكت في نفسها وزكى الناس بها، وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة في الدين والقوة على الدعوة ولذلك كانوا ورثة الأنبياء الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ [سورة ص٤٥]"[٢]

والمخالفات التي تكون في العقيدة هي اشد واخطر أنواع المخالفات في مجال الدعوة إلى الله تعالى ؛ لأنها تتعلق بالأصل الذي يقوم عليه الدين وتصح به الأعمال والأقوال، والواقع الدعوي خير شاهد على ذلك، حيث الدعوات المعاصرة المخالفة للكتاب والسنة ولما عليه سلف الأمة، والتي لم تؤسس على الأسس الشرعية الصحيحة، من العلم والعمل والدعوة إليه والصبر على ذلك كما بينه الله تعالى في سورة العصر، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾ ﴾ [سورة العصر: ١– ٣]

---

(١) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني الإمام الفقيه الأصولي المحدث الحافظ المفسر شيخ الإسلام وعلم الأعلام له مئات التصانيف رحمه الله ولد سنة: ٦٦١هـ وتوفي سنة: ٧٢٨هـ انظر: (ذيل طبقات الحنابلة ٢ / ٣٨٧) و(الدرر الكامنة ١ / ١٥٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٤ / ٩٢).

قال الشيخ السعدي[١] رحمه الله تعالى:" أقسم تعالى بالعصر، الذي هو الليل والنهار، محل أفعال العباد وأعمالهم أن كل إنسان خاسر، والخاسر ضد الرابح. والخسار مراتب متعددة متفاوتة:

قد يكون خسارا مطلقا، كحال من خسر الدنيا والآخرة، وفاته النعيم، واستحق الجحيم، وقد يكون خاسرا من بعض الوجوه دون بعض، ولهذا عمم الله الخسار لكل إنسان، إلا من

اتصف بأربع صفات: الإيمان بما أمر الله بالإيمان به، ولا يكون الإيمان بدون العلم، فهو فرع عنه لا يتم إلا به.

والعمل الصالح، وهذا شامل لأفعال الخير كلها، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله وحق عباده، الواجبة والمستحبة.

والتواصي بالحق، الذي هو الإيمان والعمل الصالح، أي: يوصي بعضهم بعضا بذلك، ويحثه عليه، ويرغبه فيه.

والتواصي بالصبر على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة.

فبالأمرين الأولين، يكمل الإنسان نفسه، وبالأمرين الأخيرين يكمل غيره، وبتكميل الأمور الأربعة، يكون الإنسان قد سلم من الخسار، وفاز بالربح العظيم"[٢] .

ومنهج الدعوة إذا لم يقم على عقيدة صلبة، فإنه لا يتم له الثبات والرسوخ، لأن العقيدة الصحيحة هي أساس الدعوة إلى الله تعالى، " فكل بناء لا تكون العقيدة أسه، إنما هو بناء بلا أساس، وبلا قرار وإن بدا للناس أنه قد استطال "[٣].

---

(١) هو عبدالرحمن بن ناصر السعدي التميمي من كبار علماء نجد المعاصرين ولد سنة: ١٣٠٧هـ، له مؤلفات عدة واشتغل بالتدريس رحمه الله تعالى توفي سنة: ١٣٧٦هـ انظر(علماء نجد:٤٢٢/٢) و (الأعلام: ٣ / ٣٤٠).

(٢) تفسير السعدي (٨٩٣).

(٣) مجمل اعتقاد السلف، عبدالله التركي (٢٣).

وصلاح العلماء والدعاة هو صلاح للأمة، وفسادهم فساد للأمة، وجر البلاء والويلات لهم، والمتأمل لهذا الخلل يجده قد ابتدأ بمخالفة منهج النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، فنبتت نوابت الفرقة والاختلاف في أصول الدين، وظهور البدع والفرق كما أخبر بذلك الرسول ﷺ [١].

ولا يستقيم أمر هذه الأمة إلا بالرجوع لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، حيثُ كانوا على الهدى المستقيم" أولئك أصحاب محمد ﷺ، أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه فاعرفوا لهم حقهم وفضلهم فقد كانوا على الهدى المستقيم"[٢].

ويقول الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن أصحاب محمد ﷺ: " ومن المعلوم بالضرورة لمن تدبر الكتاب والسنة وما اتفق عليه أهل السنة والجماعة من جميع الطوائف: أن خير قرون هذه الأمة في الأعمال والأقوال والاعتقاد وغيرها من كل فضيلة أن خيرها: القرن الأول، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺمن غير وجه، وأنهم أفضل من الخلف في كل فضيلة: من علم وعمل وإيمان وعقل ودين وبيان وعبادة " [٣].

وقد حذر الله تعالى من مخالفة أمر الرسول ﷺ، من الابتداع في الدين أو إحداث ما ليس منه بالعذاب في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [سورة النور: ٦٣].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه وغيره، (كتاب السنة، باب شرح السنة)برقم: ٤٥٩٦ بلفظه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة) حسن صحيح، صحيح وضعيف أبي داود للألباني (كتاب السنة، باب شرح السنة) ،(٣ / ١١٥) برقم: ٤٥٩٦

(٢) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله عن ابن مسعود رضي الله عنه(٢/٩٤٧) برقم (١٨١٠) .

(٣) مجموع الفتاوى (٤ / ١٥٧-١٥٨).

قال ابن كثير[١] رحمه الله في تفسيره: "أي فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول باطنا وظاهرا، أن تصيبهم فتنة أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة أو يصيبهم عذاب أليم أي في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك"[٢] .

وعندما ظهرت تلك المخالفات المتعلقة بأصول الدين والإيمان من دعاةٍ انحرفوا عن منهاج النبوة، وعن طريق السلف الصالح، حتى ضلوا وأضلوا، وابتدعوا في الدين ما ليس منه، إما لجهل بعقيدة أهل السنة والجماعة أو لهوى في النفس وحقد على الإسلام وأهله أو غير ذلك من الأسباب التي أدت إلى انحرافهم عن الجادة وعن المنبع الأصيل كتاب الله وسنة نبيه ﷺ

بفهم سلف الأمة ﵃، كان لزاما أن تفترق الأمة وتضعف، وأن تخسر مصدر عزتها، لأن قوة الأمة وعزها إنما كان عند تمسكها بكتاب الله ﷻ واستقامتها على سنة النبي ﷺ، وضعفها وهوانها تحقق بسبب البعد عن الكتاب والسنة، وظهور دعاة الضلال الذين أخبر عنهم الصادق المصدوق ﷺ، كما في الصحيحين من حديث حذيفة[٣]﵁ قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يُدرِكني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دَخَنٌ، قلت: وما دَخَنُه ؟ قال: قومٌ يَهدُون بغير هَديِي، تعرِف منهم وتُنكِر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم ؛ دُعَاة على أبواب جهنَّم، مَن أجابَهُم إليها قذَفُوه فيها، قلت: يا رسول الله، صِفْهُم

---

(١) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي الشافعي، محدث، مفسر، مؤرخ، فقيه، ولد سنة: ٧٠٠ هـ، وله مؤلفات عدة منها تفسير القران العظيم والبداية والنهاية وغيرها، مات سنة: ٧٧٤ هـ، انظر (البدر الطالع: ١ / ١٥٣) و (الدرر الكامنة: ١ / ٣٩٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٣ / ١٣٢٦).

(٣) حذيفة بن اليمان العبسي من كبار الصحابة، شهد أحد والخندق، روى عن النبي ﷺ الكثير من الأحاديث وهو صاحب سر رسول الله ﷺ، توفي سنة: ٣٦، أنظر (الإصابة: ١ / ٣٦٢) و (أسد الغابة: ١ / ٤٤٢ – ٤٤٤).

لنا؟ قال: هم من جِلدَتِنا، ويتكلَّمون بألسنتنا، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتَزِل تلك الفِرَق كلها، ولو أن تَعَضَّ بأصل شجرة حتى يُدرِكَك الموت، وأنت على ذلك"[(١)].

ومن الفوائد الجليلة التي ذكرها ابن حجر[(٢)] رحمه الله في شرحه لهذا الحديث قوله: "ويؤخذ منه ذم من جعل للدين أصلا خلاف الكتاب والسنة وجعلهما فرعا لذلك الأصل

الذي ابتدعوه، وفيه وجوب رد الباطل وكل ما خالف الهدي النبوي ولو قاله من قاله من رفيع أو وضيع"[(٣)].

وصح عن النبي ﷺ، من حديث تميم[(٤)] الداري رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال: " الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله ؟ قال: لله و لكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[(٥)].

ومن النصيحة لله تعالى توحيده سبحانه وإخلاص العبادة له وحده سبحانه والذب عن دينه، ومن النصيحة للرسول ﷺ، طاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر وأتباعه ﷺ، والذب عن سنته وحمايتها وصيانتها، ومن النصيحة لأئمة المسلمين طاعتهم في غير معصية

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري واللفظ له كتاب الفتن (باب: كيف الأمر إذا لم تكن جماعة)، (٦٨٧/٢) برقم: ٧٠٨٤، صحيح مسلم كتاب الإمارة (باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة) ،برقم: ٤٧٨٤.

(٢) أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني أبو الفضل شهاب الدين ابن حَجَر: من أئمة العلم والتاريخ ولد سنة: ٧٧٣ هـ وكان فصيح اللسان راوية للشعر عارفا بأيام المتقدمين وأخبار المتأخرين صبيح الوجه. وولي قضاء مصر مرات ثم اعتزل. أما تصانيفه فكثيرة جليلة، مات سنة: ٨٥٢هـ، انظر الأعلام: (١ / ١٧٨ – ١٧٩) و (الضوء اللامع: ٢ /٣٦) و (البدر الطالع: ١ / ٨٧).

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر (١٣/ ٥٦) .

(٤) أبو رقية تميم بن أوس الداري، كان نصرانيا فأسلم، حدث عنه النبي ﷺ قصة الجسّاسة والدجال على المنبر، انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان، انظر (الإصابة: ١ / ٢٠٧) و (أسد الغابة: ١ / ٢٤٧ - ٢٤٨)

(٥) صحيح مسلم كتاب الإيمان (باب بيان أن الدين النصيحة) برقم: ١٩٦

الله والدعاء لهم وعدم الخروج عليهم، ومن النصيحة لعامة المسلمين دعوتهم للدين الخالص الصحيح، وبيان المخالفات لهم وتصحيحها، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر .

قال ابن رجب[١] رحمه الله تعالى: " ومن أنواع النصح لله تعالى وكتابه ورسوله – وهو مما يختص به العلماء – رد الأهواء المضلة بالكتاب والسنة، وبيان دلالتهما على ما يخالف الأهواء كلها كذلك رد الأقوال الضعيفة من زلات العلماء، وبيان دلالة الكتاب والسنة على ردها، ومن ذلك بيان ما صح من حديث النبي ﷺ، وما لم يصح منه بتبيين حال رواته ومن تقبل رواياته منهم ومن لا تقبل، وبيان غلط من غلط من ثقاتهم الذين تقبل روايتهم"[٢].

(١) عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الدمشقي الحنبلي، الحافظ الفقيه الواعظ، ولد سنة: ٧٣٦ هـ، له مؤلفات عدة، مات سنة: ٧٩٥ هـ ،انظر (الدرر الكامنة: ٢ / ٤٢٩)و(الجوهر المنضد: ٦٤)

(٢) جامع العلوم والحكم (٨٢).

وقبل الدخول في صلب البحث فإنه من المناسب ذكر تمهيد مشتمل على ثلاثة فروع:

الفرع الأول:

التعريف بمصطلحات عنوان البحث.

أولاً / تعريف المخالفات في اللغة والاصطلاح:

المخالفات في اللغة: جمع مخالفة، وأصلها (خلف)

قال ابن فارس[١] رحمه الله: الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة:

أحدها أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني خلاف قدام، والثالث التغير[٢].

واختلف: ضد اتفق، وتأتي بعدة معاني منها: القرن بعد القرن، ومنه: هؤلاء خلف سوء، الرديء من القول، والاستقاء، وحد الفأس أو رأسه، ومن لا خير فيه [٣] .

المخالفات في الاصطلاح:

وردت عدة تعريفات اصطلاحية للمخالفات منها:

١/ تعريف الجرجاني[٤] حيث قال: " الخلاف هو منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيق حقٍّ أو لإبطال باطل"[٥] .

---

(١) هو أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين العلامة المحدث النحوي الإمام ولد سنة ٣٢٩ هـ، ومات سنة ٣٩٥ هـ، انظر وفيات الأعيان لابن خالكان(١ / ١١٨ – ١٢٠)، سير أعلام النبلاء للذهبي، (١٧ / ١٠٣ – ١٠٦).

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس (٢ / ٢١٠) .

(٣) انظر القاموس المحيط، فصل الخاء، مادة: خلف، (٨٠٦) .

(٤) هو علي بن محمد بن علي الجرجاني المعروف بالشريف ولد سنة: ٧٤٠هـ ومات سنة: ٨١٦هـ فيلسوف من كبار علماء العربية له نحو خمسين مصنفا منها: التعريفات وتحقيق الكليات وغيرها، انظر (الأعلام: ٥/١٥٩-١٦٠)

(٥) التعريفات للجرجاني (١٠١)

٢/ تعريف الراغب الأصفهاني [١] حيث قال: " والاختلافُ والمخالفة أن يأخذ كلّ واحد طريقا غير طريق الآخر في حاله أو قوله"[٢].

والناظر في التعريف الاصطلاحي لا يجده خارجا أو بعيدا عن المعنى اللغوي، إلا أنه جاء في الجانب الشرعي وخُصص به .

ثانياً / تعريف العقيدة في اللغة والاصطلاح:

العقيدة في اللغة:

قال ابن فارس رحمه الله: العين، والقاف، والدال أصل واحد يدل على شد وشدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها [٣].

وقال ابن منظور:

"والعقد: نقيض الحل؛ عقده يعقده عقدا وتعقادا وعقده"[٤] .

والعقيدة في الاصطلاح:

للعقيدة في الاصطلاح عدة تعريفات ذكرها أهل العلم، منها:

١/ " الإيمان الجازم بالله، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، والإيمان بملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره وبكل ما جاءت به النصوص

---

(١) هو أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، مات سنة ٥٠٢ هـ أديب من الحكماء العلماء من أهل (أصبهان) سكن بغداد واشتهر حتى كان يقرن بالإمام الغزالي انظر: (الأعلام ٢ / ٢٥٥) .

(٢) المفردات في غريب القران (٢٩٤)

(٣) مقاييس اللغة، (٨٦/٤).

(٤) لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (٢٩٦/٣).

الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره، وما أجمع عليه السلف الصالح . والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتحكيم والاتباع "[١] .

٢/ " الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده، والعقيدة في الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل؛ كعقيدة وجود الله وبعث الرسل. والجمع: عقائد وخلاصة ما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به؛ فهو عقيدة، سواء كان حقاً، أم باطلاً " [٢].

٣/ " تصميم القلب، والاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شك في المطالب الإلهية، والنبوات، وأمور المعاد، وغيرها مما يجب الإيمان به "[٣].

والمقصود بالمطالب الإلهية هو: "الإيمان بالله في ربوبيته و ألوهيته، والإيمان بأسمائه وصفاته، وغير ذلك مما يجب الإيمان به "[٤]، وهذا هو المختار من التعاريف .

والمتأمل لهذه التعريفات يجدها قد اتفقت في المعنى العام، والاختلاف بينها إنما هو اختلاف لفظي.

ووجه الارتباط بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي هو:

أن العقيدة مأخوذة من العقد وهو الربط والشد والأحكام والوثوق، والمعتقد قد ربط قلبه وعقده وأحكمه بالأدلة القطعية الجازمة على ما يعتقده .

---

(١) مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة د . ناصر العقل (٦)، وانظر مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٣/ ١٦١ وما بعدها).

(٢) الوجيز في عقيدة السلف الصالح لعبد الحميد الأثري (٢٩) .

(٣) العقيدة الإسلامية وتاريخها لمحمد أمان الجامي (٤٤) .

(٤) المصدر السابق نفسه .

ثالثاً / تعريف الدعوة في اللغة والاصطلاح:

الدعوة في اللغة:

قال ابن فارس رحمه الله: الدال، والعين، والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك . تقول: دعوت أدعو دعاء [(١)].

وقال ابن منظور: "والدعوة و الدِعوة و المدعاة، و المدعاة ما دعوت إليه من طعام وشراب، وقول الله عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ ودعاء الله خلقه إليها كما يدعو الرجل الناس إلى مدعاة، أي: إلى مأدبة يتخذها، وطعام يدعو الناس إليه" [(٢)].

ثم قال: " وقوله تعالى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾ معناه داعيا إلى توحيد الله وما يقرب منه "[(٣)].

ولفظ الدعوة يحمل أكثر من معنى بحسب وروده في السياق، منها:

النداء والاستدعاء والصياح قال تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ [البقرة: ١٧١].

ومنها السؤال والاستغاثة والعبادة والابتهال، قال تعالى: ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾ [البقرة: ٦٨].

وغير هذا من المعاني التي تحمل معناً خاصاً بحسب وروده في السياق[(٤)] .

---

(١) مقاييس اللغة (٢/٢٧٩) .

(٢) لسان العرب (٤/٣٦١ – ٣٦٢).

(٣) المصدر السابق (١٤ / ٢٩٥).

(٤) انظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٢/٢٧٩) و تهذيب اللغة للأزهري (٣/١١٩) ولسان العرب لابن منظور (٤/٣٦٠).

الدعوة في الاصطلاح:

اختلف أئمة السلف في تعريفها اصطلاحا، وهذا الاختلاف هو اختلاف تمايز وتنوع فقط، وقد اتفقوا على الجمع بين أركان الدعوة وهي (حقيقة الدعوة، والمدعو، وأسلوب ووسيلة الدعوة) كما سيأتي .

ومن تلك التعاريف ما يلي:

١/ عرَّف شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى الدعوة بقوله: "الدعوة إلى الله هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه "[(١)].

٢/ تعريف الإمام ابن القيم[(٢)] رحمه الله تعالى حيث قال: " ولما كان مفتاح الدعوة الإلهية معرفة الرب تعالى فأساس دعوة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم معرفة الله سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ثم يتبع ذلك أصلان عظيمان ،

أحدهما: تعريف الطريق الموصلة إليه وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه

الثاني: تعريف السالكين ما لهم بعد الوصول إليه من النعيم الذي لا ينفد وقرة العين التي لا تنقطع "[(١)] .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥/١٥٧- ١٥٨)

(٢) الشيخ الامام العلامة شمس الدين أحد المحققين علم المصنفين نادرة المفسرين أبوعبد الله محمد ابن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الأصل ثم الدمشقي ابن قيم الجوزية وتلميذ الشيخ تقي الدين ابن تيمية له التصانيف الأنيقة و التأليف التي في علوم الشريعة والحقيقة مولده سنة ٦٩١هـ ،لازم الشيخ تقي الدين ابن تيمية وأخذ عنه علما جما وكان ذا فنون من العلوم وخاصة التفسير والأصول من المنطوق والمفهوم، مات سنة: ٧٥١ هـ انظر (الرد الوافر: ٦٩)و(الأعلام: ٦ / ٥٦ – ٥٧).

٣/ عرَّف الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى الدعوة بقوله: " الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي "(٢).

رابعاً / تعريف المنهج في اللغة والاصطلاح:

المنهج في اللغة:

مصدر مشتق من نهج ينهج نهجاً ونهاجاً ونهوجاً ومنهجاً (٣)، وللمنهج معاني عدة منها:

الطريق المستقيم، الواضح البين: كما في حديث العباس بن عبدالمطلب ﷺ: (لم يمت رسول الله ﷺ، حتى ترككم على طريق ناهجة)(٤)، أي واضحة بينة .

والاقتفاء و الإتباع: يقال نهجت الطريق: إذا سلكته، وفلان يستنهج سبيل فلان، أي سلك مسلكه(٥).

وقد بيّن ابن فارس رحمه الله المنهج بقوله: " المنهج كلمة مشتقة من المادة (نهج) النون و الهاء و الجيم أصلان متباينان:

- الأول النهج ، الطريق .

---

(١) الصواعق المرسلة (١/ ١٥١) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣٦٢/٤)

(٣) انظر تهذيب اللغة (٤١/٦).

(٤) رواه الدارمي في سننه باب وفاة النبي ﷺ (٢٢٠/١)، برقم:٨٤، وقال عنه محققه رجاله ثقات غير أنه مرسل .

(٥) الصحاح للجوهري (٣٤٦/١)

– و نهج لي الأمر: أوضحه . وهو مستقيم المنهاج و المنهج: الطريق أيضا ، و الجمع المناهج "[١].

وذكر المنهاج بلفظه في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨].

قال الإمام القرطبي[٢] رحمه الله: " الشرعة والشريعة ، الطريقة الظاهرة التي يتوصل بها إلى النجاة، و المنهاج فإنّ أصله: الطريقُ المستمر، يقال منه هو طريق نَهْجٌ، وَمنهْجٌ بيِّنٌ"[٣]

المنهج في الاصطلاح:

يختلف مفهوم المنهج باختلاف ما يرتبط به من علوم ومعارف، ولذا تجد المناهج متنوعة بحسب العلوم المرتبطة بها، فلكل علم منهج يرتبط به، ويتلاءم مع مسائله ووسائله والقضية التي يهدف إلى علاجها أو الهدف المرجو الوصول إليه .

ولقد تعددت تعاريف المنهج في الاصطلاح، وسأذكر منها ما يلي:

١/ "هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة، تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة "[٤].

٢/ " الطريقة التي يتعين على الباحث أن يلتزم بها في بحثه، باتباع مجموعة من القواعد العامة التي تهيمن على سير البحث، ويسترشد بها الباحث في سبيل الوصول إلى الحلول الملائمة لمشكلة البحث"[٥].

---

(١) مقاييس اللغة (٥/٣٦١).

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي المفسّر ولد في قرطبة أوائل القرن السابع الهجري (ما بين ٦٠٠ – ٦١٠هـ، وعاش بها، ثم انتقل إلى مصر حيث استقر بِمُنْيَة بني خصيب في شمال أسيوط، ويقال لها اليوم: المنيا، وبقي فيها حتى تُوفِّي سنة ٦٧١هـ.انظر (الديباج المذهب ٢/٣٠٨) و (الوافي بالوفيات ٢/٨٧) و (الأعلام ٥/٣٢٢).

(٣) تفسير القرطبي (٨/ ٣٨).

(٤) انظر: مناهج البحث العلمي، د. عبدالرحمن بدوي (٥).

(٥) انظر: أزمة البحث العلمي في العالم العربي، د. عبدالفتاح خضر (١١).

والمتأمل لهذه التعاريف يجدها اصطلاحا عاماً، من الممكن أن تتناسب مع أي علم أو معرفة إذا خصصت به من حيث المسائل والوسائل وقضايا العلم وأهدافه .

وعليه فالمنهج في الاصطلاح العام الشامل هو: " النظام والخطة العلمية السليمة المرسومة للشيء" (١).

خامساً / تعريف أهل السنة والجماعة:

تعريف السنة في اللغة:

السُنَّة بضم السين وفتح النون المشددة، مأخوذة من (سَنَن).

قال ابن فارس رحمه الله: " السين والنون أصل واحد مطرد، وهو جريان الشيء وإطراده في سهولة "(٢).

والأصل قولهم سننت الماء على وجهي أَسُنُّه سَنًّا، إذا أرسلته إرسالا (٣).

ومما اشتق من هذا الأصل معاني عدة، منها:

السيرة، والطريقة المستقيمة حسنة كانت أو سيئة(٤).

٢/ تعريف السنة اصطلاحا:

يستعمل العلماء لفظ (السُنَّة) لأكثر من معنى واصطلاح .

فأهل الحديث قد اهتموا بكل ما نُقِل عن النبي ﷺ منذ ولادته حتى وفاته، فكان تعريفهم للسُنَّة: " هي ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلقِيَة أو خُلُقِيَة أو سيرة سواء كانت قبل البعثة أو بعدها "(١).

---

(١) المعجم الوسيط (٢ / ٩٥٧) .

(٢) مقاييس اللغة (٦١/٣).

(٣) المصدر السابق نفسه (٦١/٣).

(٤) خصها البعض بالحسنة منهم صاحب تهذيب اللغة (٢٠٩/١٢ومابعدها) حيث قال: "والسنة الطريقة المستقيمة المحمودة، ولذلك قيل: فلان من أهل السنة، وسننت لكم سنة فاتبعوها".

وأهل العلم من الفقهاء نظروا لمعنى ومدلول السنة من حيث الأحكام، حيث أنهم يبحثون في حكم أفعال العباد (سنة، مندوب، مباح، وهكذا)، وتطلق السنة عندهم على ما ليس بواجب، فيقال: هذا الشيء سنة، أي: ليس بفرض ولا واجب ،ولا محرم ولا مكروه [٢].

إذا السنة عند الفقهاء هي: " السنة والمندوب والتطوع والنفل والمرغب فيه والمستحب كلها بمعنى واحد، وهو ما كان فعله راجحا على تركه ولا إثم في تركه " [٣] .

وأما الأصوليون فإن مدلول السنة عندهم باعتبارها مصدر للتشريع، ولذا فهم يعرفون السنة بأنها: " ما روي عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير " [٤]، والملاحظ هنا أن مدلولها عند الأصوليين على ما يصلح أن يكون دليلاً شرعياً وفقا لموضوع علم الأصول الذي يهتم بالأدلة وطرق استنباطها .

والذي يهمنا هنا معرفة السُنَّة عند المشتغلين بتقرير عقيدة أهل السنة والجماعة في العقيدة:

فالسُنَّة عندهم: هي ما وافق الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات، ومن خلال هذا المفهوم فإنها تقابل البدعة [٥].

وقد اطلق العلماء لفظ (السُنَّة) على ما وافق الكتاب والسنة من الاعتقادات، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: " ولفظ (السُنَّة) في كلام السلف يتناول السنة في

---

(٥) انظر السنة قبل التدوين للخطيب (١٦-١٩)، وانظر الحديث والمحدثون لأبي زهو (١٠).
(٢) انظر شرح الكوكب المنير (١٦٠/٢ وما بعدها).
(٣) انظر تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١٥٦/٣) وإرشاد الفحول للشوكاني (١، ١٧وما بعدها).
(٤) إرشاد الفحول للشوكاني (١ / ٩٥) .
(٥) مجموع الفتاوى (١٩/ ٣٠٦-٣٠٧)، وانظر جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي(٢٥٨)

العبادات وفي الاعتقادات، وإن كان كثير ممن صنف في السنة يقصدون الكلام في الاعتقادات"[١].

وقال ابن رجب رحمه الله: "وكثير من العلماء المتأخرين يَخصُّ السنة بما يتعلَّق بالاعتقاد؛ لأنَّها أصل الدين، والمخالف فيها على خطر عظيم"[٢].

تعريف الجماعة في اللغة:

الجماعة في اللغة أخذت من عِدَّة معانٍ:

من الاجتماع: وهو ضِدُّ التفرق، وضد الفُرقة.

ومن الجمع: يقال: تَجَمَّع القومُ إذا اجتمعوا من هنا وهنا وجمع المتفرق: ضم بعضه إلى بعض[٣].

قال ابن فارس رحمه الله: الجيم، والميم، والعين، أصل واحد، يدل على تضام الشيء، يقال جمعت الشيء جمعا [٤].

ومنه الإجماع: وهو الاتِّفاق والإحكام، يقال: أجمع الأمر؛ أي: أحكمه، ويقال: أجمع أهل العلم ؛ أي: اتَّفقوا [٥].

والجماعة العدد الكثير من الناس والشجر والنبات وطائفة من الناس يجمعها غرض واحد[٦].

وعلى هذا فالجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة، وهم من يجمعهم غرض واحد .

---

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لابن تيمية (٦١) .

(٢) جامع العلوم والحكم (٢٥٨).

(٣) انظر مختار الصحاح (٦٠) .

(٤) مقاييس اللغة مادة جمع (١/ ٤٧٩)

(٤) انظر المعجم الوسيط (١/١٣٥).

(٦) لسان العرب فصل الجيم مادة جمع (٨ / ٥٣) .

تعريف الجماعة في الاصطلاح:

مفهوم الجماعة يدور على عدة معان كما ورد في السنة وفي كلام أهل العلم، منها:

١/ الصحابة: يقول الإمام البربهاري[(١)] رحمه الله: " والأساس الذي تبنى عليه الجماعة، وهم أصحاب محمد ﷺ ورحمهم أجمعين ...."[(٢)].

٢/ أهل العلم وأئمة الهدى المقتدى بهم في الدين:

قال الشاطبي[(٣)] رحمه الله: " الجميع اتفقوا على اعتبار أهل العلم والاجتهاد، سواء ضموا إليهم العوام أم لا، فإن لم يضموا إليهم فلا إشكال أن الاعتبار إنما هو بالسواد الأعظم من العلماء المعتبر اجتهادهم"[(٤)].

وقال البخاري: "باب: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم"[(٥)].

وقال ابن حجر: " فعُرِفَ أن المراد بالوصف المذكور أهل العلم الشرعي" [(٦)].

---

(١) أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري شيخ الحنابلة في وقته كان شديدا على أهل البدع له مؤلفات عدة منها: شرح السنة توفي سنة ٣٢٩هـ انظر(طبقات الحنابلة:٢/١٨ —٤٥) و(شذرات الذهب:٢/٣١٩ — ٣٢٣).

(٢) شرح السنة للإمام البربهاري (٣٥).

(٣) هو إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي المالكي الشهير بالشاطبي أبو إسحاق محدث فقيه أصولي لغوي مفسر مات سنة ٧٩٠ هـ انظر ترجمته في فهرس الفهارس (١ / ١٣٤) والأعلام للزركلي (١ / ٧١) .

(٤) الاعتصام للشاطبي (٣/ ٢١٧) وقد نسب الشاطبي هذا القول لابن المبارك وإسحاق ابن راهويه، انظر: (٣/ ٢١٧-٢١٨).

(٥) صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (٢ / ٧٣٦).

(٦) انظر: فتح الباري (١٣/٣١٦)

٣/ من اجتمع على الحق:

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:" إن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام، إذا أجمعوا على أمر فواجب على غيرهم من أهل الملل اتباعهم، وهم الذين ضمن الله لنبيه ﷺ أن لا يجمعهم على ضلالة"[١].

ومثله قوله ﷺ: "عليكم بالجماعة وإيَّاكم والفرقة، فإنَّ الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، ومن أراد بحبحة الجنة، فعليه بالجماعة"[٢].

قال أبو شامة [٣]:" حيث جاء الأمر بلزوم الجماعة، فا لمرا دبه لزوم الحق وأتباعه، وإن كان المتمسك بالحق قليلا، والمخالف له كثيرا، لأن الحق هو الذي كانت عليه الجماعة الأولى من عهد النبي ﷺ وأصحابه ﷺ ولا نظرة لكثرة أهل الباطل بعدهم "[٤].

---

(١) المصدر السابق (٣ / ٢١٤).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الفتن (باب: ماجاء في لزوم الجماعة) برقم: (٢٣٠٤) عن ابن عمر ﷺ قال: خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس، إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال: (أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان، عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة، من سرته حسنته وساءته سيئته فذلك المؤمن) قال عنه الألباني حديث صحيح، انظر: صحيح وضعيف الترمذي للألباني (٤٥٧/٢)برقم:(٢١٦٥).

(٣) هو أبو القاسم عبدالرحمن بن إسماعيل بن شهاب الدين الشافعي المعروف بأبي شامة المقدسي من الفقهاء الأعلام مات سنة: ٦٦٥، انظر: (الذيل على الروضتين لأبي شامة: ٣٩) و(تاريخ الإسلام للذهبي: ١٩٤) .

(٤) الباعث على إنكار البدع والحوادث (٢٢).

٤/ السواد الأعظم من أهل الإسلام:

كما ورد في حديثِ حذيفة المشهور، وفيه:"... فما تأمُرني إنْ أدركني ذلك، قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم [(١)]، قال الطبري" :والصَّواب أنَّ المراد من الخبر لزوم الجماعة، الذين في طاعة مَن اجتمعوا على تأميره، فمن نَكَثَ بيعتَه خرج عن الجماعة" [(٢)].

نقل الشاطبي رحمه الله تعالى كلاما لأهل العلم يدل على أن الجماعة هي السواد الأعظم، ومن ذلك ما نقله عن أبي غالب: " إن السواد الأعظم هم الناجون من الفرق، فما كانوا عليه من أمر دينهم فهو الحق، ومن خالفهم مات ميتة جاهلية، سواء خالفهم في شيء من الشريعة أو في إمامهم وسلطانهم، فهو مخالف للحق"[(٣)].

٥/ وتطلق الجماعة على جماعة من المسلمين إذا اجتمعوا على أمير:

وهو اختيار الإمام الطبري[(٤)] رحمه الله، كما نقله الشاطبي [(٥)].

ومما سبق نرى أنه لا اختلاف بين هذه المعاني، بل هو اختلاف تنوع، فأهل السنة والجماعة يرون إتباع الأئمة من أهل العلم والدين ولا يخرجون عن إجماعهم كما أن قدوتهم

---

(١) متفق عليه صحيح البخاري كتاب المناقب (باب:علامات النبوة في الإسلام) برقم: ٣٦٠٦ ومسلم في صحيحة كتاب الإمارة (باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن...) برقم: ١٨٧٤ .

(٢) انظر فتح الباري (٣٧/١٣) .

(٣) المصدر السابق (٣ / ٢٠٩) وذكر أن من قال بهذا القول أبو مسعود الأنصاري وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهما.

(٤) الإمام العلم المجتهد عالم العصر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التصانيف البديعة من أهل آمل طبرستا مولده سنة: ٢٢٤هـ، طلب العلم وأكثر الترحال كان من أفراد الدهر علما وذكاء وكثرة تصانيف قل أن ترى العيون مثله مات سنة: ٣١٠ هـ (انظر السير١١ / ٢٩٩ – ٣١٠)

(٥) الاعتصام للشاطبي (٣ / ٢١٤) .

أصحاب رسول الله ﷺ، يهتدون بهديهم ويلزمون آثارهم، وهم أيضًا أعظم الطوائف حرصًا على جماعة المسلمين، وطاعة إمام المسلمين القائم بالعلم والدين ولا يرون الخروج عليه، ما لم يروا كفرًا بواحًا لديهم من الله فيه برهان [(١)].

ومصطلح أهل السُنَّة له إطلاقان:

إطلاق عام وإطلاق خاص:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: " فلفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة، وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة، فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى ويقول: إن القرآن غير مخلوق، وإن الله يرى في الآخرة، ويثبت القدر، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة " [(٢)].

إذاً الإطلاق العام هو في مقابل الشيعة، أي: أن المسلمين ينقسمون إلى سنة وهم كل الطوائف عدا الشيعة .

وأما الإطلاق الخاص: فيُقصد به أهل السُنَّة المحضة، في مقابل بقية الطوائف المنتسبة للإسلام، كالخوارج والمعتزلة والأشاعرة والمرجئة ومن نحا نحوهم من أهل الأهواء والبدع .

---

(١) انظر وسطية أهل السنة والجماعة لمحمد باكريم (١٠٦) .

(٢) منهاج السنة النبوية (١ / ٤٨٢).

وقد صنف أئمة أهل السنة كتبا أطلقوا عليها اسم (السُنَّة) في بيان معتقد أهل السنة والجماعة وبيان مخالفة أهل البدع والأهواء، منها أصول السنة لأحمد بن حنبل [1]، والسنة لعبدالله بن أحمد بن حنبل [2]، والسنة للخلال [3]، والسنة لابن أبي عاصم [4] وغيرها.

(١) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني ولد سنة ١٦٤ هـ كان آية في العلم والحفظ والعبادة نصر السنة (سُميَ إمام السنة) قمع البدعة وردها وصبر في المحنة له مصنفات عدة توفي سنة: ٢٤١ هـ وصلى عليه مئات الألوف انظر (طبقات الحنابلة: ١ / ٤) و (سير أعلام النبلاء: ١١ / ١٧٧) .

(٢) أبو عبدالرحمن عبدالله بن أحمد بن حنبل الشيباني كان إماما خبيرا بالحديث وعلله وكان من أروى الناس عن أبيه ولد سنة: ٢١٣ هـ ومات سنة: ٢٩٠ هـ له تصانيف عدة منها كتاب السنة انظر (طبقات الحنابلة: ١ / ١٨٠ – ١٨٨)و(تاريخ بغداد: ٩ / ٣٧٥ – ٣٧٦).

(٣) هو أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الحنبلي المشهور بالخلال الفقيه العلامة المحدث له مؤلفات عدة منها كتاب السنة الذي جمع فيه علم الإمام أحمد بن حنبل ولد سنة: ٢٣٤ هـ وتوفي سنة:٣١١ هـ انظر (طبقات الحنابلة: ٢ / ١٢ – ١٥)و(الأعلام:١/١٩٦)و(تاريخ بغداد:٥/١١٢– ١١٣).

(٤) هو أبو بكر أحمد بن عمرو بن النبيل أبي عاصم الضحاك الشيباني الحافظ الكبير، له تصانيف عدة منها كتاب السنة، ولد سنة: ٢٠٦ هـ، ومات سنة: ٢٨٧ هـ، انظر (شذرات الذهب: ٢/١٩٥) و (الأعلام: ١ / ١٨١ – ١٨٢).

الفرع الثاني:

أصل دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام:

إن الدعوة إلى إفراد الله بالعبادة هي أصل دعوة الرسل عليهم السلام، فأول ما يدعون إليه قومهم عبادة الله وحده والكفر بما سواه، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة .

فمن أدلة الكتاب ما يلي:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [سورة النحل: ٣٦]

قال الإمام الطبري في تفسيره: " ولقد بعثنا أيها الناس في كلّ أمة سلفت قبلكم رسولا كما بعثنا فيكم بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له، وأفردوا له الطاعة، وأخلصوا له العبادة (وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) يقول: وابعدوا من الشيطان، واحذروا أن يغويكم، ويصدّكم عن سبيل الله، فتضلوا"[١].

وقال الإمام محمد بن عبدالوهاب[٢] رحمه الله: " وكل أمة بعث الله إليها رسولا من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت"[٣]، ثم ساق الآية الكريمة.

---

(١) تفسير الطبري (٧ /١٧٤).

(٢) هو الإمام العلامة الشهير والداعية الإسلامي الكبير محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي ولد سنة ١١١٥هـ ونشأ في العيينة (بنجد) ورحل مرتين إلى الحجاز، فمكث في المدينة مدة قرأ بها على بعض أعلامها وزار الشام ودخل البصرة فأوذي فيها وعاد إلى نجد، فسكن (حريملاء) وكان أبوه قاضيها بعد العيينة ثم انتقل إلى العيينة، ناهجا منهج السلف الصالح، داعيا إلى التوحيد الخالص ونبذ البدع وتحطيم ما علق بالإسلام من أوهام توفي سنة ١٢٠٦هـ، له مصنفات شتى ورسائل عديدة من مصنفاته كتاب التوحيد، انظر: (الأعلام ٦/٢٥٧) و (الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوته وسيرته ٢٠) و (مشاهير علماء نجد ٢٠).

(٣) ثلاثة الأصول ضمن مجموعة مؤلفات الشيخ رحمه الله (١/١٩٥).

قوله تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ [سورة الأعراف: ٥٩].

قال الشيخ السعدي رحمه الله في تفسيره: "لما ذكر تعالى من أدلة توحيده جملة صالحة، أيد ذلك بذكر ما جرى للأنبياء الداعين إلى توحيده مع أممهم المنكرين لذلك، وكيف أيد الله أهل التوحيد، وأهلك من عاندهم ولم ينقد لهم، وكيف اتفقت دعوة المرسلين على دين واحد ومعتقد واحد، فقال عن نوح أول المرسلين ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ ﴾ يدعوهم إلى عبادة الله وحده، حين كانوا يعبدون الأوثان {فقال} لهم: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي: وحده ﴿ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ لأنه الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، وما سواه مخلوق مدبر، ليس له من الأمر شيء، ثم خوفهم إن لم يطيعوه عذاب الله، فقال: ﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾ وهذا من نصحه عليه السلام وشفقته عليهم، حيث خاف عليهم العذاب الأبدي، والشقاء السرمدي، كإخوانه من المرسلين الذين يشفقون على الخلق أعظم من شفقة آبائهم وأمهاتهم "(١).

قوله تعالى عن هود عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأعراف: ٦٥] .

قال الإمام الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره: " ولقد أرسلنا إلى عاد أخاهم هودا ﴿ قَالَ ﴾ هود: ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ فأفردوا له العبادة، ولا تجعلوا معه إلها غيره، فإنه ليس لكم إله غيره. ﴿ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ربكم فتحذرونه وتخافون عقابه بعبادتكم غيره، وهو خالقكم ورازقكم دون كل ما سواه؟" (٢).

---

(١) تفسير السعدي (٢٧٠).

(٢) تفسير الطبري (٣٨٥/٥).

قوله تعالى عن صالح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ يَـٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَـٰهٍ غَيۡرُهُۥ ﴾ [سورة الأعراف: ٧٣] .

قال ابن كثير في تفسيره: " أي: ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحا، ﴿ يَـٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَـٰهٍ غَيۡرُهُۥ ﴾ جميع الرسل يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ "[١].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَـٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾. [سورة البقرة٢١٣] روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كان بين نوح وآدم عليهما السلام عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين"[٢].

فاتفقت دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام على التوحيد الذي هو أصل ولب دعوتهم كما ذكر ذلك شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: "وقد أخبر الله تعالى عن كل من الرسل، مثل نوح وهود، وصالح وشعيب، وغيرهم، أنهم قالوا لقومهم: اعبدوا الله ما لكم من إله غيره. وهذا أول دعوة الرسل وآخرها"[٣]، وهو الذي قال الله تعالى عنه: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٧٤٢)

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٥٩٦)، وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) منهاج السنة النبوية (٥/ ٣٤٦).

واختلفت في الشرائع كما قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [سورة المائدة: ٤٨].

يقول ابن كثير في تفسيره: " قال سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة: سبيلا وسنة، والسنن مختلفة: هي في التوراة شريعة، وفي الإنجيل شريعة، وفي الفرقان شريعة، يحل الله فيها ما يشاء، ويحرم ما يشاء، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، والدين الذي لا يقبل الله غيره: التوحيد والإخلاص لله، الذي جاءت به الرسل"(١).

ومن أدلة السنة الواردة في الباب ما يلي:

عن أبي هريرة ﷺ (٢)، قال: قال رسول الله ﷺ: "أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة، والأنبياء إخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد"(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وجميع الأنبياء كانوا على دين الإسلام وقد أخبر تعالى في القرآن عن نوح وإبراهيم وإسرائيل وأتباع موسى والمسيح وغيرهم أنهم كانوا مسلمين متفقين على عبادة الله وحده لا شريك له وأن يعبد بما أمر هو سبحانه وتعالى فلا يعبد غيره ولا يعبد هو بدين لم يشرعه"(٤).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: "معنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع .."(٥).

---

(١) تفسير ابن كثير، (٢/ ٦٠٢).

(٢) اختلف في اسمه واسم أبيه في الجاهلية والإسلام، اسلم عام خيبر، وشهدها مع رسول الله ﷺ، أكثر من رواية الحديث ،مات سنة:٥٧ هـ، انظر (الإصابة: ٤/ ٢٣٨٥–٢٣٩٤) و(أسد الغابة: ٥ / ١٢٠ – ١٢١).

(٣) صحيح البخاري كتاب الأنبياء (باب قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ﴾)برقم: ٣٤٤٣.

(٤) مجموع الفتاوى، (٢٧ / ٣٧٠) وانظر: (٣ / ٩٠) و (١٥ / ١٥٩) و (١٩ / ١١١).

(٥) فتح الباري، (٦ /٧١٧).

وعن عياض بن حمار المجاشعي[١] رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض، فمقتهم عربهم وعجمهم، إلا بقايا من أهل الكتاب......الحديث "[٢].

كان الناس على ملة أبيهم آدم (التوحيد) عشرة قرون، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، قال الله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين"[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عند قوله تعالى (وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم): فإن الحنف هو إقبال القدم وميلها إلى أختها فالحنف الميل عن الشيء بالإقبال على آخر؛ فالدين الحنيف هو الإقبال على الله وحده والإعراض عما سواه. وهو الإخلاص الذي ترجمته كلمة الحق والكلمة الطيبة: " لا إله إلا الله "[٤].

وبهذا يتبين أن الغرض من إرسال الرسل عليهم السلام هو إرجاع من ضل من الناس إلى الفطرة السليمة وهي الحنيفية التي خلق الله سبحانه عباده عليها، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ

---

(١) هو عياض بن حمار بن أبي حمار بن ناجية بن عقال التميمي المجاشعي سكن البصرة وروى عن رسول الله ﷺ، انظر الإصابة: ١٣٩٦/٢) و (أسد الغابة: ٣/ ٤٣٥).

(٢) صحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار) برقم: ٧٢٠٧ .

(٣) سبق تخريجه .

(٤) مجموع الفتاوى (٩/ ٣١٩).

أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وفيه دليل على أن التوحيد هو الأصل في البشرية وأن الشرك طارئ، فكانت مهمة الرسل عليهم السلام هي تعليم الناس التوحيد ودعوتهم إليه كما قال ﷺ:(ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم)، بعد أن اجتالتهم الشياطين إلى الوثنية كما أخبر الله تعالى: (وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم) .

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: "(وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم) أي مسلمين وقيل طاهرين من المعاصي وقيل مستقيمين منيبين لقبول الهداية وقيل المراد حين أخذ عليهم العهد في الذر قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، (وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم) أي استخفوهم فذهبوا بهم وأزالوهم عما كانوا عليه وجالوا معهم في الباطل .

قال القاضي ومعنى فاختالوهم بالخاء على رواية من رواه أي يحبسونهم عن دينهم ويصدونهم عنه وقوله ﷺ: (وإن الله تعالى نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم الابقايا من أهل الكتاب) المقت أشد البغض والمراد بهذا المقت والنظر ما قبل بعثة رسول الله ﷺ والمراد ببقايا أهل الكتاب الباقون على التمسك بدينهم الحق من غير تبديل"[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"[(٢)].

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٧/١٧١-١٧٢).

(٢) متفق عليه صحيح البخاري كتاب الجنائز (باب:ماقيل في أولاد المشركين)برقم: ١٣٨٥، وصحيح مسلم كتاب القدر (باب:معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين) برقم: ٢٧٥٥

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "فأخبر أنه خلقهم حنفاء، وذلك يتضمن معرفة الرب،ومحبته، وتوحيده، فهذه الثلاثة تضمنتها الحنيفية، وهي معنى قول: (لا إله إلا الله) "(١).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " (كل مولود) من بني آدم (يولد على الفطرة) الإسلامية"(٢).

وهذا التوحيد هو أول الدين وآخره، وباطنه وظاهره، وهو أول دعوة الرسل وآخرها (٣)

إذاً تبين أن أصل دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام هو الأمر بعبادة الله وحده والنهي عن عبادة ما سواه، قال الإمام ابن القيم رحمه الله في الكافية الشافية:

فالرسل متفقون قطعا في أصو *** ل الدين دون شرائع الإيمــان

كل لـه شـرع ومنهـــاج وذا *** في الأمر لا التوحيد فافهم ذان

فالدين في التوحيد دين واحد *** لم يختلف منهم عليه اثنـــــان

دين الإلـه اختـاره لعبـــاده *** ولنفسه هو قيـم الأديـــــان

فمن المحال بأن يكون لرسلـه *** في وصفـه خـبران مختلفــــان(٤)

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى في شرحه لهذه الأبيات:

" [١] الرسل مُجمعون على التوحيد ونفي الشرك وأصول الإيمان، وأما الشرائع العملية فإنها مختلفة، فالله تعالى يشرع لكل أمة ما يناسبها، كما قال تعالى: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾فالشرائع العملية مختلفة لكن كلها تشريع من الله سبحانه وتعالى، يشرع لكل أمةٍ ما يناسبها وينسخ منها ما يشاء، وأما أصول الإيمان بالله والملائكة واليوم الأخر والكتاب والنبيين فهذه ليست محل اختلاف بينهم، هم متفقون عليها .

---

(١) مجموع الفتاوى (٤ /٣٣٨).

(٢) فتح الباري (٢/٤٧٠).

(٣) تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد (٢٠).

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (١١٢) .

[٢] فالتوحيد محل اتفاق لا اختلاف فيه بين الرسل وأتباعهم، وأما الشرائع فهي تختلف، يشرع لكل أمةٍ ما يناسبها ثم ينسخه بشريعة أخرى وهكذا إلى أن نُسخت الأديان بشريعة الإسلام التي جاء بها محمد ﷺ وهي شريعة باقية لا تنسخ ولا تُبدَّل ولا تُغيَّر إلى أن تقوم الساعة .

[٣] كلهم جاؤوا بالتوحيد وهو إفراد الله بالعبادة، وعبادة الله تكون بأتباع ما شرعه في كل زمان بحسبه فكل الأمم التابعة للرسل يعبدون الله بشرائعهم التي شرعها الله لهم فإذا نُسخت فإن العمل يكون بالناسخ دون المنسوخ مثلا: الاتجاه في الصلاة كان إلى بيت المقدس وصلاتهم إلى بيت المقدس عبادةٌ لله سبحانه وتعالى فلمّا نُسخت وحوِّلت إلى الكعبة صارت العبادة هي الاتجاه إلى الكعبة ومن اتجه إلى بيت المقدس بعد ذلك فإن صلاته غير صحيحة لأنّه شرعٌ نسخ وانتهى فالشرع المنسوخ لا يجوز العمل به بل يجب العمل بالناسخ فالإنسان يدور مع أمر الله سبحانه وتعالى، ولذا قال تعالى: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾ [البقرة: ١٧٧] . فالبر: هو أتباع ما أمر الله به في كل وقت بحسبه.

[٤] فالتوحيد لا يمكن أن يختلف فيه الرسل أبداً لأن دينهم واحد وهو الإسلام الذي وصف الله به جميع الرسل فهم كلهم مسلمون بمعنى: أنهم يوحدون الله ويُفردونه بالعبادة وينقادون لأمره هذا محل إجماع ومحل اتفاق ..."(١).

وقد ذكر شارح الطحاوية (٢) أن أول دعوة الرسل هي الدعوة إلى التوحيد فقال: "اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل" (٣)

---

(١) التعليق المختصر على القصيدة النونية للشيخ صالح الفوزان (١/٣٤٦-٣٤٧) .

(٢) هو علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي من فقهاء الأحناف تولى القضاء ونصر السنة وأصابته محنه مات سنة: ٧٩٢هـ، انظر(شذرات الذهب: ٦/ ٣٢٦)و(معجم المؤلفين: ٧/ ١٥٦) .

(٣) العقيدة الطحاوية (١ / ١٢٢-١٢٣).

والحاصل أن الأصل في الناس هو التوحيد، والشرك أمر طارئ، وإنما هو دين واحد ارتضاه الله عز وجل وهو الإسلام، وهو دين جميع الأنبياء والمرسلين وأتباعهم، **قال** تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [يونس: ٧٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: " فأخبر أن الدين عند الله الإسلام وأن الذين اختلفوا من أهل الكتاب وصاروا على ملل شتى ما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم وفيه بيان أن الدين واحد لا اختلاف فيه"[(١)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/١٠٩).

الفرع الثالث:

أهمية الدعوة إلى التوحيد:

الدعوة إلى التوحيد من أشرف وأجّل الأعمال التي يُتقرب بها إلى الله جل وعلا، ومما يُجلي أهميتها ما يلي:

١/ إن الدعوة إلى التوحيد تستمد أهميتها من كونها المنهج الذي أمر الله جميع أنبيائه ورسله عليهم السلام أن يسيروا عليه، وأن يبلغوه أقوامهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: " ورأس الإسلام مطلقا شهادة أن لا إله إلا الله، وبها بعث الله جميع الرسل، **قال** الله تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ** ﴾ [سورة النحل، ٣٦]"[(١)] .

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥] .

في هذه الآيات دليل واضح على أهمية البدء بالدعوة إلى التوحيد، وبيان أنه من أعظم الأصول التي ينبغي تحقيقها بل هو أعظم أصل، لذا فإن القران الكريم مليء بأدلة التوحيد والدعوة إليه، بل إن القران الكريم كله في التوحيد.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: " إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه، فإن القرآن: إما خبر عن الله، وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي، وإما أمر ونهي، وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده وإما خبر عن أهل الشرك، وما فعل بهم في الدنيا

---

(١) التدمرية (١ / ١٧٤).

من النكال، وما يحل بهم في العقبى من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد"[١].

أما السنة فهي مليئة وغنية ببيان أهمية التوحيد، والحث عليه، والتحذير الشرك، فإن أعظم أمرٍ أَمرَ الله به هو التوحيد، ويقابله أعظم نهيٍ نهى الله تعالى عنه سواء في كتابه أو في سنة رسوله ﷺ وهو (الشرك)، ومما ورد في السنة من بيان أهمية التوحيد والدعوة إليه ما رواه البخاري ومسلم: عن ابن عمر رضي الله عنه[٢]، أن رسول الله ﷺ قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله"[٣].

وقوله ﷺ في الحديث الصحيح: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً"[٤].

وقوله ﷺ: "من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار"[٥] وقوله: ﷺ " من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار"[٦].

---

(١) مدارج السالكين (٣ / ٤١٦-٤١٧).

(٢) عبدالله بن عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي ولد سنة ٣ من البعثة أسلم مع أبيه وهاجر كان ممن استُصغِر يوم بدر أكثر الرواية عن رسول الله ﷺ مات سنة: ٧٣ هـ انظر (الإصابة: ٢ / ١٠٩٥ – ١٠٩٨).

(٣) صحيح البخاري واللفظ له (كتاب الإيمان، باب ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ﴾) برقم:٢٥، صحيح مسلم (كتاب الإيمان،باب:امرت أن أقاتل الناس) برقم:٢٩.

(٤) صحيح البخاري كتاب الجهاد والسير (باب: اسم الفرس والحمار) برقم ٢٨٥٦، وصحيح مسلم كتاب الإيمان (باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة) برقم ٣٠.

(٥) صحيح مسلم كتاب الإيمان (باب: من مات لا يُشرك بالله شيئاً دخل الجنة) برقم ٩٣.

(٦) صحيح البخاري كتاب تفسير القرآن(باب قوله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ﴾) برقم (٤٤٩٧).

٢/ ومما يدل على أهمية التوحيد والدعوة إليه، أن النبي ﷺ مكث بمكة ثلاثة عشر سنة يدعوهم لعبادة الله وحده، وكان ﷺ يقول لأهل مكة: " يا قوم قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"[(١)].

وعندما بعث النبي ﷺ معاذاً [(٢)] إلى اليمن قال له ﷺ: "إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، وفي رواية: (إلى أن يوحدوا الله)، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب"[(٣)].

٣/ ومما يدل على أهمية الدعوة إلى التوحيد ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: " والتوحيد أول الدين وآخره فأول ما دعا إليه الرسول ﷺ شهادة أن لا إله إلا الله وقال:(أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله)[(٤)]، (وقال لمعاذ: إنك تأتي تأتي قوما أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا

---

(١) مسند الإمام أحمد حديث ربيعة بن عباد الديلي رضي الله عنه برقم ١٥٥٩٣ بلفظ: "يا أيها الناس...." قال محققه: صحيح لغيره، وابن حبان (٥١٧/١٤) برقم: ٦٥٦٢.

(٢) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي الإمام المقدم في علم الحلال والحرام روى عن النبي أحاديث كثيرة مات سنة: ١٧ هـ انظر (الإصابة:٣/ ١٨٤٧ – ١٨٤٨) و(أسد الغابة: ٤ / ١٤٢ – ١٤٥).

(٣) صحيح البخاري كتاب التوحيد(باب ما جاء في دعاء النبي ﷺأمته إلى توحيد الله) برقم:٧٣٧٢، وصحيح مسلم كتاب الإيمان (باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام) برقم: ١٩.

(٤) متفق عليه، صحيح البخاري كتاب الإيمان (باب قوله تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ ﴾) برقم:٢٥، وصحيح مسلم كتاب الإيمان (باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا " لا إله إلا الله ") برقم:٣٢.

رسول الله)[١]، وختم الأمر بالتوحيد، فقال في الصحيح من رواية مسلم عن عثمان: (من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة)[٢]، وفي الحديث الصحيح من رواية مسلم عن أبي هريرة ﷺ (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله)[٣]، وفي السنن من حديث معاذ ﷺ: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)[٤]، وفي المسند (إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد حين الموت إلا وجد روحه لها روحا)[٥] وهي الكلمة التي عرضها على عمه عند الموت"[٦].
الموت"[٦].

٤/ ومما يدل على أهمية الدعوة إلى التوحيد: أن من مات على ضده (الشرك بالله) فقد حرم الله عليه الجنة، وكان خالدا مخلدا في النار ،قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾ ﴾ [سورة المائدة: ٧٢].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان (باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا) برقم: ١٣٦ .

(٣) صحيح مسلم كتاب الجنائز (باب تلقين الموتى " لا إله إلا الله ") برقم: ٢١٢٣ .

(٤) سنن أبي داود كتاب الجنائز (باب في التلقين) برقم: ٣١١٦، قال عنه الألباني صحيح، انظر صحيح وضعيف أبي داود للألباني (٢٧٩/٢) .

(٥) مسند الإمام أحمد برقم ١٨٧ عن جابر بن عبد الله قال: سمعتِ عمر بن الخطاب يقول لطلحة بن عبيد الله: ما لي أراك قد شعثت واغْبَرَرْت منذ توفي رسول الله ﷺ لعلك ساءك يا طلحة إمارة ابن عمك؟ قال: معاذ الله، إني لأحْذَركم أن لا أفعل ذلك، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إني لأعلم كلمة لا يقولها أحد عند حضرة الموت إلا وجد روحه لها رَوْحاً حين تخرج من جسده وكانت له نوراً يوم القيامة"، قال عنه محققه أحمد شاكر إسناده صحيح .

(٦) مجموع الفتاوى (٨ / ٣٤).

وبعد هذا يُعلم أن الإنسان بحاجة إلى التوحيد كحاجة الجسد إلى الماء بل أعظم من ذلك قال ابن القيم رحمه الله تعالى: " اعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً أعظم من حاجة الجسد إلى روحه والعين إلى نورها بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به فإن حقيقة العبد روحه وقلبه ولا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره وهى كادحة إليه كدحاً فملاقيته ولابد لها من لقائه ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له ورضاه وإكرامه لها ولو حصل للعبد من اللذات والسرور بغير الله ما حصل لم يدم له ذلك "(١).

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: " فمن أعظم ما أمر الله به التوحيد الذي هو إفراد الله بالعبادة وهو مشتمل على صلاح القلوب وسعتها ونورها وانشراحها وزوال أدرانها وفيه مصالح البدن والدنيا والآخرة "(٢) .

---

(١) طريق الهجرتين (٥٧– ٥٨).

(٢) القواعد الفقهية (١١٤).

الفصل الأول:

المخالفات العقدية المتعلقة بمصادر الدعوة إلى الله تعالى، وعرضها .

وفيه تمهيد وستة مباحث:

المبحث الأول: الاستدلال بالقران الكريم على غير فهم السلف .

المبحث الثاني: الاستدلال بالسنة الصحيحة على غير فهم السلف .

المبحث الثالث: نقض إجماع أهل السنة والجماعة .

المبحث الرابع: الاستدلال بمخالفة المعقول الصريح الموافق للنقل الصحيح .

المبحث الخامس: عرض النصوص المتشابهة في الدعوة إلى الله تعالى .

المبحث السادس: استخدام المراء والجدال، والخصومات في الدين، والمناظرات في الدعوة إلى الله تعالى .

تمهيد:

من المقرر شرعاً أن الدعوة إلى الله جل وعلا عبادة من أجلِّ العبادات وهي وظيفة رسل الله عليهم الصلاة و السلام .

والدعوة إلى الله عز وجل التي يراد لها النجاح يجب أن لا يُخرج فيها عن المنهج السوي لا في مصادر الاستدلال ولا في طرق عرضها .

فالداعي إلى الله تعالى يجب أن ينطلق في دعوته من جهة ما يستدل به من الكتاب والسنة والإجماع، فلا يخرج عن هذه الأصول ولا يخالفها .

وترك الاستدلال بهذه الأصول سبب في ضلال الداعية والمدعو كما دل عليه مفهوم حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إني قد خلفت فيكم ما لن تضلوا بعدهما أبدا ما أخذتم بهما أو عملتم بهما: كتاب الله وسنتي ، فلن يتفرقا حتى يردا على الحوض"(١).

فمن ترك الاستدلال بالوحيين والإجماع المستند إليهما فقد فارق السبيل وخالف طريقة أهل السنة والجماعة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة"(٢).

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة برقم: ٩٠ (ص:٣٧) ،والبيهقي في السنن الكبرى برقم: ٢٠٣٣٧، وأصله في صحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة (باب:فضائل علي بن أبي طالب ﷺ)برقم: ٦٢٢٥ من حديث زيد بن أرقم، انظر السلسلة الصحيحة للألباني (٣٥٦/٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٤٩/٩).

وعلى هذا فكل ما وجد من مخالفات في طرق عرض الدعوة إنما هي ثمرة لمخالفة منهج أهل السنة في الاستدلال، ومن ذلك تقديم العقول والآراء على النصوص الشرعية والعمل بالمتشابه وترك المحكم من النصوص ومنه ما يجري في المناظرات الدعوية من مراء وجدل وخصومات مذمومة .

وفي هذا الفصل سأعرض بإذن الله تعالى لذكر أهم المخالفات العقدية المتعلقة بمصادر الدعوة إلى الله وعرض الدعوة وبيان ذلك في المباحث الآتية:

المبحث الأول:

الاستدلال بالقران الكريم على غير فهم السلف رضي الله عنهم .

الأخذ بفهم السلف الصالح في فهم النصوص الشرعية مطلب شرعي دلت عليه النصوص الشرعية، ومنها:

قوله الله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: " يقول تعالى وإذا قيل للمنافقين: آمنوا كما آمن الناس أي كإيمان الناس بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والجنة والنار وغير ذلك مما أخبر المؤمنين به وعنه، وأطيعوا الله ورسوله في امتثال الأوامر وترك الزواجر، قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء يعنون- لعنهم الله- أصحاب رسول الله ﷺ رضي الله عنهم "[(١)].

وقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ﴾ [البقرة: ١٣٧].

قال البغوي رحمه الله تعالى: "معناه فإن آمنوا بجميع ما آمنتم به، أي: أتوا بإيمان كإيمانكم وتوحيد كتوحيدكم... فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق، أي: في خلاف ومنازعة"[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٥).

(٢) تفسير البغوي (١/١٧٣).

وقولــه تعــالى﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: "من كان مستنّا فليستنّ بمن قد مات، أولئك أصحاب محمد رسول الله ﷺ كانوا خيرة هذه الأمّة، وأبرّها قلوبا، وأعمقها علما، وأقلها تكلّفا، قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ ونقل دينه، فتشبّهوا بأخلاقهم وطرائقهم، فهم كانوا على الهدى المستقيم"(١).

وجاء في فتح القدير:" ويتبع غير سبيل المؤمنين أي: غير طريقهم، وهو ما هم عليه من دين الإسلام، والتمسك بأحكامه .."(٢) .

وقال الشيخ السعدي: " وسبيلهم هو طريقهم في عقائدهم وأعمالهم"(٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال الشيخ السعدي رحمه الله: " السابقون هم الذين سبقوا هذه الأمة وبدروها إلى الإيمان والهجرة، والجهاد، وإقامة دين الله، من المهاجرين و من الأنصار، ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ ﴾ بالاعتقادات والأقوال والأعمال، فهؤلاء، هم الذين سلموا من الذم، وحصل لهم نهاية المدح، وأفضل الكرامات من الله"(٤).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) فتح القدير للشوكاني (٥٩٣/١).

(٣) تفسير السعدي (٢٠٢).

(٤) المرجع السابق نفسه (٣٢٧).

وفي الحديث المتفق عليه قال الرسول ﷺ: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم.."(١).

قال الإمام النووي رحمه الله: " اتفق العلماء على أن خير القرون قرنه ﷺ "(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال:" افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة"(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فعُلم بخبره الصدق، أنه في أمته قوم مستمسكون بهدية الذي هو دين الإسلام محضًا، وقوم منحرفون إلى شُعبة من شُعب اليهود، أو إلى شُعبة من شُعب النصارى، وإن كان الرجل لا يكفر بكل انحراف، بل وقد لا يفسق أيضًا، بل قد يكون الانحراف كفرًا، وقد يكون فسقًا، وقد يكون معصية، وقد يكون خطيئة"(٤).

وقال ابن حزم رحمه الله: " فإن قال قائل فإذ لا بد من مواقعة الاختلاف فكيف التخلص من هذا الذم الوارد في المختلفين قيل له وبالله تعالى التوفيق: قد علمنا الله تعالى الطريق في ذلك ولم يدعنا في لبس وله الحمد فقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال الله تعالى:﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ

(١) متفق عليه، صحيح البخاري كتاب الشهادات (باب: لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد)برقم:٢٦٥٢، وصحيح مسلم كتاب فضائل الصحابة (باب:فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) برقم: ٦٤٦٩.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٦/ ٧١-٧٢).

(٣) سبق تخريجه (٣).

(٤) اقتضاء الصراط المستقيم (٥٨).

فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩]، فإذا وردت الأقوال فاتبع كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ الذي هو بيان عما أمرنا الله تعالى به وما أجمع عليه جميع المسلمين فهذا هو صراط الله تعالى وحبله الذي إذا تمسكت به أخرجك من الفرقة المذمومة ومن الاختلاف المكروه إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر كما قال الله تعالى وهذا هو الذي أجمع عليه جميع أهل الإسلام قديما وحديثا فإنه لم يكن قط مسلم إلا ومن عقده وقوله إن كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ فرض قبوله وأنه لا يحل لأحد معارضته بشيء من ذلك ولا مخالفته"(١).

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ "(٢).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: " ومن المحال أن يكون الصواب، في غير طريق من سبق إلى كل خير على الإطلاق"(٣).

وقال السفاريني(٤) رحمه الله تعالى عن الأخذ بأقوال الصحابة رضي الله عنهم في مسائل الدين:" فإذا وجد فيها قولا لأصحاب رسول الله ﷺ الذين هم سادات الأمة، وقدوة الأئمة، وأعلم الناس بكتاب ربهم، وسنة نبيهم، وقد شاهدوا التنزيل، وعرفوا التأويل، ونسبة من بعدهم في العلم إليهم نسبتهم إليهم في الفضل والدين، كان الظن والحالة هذه بأن الصواب في

---

(١) الإحكام لابن حزم (٥/٦٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) إعلام الموقعين (٤/١٠٦) .

(٤) محمد بن أحمد بن سالم السفاريني، شمس الدين، أبو العون: عالم بالحديث والأصول والأدب، محقق. ولد في سفارين (من قرى نابلس) سنة: ١١١٤هـ، ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها. وعاد إلى نابلس فدرّس وأفتى، وتوفي فيها سنة ١١٨٨هـ ،له عدة مصنفات، انظر(الأعلام: ٦/١٤).

وجهتهم، والحق في جانبهم من أقوى الظنون، وهو أقوى من الظن المستفاد من كثير من الأقيسة، هذا مما لا يمتري فيه عاقل منصف، وكان الرأي الذي يوافق رأيهم هو الرأي السديد الذي لا رأي سواه، وإذا كان المطلوب في الحادثة إنما هو ظن راجح، ولو استند إلى استصحاب، أو قياس علة، أو دلالة، أو شبه، أو عموم، أو خصوص، أو محفوظ مطلق، أو وارد على سبب، فلا شك أن الظن الذي يحصل لنا بقول الصحابي الذي لم يخالف، أرجح من كثير من الظنون المستندة إلى هذه الأمور أو أكثره"(١).

بل إنك لا تجد أحدا من أئمة الهدى ومصابيح الدجى من أئمة هذا الدين إلا وهو يقول إن أفضل علمه ما كان فيه مقتديا بأصحاب رسول الله ﷺ، وقد نقل هذا القول عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله حيث **قال**:" ولا تجد إماما في العلم والدين كمالك(٢) والأوزاعي وأحمد بن حنبل وأمثالهم إلا وهم مصرحون بأن أفضل علمهم ما كانوا فيه مقتدين بعلم الصحابة رضي الله عنهم"(٣).

كيف لا وقد دل القران الكريم على ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾** ﴾ [النساء: ١١٥].

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٣٨٢/٢).

(٢) هو أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك المدني إمام دار الهجرة وأحد أئمة المذاهب المتبوعة وهو من تابعي التابعين وأجمعت طوائف العلماء على إمامته وجلالته وعظم سيادته وتبجيله، وتوقيره والإذعان له في الحفظ والتثبيت وتعظيم حديث رسول الله ﷺ قال البخاري: أصح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر ولد سنة ٩٣هـ بالمدينة وعاش فيها، وتوفي سنة ١٧٩هـ انظر (تهذيب الأسماء واللغات ٧٥/٢) و (السير ٤٨/٨ وما بعدها) و (وفيات الأعيان ١٣٥/٤) .

(٣) شرح العقيدة الأصفهانية (١٨٠).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" فمن ظن أَنه يَأْخُذ من الْكتاب وَالسّنة بدون أَن يقْتَدي بالصحابة ويتبع غير سبيلهم فَهُوَ من أهل البدع والضلال ومن خَالف مَا أجمع عَلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ فَهُوَ ضال"[١].

وبهذا تبين لنا منزلة فهم نصوص القران الكريم على ما فهمه صحابة رسول الله ﷺ، وأن الخلاف والاختلاف والبعد عن الصراط المستقيم حدث عندما أُبتُعِد عن الأخذ بفهمهم لنصوص الشريعة، وأصبح أقوام يدعون إلى الله تعالى وفق أهوائهم وأرائهم العقلية، وتركوا الالتزام بفهم السلف الصالح لنصوص الكتاب العزيز، فظهرت فرق الشيعة[٢]، والمعتزلة[٣] والقدرية[٤]،

(١) مختصر الفتاوى المصرية (٥٥٦/١).

(٢) الشيعة: يختلف تعريف الشيعة باختلاف مراحل نشأتهم ومراحل التطور العقدي عندهم ففي العصر الأول هم الذين يقدمون عليا على عثمان، بعد هذا أصبح الشيعة شيعا وصار التشيع قناعا يستتر به كل من أراد الكيد للإسلام والمسلمين وأصبحت الشيعة مقابل السنة في المعنى العام، ومن فرق الشيعة الجارودية والرافضة والاثنا عشرية والكيسانية والغرابية، انظر: (التنبيه والرد:٢٩) و(مقالات الإسلاميين:١٦) و (التبصير في الدين:١٦) و (أصول مذهب الشيعة للقفاري ٣١/١-٥٣-٥٥).

(٣) المعتزلة:هي أحدى الفرق التي خالفت منهج أهل السنة والجماعة وأول من تكلم بأصولهم هو واصل بن عطاء وكان تلميذا عند الحسن البصري وخالف الحسن في حكم مرتكب الكبيرة وأنه في منزلة بين المنزلتين واعتزل حلقة الحسن البصري فأُطلق عليه وجماعته معتزلة، والمعتزلة فرق شتى يجمعهم القول بخلق القران ونفي الصفات وأن العبد يخلق فعل نفسه، ولهم أصول خمسة هي: التوحيد والعدل والمنزلة بين المنزلتين والوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وستروا هذه الأصول تحت معاني باطلة، انظر: (الملل والنحل: ٥٦/١)و(الفرق بين الفِرق: ٩٣)و(التنبيه والرد:٤٩)و(التبصير في الدين:٣٧).

(٤) القدرية:فرقة من الفرق الضالة، سميت بذلك لتكذيبهم بالقدر، حيث يقولون إن العبد خالق لأفعاله كلها، خيرها وشرها وأول مقالة لهم (هو أن الأمر أنف)أي لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه، وأول من تكلم به رجل نصراني يقال له سنسويه وسماه بعضهم =

والمرجئة[١] والأشاعرة[٢] وغيرها من الفرق والمذاهب المخالفة لأهل السنة والجماعة وسيأتي الكلام عنها في مباحث أخرى.

وإليك أيها القارئ بيان نماذج يسيرة تبين تلك المخالفات:

أشهر من عُرف عنه الاعتماد على النص وفق فهمه طائفتان: الخوارج[٣]

وأهل الكلام[٤]، ولعل سبب هذه المخالفات لا يخرج عن ثلاثة أمور وهي:

أولاً: سوء الفهم لنصوص القران الكريم والأخذ بظاهر النصوص دون السنة التي تخالف ظاهر القران الكريم ،كما هو حال الخوارج الذين ذكر عنهم شيخ الإسلام رحمه الله

سوسن أسلم ثم عاد فتنصر، أخذ عنه معبد الجهني وعنه أخذ غيلان الدمشقي هذه المقالة، انظر: (الفرق بين الفِرق: ١٨) و(التبصير في الدين:٦١).

(١) المرجئة:من الأرجاء وهو التأخير، وسموا بذلك لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان فقالوا:الإيمان هو الاعتقاد بالقلب فقط ومنهم من قال: الإيمان هو الاعتقاد والنطق فقط ومنهم من قال: الإيمان هو المعرفة فقط، انظر: (مقالات الإسلاميين: ١٣٢) و (الملل والنحل:١/١٦١) و (الفرق بين الفرق: ١٩٠) و (التبصير في الدين:٥٩).

(٢) الأشعرية:هي فرقة كلامية واسعة الانتشار تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري زورا وبهتانا حيث رجع عن هذه العقيدة إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، وكتب كتابه الإبانة الذي عبر فيه عن تفضيله لعقيدة السلف، ظهرت في القرن الرابع الهجري ،أصولها بدأت حول نفي الصفات الاختيارية مع القول بالجبر والإرجاء ثم تطورت وتوسعت في المناهج الكلامية حتى أصبحت فرقة كلامية محضة ذات منهج عقلاني فلسفي مع خلط بالصوفية القبورية، انظر: (الموسوعة الميسرة ١/٨٣-٨٧) و (الفرق الكلامية: ٤٩).

(٣) الخوارج: هم الذين خرجوا على علي بن أبي طالب ﷺ بعد قصة التحكيم وهم فرق شتى يجمعهم تكفير علي وعثمان والحكمين وأصحاب الجمل وتكفير مرتكب الكبيرة وأنه خالد مخلد في النار والخروج على الأئمة إذا جاروا وظلموا، وقد عرفوا بعدة أسماء منها: الحرورية والشراة والمارقة، انظر: (التبصير في الدين:٢٦)و(الفرق بين الفِرق: ٥٤)و(مقالات الإسلاميين: ٨٦).

(٤) أهل الكلام هم المشتغلون بعلم الكلام الذين يقدمون العقل على النقل وهم المعتزلة والأشاعرة والماتريدية والجهمية ومن نحى نحوهم، فيخوضون في مسائل الدين وأصوله بعقولهم، انظر: (درء تعارض العقل والنقل).

تعالى ذلك، **فقال**: " بدعة الخوارج إنما هي من سوء فهمهم للقرآن لم يقصدوا معارضته لكن فهموا منه ما لم يدل عليه فظنوا أنه يوجب تكفير أرباب الذنوب ؛ إذ كان المؤمن هو البر التقي . قالوا: فمن لم يكن برا تقيا فهو كافر وهو مخلد في النار "(١).

وهذا الأصل خالفوا فيه فهم الصحابة ﷺ، ومن ذلك قصة مناصحة ابن عباس رضي الله عنهما للخوارج، فكان مما احتجوا به آيات من القران الكريم فهموها على ظاهرها وتأولوها على غير الفهم الصحيح لها، وهنا أسوق الشاهد من الأثر الوارد عن ابن عباس رضي الله عنهما مع رد ابن عباس رضي الله عنهما على شبهتهم:

عن ابن عباس ﷺ قال: لما خرجت الحرورية(٢) اجتمعوا في دار – على حدتهم – وهم ستة آلاف وأجمعوا أن يخرجوا على علي بن أبي طالب وأصحاب النبي ﷺ معه، قال: جعل يأتيه الرجل فيقول: يا أمير المؤمنين إن القوم خارجون عليك، قال: دعهم حتى يخرجوا فإني لا أقاتلهم حتى يقاتلوني وسوف يفعلون . فلما كان ذات يوم قلت لعلي: يا أمير المؤمنين: أبرد عن الصلاة فلا تفتني حتى آتي القوم فأكلمهم، قال: إني أتخوفهم عليك. قلت: كلا إن شاء الله تعالى وكنت حسن الخلق لا أوذي أحدًا . قال: فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية، قال أبو زميل: كان ابن عباس جميلاً جهيرًا. قال: ثم دخلت عليهم وهم قائلون في نحر الظهيرة، قال: فدخلت على قوم لم أر قط أشد اجتهادًا منهم، أيديهم كأنها ثفن الإبل، وجوههم معلمة من آثار السجود، عليهم قمص مرحضة، وجوههم مسهمة من السهر، قال: فدخلت، فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس! ما جاء بك ؟ وما هذه الحلة، قال: قلت ما تعيبون علي ؟ لقد رأيت على رسول الله أحسن ما يكون من هذه الحلل، ونزلت ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِيَ

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٣٠).

(٢) اسم يطلق على الخوارج نسبة للمكان الذي نزلوا فيه يقال له حروراء قرب الكوفة عندما اعتزلوا من جيش علي ﷺ فأبوا أن يساكنوه في بلده وقد أرسل إليهم ابن عباس رضي الله عنهما فناظرهم فرجع أكثرهم، انظر: (الفرق بين الفِرق ٧٢) و(التبصير في الدين ٤٦).

لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةً يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٢] .

قالوا: فما جاء بك ؟ قال: جئت أحدثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ ومن عند صهر رسول الله ﷺ عليهم نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله، وليس فيكم منهم أحد، فقال بعضهم: لا تخاصموا قريشاً فإن الله تعالى يقول: ﴿ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨] ، وقال رجلان أو ثلاثة لو كلمتهم.

قال: قلت أخبروني ما تنقمون على ابن عم رسول الله ﷺ وختنِه، وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله معه ؟، قالوا: ننقم عليه ثلاثاً، قال: وما هنّ ؟

قالوا: أولهن أنه حكّم الرجال في دين الله، وقد قال الله: ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ ﴾ [الأنعام: ٥٧] فما شأن الرجال والحكم بعد قول الله عز وجل .

-فأجاب ابن عباس رضي الله عنهما —

قال: قلت أما قولكم: حكّم الرجال في دين الله، فإن الله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ ﴾ [المائدة: ٩٥] ، إلى قوله: ﴿ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ المائدة: ٩٥.وقال في المرأة وزوجها: ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾ [النساء: ٣٥].

أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم، وإصلاح ذات بينهم أحق أم في أرنب ثمنها ربع درهم، وفي بضع امرأة، وأن تعلموا أن الله لو شاء لحكم ولم يصير ذلك إلى الرجال، قالوا: اللهم في حقن دمائهم، وإصلاح ذات بينهم، قال: أخرجت من هذه ؟، قالوا: اللهم نعم"[1].

---

(١) أخرج بعضه الإمام أحمد وقال أحمد شاكر في تعليقه على (المسند ٣ /٣٧٠ رقم ٣١٨٧) إسناده صحيح، والحاكم في (المستدرك ٢/١٥٠-١٥٢) وأبو نعيم في (الحلية ١/٣١٨)، وأخرجه البيهقي في(السنن الكبرى ٨/١٧٩)، وابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله ٢ / ١٠٣)، =

والمتأمل لهذا الأثر يجد خطورة مخالفة فهم السلف ﷺ، حيث ينبني عليه أمران عظيمان، هما:

أ/ مخالفة السنة، والخروج منها .

ب/ تكفير المسلمين، ومن ثم استحلال دمائهم وأموالهم .

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: " ولهم خاصتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم:

أحداهما: خروجهم عن السنة، وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة، أو ما ليس بحسنة حسنة، وهذا هو الذي أظهروه في وجه النبي ﷺ ؛ حيث قال له ذو الخويصرة التميمي: اعدل ؛ فإنك لم تعدل، حتى قال له النبي ﷺ: (ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أعدل)[1].

الفرق الثاني في الخوارج وأهل البدع (وهي الخاصية الثانية): أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات، ويترتب على تفكيرهم بالذنوب استحلال دماء المسلمين وأموالهم، وأن دار الإسلام دار حرب،ودارهم هي دار الإيمان"[2]

ثم بيَّن رحمه الله ما يتولد من هذين الأصلين الخبيثين، فقال:

" فينبغي للمسلم أن يحذر من هذين الأصلين الخبيثين، وما يتولد عنهما من بغض المسلمين وذمهم ولعنهم واستحلال دمائهم وأموالهم.

وهذان الأصلان هما خلاف السنة والجماعة، فمن خالف السنة فيما أتت به أو شرعته، فهو مبتدع خارج عن السنة، ومن كفر المسلمين بما رآه ذنباً، سواء كان ديناً أو لم

وعبد الرزاق الصنعاني في (المصنف، باب ذكر رفع السلام ١٠/١٥٧ رقم ١٨٦٧٨)باللفظ نفسه.

(١) متفق عليه صحيح البخاري كتاب المناقب (باب:علامات النبوة في الإسلام) برقم: ٣٦١٠، وصحيح مسلم واللفظ له كتاب الزكاة (باب: ذكر الخوارج وصفاتهم)برقم: ٢٤٥٦ .

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/٧٢-٧٣) .

يكن ديناً، وعاملهم معاملة الكفار، فهو مفارق للجماعة، وعامة البدع والأهواء إنما تنشأ من هذين الأصلين"[١].

ولقد حذر الله تعالى ورسوله ﷺ والصحابة ﷺ وتابعوهم من بدعة الخوارج ومن طريقتهم ومسلكهم في فهم النصوص وفق عقولهم القاصرة وأهوائهم الضالة .

قال الإمام الآجري[٢] رحمه الله تعالى:" لم يختلف العلماء قديما وحديثا أن الخوارج قوم سوء عصاة لله تعالى ولرسوله ﷺ، وإن صلوا وصاموا، واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم، نعم ، ويظهرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم ؛ لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون، ويموهون على المسلمين وقد حذرنا الله تعالى منهم، وحذرنا النبي ﷺ، وحذرناهم الخلفاء الراشدون بعده، وحذرناهم الصحابة رضي الله عنهم ومن تبعهم بإحسان ..."[٣].

ثانيا: الجهل بطرق التفسير، وتفسير القران بالرأي والهوى .

منهج أهل السنة والجماعة في تفسير القران الكريم، هو المنهج السليم والصحيح الموافق للنقل والعقل، حيث بيّن الرسول ﷺ لأصحابه معاني القران الكريم كما بيّن ألفاظه، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]

قال ابن كثير في تفسيره: " ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ ﴾ يعني القرآن، ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ أي من ربهم لعلمك بمعنى ما أنزل الله وحرصك عليه وأتباعك له، ولعلمنا

---

(١) المصدر السابق (٧٤/١٩).

(٢) هو أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله الآجري البغدادي الإمام المحدث الفقيه الشافعي له تصانيف كثيرة منها " كتاب الشريعة " في السنة و " الأربعين حديثا " جاور بمكة وتوفي بها سنة: ٣٦٠هـ، انظر: (تاريخ بغداد ٢٤٣/٢) و(وفيات الأعيان ٢٩٢/٤) و (تذكرة الحفاظ ٩٣٦/٣).

(٣) الشريعة للآجري (٢٠).

بأنك أفضل الخلائق وسيد ولد آدم، فتفصل لهم ما أجمل وتبين لهم ما أشكل ولعلهم يتفكرون أي ينظرون لأنفسهم فيهتدون فيفوزون بالنجاة في الدارين"(١).

والمفسر لكتاب الله تعالى يحتاج إلى أن يجمع النصوص القرآنية في الموضع الواحد، ثم ينظر فيها ويُخرِج ما فيها مجتمعه، وهذا يحتاج إلى علمٍ باللغة العربية لأن الله تعالى أنزله بلغة العرب فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣].

فإن لم يتيسر له ذلك طلبه من السنة النبوية، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ ﴾ [الحشر: ٧]

فالسنة مفسرة ومبينة للقران الكريم لقوله ﷺ: " ألا إني أوتيت القران ومثله معه "(٢).

وإن لم يتيسر له ذلك، أخذ بقول الصحابة رضي الله عنهم، فهم أعلم بما أنزل على رسول الله ﷺ فقد نزل بحضرتهم، وعلموا المراد منه، يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "والذي لا إله غيره ما من كتاب الله سورة إلا أنا أعلم حيث نزلت، وما من آية إلا أنا أعلم فيما أنزلت، ولو أعلم أحدا هو أعلم بكتاب الله مني، تبلغه الإبل، لركبت إليه"(٣).

فإن لم يجد في أقوال الصحابة رضي الله عنهم، رجع إلى أقوال التابعين رحمهم الله تعالى، قال الإمام المفسر مجاهد رحمه الله تعالى: " لقد عرضت القرآن على ابن عباس رضي الله عنهما، ثلاث عرضات أقف عند كل آية أسأله فيم أنزلت، وفيم كانت؟ فقلت: يا ابن عباس، أرأيت قول الله تعالى: ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

قال: (من حيث أمركم أن تعتزلوهن)"(٤).

---

(١) تفسير ابن كثير (١٠٣٣/٢).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب فضائل الصحابة (باب: من فضائل عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وأمه رضي الله عنها) برقم: ٦٣٣٣.

(٤) أخرجه الدارمي في سننه كتاب الطهارة (باب:إتيان النساء في أدبارهن)برقم:١١٦٠، قال محققه: إسناده صحيح.

وعن قتادة، قال: "ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئا"[(١)].

والمقصود هنا هو بيان أحسن الطرق لفهم وتفسير القرآن الكريم، والتنبيه على أن من خالف هذه الطرق فهو على شفا جرف بدعة وضلالة .

ومن المخالفات: تأويل وتفويض آيات الصفات، لأن ظاهرها – بزعمهم – كفر وتجسيم، وآيات الوعد والوعيد لأنها تخالف رأي الوعيدية والمرجئة وآيات التنزيه والتقديس لمخالفتها رأي أهل التشبيه والتمثيل[(٢)].

والمقصود بالتأويل هنا:

صرف اللفظ عن ظاهره لدليل يصير به المرجوح راجحا[(٣)]

وهذا معناه صرف ألفاظ النصوص عن معناها وما دلت عليه، وحملها على غير حقائقها، وهذه طريقة أهل التأويل (التحريف) وهو عدم التسليم بدلالة النصوص .

وهذا التأويل ليس هو المراد من كلام السلف[(٤)]، لأنه يؤدي إلى القول على الله بغير علم، وهذا النوع شائع عند من تكلم في تأويل الصفات من المتأخرين.

أما التأويل المشروع فهو: ما دل على مراد المتكلم، وهو بمعنى التفسير والبيان، وهو الكلام الذي يفسر به اللفظ حتى يفهم معناه وهذا من اصطلاح المفسرين كابن جرير الطبري وغيره.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القران عن رسول الله ﷺ (باب: ما جاء في الذي يفسر القران برأيه)برقم: ٢٩٥٢، قال عنه الألباني: صحيح الإسناد مقطوع، انظر(صحيح وضعيف الترمذي للألباني ١٧٩/٣)، و انظر مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٦٣-٣٧٥).

(٢) انظر التسعينية لابن تيمية (١٢٧/١-١٢٨)

(٣) شرح مختصر الروضة للطوفي (٥٥٨/١) .

(٤) قال شيخ الإسلام "وأما التأويل بمعنى صرف اللفظ عن مفهومه إلى غير مفهومه فهذا لم يكن هو المراد بلفظ التأويل في كلام السلف"(الصفدية ٢٩١/١).

قال ابن القيم رحمه الله: " التأويل بمعنى التفسير لأن تفسير الكلام هو بيان معناه وحقيقته التي يراد منه"[١].

ومن الأمثلة على ذلك:

١/ ما يذكره بعض المفسرين، ومنهم الزمخشري[٢] في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الفجر: ٢٢].

حيث قال: " فإن قلت: ما معنى إسناد المجيء إلى الله، والحركة والانتقال إنما يجوزان على من كان في جهة قلت: هو تمثيل لظهور آيات اقتداره وتبين آثار قهره وسلطانه: مثلت حاله في ذلك محال الملك إذا حضر بنفسه ظهر بحضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها ووزرائه وخواصه عن بكرة أبيهم"[٣].

والداعي لمثل هذا القول هو أن الزمخشري قد تأول آيات الصفات بظنونٍ وشبهات، أجازت له القول في القران بما شاء وكيف شاء، ولعل السبب الأكبر هو الهروب من إثبات صفة المجيء لله تعالى، لما يترتب على إثباتها - عند الزمخشري ومن نحى نحوه - من الحركة والسكون وهذه صفات أجسام !!!.

ومذهب أهل السنة والجماعة في لفظ (الجسم) أنهم يتوقفون في اللفظ، والمعنى يستفصلون فيه، فإن أريد به الشيء المحدث المركب المفتقر كل جزء منه إلى الأخر فهذا ممتنع عن الرب الحي القيوم .

وإن أريد بالجسم ما يقوم بنفسه، ويتصف به بما يليق به فهذا غير ممتنع على الله، فإنه سبحانه قائم بنفسه، متصف بالصفات الكاملة التي تليق به[٤].

---

(١) جلاء الأفهام لابن القيم (٢٠٥/١).

(٢)كبير المعتزلة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري الخوارزمي النحوي صاحب "الكشاف" و"المفصل" ولد سنة: ٤٦٧هـ وتوفي سنة: ٥٣٨هـ، انظر: (السير ٥٨٨/١٤) و(وفيات الأعيان ١٦٨/٥ وما بعدها).

(٣) الكشاف (٧٥١/٤).

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٢٩٨/٥-٣٠١).

وصفة المجيء والأتيان ثابتة بالقران الكريم والسنة والنبوية، فمن ذلك:

قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ [البقرة: ٢١٠]

وقال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٨]

وقال تعالى: ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الفجر: ٢٢].

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: " فقال بعضهم: لا صفة لذلك غير الذي وصَف به نفسه عز وجل من المجيء والإتيان والنزول، وغيرُ جائز تكلُّف القول في ذلك لأحد إلا بخبر من الله جل جلاله، أو من رسول مرسل، فأما القول في صفات الله وأسمائه، فغيرُ جائز لأحد من جهة الاستخراج إلا بما ذكرنا"[1].

وقال الصابوني رحمه الله: " ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب سبحانه وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكييف بل يثبتون ما أثبته رسول الله ﷺ وينتهون فيه إليه ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره ويكلون علمه إلى الله"[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: " ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول: من يدعوني، فأستجيب له من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له"[3].

---

(١) تفسير الطبري (٢/٣٦٣).

(٢) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (١٩١).

(٣) متفق عليه، صحيح البخاري كتاب التهجد (باب: الدعاء والصلاة في أخر الليل) برقم: ١١٤٥، ومسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها (باب: الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه) برقم: ١٧٧٢

وهذا الحديث صريح قطعي لا يحتمل التأويل، فقد تواترت أقوال الأئمة بالقبول له على الحقيقة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فإن هذا القول الذي قاله قد استفاضت به السنة عن النبي ﷺ، واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول ، ومن قال ما قاله الرسول ﷺ فقوله حق وصدق ، وإن كان لا يعرف حقيقة ما اشتمل عليه من المعاني؛ كمن قرأ القرآن ولم يفهم ما فيه من المعاني؛ فإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، والنبي ﷺ قال هذا الكلام وأمثاله علانية، وبلغه الأمة تبليغًا عامًا لم يخص به أحدًا دون أحد، ولا كتمه عن أحد، وكانت الصحابة والتابعون تذكره وتؤثره وتبلغه وترويه في المجالس الخاصة والعامة، واشتملت عليه كتب الإسلام التي تقرأ في المجالس الخاصة والعامة..."(١).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى:" إن نزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا قد تواترت الأخبار به عن رسول الله ﷺ، رواه عنه نحو ثمانية وعشرين نفسا من الصحابة، وهذا يدل على أنه كان يبلغه في كل موطن ومجمع، فكيف تكون حقيقته محالا وباطلا وهو ﷺ يتكلم بها دائما ويعيدها ويبديها مرة بعد مرة، ولا يقرن باللفظ ما يدل على مجازه بوجه ما، بل يأتي بما يدل على إرادة الحقيقة..."(٢).

٢/ تأويل بعضهم لقول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥].

واشتهر هذا التأويل عن المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية ومن نحا نحوهم ، وأخذ بمنهجهم ومنهم سيد قطب، حيث قال(٣) كما في الظلال: " والذي نزل القرآن من

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/٣٢٢-٣٢٣).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (٤٤٤).

(٣) سيد قطب بن إبراهيم من مواليد قرية (موشا) في أسيوط سنة ١٣٢٤هـ تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة ١٣٥٣ هـ، وانضم إلى الإخوان المسلمين فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير =

الملأ الأعلى، وخلق الأرض والسماوات العلى، هو ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ فما نزله على عبده ليشقى، وصفة الرحمة هي التي تبرز هنا للإلمام بهذا المعنى، وهو المهيمن على الكون كله، ﴿عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ والاستواء على العرش كناية عن غاية السيطرة والاستعلاء، فأمر الناس إذن إليه وما على الرسول إلا التذكرة لمن يخشى، ومع الهيمنة والاستعلاء الملك والإحاطة"(١).

قال الشيخ ابن باز(٢) رحمه الله تعالى عن هذا التأويل: "هذا كله كلام فاسدٌ، هذا معناه الهيمنة، ما أثبت الاستواء: معناه إنكار الاستواء المعروف، وهو العلو على العرش"(٣).

وهذا لا شك تحريف النصوص عن ظاهرها وعما دلت عليه، فالقاعدة في ذلك ،

قوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند بيانه لمنهج وطريقة السلف الصالح في الإثبات والنفي:" فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتا بلا تشبيه، وتنزيها بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ ففي قوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ رد للتشبيه والتمثيل، وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، رد للإلحاد والتعطيل"(٤).

جريدتهم وسجن معهم فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه إلى أن صدر الأمر بإعدامه فأعدم سنة ١٣٨٧هـ، انظر: (الأعلام ١٤٧/٣).

(١) في ظلال القران (٢٣٢٨/٤)

(٢) هو الإمام الصالح الورِع الزاهد عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن باز ولد سنة ١٣٣٠هـ في مدينة الرياض نشأ في بيئة عطرة بأنفاس العلم والهدى والصلاح تولى مناصب عدة منها مدير الجامعة الإسلامية ثم رئيسا لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد توفي رحمه الله سنة ١٤٢٠هـ، انظر: (الإنجاز في سيرة ابن باز) و (علماء الحنابلة ٤٩٩، برقم: ٤٢٣٥) .

(٣) درس لسماحته في منزله بالرياض سنة ١٤١٣هـ (تسجيلات منهاج السنة بالرياض).

(٤) مجموع الفتاوى (٤/٣).

وما قاله الإمام مالك رحمه الله تعالى: " الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" إن أصل الاستواء على العرش: ثابت بالكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة وأئمة السنة بل هو ثابت في كل كتاب أنزل على كل نبي أرسل"(٢).

وهذا هو قول أهل السنة والجماعة، إثبات ما أثبته الله لنفسه من الصفات أو أثبتها له نبيه ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل(٣).

وأما المراد بالتفويض هنا: هو تفويض علم معاني النصوص إلى الله تعالى.

فأهل البدع والأهواء يزعمون أن عقيدة السلف فى الصفات الالهية هي تفويض العلم بالمعنى لا الكيفية.

فهم يقولون بأن معنى النص مجهول ولا يعلمه أحد من السلف لا من الصحابة رضي الله عنهم ولا غيرهم وإنهم فوضوا العلم بها إلى الله لعدم علمهم بها(٤).

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: " فإن من المعلوم أن الله تعالي أمرنا أن نتدبر القرآن، وحضنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله ؟ وأيضاً، فالخطاب الذي أريد به هدانا والبيان لنا، وإخراجنا من الظلمات إلي النور، إذا كان ما ذكر فيه من النصوص ظاهره باطل وكفر، ولم يرد منا أن نعرف لا ظاهره ولا باطنه، أو أريد منا أن نعرف باطنه من غير بيان في الخطاب لذلك، فعلي التقديرين لم نخاطب بما بين فيه الحق، ولا عرفنا أن مدلول هذا الخطاب باطل وكفر.

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي (٥١٤) برقم: ٩٦٢، وقال عنه ابن حجر في الفتح: إسناده جيد انظر: (٤٠٦/١٣-٤٠٧)

(٢) مجموع الفتاوى (١٨٨/٢).

(٣) انظر منهاج السنة (١٥٤/٢)

(٤) سيأتي بعضا من قولهم لاحقا.

وحقيقة قول هؤلاء في المخاطب لنا: أنه لم يبين الحق، ولا أوضحه، مع أمره لنا أن نعتقده، وأن ما خاطبنا به وأمرنا بأتباعه والرد إليه لم يبين به الحق ولا كشفه، بل دل ظاهره على الكفر والباطل، وأراد منا أن نفهم منه شيئاً، أو أن نفهم منه ما لا دليل عليه فيه،

وهذا كله مما يعلم بالاضطرار تنزيه الله ورسوله عنه، وأنه من جنس أقوال أهل التحريف والإلحاد"(١).

وأهل السنة والجماعة مرادهم من التفويض هو تفويض العلم بالكيفية لتلك الصفات، والإقرار بما دلت عليه النصوص وإجراؤها على ظاهرها .

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:" إجراء آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها، إذ الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات: يحتذي حذوه ويتبع فيه مثاله فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات تكييف، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات تكييف"(٢).

ومن تلك المخالفات:

١/ ما قاله صاحب جوهرة التوحيد(٣) في نظمه(٤):

وكل نص أوهم التشبيها **** أوله أو فوض ورم تنزيها

وهذه هي دعوة الأشاعرة ومن نحا نحوهم، من تأويل نصوص الصفات وتفويضها ،ويعتقدون بذلك أنهم نزهوا الله سبحانه وتعالى فلا يثبتون إلا الصفات السبع ويعتقدون أن غيرها موهماً للتشبيه فيلجأون إلى صرف اللفظ عن معناه الذي دل عليه.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/٢١٤-٢١٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/١٩٦).

(٣) هو إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني أبو الإمداد برهان الدين: فاضل متصوف مصري مالكي توفي سنة ١٠٤١هـ له كتب منها متن جوهرة التوحيد وهو نظم ويعد من أبرز كتب العقيدة عند الأشاعرة، انظر: (الأعلام ١/٢٨-٢٩) و(معجم المؤلفين ١/٢-٣) .

(٤) انظر: شرح جوهرة التوحيد للباجوري (١٢٩).

"فنصوص الصفات التي وردت في إثبات ما عدا الصفات السبع التي يثبتونها – الأشاعرة– يسمونها نصوصاً موهمة للتشبيه، فهم يصرفونها عن ظاهرها، ولكنهم تارة يعينون المراد كقولهم استوى: استولى، واليد: بمعنى النعمة والقدرة ؛ وتارة يفوضون فلا يحددون المعنى المراد ويكلون علم ذلك إلى الله عز وجل، ولكنهم يتفقون على نفي الصفة لأن ناظمهم يقول: (ورم تنزيهاً) وشارح الجوهرة يقول: (أو فوض) أي بعد التأويل الإجمالي الذي هو صرف اللفظ عن ظاهره، فبعد هذا التأويل فوض المراد من النص الموهم إليه تعالى"(١).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: " وأبو المعالي(٢) وأتباعه نفوا هذه الصفات موافقة للمعتزلة والجهمية، ثم لهم قولان:

أحدهما: تأويل نصوصها، وهو أول قولي أبي المعالي، كما ذكره في الإرشاد.

والثاني: تفويض معانيها إلى الرب، وهو آخر قولي أبي المعالي كما ذكره في الرسالة النظامية وذكر ما يدل على أن السلف كانوا مجمعين على أن التأويل ليس بسائغ ولا واجب"(٣).

وهذا هو قول الجويني في التأويل: " والإعراض عن التأويل حذارا من موقعة محذور في الاعتقاد يجر إلى اللبس والإيهام واستزلال العوام وتطريق الشبهات إلى أصول الدين وتعريض بعض كتاب الله تعالى لرجم الظنون..."(٤).

---

(١) انظر: مقدمة تحقيق كتاب العرش للذهبي، تحقيق الشيخ: محمد خليفة التميمي (١/١١١).

(٢) هو عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني اشتهر بإمام الحرمين ولد سنة: ٤١٩هـ تربى في حجر والده وتتلمذ عليه وكان إماماً في مذهب الشافعي، أما في الأصول فهو من كبار أئمة الأشاعرة وذكر عنه الذهبي أنه رجع في آخر حياته إلى مذهب السلف ورحل في أخر حياته إلى مكة وبقي مجاوراً هناك حتى توفي سنة: ٤٧٨هـ، انظر: (تبيين كذب المفتري ٢٧٨)و(وفيات الأعيان ١٦٧/٣)و(سير أعلام النبلاء ٤٦٨/١٨)و(شذرات الذهب ٣٥٨/٣).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٦٦٢/٢).

(٤) الإرشاد للجويني (٤٢).

وأما قوله بالتفويض فقال: "وقد اختلفت مسالك العلماء في الظواهر التي وردت في الكتاب والسنة، وامتنع على أهل الحق اعتقاد فحواها، وأجراؤها على موجب ما تبتدره أفهام أرباب اللسان منهم، فرأى بعضهم تأويلها والتزم هذا المنهج في آي الكتاب، وما يصح من سنن الرسول ﷺ، وذهب أئمة من السلف إلى الإنكفاف عن التأويل، وإجراء الظواهر على مواردها وتفويض معانيها إلى الرب تعالى، والذي نرتضيه رأيا وندين الله به عقلا: اتباع سلف الأمة، فالأولى الاتباع وترك الابتداع "[١].

وما أجمل ما نظمه الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى في نونيته، حيث قال:

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا *** إن المشبه عابد الأوثان
كلا ولا نخليه عن أوصافه *** إن المعطل عابد البهتان
من شبه الله العظيم بخلقه *** فهو النسيب لمشرك نصراني
أو عطل الرحمن عن أوصافه *** فهو الكفور وليس ذا إيمان[٢]

ولا يفتأ أئمة الأشاعرة من نسبة القول بالتفويض للسلف، وأنه مما يقول به السلف ﷺ، فهذا الجويني مثال واحد، والأمثلة عديدة وكثيرة لا يمكن حصرها، وممن صرح بذلك الشهرستاني[٣] حيث يقول: " فأما أحمد بن حنبل وداود بن علي الأصفهاني[٤] وجماعة من أئمة السلف فجروا على منهاج السلف المتقدمين عليهم من أصحاب الحديث مثل: مالك

(١) العقيدة النظامية (٣٢).

(٢) الكافية الشافية (٢٠٦).

(٣) هو أبو فتح محمد بن أبي القاسم عبدالكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني ولد بشهرستان وتتلمذ على يد أبي نصر القشيري وأبي القاسم الأنصاري ولد سنة: ٤٦٩هـ وتوفي سنة: ٥٤٨هـ، انظر: (سير أعلام النبلاء ٢٠/٢٨٦)و(الأعلام ٢/١٣٨-١٣٩)

(٤) هو داود بن علي الأصفهاني الفقيه الظاهري كان حافظا مجتهدا إمام أهل الظاهر وكان زاهدا متقللا كثير الورع، توفي سنة ٢٧٠هـ انظر: (شذرات الذهب ٢/ ١٨٥).

بن أنس، ومقاتل بن سليمان[١]، وسلكوا طريق السلامة فقالوا: نؤمن بما ورد به الكتاب والسنة، ولا نتعرض للتأويل بعد أن علم قطعا أن الله عز وجل لا يشبه شيئا من المخلوقات، وأن كل ما تمثل في الوهم فإنه خالقه ومقدره"[٢].

وهذا الكلام والقول لا شك بأنه افتراء وبهتان على السلف، ولا أدل على ذلك من نقل نصوص وشواهد من أقوال السلف تبين مذهبهم، هل هو ما قاله الجويني و الشهرستاني وبقية أئمة المذهب الأشعري ومن نحا نحوهم، أم أن هذا القول مجرد فرية !!!

قال ابن خزيمة[٣] رحمه الله: " من لم يقر بأن الله على عرشه استوى فوق سبع سمواته بائن من خلقه فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه وألقي على مزبلة لئلا يتأذى بريحته أهل القبلة وأهل الذمة"[٤].

---

(١) هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي بالولاء الخرساني المروزي أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة ودخل وحدث بها وكان مشهورا بتفسير كتاب الله العزيز وله التفسير المشهور وأخذ الحديث عن مجاهد وعطاء وغيرهما وكان من العلماء الأجلاء توفي بالبصرة سنة ١٥٠هـ انظر: (ابن خلكان ٢/ ١٤٧).

(٢) الملل والنحل (١/١٠٤).

(٣) هو الإمام الحافظ الحجة محمد بن إسحاق أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي، ولد سنة: ٢٢٣هـ كان إمام من أئمة أهل السنة وكتابه "التوحيد" شاهد على ذلك توفي سنة: ٣١١هـ انظر: (تذكرة الحفاظ ٢/٧٢٠)و(السير ١٤/٣٦٥)و(شذرات الذهب ٢/٢٦٢).

(٤) العلو للذهبي (٢٠٧) برقم: ٥٢٨

وأخرج اللالكائي[(١)] عن عبد الرحمن ابن أبي حاتم[(٢)] قال: «سألت أبا حاتم[(٣)] وأبا زرعة[(٤)] الرازيين رحمهما الله عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين، فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار: حجازاً و عراقاً ومصراً وشاماً ويمناً، وكان من مذهبهم،- ثم ذكر أصول الدين إلى أن قال -:

أن الله على عرشه بائن من خلقه، كما وصف نفسه بلا كيف، أحاط بكل شيء علماً كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بلا كيف، أحاط بكل شيء علما ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]"[(٥)].

---

(١) هو هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي الطبري اللالكائي أبو القاسم، من أشهر شيوخه الإسفراييني ومن أبرز تلامذته الخطيب البغدادي، توفي سنة: ٤١٨هـ انظر: (تاريخ بغداد ٨٠/١٤)و(السير ٤١٩/١٧)و(البداية والنهاية ٢٤/١٢).

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس ابن أبي حاتم أبو محمد الرازي ولد سنة: ٢٤٠هـ عرف بالزهد وكثرة العبادة من العلماء العاملين توفي سنة: ٣٢٧هـ له مصنفات عدة، انظر: (ميزان الاعتدال ٥٨٧/٢) و (شذرات الذهب ٣٠٨/٢).

(٣) الإمام الحافظ الناقد شيخ المحدثين الحنظلي الغطفاني من تميم بن حنظلة بن يربوع أبو حاتم الرازي محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران كان من بحور العلم طوف البلاد وبرع في المتن والإسناد وجمع وصنف وجرح وعدل وصحح وعلل ولد: سنة ١٩٥ هـ روى عنه أبو داود والنسائي وابن ماجة في التفسير وروى عنه البخاري في الصحيح توفي سنة ٢٧٧هـ انظر: (السير ٥٨٨/١٠) و(تهذيب التهذيب ٣٤/٩) و(تهذيب الكمال ٣٨١/٢٤).

(٤) هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الرازي كان إماما في الحفظ والإتقان وغاب عن وطنه ١٤ سنة في طلب العلم وجلس للحديث وهو ابن ٣٢ سنة توفي سنة: ٢٦٤هـ، انظر: (الجرح والتعديل ٣٢٨/١) و (تاريخ بغداد ٣٢٦/١٠) و(السير ٢٦٧/١٠).

(٥) أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٨٦-٨٧) برقم: ٣٢١

وقال الدارمي:" والآثار التي جاءت عن رسول الله ﷺ في نزول الرب تبارك وتعالى تدل على أن الله عز وجل فوق السموات على عرشه، بائن من خلقه"(١).

وهذه النقول من أئمة السلف تدل على أنهم كانوا مدركين معنى الاستواء في حق الله تعالى، فقد كانوا يقصدون بها تأكيد المعنى الحقيقي الذاتي للاستواء، ومما يدل على ذلك أن أئمة السلف إنما استعملوا تلك الألفاظ — مع عدم ورودها في نصوص الشريعة — من أجل الرد على الجهمية الذين يقولون إن الله بذاته في كل مكان، فعبّروا بتلك الألفاظ ليكشفوا عن حقيقة إيمانهم المناقض لما تقول به الجهمية في صفة العلو والاستواء.

فتلك الألفاظ إذاً دالة بالضرورة على أن أئمة السلف لم يكونوا مفوضة ولم يكن حالهم هو السكوت وترك البحث في معنى الاستواء(٢).

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى:" أما المنحرفون عن طريقهم - (أي طريق السلف) - فهم ثلاث طوائف: أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل .

ثم بين رحمه الله المراد بأهل التخييل وأهل التأويل وقال عن أهل التجهيل:

"وأما الصنف الثالث - وهم أهل التجهيل فهم كثير من المنتسبين إلى السنة وأتباع السلف، يقولون: إن الرسول ﷺ لم يعرف معاني ما أنزل الله إليه من آيات الصفات ولا جبريل يعرف معاني الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك، كذلك قولهم من أحاديث الصفات: إن معناها لا يعلمه إلا الله، مع أن الرسول تكلم بها ابتداء، فعلى قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه"(٣).

ثالثا/ الاستدلال بالمتشابه .

أمر الله عز وجل بالاعتصام بكتابه، وبيّن سبحانه أنه حبل النجاة لمن تمسك بمحكمه وعمل به، وءامن بمتشابهه ورده إلى محكمه .

---

(١) الرد على الجهمية (٧٣) برقم: ١٢٢

(٢) انظر: أغلوطة التفويض في صفة الاستواء على العرش لسلطان العميري، مجلة البيان ، العدد: ٣١٢

(٣) مجموع الفتاوى (٥/٣١-٣٤).

قال الله تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]

قال الطبري في تفسيره: " وتمسَّكوا بدين الله الذي أمركم به، وعهده الذي عَهده إليكم في كتابه إليكم، من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله"(١).

وجاء في تفسير البغوي رحمه الله وغيره، أن المراد بحبل الله هو القران الكريم(٢).

وقد وصف الله تعالى القران الكريم بأنه كتاب محكم، قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١].

قال الطبري في تفسيره: " أحكمت آياته بالأمر والنهي، ثم فصلت بالثَّواب والعقاب"(٣).

وقال السعدي في تفسيره: " ﴿ أُحۡكِمَتۡ ﴾ أتقنت وأحسنت، صادقة أخبارها، عادلة أوامرها ونواهيها، فصيحة ألفاظه بهية معانيه"(٤).

والمقصود هنا الإحكام العام، وليس الخاص(٥)، يقول السعدي رحمه الله تعالى: " ومعنى ذلك أنه في غاية الإحكام ونهاية الانتظام، فأخباره كلها حق وصدق، لا تناقض فيها ولا اختلاف، وأوامره كلها خير وبركة وصلاح، ونواهيه متعلقة بالشرور والأضرار والأخلاق الرذيلة والأعمال السيئة فهذا إحكامه"(٦).

وفي موضع أخر من القران الكريم وصفه سبحانه بأنه متشابه، قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا ﴾ [الزمر: ٢٣].

---

(١) تفسير الطبري (٣/٣٥٥).

(٢) انظر تفسير البغوي (١/٤٨٠)، وانظر تفسير ابن كثير (١/٣٥٢).

(٣) تفسير الطبري (٦/٣١١).

(٤) تفسير السعدي (٣٥٢).

(٥) انظر مجموع الفتاوى (٣/٥٩-٦٣).

(٦) القواعد الحسان لتفسير القران للسعدي (٦٠).

قال السعدي رحمه الله: " ﴿ مُّتَشَٰبِهًا ﴾ متشابها في الحسن والائتلاف وعدم الاختلاف بوجه من الوجوه، حتى إنه كلما تدبره المتدبر، وتفكر فيه المتفكر، رأى من اتفاقه، حتى في معانيه الغامضة، ما يبهر الناظرين، ويجزم بأنه لا يصدر إلا من حكيم عليم، هذا المراد بالتشابه في هذا الموضع"(١).

ومن هذا يتبين أن المراد بالمتشابه هنا هو التماثل(٢) .

والمقصود هنا هو التشابه العام، قال شيخ الإسلام رحمه الله: " فهذا التشابه العام: لا ينافي الإحكام العام بل هو مصدق له فإن الكلام المحكم المتقن يصدق بعضه بعضا لا يناقض بعضه بعضا"(٣).

وفي سورة آل عمران وصف الله سبحانه وتعالى كتابه بأن بعضه محكم وبعضه متشابه، قال الله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ [آل عمران: ٧].

قال الطبري في تفسيره: " إن الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، هو الذي أنزل عليك يا محمد القرآن، منه آيات محكمات بالبيان، هن أصل الكتاب الذي عليه عمادُك وعماد أمتك في الدّين، وإليه مفزعُك ومفزعهم فيما افترضت عليك وعليهم من شرائع الإسلام، وآيات أخر هنّ متشابهاتٌ في التلاوة، مختلفات في المعاني"(٤).

أما المقصود هنا بالمحكم والمتشابه، فهو الإحكام الخاص والتشابه الخاص

"فالإحكام الخاص: هو الفصل بينهما بحيث لا يشتبه أحدهما بالآخر وهذا التشابه إنما يكون بقدر مشترك بين الشيئين مع وجود الفاصل بينهما.

---

(١) تفسير السعدي (٦٨٩).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٣/٦١).

(٣) المصدر السابق (٣/٦١-٦٢).

(٤) تفسير الطبري(٣/٩٣).

والتشابه الخاص هو: مشابهة الشيء لغيره من وجه مع مخالفته له من وجه آخر بحيث يشتبه على بعض الناس إنه هو أو هو مثله"(١).

فبين الله تعالى المسالك تجاه كتابه الكريم، وأنه لا يوجد سوى طريقين:

طريق الهداية وطريق الضلال والغواية:

قال تعالى مبينا طريق أهل الحق وهم أهل العلم الراسخين: ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧ ﴾ [آل عمران: ٧].

فهذا طريق أهل الحق، الإيمان بمحكمة ورد المتشابه إلى المحكم ويتضح لهم الصواب، والراسخون في العلم هم: العلماء الذين قد أتقنوا علمهم ووَعَوْه فحفظوه حفظًا، لا يدخلهم في معرفتهم وعلمهم بما علموه شَكٌ ولا لبس وهم الذين ثبت العلم في قلوبهم ورسخ الإيقان في أفئدتهم (٢) .

قال السعدي رحمه الله: " وأما الراسخون في العلم فيؤمنون بها ويكلون المعنى إلى الله فيسلمون ويسلمون، وإن أريد بالتأويل التفسير والكشف والإيضاح، كان الصواب عطف ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ ﴾ على ﴿ ٱللَّهُ ﴾ فيكون الله قد أخبر أن تفسير المتشابه ورده إلى المحكم و إزالة ما فيه من الشبهة لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى والراسخون في العلم يعلمون أيضا، فيؤمنون بها ويردونها للمحكم ويقولون ﴿ كُلّٞ ﴾ من المحكم والمتشابه ﴿ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا ﴾ وما كان من عنده فليس فيه تعارض ولا تناقض بل هو متفق يصدق بعضه بعضا ويشهد بعضه لبعض، وفيه تنبيه على الأصل الكبير، وهو أنهم إذا علموا أن جميعه من عند الله، وأشكل عليهم مجمل المتشابه، علموا يقينا أنه مردود إلى المحكم، وإن لم يفهموا وجه ذلك"(٣) .

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/٦٢).

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٦/٢٠٦) و تفسير السعدي (١٩٣) .

(٣) المصدر السابق (١٠٥) .

وأما الطريق الأخر وهو طريق أهل الضلال والغواية، **قال** الله سبحانه عنهم: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران: ٧].

وهم أهل التقاليد والشكوك والشبهات المعارضة لرسالة محمد ﷺ [١].

قال الشاطبي رحمه الله تعالى: "وكثير ممن يدَّعي العلم يتخذ هذا الطريق مسلكاً، وربما أفتى بمقتضاه، وعمل على وفقه، إذا كان له فيه غرض، أو أعرض عن غرض له عرض في الفتيا –إلى أن قال رحمه الله– وكذلك الأمر في كل مسألة يتبع فيها الهوى أولاً، ثم يطلب لها المخرج من كلام العلماء، أو من أدلة الشرع، وكلام العرب أبداً، لاتساعه، وتصرفه، ويحتمل أنها كثيرة، لكن يعلم الراسخون المراد منه من أوله إلى آخره وفحواه أو بساط حاله أو قرائنه"[٢].

ولأهل الضلال والغواية سُبُلٌ يسلُكونها في الاستدلال بالمتشابه ذكرها أهل العلم، منها:

١/ أتباع ما تشابهت ألفاظه، واحتمل معناه عدة وجوه يمكن أن يوافق أحدها مقاصدهم الفاسدة[٣].

٢/ الأخذ بالمطلق دون النظر في المقيد وبالعموم دون النظر في المخصص، أو العكس، وقد عقد الشاطبي رحمه الله فصلا في بيان هذا المسلك حيث قال:

"من أتباع المتشابهات الأخذ بالمطلقات قبل النظر في مقيداتها أو في العمومات من غير تأمل، هل لها مخصصات أم لا ؟ وكذلك العكس، بأن يكون النص مقيدا فيطلق، أو خاصا فيعم بالرأي من غير دليل سواه..."[٤].

---

(١) انظر القواعد الحسان لتفسير القران (٩٤).

(٢) الاعتصام (٢/٨-٩).

(٣) انظر تفسير الطبري (٣/١٠٠) و تفسير ابن كثير (١/٣١٥) والاعتصام (٣/١٧١).

(٤) الاعتصام (٢/٦٣).

٣/ صرف معاني النص القرآني من المعاني المشهورة إلى المعاني المغمورة، يقول الدارمي رحمه الله في رده على المريسي: " يعمد إلى أكثر معاني الأشياء وأغلبها فيصرف المشهورات منها إلى المغمورات المستحيلات"[(١)].

ومن ذلك:

١/ إنكار رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة: وهذا ما نص عليه القاضي عبد الجبار[(٢)] في كتابه شرح الأصول الخمسة، حيث عقد فصلاً تحت عنوان: "فصل في نفي الرؤية"[(٣)]

ثم أخذ يؤصل لهذا الأصل عند المعتزلة، ويرد على أهل السنة والجماعة الذين يثبتون الرؤية لربهم يوم القيامة، ويصفهم بالمجسمة، والعلة هنا هو الأخذ بالمتشابه، كما ذكر ذلك الإمام أحمد رحمه الله، حيث قال: " فقالوا: إن الله لا يُرى في الدنيا ولا في الآخرة، وتلوا آية من المتشابه من قول الله جل ثناؤه: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]"[(٤)].

٢/ القول بخلق القران الكريم .

يقول الزمخشري المعتزلي في تفسيره الكشاف عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف: ٣]

قال: " وخلقه قرآنا عربيا، ليعقلوه ويعملوا بمواجبه"[(٥)].

---

(١) نقض الدارمي على المريسي (١/٣٤٤-٣٤٥).

(٢) هو القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل شيخ المعتزلة أبو الحسن الهمذاني صاحب التصانيف من كبار فقهاء الشافعية توفي سنة ٤١٥هـ، انظر: (تاريخ بغداد ١١/١١٤) و(ميزان الاعتدال ٢/٥٣٣) و(السير ١٣ / ١٤٠-١٤١).

(٣) انظر شرح الأصول الخمسة (٢٣٢-٢٣٣).

(٤) الرد على الجهمية والزنادقة (١٣٢).

(٥) الكشاف (٤/٢٣٧).

ويقول القاضي عبد الجبار المعتزلي: " وأما مذهبنا فهو أن القران كلام الله ووحيه، وهو مخلوق محدث ..."[(١)].

والذي جعلهم يعتقدون هذا القول ويذهبون إليه، ويدعون إليه، هو تمسكهم بالمتشابه، والاستدلال به .

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: " فمما يسأل عنه يقال له: تجد في كتاب الله آية تخبر عن القرآن أنه مخلوق ؟ فلا يجد، فيقال له: فتجده في سنة رسول الله ﷺ أنه قال: إن القرآن مخلوق، فلا يجد، فيقال له: فمن أين قلت؟ فيقول من قول الله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣]، وزعم أن: جعل، بمعنى: خلق، فكل مجعول هو مخلوق، فادعى كلمة من الكلام المتشابه يحتج بها من أراد أن يلحد في تنزيله، ويبتغي الفتنة في تأويلها، وذلك أن: جعل، في القرآن من المخلوقين على وجهين على معنى التسمية، وعلى معنى فعل من أفعالهم"[(٢)].

والمتبع للمتشابه يجادل ويقيم النزاع فيه، إذ أن المتشابه لا يعطي بياناً شافياً، وإذا كان الحال هكذا ذهب يطلب تأويله وتحريفه بما يوافق هواه ومذهبه .

قال الشاطبي رحمه الله تعالى: " فجعل من شأن المتبع للمتشابه أنه يجادل فيه ويقيم النزاع على الإيمان، وسبب ذلك أن الزائغ المتبع لما تشابه من الدليل لا يزال في ريب وشك، إذ المتشابه لا يعطى بيانا شافيا، ولا يقف منه متبعه على حقيقة، فأتباع الهوى يلجئه إلى التمسك به، والنظر فيه لا يتخلص له، فهو على شك أبدا، وبذلك يفارق الراسخ في العلم، لأن جداله إن افتقر إليه فهو في مواقع الإشكال العارض طلبا لإزالته، فسرعان ما يزول إذا بين له موضع النظر، وأما ذو الزيغ فإن هواه لا يخليه إلى طرح المتشابه، فلا يزال في جدال عليه وطلب لتأويله"[(٣)].

---

(١) شرح الأصول الخمسة (٥٢٨).

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة (١٠١-١٠٢).

(٣) الاعتصام (١٧٤/٣).

٣/ الخروج على أئمة المسلمين وتكفيرهم .

بنى الخوارج بدعتهم على مسألة التحكيم و فارقوا بها جماعة المسلمين، واندرج تحت هذه المسألة أعظم ما فارق به الخوارج جماعة المسلمين، وهو تكفير المسلمين والخروج على أئمة المسلمين(١).

والخوارج ومن نحا نحوهم أخذوا بظاهر قوله تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام: ٥٧] وأتبعوا المتشابه لأجل إبطال نظرية التحكيم، حيث ينبني عليها مسألة التكفير .

وقد قال ﷺ: "فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم"(٢).

والعلة في ذلك أن الخوارج لَمَّا ركبوا رؤوسَهم وخالفوا الصحابة ﷺ في فهم الكتاب والسنة انحرفوا عن الحقِّ، وقصَّة مناظرة ابن عباس رضي الله عنهما لهم، وفيها قول ابن عباس رضي الله عنهما: "أتيتُكم من عند صحابة النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار، لأُبلِّغكم ما يقولون، المخبرون بما يقولون، فعليهم نزل القرآن، وهم أعلمُ بالوحي منكم، وفيهم أنزل، وليس فيكم منهم أحد"(٣).

ومن ذلك تكفيرهم عليا ﷺ لأنه لم يتب من مسألة التحكيم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " ومن أعظم ما نقمه الخوارج على علي ﷺ أنه لم يتب من تحكيم الحكمين، وهم وإن كانوا جُهالاً في ذلك فهو يدل على أن التوبة لم تكن تنفرهم، وإنما نفرهم الإصرار على ما ظنوه هم ذنبا، والخوارج من أشد الناس تعظيما

---

(١) انظر الفرق بين الفِرق (٧٩) و مقالات الإسلاميين (٥٩) و الملل والنحل (١/١٣١-١٣٣) .

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري كتاب التفسير (باب:﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾) برقم: ٤٥٤٧، صحيح مسلم كتاب العلم (باب: النهي عن أتباع متشابه القران والتحذير من متبعيه والنهي عن الاختلاف في القران) برقم: ٦٧٧٥ .

(٣) سبق تخريجه.

للذنوب ونفورا عن أهلها، حتى إنهم يكفرون بالذنب ولا يحتملون لمقدمهم ذنبا، ومع هذا فكل مقدم لهم تاب عظموه وأطاعوه، ومن لم يتب عادوه فيما يظنونه ذنبا، وإن لم يكن ذنبا"[١].

وقال رحمه الله: "وكانوا يتشددون في أمر الذنوب والمعاصي حتى كفروا المسلمين وأوجبوا لهم الخلود في النار"[٢].

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/٨٣).

(٢) الاستقامة (١٩٦).

المبحث الثاني:

الاستدلال بالسنة الصحيحة على غير فهم السلف .

للسنة النبوية مكانة عظيمة عند أهل السنة والجماعة، فهي المصدر الثاني من مصادر التلقي عندهم، ولا ريب أن يكون الاهتمام بالسنة النبوية حفظاً وفهماً وتدويناً واتباعاً سمة من سمات أهل السنة والجماعة، ولذا كانت النصوص من القران الكريم والسنة النبوية وإجماع السلف تحض على التمسك بالسنة والأخذ بها والتسليم لها، من ذلك:

أدلة القران الكريم:

قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ [النساء: ٦٥]

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: " يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا" (١).

وقال عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩]

قال البغوي في تفسيره: " قوله عز وجل: ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ ﴾ أي: اختلفتم، في شيء من أمر دينكم، والتنازع: اختلاف الآراء وأصله من النزع فكان المتنازعان يتجاذبان ويتمانعان

﴿ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ أي: إلى كتاب الله وإلى رسوله مادام حيا وبعد وفاته إلى سنته، والرد إلى الكتاب والسنة واجب إن وجد فيهما، فإن لم يوجد فسبيله الاجتهاد"(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير (٤٧١/١).

(٢) تفسير البغوي (٦٥٤/١).

أدلة السنة النبوية:

مما يجلي ويبين حرص الصحابة ﷺ على التمسك بالسنة والعمل بها ما أخرجه البخاري رحمه الله من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال:" اتخذ النبي ﷺ خاتماً من ذهب فاتخذ الناس خواتيم من ذهب، فقال النبي ﷺ: إني اتخذت خاتما من ذهب، فنبذه وقال: إني لن ألبسه أبداً (فنبذ الناس خواتيمهم)"(١).

وعن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل رجل أتى قوما فقال: يا قوم، إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا، فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق "(٢).

وعن المقدام بن معد يكرب ﷺ قال: قال الرسول ﷺ: " يوشك الرجل متكئًا على أريكته يحدث بحديث من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله -عز وجل-، فما وجدنا فيه من حلال ؛ استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام ؛ حرمناه ألا وإن ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله "(٣).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه إذ خلع نعليه فوضعهما عن يساره، فلما رأى ذلك القوم ألقوا نعالهم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته، قال: «ما حملكم على إلقاء نعالكم»، قالوا: رأيناك ألقيت نعليك فألقينا نعالنا،

---

(١) صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (باب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ) برقم: ٧٢٩٨

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي موسى الأشعري ﷺ كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (باب: الاقتداء بسنن الرسول ﷺ)، برقم: ٧٢٨٣

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه عن المقدم بن معد كرب الكندي ﷺ ،كتاب السنة (باب: تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه) برقم: ١٢، قال عنه الألباني صحيح (انظر: صحيح وضعيف ابن ماجة للألباني ٢١/١)

فقال: رسول الله ﷺ: (إن جبريل عليه السلام أتاني فأخبرني أن فيهما قذرا، وقال: إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر: فإن رأى في نعليه قذرا أو أذى فليمسحه وليصل فيهما "[١].

وأما ما ذكره أهل العلم من سلف هذه الأمة في الحض على التمسك بالسنة فهو كثير جدا وهم الذين أثنى الله تعالى عليهم في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ [النمل: ٥٩]، قال سفيان و السدّي رحمهما الله تعالى: (هم أصحاب محمد ﷺ)[٢].

ومن ذلك ما يلي:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " عليكم بالاستقامة والأثر، وإياكم والبدع"[٣].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: " اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم"[٤].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: " لم أسمع أحدا نسبه الناس أو نسب نفسه إلى علم يخالف في أن فرض الله عز وجل اتباع أمر رسول الله ﷺ والتسليم لحكمه بأن الله عز وجل لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه وأنه لا يلزم قول بكل حال إلا بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ وأن ما سواهما تبع لهما وأن فرض الله تعالى علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد لا يختلف في أن الفرض والواجب قبول الخبر عن رسول الله ﷺ "[٥].

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: " أصول السنة عندنا: التمسكُ بما عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداءُ بهم، وتركُ البدع، وكل بدعة فهي ضلالة"[٦].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة (باب: الصلاة في النعل)برقم: ٦٥٠، قال عنه الألباني صحيح (انظر صحيح وضعيف سنن أبي داود للألباني ١/١٩٢)

(٢) انظر تفسير ابن كثير (٣/١٣٨١).

(٣) الاعتصام للشاطبي (١/١٣٤).

(٤) شعب الإيمان (٣/٥٠٦) برقم: ٢٠٢٤.

(٥) الأم للشافعي كتاب جماع العلم (٧ / ٢٨٧).

(٦) أصول السنة للإمام أحمد (١٤-١٥).

وقال الأوزاعي رحمه الله: " اصبر نفسك على السنة، وقِفْ حيث وقف القوم، وقُلْ بما قالوا، وكُفَّ عما كفُّوا عنه، واسلُكْ سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم"[(١)].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في معرض كلامه عن معرفة مراد الله و رسوله ﷺ من الكتاب والسنة: " معرفة ما أراد الله ورسوله ﷺ بألفاظ الكتاب والسنة بأن يعرفوا لغة القرآن التي بها نزل وما قاله الصحابة والتابعون لهم بإحسان وسائر علماء المسلمين في معاني تلك الألفاظ فإن الرسول ﷺ لما خاطبهم بالكتاب والسنة عرفهم ما أراد بتلك الألفاظ وكانت معرفة الصحابة لمعاني القرآن أكمل من حفظهم لحروفه وقد بلغوا تلك المعاني إلى التابعين أعظم مما بلغوا حروفه ... "[(٢)].

وقال رحمه الله تعالى: " وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولا عاما يتعمد مخالفة رسول الله ﷺ في شيء من سنته ؛ دقيق ولا جليل ؛ فإنهم متفقون اتفاقا يقينيا على وجوب اتباع الرسول ﷺ وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ "[(٣)].

وقال ابن رجب رحمه الله تعالى: " فمن عرف قدر السلف عرف أن سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام وكثرة الجدال والخصام والزيادة في البيان على مقدار الحاجة لم يكن عياً ولا جهلاً ولا قصوراً وإنما كان ورعاً وخشيةً للّه واشتغالا عما لا ينفع بما ينفع، وسواء في ذلك كلامهم في أصول الدين وفروعه، وفي تفسير القرآن والحديث، وفي الزهد والرقائق، والحكم والمواعظ، وغير ذلك مما تكلموا فيه فمن سلك سبيلهم فقد اهتدى ومن سلك غير سبيلهم ودخل في كثرة السؤال والبحث والجدال والقيل والقال، فإن اعترف لهم بالفضل وعلى نفسه بالنقص كان حاله قريباً"[(٤)].

---

(١) ذم الكلام وأهله للهروي (١١٧/٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥٣/١٧).

(٣) المصدر السابق (٢٣٢/٢٠).

(٤) بيان فضل علم السلف على الخلف (٨٧-٨٨).

والمخالفات التي تقع في الاستدلال بالسنة في الدعوة إلى الله تعالى على غير فهم السلف كثيرة، منها:

أولاً: تحريف نصوص السنة النبوية .

لا شك أن تحريف النصوص عن معناها المراد منها، أمر عظيم نهى الله تعالى عنه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [البقرة:٧٥]

قال العلامة محمد بن غريب[١]:"فإن الله ذم الذين يحرفون الكلم عن مواضعه وهو متناول لمن حمل الكتاب والسنة على ما أصله من البدع الباطلة وذم الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني"[٢].

والتحريف عاقبته وخيمة حيث يقود إلى تشويه النصوص، وتحميلها ما لا تحتمل، وهو من القول على الله بغير علم، وهذه خصلة من خصال الجاهلية، وبهذا يتسنى لأهل الأهواء والبدعة بث سمومهم، والعبث بدين الله تعالى .

والأمثلة على تحريف نصوص السنة النبوية كثيرة، منها:

١/ تحريف حديث الرسول ﷺ الذي أخرجه البخاري ومسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان

---

(١) محمد بن علي بن غريب يعتبر من كبار علماء نجد تتلمذ على يد الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وكان قاضيا من قضاة الدرعية وله جهود في الرد على أعداء الدعوة السلفية توفي سنة ١٢٠٩هـ، انظر: (علماء نجد خلال ستة قرون ٩١٥/٣) و(مشاهير علماء نجد ٢١٢) و(علماء نجد خلال ثمانية قرون ٣١٢/٦).

(٢) التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق(٢٤٢/١).

حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة"[١].

نقل العلامة عبد الله أبا بطين[٢] عن داود بن جرجيس[٣] تحريفه لهذا الحديث واتخاذه شاهدا له على دعوته وشبهته، وهي القول: "بأن علم اللوح والقلم من علوم النبي ﷺ وأنه لا يخفى عليه شيء من أدواء القلوب كما في بيت الهمزية من قوله:

وليس يخفى عليك في القلب داء، وأن الدنيا والآخرة من جوده ﷺ وأنه يطلب منه اليوم الإنقاذ من عذاب الله والألم، وأن ما جاز طلبه منه في حياته جاز طلبه منه بعد موته، وأن الله سبحانه أمر عباده المؤمنين بطلب حاجاتهم من الأموات والغائبين"[٤].

واستدل ابن جرجيس على شبهته بقوله: " فإن من جودك الدنيا وضرتها، وقال: وهو قال لك إن الدنيا والآخرة لغير الله أفلا يجوز أن الله يعطي الدنيا لأحد وهو يجود بها أو منها، أو ليس كل الوجود لله وقد ملكه لعباده، فما هذا الاعتراض الفاسد .

وقال: وقد ورد أن الدنيا والآخرة خلقتا لأجله، (وورد في البخاري أنه أكرم من الريح المرسلة)، فماذا يضر لو كرم بما لربه وهو حبيبه الأعظم"[٥].

---

(١) صحيح البخاري واللفظ له كتاب بدء الوحي (باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ) برقم: ٦، صحيح مسلم كتاب الفضائل (باب: كان النبي ﷺأجود الناس بالخير من الريح المرسلة) برقم: ٦٠٠٩

(٢) العالم العلامة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الرحمن أبا بطين يرجع نسبه إلى عائذ من عبيدة من قحطان ولد في روضة سدير ١١٩٤ هـ، قرأ على قاضي روضة سدير الفقيه الشيخ محمد بن طراد الدوسري ولازمه ملازمة تامة، له مؤلفات عدة، توفي في شقراء سنة ١٢٨٢هـ انظر(مشاهير علماء نجد وغيرهم ١/١٧٦-١٧٧) و(الأعلام ٤/٩٧-٩٨).

(٣) داود بن سليمان البغدادي النقشبندي الخالديّ الشافعيّ ابن جرجيس متفقه متأدب من أهل بغداد ولد سنة ١٢٣١هـ وتوفي سنة ١٢٩٩هـ قام برحلات إلى الحجاز والشام وأقام بمكة نحو عشر سنوات، (انظر: الأعلام ٢/٣٣٢).

(٤) نقلها عنه العلامة أبا بطين في كتابه تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس (٢١).

(٥) المصدر السابق نفسه .

فجعل هذا الحديث الذي حرف معناه، سندا لشبهته، وعضدا لفريته، حيث حرّف معنى (أجود بالخير من الريح المرسلة) والذي لم يقل به أحدٌ من سلف الأمة وبنا عليه دعوته الباطلة من دعوى أن النبي ﷺ يعلم الغيب وأنه ﷺ يجوز الطلب ميتاً كما لو كان حياً، والعلة في ذلك هو ترك فهم الصحابة ﭫ، ومخالفتهم بمعقول أو ملقوفٍ من قول أهل الأهواء والبدع .

قال النووي رحمه الله: " والمراد كالريح في إسراعها وعمومها"[1].

وقال ابن حجر رحمه الله: " ومعنى أجود الناس أكثر الناس جودا والجود الكرم وهو من الصفات المحمودة"[2].

وقيض الله سبحانه وتعالى له العلامة أبا بطين فرد عليه بكتاب اسماه (تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس) ينقض فريته، ويبطل شبهته، ويكشف سوءته .

٢/ تحريف حديث الرسول ﷺ الذي رواه البخاري من حديث عائشة ﭬ قالت: دخل أبو بكر وعندي جاريتان من جواري الأنصار تغنيان بما تقاولت الأنصار يوم بعاث[3]، قالت: وليستا بمغنيتين، فقال أبو بكر: أمزامير الشيطان في بيت رسول الله ﷺ وذلك في يوم عيد، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بكر، إن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا "[4].

حيث استدل بهذا الحديث أقوامٌ على جواز الغناء واستخدامه كوسيلة في الدعوة إلى الله تعالى وهذا الفهم السقيم لم يقل به أحدٌ من صحابة رسول الله ﷺ ولا من سلف الأمة

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم (٦٣/١٥).

(٢) فتح الباري (٥٣/١).

(٣) يوم بعاث: بضم الباء يوم مشهور كان فيه حرب بين الأوس والخزرج، وبعاث اسم حصن للأوس، وبعضهم يقوله بالغين المعجمة، وهو تصحيف انظر: (النهاية في غريب الحديث لأبن الأثير ١٣٩/١ و غريب الحديث لأبن الجوزي ٧٨/١).

(٤) صحيح البخاري كتاب العيدين (باب: سنة العيدين لأهل الإسلام) برقم: ٩٥٢ .

رحمهم الله، والباعث على هذا الفهم هو الاستدلال بسنة الرسول ﷺ على غير فهم الصحابة ﭫ .

قال ابن القيم رحمه الله: " فلم ينكر رسول الله ﷺ على أبي بكر تسميته الغناء مزمار الشيطان وأقرهما، لأنهما جاريتان غير مكلفتين تغنيان بغناء الأعراب، الذي قيل في يوم حرب بعاث من الشجاعة والحرب، وكان اليوم يوم عيد، فتوسع حزب الشيطان في ذلك إلى صوت امرأة جميلة أجنبية، أو صبى أمرد صوته فتنة، وصورته فتنة، يغنى بما يدعو إلى الزنى والفجور وشرب الخمور، مع آلات اللهو التي حرمها رسول الله ﷺ في عدة أحاديث، مع التصفيق والرقص وتلك الهيئة المنكرة التي لا يستحلها أحد من أهل الأوثان، فضلاً عن أهل العلم والإيمان، ويحتجون بغناء جويريتين غير مكلفتين بنشيد الأعراب ونحوها في الشجاعة ونحوها وفى يوم عيد، بغير شبابة ولا دف، ولا رقص ولا تصفيق، ويدعون المحكم الصريح، لهذا المتشابه وهذا شأن كل مبطل، نعم، نحن لا نحرم ولا نكره مثل ما كان في بيت رسول الله ﷺ على ذلك الوجه، وإنما نحرم وسائر أهل العلم والإيمان السماع المخالف لذلك، وبالله التوفيق "[(١)].

وجاء في تفسير الطبري أنه عندما سُئل عبد الله بن مسعود ﭬ عن قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٦﴾ ﴾ [لقمان: ٦].

قال عبد الله ابن مسعود ﭬ: "الغناء، والذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات"[(٢)].

وقال مجاهد يعني شراء القيان والمغنين[(٣)].

وسئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن حكم الغناء؟

---

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم (٢٥٧/١).

(٢) تفسير الطبري (١١٠/٩)، وانظر تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٤٤).

(٣) انظر تفسير البغوي (٥٨٤/٣).

فأجابت بأن: استماع الغناء حرام لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [لقمان: ٦].

ولهو الحديث هو: الغناء، كما فسره بذلك جمع من الصحابة، منهم ابن مسعود رضي الله عنه، وفي (صحيح البخاري): "إن قوما في آخر الزمان يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف، يخسف الله بهم الأرض "[(١)] قرن المعازف مع الزنا ولبس الحرير للرجال والخمر، وكلها محرمة، فدل على تحريم المعازف، وهي آلات الطرب والغناء"[(٢)].

بل تطور الحال عن دعاة الصوفية إلى أن جعلوا الغناء وسيلة للدعوة إلى الله تعالى، وتأثيره في النفوس أعظم من تأثير القرآن الكريم، فهذا الغزالي[(٣)] يقول: " فاعلم أن الغناء أشد تهييجاً للوجد من القرآن من سبعة أوجه:

الوجه الأول: أن جميع آيات القرآن لا تناسب حال المستمع ولا تصلح لفهمه وتنزيله على ما هو ملابس له...."[(٤)].

ثم أخذ يعدد الأوجه السبعة، وهي أوجه قارن فيها كتاب الله عز وجل بالشعر وأوزانه، ويا ليت شعري هل بعد هذا الضلال ضلال!!!

ويقول الشعراني[(١)] في طبقاته عن أبي يعقوب يوسف بن الحسين الرازي[(٢)]:" وكان إذا سمع القرآن لا تقطر له دمعة وإذا سمع شعراً قامت قيامته، ثم يلتفت إلى الحاضرين ويقول أتلومون أهل الري على قولهم يوسف بن الحسين زنديق، هم معذرون"[(٣)].

---

(١) صحيح البخاري كتاب الأشربة (باب: فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه) برقم: ٥٥٩٠

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢٦/٢٢١-٢٢٢)

(٣) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي أبو حامد الفقيه تتلمذ على يد أبي المعالي الجويني توفي سنة ٥٠٥هـ كثر الكلام حوله بين مادح وذام له ويعد من أئمة الأشاعرة ومن كبارهم له مصنفات كثيرة منها "إحياء علوم الدين"، انظر: (تبيين كذب المفتري ٢٩١) و(السير١٤/٣٠٧وما بعدها) و(وفيات الأعيان ١٤/٢١٦).

(٤) إحياء علوم الدين للغزالي (٢/ ٢٩٨).

وهذا تأكيدا لما عليه الصوفية من اتخاذ الغناء والموسيقى وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله، وأن لها التأثير العجيب كما زعموا، والعلة في ضياعهم وبعدهم عن الهدي المستقيم استدلالهم بمخالفة فهم الصحابة ﷺ للنصوص التي تحرم الغناء، وليّهم لأعناق الأدلة وفق أهوائهم الضالة .

وسُئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عن كيفية أن تكون الدعوة بالغناء؟

فأجابت بأن: اعتبار الغناء من وسائل الدعوة من اصطلاح الصوفية الضلال، لا من عمل أهل السنة، والغناء حرام، ولا يجوز أن تكون الدعوة بوسيلة محرمة، والله أعلم"[٤].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: " ومعلوم عند الخاصة والعامة أن فتنة سماع الغناء والمعازف أعظم من فتنة النوح بكثير والذي شاهدناه نحن وغيرنا وعرفناه بالتجارب أنه ما ظهرت المعازف وآلات اللهو في قوم، وفشت فيهم، واشتغلوا بها، إلا سلط الله عليهم العدو، وبلوا بالقحط والجدب وولاة السوء، والعاقل يتأمل أحوال العالم وينظر والله المستعان"[٥].

فكيف بمن يتخذها وسيلة يدعو بها لله عز وجل!!.

٣/ تحريف الأحاديث الواردة في رؤية الله يوم القيامة[٦].

---

(١) هو عبد الوهاب بن أحمد بن علي الحَنَفي نسبه إلى محمد ابن الحنفية الشعراني أبو محمد من علماء المتصوفين ولد في قلقشندة (بمصر) سنة ٨٩٨هـ ونشأ بساقية أبي شعرة (من قرى المنوفية) وإليها نسبته (الشعراني، ويقال الشعراوي) وتوفي في القاهرة سنة ٩٧٣هـ قال المناوي عنه: " كان جيد النظر، صوفي الخبر له دراية بأقوال السلف ومذاهب الخلف وكان ينهى عن الحط على الفلاسفة وينفر ممن يذمهم بحضرته "، انظر: (فهرس الفهارس ٢/١٠٨٠) و (الأعلام ٤/١٨١) .

(٢) يوسف بن الحسين بن علي أبو يعقوب الرازي من مشايخ الصوفية كان كثير الأسفار توفي سنة ٣٠٤هـ، انظر: (طبقات الأولياء ٣٧٩) و (السير ١١/٢٨٥).

(٣) الطبقات الكبرى لوافح الأنوار في طبقات الأخيار للشعراني (١ /٧٧-٧٨).

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢٦/٢٢٣).

(٥) مدارج السالكين (٣٥٤).

(٦) جمع الإمام الدارقطني آيات وبعض أحاديث الرؤية في كتاب اسمه (رؤية الله).

من مسائل الاعتقاد التي تضافرت على إثباتها أدلة الكتاب والسنة، وأجمع عليها سلف الأمة، مسألة رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة، حيث دلت الأدلة من الكتاب والسنة على أن المؤمنين يرون ربهم عيانا لا يضارون في رؤيته كما لا يضارون في رؤية الشمس والقمر.
فمن أدلة الكتاب على الرؤية:

قول الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة القيامة:٢٢-٢٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " وأكثر الناس تنظر إلى ربها عيانا بلا حجاب"[1].

وقوله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (المطففين:١٥)

قال الإمام الشافعي: " وفي هذه الآية دليل على أن المؤمنين يرونه عز وجل يومئذ"[2].

ووجه ذلك أنه لما حجب أعداءه عن رؤيته في حال السخط دل على أن أولياءه يرونه في حال الرضا، وإلا لو كان الكل لا يرى الله تعالى، لما كان في عقوبة الكافرين بالحجب فائدة إذ الكل محجوب.

أما أدلة السنة النبوية فقد قرر أهل العلم على أن أحاديث الرؤية متواترة، ونُقل الإجماع على حصول الرؤيا للمؤمنين يوم القيامة[3]، ومن تلك الأحاديث:

حديث أبي هريرة ﷺ: "أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله ﷺ: (هل تضارون في القمر ليلة البدر ؟)، قالوا: لا يا رسول الله، قال:

---

(١) تفسير البغوي (٥/١٨٥)

(٢) تفسير ابن كثير (٤/٢٠٠٥).

(٣) انظر: (الفِصل لابن حزم ٣/٣) و(المنهاج شرح النووي على صحيح مسلم ٣/ ١٨ ومابعدها) و (درء تعارض العقل والنقل ٥٨٧/٢) و (تفسير ابن كثير ١٩٧١/٤) و (الفتح لابن حجر ٦٢٣/١٣- ٦٢٥).

(فهل تضارون في الشمس، ليس دونها سحاب ؟)، قالوا: لا يا رسول الله، قال: (فإنكم ترونه كذلك)"[١].

وعن صهيب ﷺ قال: قال الرسول ﷺ: "إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار ؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل "[٢].

وممن استدل بالسنة وحرّف معناها أو أنكر ما دلت عليه، الخوارج، والمعتزلة، والمرجئة، والجهمية، والرافضة[٣].

استدل الخوارج والمعتزلة على نفي الرؤية بأحاديث منها قوله ﷺ في حديث مسروق الذي يرويه عن عائشة ﷺ: (يا أمتاه هل رأى محمد ﷺ ربه ليلة الإسراء ؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب ؟! من حدثك أن محمداً ﷺ رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٣] و ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشورى: ٥١] ...الحديث "[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب التوحيد (باب: قول الله تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾) برقم: ٧٤٣٧

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الإيمان(باب:إثبات رؤية المؤمنين في الأخرة ربهم سبحانه وتعالى) برقم: ٤٤٩

(٣) انظر: (الفرق بين الفرق ١٠٧) و (مقالات الإسلاميين ٩٥) و(الملل والنحل ١/ ٥٧- ٩١- ١٠٠) و(شرح الطحاوية ١/٢٨٤) .

(٤) متفق عليه، صحيح البخاري كتاب التفسير برقم: ٤٨٥٥، صحيح مسلم كتاب الإيمان (باب: معنى قول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴾ وهل رأى النبي ﷺ ربه ليلة الإسراء) برقم: ٤٣٩ .

كما رواه صاحب[١](وفاء الضمانة) الإباضي[٢] ... ثم قال معقباً عليه: " والحديث دليل لأصحابنا كالمعتزله على نفي الرؤية دنيا وأخرى ؛ لأن ما كان نفيه تنزيهاً يكون عاماً في الدنيا والآخرة"[٣].

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: " فأما احتجاج عائشة ﵂ بقول الله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ فجوابه ظاهر فإن الإدراك هو الإحاطة والله تعالى لا يحاط به وإذا ورد النص بنفي الإحاطة لا يلزم منه نفي الرؤية بغير إحاطة وأجيب عن الآية بأجوبة أخرى لا حاجة إليها مع ما ذكرناه فإنه في نهاية من الحسن مع اختصاره .

وأما احتجاجها رضي الله عنها بقول الله تعالى:﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا ﴾ الآية فالجواب عنه من أوجه:

أحدها: أنه لا يلزم من الرؤية وجود الكلام حال الرؤية فيجوز وجود الرؤية من غير كلام. **الثاني:** أنه عام مخصوص بما تقدم من الأدلة.

الثالث: ما قاله بعض العلماء أن المراد بالوحي الكلام من غير واسطة وهذا الذي قاله هذا القائل وإن كان محتملا ولكن الجمهور على أن المراد بالوحي هنا الإلهام والرؤية في المنام وكلاهما يسمى وحيا .

---

(١) محمد بن يوسف بن عيسى أطفيش الجزائري علامة بالتفسير والفقه والأدب إباضي المذهب مجتهد ولد سنة ١٢٣٦هـ له مصنفات عدة منها وفاء الضمانة بأداء الأمانة و تيسير التفسير وغيرها توفي سنة ١٣٣٢هـ، انظر: (الأعلام ١٥٦/٧-١٥٧) و (معجم المؤلفين ١٣٣/١٢) .

(٢) نسبة للفرقة التي ينتسب إليها وهي الإباضية فرقة من فرق الخوارج سميت بذلك نسبة إلى عبدالله بن أباض أحد رؤوس الخوارج وقد أجمعت الإباضية على إمامته فيهم، انظر: (الملل والنحل ١٥٦/١) و (الفرق بين الفِرق ٩٨) و (مقالات الإسلاميين٦٦ وما بعدها) و(الأباضية لعلي يحي معمر ٣٠).

(٣) وفاء الضمانة (٣٧٦-٣٧٧)، نقلا عن الخوارج تاريخهم وأرائهم الإعتقادية لغالب عواجي (٢٤٢-٢٤٣) .

وأما قوله تعالى: ﴿ أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ ﴾ فقال الواحدي وغيره معناه غير مجاهر لهم بالكلام بل يسمعون كلامه سبحانه وتعالى من حيث لا يرونه وليس المراد أن هناك حجابا يفصل موضعا من موضع ويدل على تحديد المحجوب فهو بمنزلة ما يسمع من وراء الحجاب حيث لم ير المتكلم والله أعلم"[١].

وممن حرّف الأحاديث الواردة في رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة من المعاصرين ممن يسمون أنفسهم بالإخوان الجمهوريين[٢] .

فإنهم يقولون: " وكل الأحاديث النبوية التي تتحدث عن رؤية الله يوم القيامة، وهي أحاديث كثيرة، إنما تتحدث عن مقام الاسم وليس عن الذات المطلقة وذلك لأن القيامة زمان ومكان، والذات المطلقة لا يحويها الزمان والمكان .. ولأن الرؤية لا تكون إلا لمحدود، والذات المطلقة تتعالى أن تراها البصائر أو الأبصار"[٣].

وهذا بلا شك تحريف صريح لما أجمع عليه صحابة رسول الله ﷺ وما فهموه من رسول الله ﷺ، فَهُم أعلم بمراد الرسول ﷺ، وقد نقل شيخ الإسلام وغيره الإجماع على رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة[٤]، والعبرة بالدليل، وقد تواترت النصوص على ذلك[٥] .

ثانياً: تقديم أصول وقواعد الفرقة المبتدعة على فهم السلف .

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي (٣/٩-١٠).

(٢) هو حزب سوداني أسسه محمود محمد طه ليدعوا إلى قيام حكومة فيدرالية ديموقراطية اشتراكية تحكم بالشريعة الإنسانية، ومبادئ الحزب مزيج من الأفكار الصوفية الغالية والفلسفات المختلفة مع شيء من الغموض والتعقيد، انظر: (الموسوعة الميسرة ١/٤٢١).

(٣) الإخوان الجمهوريون: عقيدة المسلمين اليوم (٤٧)، نقلا عن موقف الجمهوريين من السنة النبوية لشوقي بشير (٤٧).

(٤) كما تقدم في (ص:٨٧-٨٨).

(٥) انظر: (رؤية الله) للإمام الدارقطني فقد جمع فيه الآيات والأحاديث الدالة على رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

لكل فرقة من الفرق الضالة قواعد وأصول وضعها كبرائهم وزعمائهم يسيرون عليها ويلتزمون بها، وهذه الأصول والقواعد هي الميزان الذي يفرقون به بين الحق والباطل، وجعلوا من مشايخهم وكبرائهم مصدراً للتلقي حتى قدموهم على الكتاب والسنة، فضلوا وأضلوا .

قال اللالكائي رحمه الله تعالى عن جهل المعتزلة بكتاب الله تعالى : " قوم لم يتدينوا بمعرفة آية من كتاب الله في تلاوة أو دراية، ولم يتفكروا في معنى آية ففسروها أو تأولوها على معنى اتباع من سلف من صالح علماء الأمة إلا على ما أحدثوا من آرائهم الحديثة، ولا اغبرت أقدامهم في طلب سنة، أو عرفوا من شرائع الإسلام مسألة، فيعد رأي هؤلاء حكمة وعلما وحججا وبراهين، ويعد كتاب الله وسنة رسوله حشوا وتقليدا، وحملتها جهالاً وبُلها - ذلك - ظلما وعدوانا وتحكما وطغيانا — إلى أن قال رحمه الله - إذ فخره على مخالفيه بحذقه، واستخراج مذاهبه بعقله وفكره من الدقائق، وأنه لم يسبقه إلى بدعته إلا منافق مارق أو معاند للشريعة مشاقق، فليس بحقيق من هذه أصوله أن يعيب على من تقلد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، واقتدى بهما، وأذعن لهما، واستسلم لأحكامهما، ولم يعترض عليهما بظن أو تخرص "(١).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: " وأما الفرق الباقية فإنهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء ولا تبلغ الفرقة من هؤلاء قريبا من مبلغ الفرقة الناجية فضلا عن أن تكون بقدرها بل قد تكون الفرقة منها في غاية القلة، وشعار هذه الفرق مفارقة الكتاب والسنة والإجماع "(٢).

ولم يكن في الصحابة رضي الله عنهم من تأول شيئا من نصوص القران والسنة على خلاف ما دل عليه، لأنهم متبعون وملتزمون بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ۝٥٩ ﴾ [النساء: ٥٩].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١١-١٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٣٤٦).

فهذا أمر من الله عز وجل بالرد في حال التنازع إلى كتاب الله تعالى، فإن لم نجد فيه فالرد يكون إلى الرسول ﷺ حال حياته، أما بعد موته فالرد يكون إلى سنته ﷺ، وإن لم نجد ذلك فالرد يكون إلى أهل العلم والفقه[١]، وهذا هو ما سار عليه سلف الأمة من صحابة رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان .

ومن تلك القواعد:

١/ رد أحاديث الآحاد في العقائد .

أوجب الله تعالى على المؤمنين التسليم التام لكلام النبي ﷺ وحديثه وحكمه، حتى أقسم بنفسه سبحانه أن من سمع كلام النبي ﷺ ثم رده ولم يقبل به أنه لا يتم له الإيمان .

قال عز وجل: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]

ولذلك وقع الاتفاق بين أهل العلم على وجوب الأخذ بالسنة إذا ثبتت، **قال** شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" السنة إذا ثبتت فإن المسلمين كلهم متفقون على وجوب اتباعها"[٢].

وهذا الأصل من أصول المعتزلة ومن يسمون أنفسهم اليوم بالعقلانيين، حيث قدموا العقل على النقل، وقدموا فهمهم على فهم الصحابة ﷺ، فالآثار الواردة في عمل الصحابة ﷺ بأحاديث الآحاد كثيرة، بل إن النبي ﷺ كان يبعث عدداً من أصحابه ﷺ إلى القبائل والقرى والأمصار ليعلموا الناس أصول الدين وفروعه، وأمور العقائد والأحكام، فأرسل علياً و معاذاً وغيرهم ﷺ، وفي حديث معاذ ﷺ قال له رسول الله ﷺ: "إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، فإن هم أطاعوك لذلك، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم،

---

(١) انظر: (تفسير الطبري ٩٢٣/٣) و (تفسير البغوي ٢٤٢/٢) و (تفسير ابن كثير ٤٧٠/١) .

(٢) مجموع الفتاوى (٨٥/١٩).

فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب"(١).

وفي هذا الحديث دليل على قبول خبر الواحد وقيام الحجة به، وانعقد الإجماع على ذلك

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: "لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد، بما وصفت من أن ذلك موجود على كلهم"(٢).

وجاء في شرح الطحاوية: "وخبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول عملا به وتصديقا له -: يفيد العلم اليقيني عند جماهير الأمة، وهو أحد قسمي المتواتر، ولم يكن بين سلف الأمة في ذلك نزاع"(٣).

وعقد الإمام ابن القيم رحمه الله فصلاً في بيان أن الأخذ بخبر الآحاد هو إجماع الأمة فقال رحمه الله: " وأما المقام الثامن: وهو انعقاد الإجماع المعلوم المتيقن على قبول هذه الأحاديث، وإثبات صفات الرب تعالى بها، فهذا لا يشك فيه من له أقل خبرة بالمنقول، فإن الصحابة ﷺ هم الذين رووا هذه الأحاديث وتلقاها بعضهم عن بعض بالقبول، ولم ينكرها أحد منهم على من رواها، ثم تلقاها عنهم جميع التابعين، من أولهم إلى آخرهم ومن سمعها منهم تلقاها بالقبول والتصديق لهم، ومن لم يسمعها منهم تلقاها عن التابعين كذلك وكذلك تابع التابعين مع التابعين"(٤).

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى: " وقد شاع فاشيا عمل الصحابة والتابعين بخبر الواحد من غير نكير فاقتضى الاتفاق منهم على القبول ولا يقال لعلهم عملوا بغيرها أو

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) الرسالة للشافعي (١/٤٥٨).

(٣) شرح الطحاوية (٢٨٠).

(٤) مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم (٦٠٥).

عملوا بها لكنها أخبار مخصوصة بشيء مخصوص لأنا نقول العلم حاصل من سياقها بأنهم إنما عملوا بها لظهورها لا لخصوصها"[١].

والمتأمل لكتب الحديث يجد أن المحدثين الأعلام قد اعتمدوا أحاديث الآحاد في كتبهم، مما يدل على أنهم يحتجون بها .

ورد الأحاديث الصحيحة، والآثار الصريحة، من أعمال أهل البدع والأهواء، يقول الإمام البربهاري رحمه الله: "وإذا سمعت الرجل يطعن على الأثر، أو يرد الآثار، أو يريد غير الآثار، فاتّهمه على الإسلام، ولا تشك أنه صاحب هوى مبتدع"[٢].

من ذلك:

ما كتبه الإباضي سعيد القنوبي (السيف الحاد في الرد على من أخذ بحديث الآحاد في مسائل الاعتقاد)، حيث ذكر أن مذهب الجمهور عدم قبول خبر الآحاد في مسائل الاعتقاد[٣]، وهذا من أعظم التدليس والكذب حيث تقدم نقل إجماع من يُعتّد بهم قبولهم لحديث الآحاد .

ومن ذلك أيضا، رد أحاديث الدجال بحجج واهية، وشبه عقلية ،

كقولهم: " أن ما ورد بشأن الدجال أشبه بالأساطير الباطلة .

وقولهم: كيف يعقل أن رجلاً أعور مكتوب على جبهته كافر يقرأها الكاتب والأمي على السواء يقوم بين الناس فيدعوهم لعبادته فتروج له دعوة أو تسمع له كلمة أي إنسان يبلغ به الإنحطاط العقلي إلى درجة يعتقد فيها بألوهية رجل مشوه الخلقة مكتوب في وجهه

(١) فتح الباري (٣٤٢/١٣).

(٢) شرح السنة للبربهاري (١١٢).

(٣) انظر: (ص:٧ من الكتاب المذكور).

كافر بالأحرف العريضة وأي جيل من أجيال الناس تروج فيهم مثل هذه الدعوة إلى..إلخ"[١].

وأكثر أشراط الساعة جاء ذكرها في الأحاديث الآحاد، فهل نرد الخبر الصحيح الثابت عن رسول الله ﷺ لحجة عقلية، أو شبهة كلامية .

ومن ذلك أيضاً، ما ذكره محمود شلتوت[٢] في كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة)، حيث قرر عدم الأخذ بأحاديث الآحاد في العقائد لأنها لا تفيد اليقين على حد قوله: " أما الأدلة النقلية فقد ذهب كثير من العلماء إلى أنها لا تفيد اليقين ولا تحصل الإيمان المطلوب، ولا تثبت بها وحدها عقيدة .

قالوا: وذلك لأنها مجال واسع لاحتمالات كثيرة تحول دون هذا الإثبات"[٣].

وقال عمن يثبت حجية حديث الآحاد: " والذين ذهبوا إلى أن الدليل النقلي يفيد اليقين ويثبت العقيدة شرطوا فيه أن يكون قطعيا في وروده، قطعيا في دلالته، ومعنى كونه قطعيا في وروده ألا يكون هناك أي شبهة في ثبوته عن الرسول ﷺ، وذلك إنما يكون في المتواتر"[٤].

---

(١) نقلا عن كتاب الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة الواردة في المهدي للشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٤٥ و٤٦ (٣١٣-٣١٤).

(٢) هو محمود شلتوت فقيه مفسر مصري ولد في منية بني منصور سنة ١٣١٠هـ وتخرج بالأزهر وتنقل في التدريس إلى أن نقل للقسم العالي بالقاهرة وكان داعية إصلاح نير الفكرة يقول بفتح باب الاجتهاد وسعى إلى إصلاح الأزهر فعارضه بعض كبار الشيوخ وطرد هو ومناصروه فعمل في المحاماة وأعيد إلى الأزهر فعين وكيلا لكلية الشريعة ثم كان من أعضاء كبار العلماء ومن أعضاء مجمع اللغة العربية ثم شيخا للأزهر إلى وفاته سنة ١٣٨٣هـ، انظر (الأعلام ١٧٣/٧-١٧٤).

(٣) الإسلام عقيدة وشريعة لمحمود شلتوت (٥٣).

(٤) المصدر السابق نفسه (٥٣).

وهذا القول مردود عليه، لأنه مخالف لما عليه سلف الأمة رحمهم الله، وهو أن الحديث إذا ثبتت صحته برواية الثقات ووصل إلينا بطريق صحيح وجب الإيمان والتصديق به، سواء كان متواتراً أو آحاداً، وأنه قطعي الدلالة يفيد اليقين .

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: " فالخبر الذي تلقاه الأئمة بالقبول تصديقا له أو عملا بموجبه يفيد العلم عند جماهير الخلف والسلف وهذا في معنى المتواتر، لكن من الناس من يسميه المشهور والمستفيض ويقسمون الخبر إلى متواتر ومشهور وخبر واحد وإذا كان كذلك فأكثر متون الصحيحين معلومة متقنة تلقاها أهل العلم بالحديث بالقبول والتصديق وأجمعوا على صحتها وإجماعهم معصوم من الخطأ "(١).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/٤٨-٤٩).

المبحث الثالث:

نقض إجماع أهل السنة والجماعة .

من فضل الله تعالى على هذه الأمة أن جعل إجماع علمائها معصوما من الزلل والخطأ، فحفظ الله بهم الشريعة من كيد الكائدين وتحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين(١) .

والإجماع دليل شرعي متفق على حجيته، وإذا عُلم هذا فإن الإجماع في اللغة له معنيان:

الأول: العزم والتصميم والإحكام، ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ ﴾[يونس: ٧١]
والثاني: الاتفاق، ومنه قولهم: اجمع القوم على كذا، إذ اتفقوا(٢) .

والإجماع في الاصطلاح: اتفاق المجتهدين في أمة محمد ﷺ بعد وفاته، في عصر من العصور على أمر ديني(٣) .

وبعد هذا التعريف، فإن الله سبحانه وتعالى، أمر بالرد عند التنازع إلى كتابه وسنة نبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]، ولا طريق لمعرفة مراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ غير طريق الصحابة ﷺ، فكان إجماعهم إجماعاً منضبطاً .

---

(١) جزء من مقدمة الإمام أحمد في كتابه الرد على الجهمية الزنادقة (١٧٠).

(٢) انظر: لسان العرب (٨/ ٥٧) و تهذيب اللغة (١/ ٢٥٣-٢٥٤) و تاج العروس (٢٠/ ٤٦٣-٤٦٤).

(٣) انظر: الأحكام للأمدي (١/١٩٥) و الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٤/١٢٨) و التعريفات للجرجاني (١٠).

قال شيخ الإسلام رحمه الله في بيان فضل إجماع القرون المفضلة:" والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح، إذ بعدهم كثر الاختلاف، وانتشر في الأمة"(١).

والدليل الآخر من القران الكريم على حجية الإجماع قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [النساء: ١١٥]، ووجه الدلالة أنه سبحانه وتعالى توعد من ترك سبيل المؤمنين، واتبع السبل الضالة المنحرفة، فدل هذا على أن الأخذ بفهم السلف واتباع طريقهم واجبٌ.

قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: " ومن قال بما تقول به جماعةُ المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعةُ المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أُمِرَ بلزومها، وإنما تكون الغفلة في الفُرقة، فأما الجماعة فلا يمكن فيها كافةً غفلةٌ عن معنى كتاب ولا سنة ولا قياس إن شاء الله"(٢).

ومما يدل على أهمية الإجماع ما ذكره شيخ الإسلام رحمه الله تعالى حيث قال:" وإذا ثبت إجماع الأمة على حكم من الأحكام، لم يكن لأحد أن يخرج عن إجماعهم، فإن الأمة لا تجتمع على ضلالة "(٣).

وبعد هذه المقدمة اليسيرة حول الإجماع وأنه حجة قائمة، ظهر من أهل البدع والأهواء من ينكر حجية الإجماع، أو ينقض إجماع أهل السنة والجماعة بشبهٍ واهية وأدلة ساقطة، ومن أولئك المعتزلة والخوارج والرافضة ومن نحا نحوهم واقتفى آثرهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" ولا يجوز أن تجمع الأمة على الخطأ، نصَّ عليه، وهو قول جماعة الفقهاء والمتكلمين، وحكي عن إبراهيم النظام(٤) وطائفة من

---

(١) مجموع الفتاوى (١٥٧/٣)، وانظر الواسطية بشرح ابن عثيمين رحمه الله (٢/ ٣٢٨).

(٢) الرسالة للشافعي (٤٧٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/١٠).

(٤) هو إبراهيم بن سيار بن هانئ النظام كان أحد فرسان أهل النظر والكلام على مذهب المعتزلة وله في ذلك تصانيف عدة منها: الطفرة و الوعيد وغيرها وكان أيضا " متأدبا " وله شعر جمع =

المرجئة وبعض المتكلمين أنه ليس بحجة وأنه يجوز اجتماع الكل على الخطأ، وقالت الرافضة: ليس الإجماع حجة، وإنما قول الإمام وحده حجة"[1].

والخوارج والشيعة هم أول من نقض إجماع أهل السنة والجماعة، وخرجوا عن إجماع السلف ﷺ، حيث كانت الأمة مجتمعة طيلة خلافة أبي بكر الصديق ﷺ وعمر ﷺ وطرفا من خلافة عثمان ﷺ، وجعلوا لطائفتهم إجماعاً، على الرغم من اختلاف أصولهم وقواعدهم .

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " وهاتان الطائفتان الخوارج والشيعة حدثوا بعد مقتل عثمان وكان المسلمون في خلافة أبي بكر وعمر ﷺ وصدرا من خلافة عثمان ﷺ في السنة الأولى من ولايته متفقين لا تنازع بينهم ثم حدث في أواخر خلافة عثمان ﷺ أمور أوجبت نوعا من التفرق وقام قوم من أهل الفتنة والظلم فقتلوا عثمان ﷺ فتفرق المسلمون بعد مقتل عثمان ﷺ ولما اقتتل المسلمون بصفين واتفقوا على تحكيم حكمين خرجت الخوارج على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وفارقوه وفارقوا جماعة المسلمين إلى مكان يقال له حروراء فكف عنهم أمير المؤمنين ﷺ ..."[2].

ومن ذلك:

أولاً: ادعاء إجماع باطل، أو إجماع من لا يُعتّد به .

أهل السنة والجماعة وضعوا شروطا لصحة الإجماع، منها:

١/ أن يثبت الإجماع بطريق صحيح ثابت .

بخمسين ورقة وهو دقيق المعاني على طريقة المتكلمين ولد سنة ١٨٥هـ وتوفي سنة ٢٣١هـ وله تنسب فرقة النظاميّة من المعتزلة، انظر: (السير ٢١٧/٩) و(الوافي بالوفيات ١٢/٦) و (الأعلام ٤٣/١).

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (١١٣/٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٢/١٣).

قال الشيخ ابن عثيمين[1] رحمه الله تعالى: "واعلم أن الأمة لا يمكن أن تجمع على خلاف دليل صحيح صريح غير منسوخ، فإنها لا تجمع إلا على حق، وإذا رأيت إجماعاً تظنه مخالفاً لذلك، فانظر فإما أن يكون الدليل غير صحيح، أو غير صريح، أو منسوخاً، أو في المسألة خلاف لم تعلمه"[2].

٢/ أن يكون أهل الإجماع ممن يُعتَّد بهم .

فلا يُعتد بإجماع الرافضة والصوفية والخوارج ومن خالف أصول أهل السنة والجماعة .

قال الشوكاني رحمه الله: " إجماع الصحابة حجة بلا خلاف، ونقل القاضي عبد الوهاب عن قوم من المبتدعة أن إجماعهم ليس بحجة"[3].

٣/ أن تثبت نسبة الإجماع إلى من يُعتد بإجماعهم .

فإذا لم تثبت نسبة الإجماع إلى أهل العلم والفقه من الأكابر فلا يعتد به، بل يكون إجماعاً كاذبا .

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: " ولا تعبأ بما يفرض من المسائل ويدعي الصحة فيها بمجرد التهويل، أو بدعوى أن لا خلاف في ذلك، وقائل ذلك لا يعلم أحدا قال فيها بالصحة فضلا عن نفي الخلاف فيها، وليس الحكم فيها من الجليات التي لا يعذر المخالف فيها، وفي مثل هذه المسائل قال الإمام أحمد: (من ادعى الإجماع فهو كاذب، فإنما هذه دعوى بشر وابن علية يريدون أن يبطلوا السنن بذلك)، يعني الإمام أحمد أن المتكلمين في الفقه من أهل الكلام إذا ناظرتهم بالسنن والآثار، قالوا: هذا خلاف الإجماع"[4].

---

(١) أبو عبد الله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي، ولد في عنيزة سنة ١٣٤٧هـ نشأ نشأة دينية فحفظ القران على جده من ناحية أمه أخذ العلم عن شيوخ كثر أبرزهم شيخه عبد الرحمن السعدي رحمه الله له مصنفات عدة توفي سنة: ١٤٢١هـ (نقلاً عن مجلة التوحيد، السنة ٢٩ العدد ١١، ١٤٢١هـ).

(٢) شرح الأصول من علم الأصول للشيخ ابن عثيمين رحمه الله (٣٢٧-٣٢٨).

(٣) إرشاد الفحول (٢١٧/١).

(٤) الفتاوى الكبرى (٢٨٦/٦).

وقال ابن عبد الهادي[(١)] رحمه الله: " وليس مع عباد القبور من الإجماع إلا ما رأوا عليه العوام والطغام في الأعصار التي قل فيها العلم والدين، وضعفت فيها السنن وصار المعروف فيها منكراً، والمنكر معروفاً من اتخاذ القبر عيداً، والحج إليه واتخاذه منسكاً للوقوف والدعاء، كما يفعل عند موقف الحج بعرفة ومزدلفة وعند الجمرات وحول الكعبة، ولا ريب أن هذا وأمثاله في قلوب عباد القبور لا ينكرونه ولا ينهون عنه، بل يدعون إليه ويرغبون فيه، ويحضون عليه ظانين أنه من تعظيم الرسول ﷺ والقيام بحقوقه، وأن من لم يوافقهم على ذلك خالفهم فيه فهو منتقص تارك للتعظيم الواجب، وهذا قلب لدين الإسلام وتغيير له"[(٢)].

ثانياً / مخالفة إجماع أهل السنة والجماعة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه[(٣)].

أجمع أهل السنة والجماعة على أن الإيمان يزيد وينقص، وممن نقل الإجماع:

- الإمام أبو عبد الرازق الصنعاني رحمه الله، قال: "لقيت اثنين وستين شيخا.. فذكر عددا منهم ثم قال: كلهم يقولون: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص"[(٤)].

- الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام[(٥)]:"هذه تسمية من كان يقول الإيمان قول وعمل، يزيد

(١) محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة الشيخ الإمام الفاضل المفنن الذكي النحرير شمس الدين الحنبلي ولد سنة ٧٠٥هـ كان ذهنه صافياً وفكره بالمعضلات وافياً جيد المباحث أطرب في نقله من المثاني و المثالث صحيح الانتقاد مليح الأخذ والإيراد قد أتقن العربية وغاص في لجتها على فوائدها ونكتها الأدبية وتبحر في معرفة أسماء الرجال وضيق على= = المزي فيها المجال له مصنفات عدة، توفي سنة ٧٤٤هـ، انظر: (أعيان العصر وأعوان النصر ٢٧٣/٤) و(الوافي بالوفيات ١١٣/٢) و(ذيل طبقات الحنابلة ١١٥/٥) .

(٢) الصارم المنكي في الرد على السبكي (٣٤٤).

(٣) انظر: زيادة الإيمان ونقصانه وحكم الاستثناء فيه للشيخ عبد الرزاق البدر حفظه الله.

(٤) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤٥١) برقم: ١٧٣٧

(٥) الإمام الحافظ المجتهد ذو الفنون أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله اشتغل أبو عبيد بالحديث والأدب والفقه، وكان ذا دين وسيرة جميلة ومذهب حسن وفضل بارع، قال ابن حنبل أبو عبيد =

وينقص ،... فسمى رجالاً كثراً من الصحابة وغيرهم.. ثم قال: هؤلاء كلهم يقولون الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وهو قول أهل السنة، والمعمول به عندنا"(١).

- الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: "أجمع تسعون رجلا من التابعين وأئمة المسلمين وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ ... فذكر أموراً منها: الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية"(٢).

- شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وأجمع السلف أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص"(٣).

- ابن القيم رحمه الله: "... فإنه بإجماع السلف: يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية"(٤).

وهذه بعض الآثار التي تؤكد الإجماع على زيادة الإيمان ونقصانه، وإلا فإن الآثار كثيرة، يصعب حصرها، ولا أقول إلا كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" والآثار في هذا كثيرة رواها المصنفون في هذا الباب عن الصحابة والتابعين في كتب كثيرة معروفة"(٥).

وممن تبنى نقض إجماع أهل السنة والجماعة في هذا الأصل، طوائف عدة، منها المرجئة والجهمية والخوارج والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية ومن نحا نحوهم واقتفى آثرهم وتأثر بفكرهم.

ممن يزداد عندنا كل يوم خيرا، وقال إبراهيم الحربي كان أبو عبيد كأنه جبل نفخ فيه الروح يحسن كل شيء وتوفي سنة ٢٢٤هـ، انظر: (الوافي بالوفيات ٢٤/٩١) و (وفيات الأعيان ٤/٦٠) و (السير ٩/١٧٩).

(١) الإيمان لابن تيمية (٢٤٢-٢٤٣).

(٢) رواه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١/٣٤٩-٣٥٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/٦٧٢).

(٤) مدارج السالكين (١/٤٢٢).

(٥) مجموع الفتاوى (٧/٢٢٥).

ومن الأمثلة على مخالفة إجماع أهل السنة والجماعة في هذا الأصل:

١/ المرجئة[١]:

قال فيهم شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: " والمرجئة ثلاثة أصناف: **الذين يقولون**: الإيمان مجرد ما في القلب ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة كما قد ذكر أبو الحسن الأشعري أقوالهم في كتابه[٢] وذكر فرقا كثيرة يطول ذكرهم لكن ذكرنا جمل أقوالهم ومنهم من لا يدخلها في الإيمان كجهم ومن اتبعه كالصالحي وهذا الذي نصره هو وأكثر أصحابه.

والقول الثاني: من يقول: هو مجرد قول اللسان وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية .

والثالث: تصديق القلب وقول اللسان وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم"[٣].

٢/ الخوارج والمعتزلة[٤] .

خالف الخوارج والمعتزلة أهل السنة والجماعة في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، وخالفوا ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة، حيث ذهبوا إلى أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأنه كُلٌّ لا يتبعّض، وبهذه العقيدة الفاسدة، كفّروا مرتكب الكبيرة واستحلوا دمه وماله وعرضه، وجعلوه من أهل الخلود في النار يوم القيامة .

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى عن الخوارج والمعتزلة: " قالت الخوارج والمعتزلة قد علمنا يقينا أن الأعمال من الإيمان فمن تركها فقد ترك بعض الإيمان وإذا زال بعضه زال

---

(١) انظر: الفرق بين الفِرق (١٦٧) و مقالات الإسلاميين (٨٢) و الملل والنحل (١٦٤).

(٢) انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (٨١ وما بعدها).

(٣) مجموع الفتاوى (١٩٥/٧) و (٥٢/١٣).

(٤) انظر: الفرق بين الفِرق (٨٩ و ١٠٨ و ١١٠) ومقالات الإسلاميين (٧٠ و١٥٦-١٥٧) و الملل والنحل (١/ ٥٧-٥٨ و ٦١-٦٢ و ١٣٢) .

جميعه؛ لأن الإيمان لا يتبعّض ولا يكون في العبد إيمان ونفاق فيكون أصحاب الذنوب مخلدين في النار إذ كان ليس معهم من الإيمان شيء "(١).

ثالثاً / مخالفة إجماع أهل السنة والجماعة في تحريم الخروج على ولي الأمر المسلم .

من عقيدة أهل السنة والجماعة طاعة ولي الأمر المسلم في غير معصية الله وعدم الخروج عليه للأدلة الواردة من الكتاب والسنة وإجماع السلف رضي الله عنهم، من ذلك:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ [النساء: ٥٩].

قال الطبري رحمه الله تعالى: "هو خطاب من الله لولاة أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى من ولوا أمره في فيئهم وحقوقهم، وما ائتمنوا عليه من أمورهم، بالعدل بينهم في القضية، والقسم بينهم بالسوية، يدل على ذلك ما وعظ به الرعية في: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴾ فأمرهم بطاعتهم، وأوصى الراعي بالرعية، وأوصى الرعية بالطاعة"(٢).

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله تعالى:" لما أمر سبحانه القضاة والولاة إذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالحق، أمر الناس بطاعتهم هاهنا، وطاعة الله عز وجل هي: امتثال أوامره ونواهيه، وطاعة رسوله ﷺ هي: فيما أمر به ونهى عنه.

وأولي الأمر: هم الأئمة، والسلاطين، والقضاة، وكل من كانت له ولاية شرعية لا ولاية طاغوتية، والمراد طاعتهم فيما يأمرون به وينهون عنه ما لم تكن معصية، فلا طاعة لمخلوق في معصية الله"(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٤٨).

(٢) تفسير الطبري (٣/٩١٧).

(٣) فتح القدير (١/٣٢٢).

وأخرج مسلم في صحيحة من حديث أم سلمه رضي الله عنها، " أن رسول الله ﷺ قال: إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع، قالوا يارسول الله: أفلا نقاتلهم، قال: لا، ما صلوا"(١).

قال الإمام النووي رحمه الله تعالى: " أجمع العلماء على وجوبها في غير معصية وعلى تحريمها في المعصية نقل الإجماع على هذا القاضي عياض وآخرون، وقال العلماء معناه تجب طاعة ولاة الأمور فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره مما ليس بمعصية فإن كانت لمعصية فلا سمع ولا طاعة كما صرح به في الأحاديث الباقية فتحمل هذه الأحاديث المطلقة لوجوب طاعة ولاة الأمور على موافقة تلك الأحاديث المصرحة بأنه لا سمع ولا طاعة في المعصية"(٢).

وعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: " السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بالمعصية، فإذا أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة "(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول :"من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حُجَّةَ له، ومن مات وليس في عُنُقِهِ بيعة مات مِيْتَةً جاهلية"(٤).

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإمارة (باب: وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع وترك قتالهم ما صلوا ونحو ذلك) برقم: ٤٨٠٠

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٢/١٨٧-١٩٠).

(٣) متفق عليه، صحيح البخاري واللفظ له كتاب الجهاد والسير (باب:السمع والطاعة للإمام) برقم:٢٩٥٥، ومسلم كتاب الإمارة (باب: وجوب طاعة الأمير في غير معصية وتحريمها في المعصية) برقم: ٤٧٦٣

(٤) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الإمارة (باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج الطاعة ومفارقة الجماعة) برقم: ٤٧٩٣

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " اسمعوا وأطيعوا وإن اسْتُعْمِلَ عليكم عبدٌ حبشي كأن رأسَهُ زبيبة"(١).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدا.

وممن نقل إجماع السلف رحمهم الله تعالى على وجوب طاعة الإمام المسلم وعدم الخروج عليه ما يلي:

- الطحاوي رحمه الله: "ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا وإن جاروا ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله عز وجل فريضة ما لم يأمروا بمعصية وندعو لهم بالصلاح والمعافاة"(٢).

- وقال الإمام الصابوني رحمه الله تعالى مبيناً عقيدة السلف وأصحاب الحديث في مسألة طاعة ولي الأمر وعدم الخروج عليه: " ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلم براً كان أو فاجراً، ويرون جهاد الكفرة معهم وإن كانوا جورة فجرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح، ولا يرون الخروج عليهم وإن رأوا منهم العدول عن العدل إلى الجور والحيف"(٣).

- ونقل الإمام النووي رحمه الإجماع على تحريم الخروج على ولاة الأمر، قال: " لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكراً محققاً تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم وقولوا بالحق حيث ما كنتم، وأما الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقه ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق"(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الأحكام (باب:السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية) برقم:٧١٤٢

(٢) شرح الطحاوية (٣٠٣).

(٣) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني(٢٩٤).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٢/١٩٢).

– وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي ﷺ ؛ لأن الفساد في القتال والفتنة أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة فلا يدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان، إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته"(١).

وممن خالف إجماع أهل السنة والجماعة في هذه المسألة الخوارج(٢) والمعتزلة ومن نحا نحوهم ممن ينقل أقوالاً شاذة، أو يحتج بحججٍ واهية على نقض هذا الإجماع، ومن هؤلاء أيضاً من يقول: " الجهاد ضد الكفر: في حالة حكم بلاد المسلمين من قبل حاكم لم يصل للحكم بطريقة شرعية (من خلال رضا أغلبية الأمة وبيعتهم له) أو حاكم يحكم بغير شرع الله تعالى في الأمور الأساسية (العقيدة السلمية، وإقامة الفروض والحدود، والاستقلالية عن التبعية لأعداء الإسلام) فيجب الجهاد المعنوي لإصلاحه أو تغييره، ويجوز القتال لتغييره"(٣).

وكلامه هذا لا دليل عليه سوى إتباع الهوى، والزيغ عن الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة .

رابعاً / مخالفة إجماع أهل السنة والجماعة على تحريم الغناء .

أجمع أهل السنة والجماعة على تحريم المعازف وآلات اللهو، وقد نقل الإجماع جمٌّ غفير من أهل العلم، وبنو إجماعهم على الأدلة الثابتة من الكتاب والسنة، من ذلك:

عن أبي مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: "ليكونُنَّ من أمتي أقوام، يستحلون الحر والحرير، والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علم، يروح عليهم بسارحة لهم،

---

(١) منهاج السنة النبوية (٤٦٣/٢).

(٢) انظر: (الملل والنحل ١٣٤/١) و (الفرق بين الفِرق ٧٩) و (مقالات الإسلاميين ٧٧).

(٣) جريدة المدينة يوم الأربعاء، ١٤٢٤/١١/٢٢هـ، العدد: ١٤٨٧٥، عمود: (قوالب فكرية!!) الكاتب: د. طارق السويدان، العنوان: قانون الجهاد.

يأتيهم – يعني الفقير – لحاجة فيقولون: ارجع إلينا غدا، فيبيتهم الله، ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة "[(١)]

وأخرج الترمذي من حديث أبي أمامة أن رسول الله ﷺ قال: (لا تبيعوا القينات ولا تشتروهن ولا تعلموهن، ولا خير في تجارة فيهن وثمنهن حرام، في مثل هذا أنزلت هذه الآية ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾[(٢)] [لقمان: ٦]. **وقال** عبد الله بن مسعود ﷺ: " الغناء، والذي لا إله إلا هو، يرددها ثلاث مرات"[(٣)].

وقد أجمعت المذاهب الأربعة على تحريم الغناء، وممن نقل عنهم الإجماع:

– القرطبي رحمه الله: "فقد أجمع علماء الأمصار على كراهة الغناء والمنع منه"[(٤)].

والكراهة عند المتقدمين بمعنى التحريم[(٥)] .

– شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فمذهب الأئمة الأربعة أن آلات اللهو كلها حرام، فقد ثبت في صحيح البخاري وغيره أن النبي ﷺ أخبر أنه سيكون من أمته من يستحل الحر والحرير والخمر والمعازف، وذكر أنهم يمسخون قردة وخنازير[(٦)]، ... ولم يذكر أحد من أتباع الأئمة في آلات اللهو نزاعا"[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الأشربة (باب:ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه) برقم: ٥٥٩٠

(٢) سنن الترمذي كتاب البيوع (باب: ما جاء في كراهية بيع المغنيات) برقم: ١٣٢٨، وحسنه الألباني انظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي للألباني (٤٥/٢) برقم: ١٢٨٢، والسلسة الصحيحة (٢٩٢٢).

(٣) تفسير الطبري (١١٠/٩)، وانظر تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٤٤).

(٤) تفسير القرطبي (٤٦٣/١٦).

(٥) انظر: المبسوط للسرخسي (٢٣٣/١١) و إعلام الموقعين لابن القيم (٣٢/١).

(٦) سبق تخريجه.

(٧) مجموع الفتاوى (٥٧٦/١١).

– الألباني رحمه الله: "اتفقت المذاهب الأربعة على تحريم آلات الطرب كلها"[١].

وقال الشيخ ابن باز: "والمعازف هي الأغاني وآلات الملاهي أخبر النبي ﷺ أنه يأتي آخر الزمان قوم يستحلونها كما يستحلون الخمر والزنا والحرير وهذا من علامات نبوته ﷺ فإن ذلك وقع كله والحديث يدل على تحريمها وذم من استحلها كما يذم من استحل الخمر والزنا والآيات والأحاديث في التحذير من الأغاني وآلات اللهو كثيرة جداً ومن زعم أن الله أباح الأغاني وآلات الملاهي فقد كذب وأتى منكراً عظيماً نسأل الله العافية من طاعة الهوى والشيطان وأعظم من ذلك وأقبح وأشد جريمة من قال إنها مستحبة ولا شك أن هذا من الجهل بالله والجهل بدينه بل من الجرأة على الله والكذب على شريعته"[٢].

ومن اشهر ممن عُرف عنهم مخالفة أهل السنة والجماعة في هذا الأصل، الصوفية[٣] ومن نحا نحوهم حيث جعلوه شعاراً لدعوتهم، بل لا تكاد تجد طريقة من طرق الصوفية إلا وللغناء والطرب الحظ الأوفر والنصيب الأكبر من وسائل دعوتهم، بل إنك لتعجب عندما ترى منهم من جعل الغناء من القربات التي يتقربون بها رب البريات سبحانه.

خامساً / تكفير من لم يحكم بما أنزل الله مطلقاً .

بلا شك مخالف لإجماع السلف ﷺ، حيث نُقِل الإجماع عنهم بخلاف ذلك .

روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤]، قال:" من جحد ما أنزل الله فقد كفر، ومن أقرّ به لم يحكم به فهو ظالم فاسق"[٤].

---

(١) السلسلة الصحيحة (١/١٩٢).

(٢) (مقطع من إجابة سؤال نشر في مجلة الجامعة الإسلامية) بالمدينة النبوية العدد الثالث، السنة الثانية محرم عام ١٣٩٠ هـ (١٨٥، ١٨٦) (مجموع فتاوى ومقالات متنوعة الجزء ٢١).

(٣) انظر: كتاب إحياء علوم الدين للغزالي (٢/٢٩٣).

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٠/٣٧٥) بإسناد حسن، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني (٦/١١٤)

وقال طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله :﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [المائدة: ٤٤] ؛ قال: ليس بالكفر الذي يذهبون إليه"[١].

وممن نقل الإجماع:

- الإمام القرطبي رحمه الله، عند تفسيره لآيات المائدة، قال: " ومقصود هذا البحث: أن هذه الآيات المراد بها أهل الكفر والعناد، وإنها وإن كانت ألفاظها عامة، فقد خرج منها المسلمون، لأن ترك العمل بالحكم مع الإيمان بأصله هو دون الشرك، وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨] ، وترك الحكم بذلك ليس بشرك بالاتفاق، فيجوز أن يغفر والكفر لا يُغفر، فلا يكون ترك العمل بالحكم كفراً"[٢].

وقول القرطبي رحمه الله (بالاتفاق): يعني إجماع أهل السنة والجماعة .

- الإمام السمعاني[٣] رحمه الله في تفسيره: " واعلم أن الخوارج يستدلون بهذه الآية، ويقولون من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر، وأهل السنة قالوا: لا يكفر بترك الحكم.

وللآية تأويلان:

أحدهما: معناه ومن لم يحكم بما أنزل الله ردا وجحدا فأولئك هم الكافرون .

---

(١) أخرجه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٥٢١/٢) بإسناد صحيح، انظر السلسلة الصحيحة للألباني (١١٤/٦).

(٢) المفهم (١١٨/٥).

(٣) الإمام العلامة مفتي خراسان شيخ الشافعية أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد التميمي السمعاني المروزي الحنفي كان ثم الشافعي ولد: سنة ٤٢٦هـ كان شوكا في أعين المخالفين وحجة لأهل السنة توفي سنة ٤٨٩هـ، انظر: (طبقات الشافعية ٣٣٥/٥) و (البداية والنهاية ١٥٣/١٢) و (السير ١٧٧/١٤ وما بعدها) و (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ١٦٠/٥).

والثاني: معناه ومن لم يحكم بكل ما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، والكافر هو الذي يترك الحكم بكل ما أنزل الله دون المسلم"[١].

- شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: " والإنسان متى حلل الحرام - المجمع عليه - أو حرم الحلال - المجمع عليه - أو بدل الشرع - المجمع عليه - كان كافرا مرتدا باتفاق الفقهاء، وفي مثل هذا نزل قوله على أحد القولين: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة: ٤٤]، أي هو المستحل للحكم بغير ما أنزل الله"[٢].

والناظر لقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (المستحل) يجد أن هذا قيدٌ قيَّد به حكمه على تكفير المستحل للحكم بغير ما أنزل الله، أي لابد من توفر الشرط وهو الاستحلال .

وسئل الإمام ابن باز رحمه الله هذا السؤال:

كثير من المسلمين يتساهلون في الحكم بغير شريعة الله، والبعض يعتقد أن ذلك التساهل لا يؤثر في تمسكه بالإسلام، والبعض الآخر يستحل الحكم بغير ما أنزل الله ولا يبالي بما يترتب على ذلك، فما هو الحق في ذلك؟

فأجاب بقوله: هذا فيه تفصيل وهو أن يقال: من حكم بغير ما أنزل وهو يعلم أنه يجب عليه الحكم بما أنزل الله، وأنه خالف الشرع ولكن استباح هذا الأمر، ورأى أنه لا حرج عليه في ذلك، وأنه يجوز له أن يحكم بغير شريعة الله فهو كافر كفرا أكبر عند جميع العلماء ؛ كالحكم بالقوانين الوضعية التي وضعها الرجال من النصارى أو اليهود أو غيرهم ممن زعم أنه يجوز الحكم بها، أو زعم أنها أفضل من حكم الله، أو زعم أنها تساوي حكم الله، وأن الإنسان مخير إن شاء حكم بالقرآن والسنة، وإن شاء حكم بالقوانين الوضعية ... من اعتقد هذا كفر بإجماع العلماء كما تقدم، أما من حكم بغير ما أنزل الله لهوى أو لحظ عاجل وهو يعلم أنه عاص لله ولرسوله، وأنه فعل منكرا عظيما، وأن الواجب عليه الحكم

---

(١) تفسير السمعاني(٢/٤٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٢٦٧).

بشرع الله فإنه لا يكفر بذلك الكفر الأكبر، لكنه قد أتى منكرا عظيما ومعصية كبيرة وكفرا أصغر، كما قال ذلك ابن عباس ومجاهد وغيرهما من أهل العلم، وقد ارتكب بذلك كفرا دون كفر، وظلما دون ظلم، وفسقا دون فسق، وليس هو الكفر الأكبر، وهذا قول أهل السنة والجماعة، وقد قال الله سبحانه: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾[المائدة: ٤٩]، ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[المائدة: ٤٥] ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[المائدة: ٤٧]، ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥]

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠] فحكم الله هو أحسن الأحكام وهو الواجب الأتباع وبه صلاح الأمة وسعادتها في العاجل والآجل وصلاح العالم كله، ولكن أكثر الخلق في غفلة عن هذا. والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"[(١)].

سادساً / مخالفة ما أجمع عليه أهل السنة من صحةِ حديثٍ من أحاديث الرسول ﷺ.

فما أجمع عليه أهل الحديث من سنة المصطفى ﷺ بأنه صحيح، فإنه يجب الإيمان والتصديق والعمل به، فمن ارتضى مخالفة ما أجمع عليه سلف الأمة فإنه يعد مخالفاً لما عليه إجماع أهل السنة والجماعة، وناقضاً لإجماعهم رحمهم الله، وقد نقل الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى الإجماع عن الإمام الشافعي رحمه الله حيث قال: " أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس"[(٢)]. ومن ذلك: أجمعت الأمة على قبول حديث افتراق الأمم عن رسول الله ﷺ، وخرج من

---

(١) فتاوى الشيخ ابن باز رحمه الله (٥/٣٥٥-٣٥٦).

(٢) إعلام الموقعين (٢/٢٠١).

ينقض هذا الإجماع لهوى في النفس أو تلبُّسٍ ببدعة، أو إعراض عن أهل الحق، أو إتباعاً وتقليداً لمن سبقه[1].

قال ابن عبدالهادي رحمه الله تعالى وهو يصف حال من كتب كتاباً ملئَهُ بتصحيح الأحاديث الضعيفة وتقوية الآثار الواهية وردُّ الأحاديث الصحيحة وتضعيفِها، وهو ردٌ على من رد على شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في مسألة شد الرحال إلى القبور:" ورأيت مؤلف هذا الكتاب المذكور رجلاً ممارياً معجباً برأيه متبعاً لهواه ذاهباً في كثير مما يعتقده إلى الأقوال الشاذة والآراء الساقطة، صائراً في أشياء مما يعتمده إلى الشبه المخيلة والحجج الداحضة، وربما خرق الإجماع في مواضع لم يسبق إليها ولم يوافقه أحد من الأئمة عليها"[2].

وقال الإمام يحي العمراني[3] عند حديثه عن الإجماع: "فالقائلون بهذا الأصل هم أهل السنة الذين أفنوا أعمارهم بحصر أقاويل العلماء من الصحابة والتابعين وأئمة الأعصار،كلما ذهب قرنٌ أيد الله الذين بعدهم بقوم على صفتهم بذلك، والمعتزلة والقدرية من هذا بمعزل لوجهين:

أحدهما: أنه لا يعتبر إلا إجماع الفقهاء، والفقه هو: معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد، ولا يعتد بخلاف أهل الكلام الذين لا معرفة لهم إلا بالجواهر والأجسام والأعراض وهذا علم القدرية، ولا ينقل ذلك عن الصحابة والتابعين .

---

(١) انظر: (المباحث العقدية في حديث افتراق الأمم ٤٠٢/١ وما بعدها) فقد أجاد مؤلفه وأفاد في بيان الحكم على الحديث بذكر أقوال الفريقين والترجيح بينهما.

(٢) الصارم المنكي في الرد على السبكي (١٣).

(٣) هو أبو الخير يحيى بن أبي الخير سالم بن أسعد بن يحيى العمراني بن عمران ولد سنة ٤٨٩هـ شيخ الشافعيين بإقليم اليمن صاحب البيان وغيره من المصنفات الشهيرة من قرية من اليمن يقال لها: مصنعة سير كان يحفظ المهذب ويقوم به ليله وشرحه بالبيان نشر العلم ببلاد اليمن ورحل إليه، توفي سنة ٥٥٨هـ، انظر: (تهذيب الأسماء واللغات ٢٧٨/٢) و(طبقات السبكي ٣٣٦/٧).

الثاني: أن أول عصر العلماء هم الصحابة رضي الله عنهم وهم يطعنون عليهم على ما مضى فكيف يسوغ لهم النقل عنهم"[١] .

سابعاً/ مخالفة إجماع أهل السنة والجماعة على أن دية المرأة على النصف من دية الرجل، وقد حكاه ابن المنذر في كتابه الإشراف على مذاهب العلماء[٢]: " أجمع أهل العلم على أن دية المرأة نصف دية الرجل".

وممن نقض هذا الإجماع محمد الغزالي، حيث يقول: " وأهل الحديث يجعلون دية المرأة على النصف من دية الرجل، وهذه سوءة فكرية وخلقية، رفضها الفقهاء المحققون"[٣]

وقول الغزالي هذا كذب وبهتان على الفقهاء، فقد قال الإمام الشافعي رحمه الله: " لم أعلم مخالفا من أهل العلم قديما ولا حديثا في أن دية المرأة نصف دية الرجل وذلك خمسون من الإبل فإذا قضى في المرأة بدية فهي خمسون من الإبل وإذا قتلت عمدا فاختار أهلها ديتها فديتها خمسون من الإبل أسنانها أسنان دية عمد وسواء قتلها رجل أو نفر أو امرأة لا يزاد في ديتها على خمسين من الإبل"[٤].

قال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله: " وهذا تعالم، بل كذب، فمن أولئك الفقهاء المحققون الذين رفضوا هذا ؟ لم يصح خلاف لأحد، إلا أن يعني الغزالي نفسه ! وهو الأظهر فالأمة مجمعة على هذا في النفس، وليس هذا من قول أهل الحديث وحدهم – إلى أن قال - فإذا انكشف لك هذا فعلم – علمت الخير – أن قوله سوءة فكرية وخلقية اتهام لأمة الإسلام ولشريعة الإسلام وشهادة على الصحابة والتابعين والعلماء بعدهم أجمعين بأن إجماعهم وفقههم سوءة في الفكر، بل وفي الخلق، فالفكر فكر سوء، والخلق مذموم هابط هذا مكان هذه الأمة وإجماع علمائها في قلب هذا الرجل.!"[٥].

---

(١) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار(١/١١٥).

(٢) [٧/٣٩٥].

(٣) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث (١٩).

(٤) الأم (٦/١١٤).

(٥) المعيار لعلم الغزالي في كتابه السنة النبوية لصالح آل الشيخ (٢٣-٢٤).

المبحث الرابع:

الاستدلال بمخالفة المعقول الصريح الموافق للنقل الصحيح .

كرم الله تعالى العقل أيما تكريم، حيث جعله مناط التكليف، وبه ميّز الإنسان عن بقية الكائنات، والمتأمل للخطاب القرآني يجده يحث على التفكر والتأمل والتدبر في آيات الله سبحانه وتعالى، ولذلك جعل الله تعالى للعقل وظائف عدة، منها فهم ما أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ من الكتاب والحكمة .

قال ابن حبان[(١)] رحمه الله تعالى:" العقل نوعان، مطبوع ومسموع فالمطبوع منهما كالأرض والمسموع كالبذر والماء، ولا سبيل للعقل المطبوع أن يخلص له عمل محصول دون أن يرد عليه العقل المسموع فينبهه من رقدته ويطلقه من مكامنه يستخرج البذر والماء ما في قعور الأرض من كثرة الربع..

وأفضل قسم اللَّه للمرء عقله ... فليس من الخيرات شيء يقاربه

إذا أكمل الرحمن للمرء عقله ... فقد كملت أخلاقه ومآربه

يعيش الفتى في الناس بالعقل إنه ... على العقل يجري علمه وتجاربه

يزيد الفتى في الناس جودة عقله ... وإن كان محظورا عَلَيْهِ مكاسبه "[(٢)].

وقد جعل الله سبحانه العقل حجة قائمة في إثبات مسائل عقلية احتج بها الكفار والمشركون ومن نحى نحوهم، من ذلك:

قال تعالى: ﴿ لَوْكَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

---

(١) هو الإمام العلامة الحافظ المجود شيخ خراسان أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي الدارمي البستي صاحب الكتب المشهورة ولد سنة بضع وسبعين ومائتين وتوفي سنة ٣٥٤هـ قال الحاكم: كان ابن حبان من أوعية العلم في الفقه واللغة، والحديث والوعظ ومن عقلاء الرجال وقال أبو بكر الخطيب: كان ابن حبان ثقة نبيلا فهما، انظر (السير ١٢/ ٢٦٠ وما بعدها).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١٧).

قال الشيخ السعدي رحمه الله: " إن العالم العلوي والسفلي، على ما يرى، في أكمل ما يكون من الصلاح والانتظام، الذي ما فيه خلل ولا عيب، ولا ممانعة، ولا معارضة، فدل ذلك، على أن مدبره واحد، وربه واحد، وإلهه واحد، فلو كان له مدبران وربان أو أكثر من ذلك، لاختل نظامه، وتقوضت أركانه فإنهما يتمانعان ويتعارضان، وإذا أراد أحدهما تدبير شيء، وأراد الآخر عدمه، فإنه محال وجود مرادهما معا، ووجود مراد أحدهما دون الآخر، يدل على عجز الآخر، وعدم اقتداره واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور، غير ممكن، فإذا يتعين أن القاهر الذي يوجد مراده وحده، من غير ممانع ولا مدافع، هو الله الواحد القهار"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فقد تبين بالقياس العقلي امتناعُ أن يكون معبودٌ إلا الله، كما امتنع أن يكون رب إلا الله، وهذا قصد بقوله: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ قصد نفي إله سواه، ولهذا قيل: ﴿ لَفَسَدَتَاۚ ﴾، وهذا يتضمنُ نَفْيَ رب غيره"(٢).

ومع هذا، فإن للعقل قدرة معينة لا يمكنه تجاوزها، وحدود لا يمكنها تخطيها، فلو تجاوز قدرته، وتخطى حدوده ضل وأضل، وهلك وأهلك .

ولا أدل على ذلك من ضياع أهل الكلام والفلسفة، ومن نحى نحوهم من أهل البدع والأهواء الذين قدموا عقولهم وجعلوها قائدةً لهم، ومحكمة على شرع الله ورسوله ﷺ، فأخذوا ما وافق عقولهم القاصرة، وتركوا ما لم يوافقها، وبهذا ضلوا في أبوابٍ كثيرة، منها:

أبواب القدر واليوم الأخر وباب الصفات وغيرها.

---

(١) تفسير السعدي (٤٩٣).

(٢) جامع المسائل لابن تيمية (١٧٤/٦)، وانظر (درء تعارض العقل والنقل ٣٨٦/٤-٣٨٧).

والعقل عند السلف يقع على أربع معانٍ، وهي[1]:

١/ العلوم الضرورية، يفرق بها بين المجنون الذي رفع القلم عنه وبين العاقل الذي جرى عليه القلم فهذا مناط التكليف.

٢/ العلوم المكتسبة التي تدعو الإنسان إلى فعل ما ينفعه وترك ما يضره.

٣/ العمل بالعلم يدخل في مسمى العقل أيضا بل هو من أخص ما يدخل في اسم العقل الممدوح.

٤/ الغريزة التي بها يعقل الإنسان.

والمتأمل لمنهج أهل السنة والجماعة في أصول الاستدلال عندهم يجد أنهم لا يقبلون من أحدٍ كائناً من كان أن يعارض القرآن الكريم والسنة النبوية بالرأي والقياس والذوق والكشف والإلهام والعقل وغيرها، ومع هذا فهم لا يُهمِلون العقل ولا يُلغونه، بل يُنزِلونه منزلته الصحيحة .

أما أهل البدع والأهواء ومن نحا نحوهم فقد احتجوا بمخالفة المعقول الصريح الموافق للنقل الصحيح، فالمعقول الصريح هو العقل الذي لم تخالطه الشبهات والشهوات، كما أن النقل الصحيح هو ما صح عن الرسول ﷺ .

ولهم في ذلك مسالك عدة، منها:

أولاً / موقفهم من النص الشرعي .

من القواعد المقررة عند أهل السنة والجماعة أن العقل الصريح لا يخالف النقل الصحيح.

---

(١) انظر: (بغية المرتاد ٢٦٠ وما بعدها) و(مجموع الفتاوى ٩/ ٢٨٧ وما بعدها) و (الذريعة إلى مكارم الشريعة ١٣١ وما بعدها) و (الاعتصام ٢٨٢/٣ وما بعدها).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: " كما أن المعقول الصحيح دائر مع أخبارها وجودا وعدما، فلم يخبر الله ولا رسوله بما يناقض صريح العقل، ولم يشرع ما يناقض الميزان والعدل"[(١)].

ولذلك نجد أن الدليل المعتبر عند أهل السنة والجماعة هو الدليل الشرعي، سواء كان سمعياً أو عقلياً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" ثم الشرعي قد يكون سمعياً وقد يكون عقلياً، فإن كون الدليل شرعياً يراد به كون الشرع أثبته ودل عليه، ويراد به كون الشرع أباحه وأذن فيه، فإذا أريد بالشرعي ما أثبته الشرع، فإما أن يكون معلوماً بالعقل أيضاً، ولكن الشرع نبه عليه ودل عليه، فيكون شرعياً عقلياً، وهذا كالأدلة التي نبه الله تعالي عليها في كتابه العزيز، من الأمثال المضروبة وغيرها الدالة علي توحيده وصدق رسله، وإثبات صفاته وعلى المعاد، فتلك كلها أدلة عقلية يعلم صحتها بالعقل، وهي براهين ومقاييس عقلية، وهي مع ذلك شرعية، وإما أن يكون الدليل الشرعي لا يعلم إلا بمجرد خبر الصادق، فإنه إذا أخبر بما لا يعلم إلا بخبره كان ذلك شرعياً سمعياً"[(٢)].

وأما المعتزلة والأشاعرة وأفراخهم المعاصرون أصحاب المدارس العقلية أو التجديدية العصرية جعلوا عقولهم هي الحاكمة على النص الشرعي.

قال القاضي عبد الجبار:"إن الدلالة أربعة: حجة العقل والكتاب والسنة والإجماع، ومعرفة الله تعالى لا تنال إلا بحجة العقل"[(٣)].

وقال الغزالي:"كل ما دل العقل فيه على أحد الجانبين فليس للتعارض فيه مجال إذ الأدلة العقلية يستحيل نسخها، وتكاذبها، فإن ورد دليل سمعي على خلاف العقل فإما أن لا يكون متواترا فيعلم أنه غير صحيح، وإما أن يكون متواترا، فيكون مؤولا، ولا يكون

---

(١) إعلام الموقعين (٢/ ٤٠).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٢١٢).

(٣) شرح الأصول الخمسة (٨٨).

متعارضا، وأما نص متواتر لا يحتمل الخطأ، والتأويل، وهو على خلاف دليل العقل فذلك محال ؛ لأن دليل العقل لا يقبل النسخ والبطلان"(١).

ولا يختلف المعاصرون اليوم عن أسلافهم بأن العقل مقدم على النقل، كما ذكر ذلك محمد عمارة صاحب كتاب (تيارات الفكر الإسلامي)، حيث يقول: " فالعقل هو أول الأدلة، وليس ذلك فقط بل هو أصلها الذي به يعرف صدقها، وبواسطته يكتسب الكتاب والسنة والإجماع قيمة الدليل وحجيته...."(٢).

ولهذا تجد أنهم لا يؤمنون بالأمور الغيبية أو الخارقة للعادة كالجن والملائكة وعذاب القبر، فيحرفونها بما يوافق عقولهم، لأن العقل عندهم هو الأصل والأساس .

ولم يكتفي هؤلاء بهذا الضلال، بل إزدادو ضلالاً وغيا، فبدأ عمرو بن عبيد بالقول برأيه في القرآن الكريم، كما أخرج اللالكائي رحمه الله تعالى ذلك، **قال**:"مر عمرو بن عبيد على أبي عمرو بن العلاء فقال له عمرو: "كيف تقرأ ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ ﴾ [فصلت: ٢٤] ؟ فقال أبو عمرو: ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ ﴾ بفتح الياء ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾ بفتح التاء، فقال له عمرو: «ولكني أقرأ ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ ﴾ بضم الياء، ﴿فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴾ بكسر التاء، فقال أبو عمرو: ومن هنالك أبغض المعتزلة، لأنهم يقولون برأيهم"(٣).

وسار على نهجه محمد أحمد خلف الله في كتابه (الفن القصصي في القرآن الكريم) **حيث قال**: " إنا لا نتحرج من القول بأن القرآن أساطير"(٤)، **وقال** في موضع أخر:" أصبح العقل الإسلامي غير ملزم بالإيمان برأي معين في هذه الأخبار الواردة في القصص القرآني ؛

---

(١) المستصفي (٢٥٢/١).

(٢) تيارات الفكر الإسلامي (٧٠).

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٣٥٥) برقم: ١٣٧٥

(٤) الفن القصصي في القران الكريم (٢٠٧).

وذلك لأنها لم تُبلغ على أنها دين يتبع... ومن هنا يصبح من حق العقل البشري أن يُهمِلَ هذه الأخبار ، أو يجهلها ، أو يخالف فيها ، أو ينكرها"(١).

وقال طه حسين:" للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ، وللقرآن أن يحدثنا أيضا ، ولكن ورود هذين الاسمين في التوراة وبالقرآن لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي"(٢).

وهؤلاء ومن سار على نهجهم، مجدوا العقل وقدموه على النص الشرعي حتى أصبح العقل صنماً يدعون إلى تمجيده .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: " وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحكم هلاكه، وفي أمة إلا فسد أمرها أتم فساد، فلا إله إلا الله كم نفي بهذه الآراء من حق، وأثبت بها من باطل، وأميت بها من هدى، وأحيي بها من ضلالة ؟ وكم هدم بها من معقل الإيمان، وعمر بها من دين الشيطان ؟ وأكثر أصحاب الجحيم هم أهل هذه الآراء الذين لا سمع لهم ولا عقل، بل هم شر من الحمر"(٣).

من ذلك:

١/ قولهم (بتقديم العقل على النقل عند التعارض).

وهذا خلاصة القانون الكلي(٤) الذي وضعه الفخر الرازي(٥)، وقد رد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في كتابه (درء تعارض العقل والنقل) وبيّن بطلان هذا

---

(١) المصدر السابق (٧٤).

(٢) في الشعر الجاهلي لطه حسين، ضمن دراسات نقدية في مجلة فصول العددان ٨٣-٨٤ (ص: ٢٨٨) من المجلة، و (ص: ٢٦) من الكتاب داخل المجلة.

(٣) إعلام الموقعين (١/٥٥).

(٤) انظر أساس التقديس للفخر الرازي (٢٢٠).

(٥) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الإمام فخر الدين الرازي ابن خطيب الري إمام المتكلمين ولد سنة ٥٤٤هـ وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن =

القول، حيث قال رحمه الله: " وهذا الكلام قد جعله الرازي وأتباعه قانوناً كلياً فيما يستدل به من كتب الله تعالى وكلام أنبيائه عليهم السلام، وما لا يستدل به، ولهذا ردوا الاستدلال بما جاءت به الأنبياء والمرسلون في صفات الله تعالى، وغير ذلك من الأمور التي أنبأوا بها، وظن هؤلاء أن العقل يعارضها، وقد يضم بعضهم إلى ذلك أن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين، وقد بسطنا الكلام على قولهم هذا في الأدلة السمعية في غير هذا الموضع"(١).

وهذا القول له من العواقب الوخيمة ما الله به عليم، فالمعتزلة والأشاعرة ومن نحا نحوهم قدموا العقل على النقل كما في تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]. حيث رأو أن إثبات صفة الاستواء مخالفٌ للعقل، إذ يلزم من هذا الإثبات الجسمية، فحدث التعارض بين العقل والنقل، فأرادوا الفرار من التشبيه ولكنهم وقعوا في التعطيل، فكان ولا بد من تأويلها (تحريفها)، كقولهم (استولى) أو (هيمن) وغير ذلك من تحريفات مخالفةٍ لظاهر النقل الصحيح(٢)، ولو أنهم التزموا منهج السلف الصالح رحمهم الله لنجوا من هذا الانحراف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: " وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله: الإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله ﷺ وأجمع عليه سلف الأمة: من أنه سبحانه فوق سمواته على عرشه عليٌ على خلقه وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون كما جمع بين ذلك في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ

السنة والله يعفو عنه توفي سنة ٦٠٦هـ، انظر: (الكامل ٢٧٥/١٠) و (طبقات السبكي ٨١/٨-٨٢) و (السير ٥٤/١٦).

(١) درء تعارض العقل والنقل (٧١/١-٧٢)، وهذا الكتاب من أعظم ما ألف في هذا الباب، وقد أطال شيخ الإسلام في رده كما هي عادته رحمه الله من تفنيد الشبه والرد عليها من خلال قواعد الخصم بالحجج العقلية والأدلة النقلية.

(٢) انظر: المختصر في أصول الدين ضمن رسائل العدل والتوحيد (٢١٦-٢١٧) و شرح الأصول الخمسة (٢٢٦) و إرشاد العقل السليم (٢٣٢/٣) و تعليق الكوثري على الأسماء والصفات للبيهقي (٣٧٧) و تفسير الظلال لسيد قطب (٢٣٢٧/٤) .

عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾ ﴾ [الحديد: ٤]، وليس معنى قوله: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمۡ ﴾ أنه مختلط بالخلق فإن هذا لا توجبه اللغة وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وخلاف ما فطر الله عليه الخلق؛ بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته هو موضوع في السماء؛ وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان؛ وهو سبحانه فوق العرش رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع إليهم إلى غير ذلك من معاني ربوبيته"[(١)].

٢/ قولهم (دلالة القران والسنة ظنية ودلالة العقل قطعية).

وهذا مسلك أخر من مسالك أهل البدع والأهواء، سواء في نظرتهم للنصوص أو المناظرة حولها، ويعد هذا المسلك من المسالك الخطيرة حيث يؤصل لعدم التسليم لنصوص الشرع وبالتي جعلها فرعية من حيث الاستدلال والاعتداد بها.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: " وإن كان قرآنا أو خبرا متواترا قالوا تلك أدلة لفظية معزولة عن إفادة العلم واليقين وغايتها إفادة الظن والتخمين وإن أعجزهم ذلك أو طال عليهم طريقه لجأوا إلى القانون المجتث لقواعد الإيمان الكفيل بالإلحاد والكذب والبهتان الذي جعلوه أصلا لتقديم آرائهم الباطلة على السنة والقرآن وقالوا قد تعارض العقل والنقل ولا سبيل إلى الجمع وتقديم النقل قدح في العقل فتعين تقديم العقل بهذا البرهان والمقصود أنك إذا حققت الأمر على هؤلاء المعارضين لم يكن عندهم إلا رجوع إلى تقليد أسلافهم الماضين"[(٢)].

ومن ذلك ما ذكره الرازي حيث قال: " والدليل اللفظي لا يفيد اليقين إلا عند تيقن أمور عشرة: عصمة رواة مفردات تلك الألفاظ وإعرابها وتصريفها وعدم الاشتراك والمجاز والنقل والتخصيص بالأشخاص والأزمنة وعدم الإضمار والتقديم والتأخير والنسخ وعدم

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤٢/٣).

(٢) الصواعق المرسلة (١١٨٣/٣).

المعارض العقلي الذي لو كان لرجح عليه إذ ترجيح النقل على العقل يقتضي القدح في العقل المستلزم للقدح في النقل لافتقاره إليه فإذا كان المنتج ظنيا فما ظنك بالنتيجة"[(١)].

وعلى هذا فإن الأدلة النقلية لا تفيد اليقين عند هؤلاء المبتدعة لأن الاستدلال بها موقوف على مقدمات ظنية، وعلى دفع المعارض العقلي، وقد بيّن شيخ الإسلام رحمه الله تعالى فساد ذلك المعارِض من وجهين جملةً وتفصيلاً فقال: " أما الجملة، فإنه من آمن بالله ورسوله إيماناً تاماً، وعلم مراد الرسول قطعاً تيقن ثبوت ما أخبر به، وعلم أن ما عارض ذلك من الحجج فهي حجج داحضة من جنس شبه السوفسطائية، كما قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ وَلَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾ [الشورى: ١٦].

وأما التفصيل: فبعلم فساد تلك الحجة المعارضة، وهذا الأصل نقيض الأصل الذي ذكره طائفة من الملحدين، كما ذكره الرازي في أول كتابه نهاية العقول حيث ذكر أن الاستدلال بالسمعيات في المسائل الأصولية لا يمكن بحال لأن الاستدلال بها موقوف على مقدمات ظنية، وعلي دفع المعارض العقلي، وإن العلم بانتقاء المعارض لا يمكن، إذ يجوز أن يكون في نفس الأمر دليل عقلي يناقض ما دل عليه القرآن، ولم يخطر ببال المستمع"[(٢)].

ثانياً: الطعن في الصحيحين ومحاولة إسقاطهما، لأجل الاعتداد بالعقل والرأي مع الاستدلال بالأحاديث الضعيفة.

وأقطاب هذا الانحراف هم أفراخ المعتزلة ممن يسمون أنفسهم بالعقلانيين، حيث أنهم لا يألون جهداً في الطعن في الصحيحين، وتمجيد أسلافهم من المعتزلة، والتنقص من الحديث وأهله، **قال** أبو رية عند تعريفه بكتابه (أضواء على السنة المحمدية): " وانتهيت إلى حقائق عجيبة ونتائج خطيرة!! ذلك أني وجدت أنه لا يكاد يوجد في كتب الحديث كلها مما سموه صحيحا، أو ما جعلوه حسنا — حديث - قد جاء على حقيقة لفظه ومحكم

---

(١) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي (٥١).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٨٤/١).

تركيبه، كما نطق الرسول به، ووجدت أن الصحيح منه على اصطلاحهم إن هو إلا معان مما فهمه بعض الرواة ! وقد يوجد بعض ألفاظ مفردة بقيت على حقيقتها في بعض الأحاديث القصيرة وذلك في الفلتة والندرة، وتبين لي أن ما يسمونه في اصطلاحهم حديثا (صحيحا) إنما كانت صحته من في نظر رواته لا أنه صحيح في ذاته، وأن ما يقال عنه (متفق عليه) ليس المراد أنه متفق على صحته في نفس الأمر، وإنما المراد أن البخاري ومسلم قد اتفقا على إخراجه..."[١].

والمتأمل لكلام أبي رية يجده جاهلاً جهلاً فاحشاً، حيث أن أئمة الدين قد تلقوا الصحيحين بالقبول وبنو عليه أحكام الدين والفقه، وأجمعوا على أن أعلاها وأصحها ما أتفق عليه البخاري ومسلم .

قال ابن الصلاح[٢] رحمه الله في مقدمته عند انتهائه من ذكر أقسام الحديث:" وأعلاها الذي يقول فيه أهل الحديث كثيرا: (صحيح متفق عليه)، يطلقون ذلك ويعنون به اتفاق البخاري ومسلم، لا اتفاق الأمة عليه، لكن اتفاق الأمة عليه لازم من ذلك وحاصل معه، لاتفاق الأمة على تلقي ما اتفقا عليه بالقبول، وهذا القسم جميعه مقطوع بصحته والعلم اليقيني النظري واقع به، خلافا لقول من نفى ذلك، محتجا بأنه لا يفيد في أصله إلا الظن، وإنما تلقته الأمة بالقبول، لأنه يجب عليهم العمل بالظن، والظن قد يخطئ"[٣].

---

(١) أضواء على السنة المحمدية لأبي رية (٧-٨).

(٢) الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام تقي الدين أبو عمرو عثمان ابن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري الموصلي الشافعي صاحب (علوم الحديث) ولد سنة ٥٧٧ هـ تفقه على والده بشهرزور ثم اشتغل بالموصل مدة توفي سنة ٦٤٣هـ، انظر: (السير١٦/٤١٢) و(طبقات السبكي ٨/٣٢٦).

(٣) معرفة أنواع الحديث المعروف بمقدمة ابن الصلاح (٢٨).

وقال النووي رحمه الله تعالى:"اتفق العلماء رحمهم الله على أن أصح الكتب بعد القرآن العزيز الصحيحان البخاري ومسلم وتلقتهما الأمة بالقبول وكتاب البخاري أصحهما وأكثرهما فوائد ومعارف ظاهرة وغامضة"[(١)].

وقال ابن القيم رحمه الله: " واعلم أن جمهور أحاديث البخاري ومسلم من هذا الباب كما ذكره الشيخ أبو عمرو ومن قبله من العلماء كالحافظ أبي طاهر السلفي وغيره، فإن ما تلقاه أهل الحديث وعلماؤه بالقبول والتصديق فهو محصل للعلم مفيد لليقين، ولا عبرة بمن عداهم من المتكلمين والأصوليين، فإن الاعتبار في الإجماع على كل أمر من الأمور الدينية بأهل العلم به دون غيرهم، كما لم يعتبر في الإجماع على الأحكام الشرعية إلا العلماء بها دون المتكلمين والنحاة والأطباء، كذلك لا يعتبر في الإجماع على صدق الحديث وعدم صدقه إلا أهل العلم بالحديث وطرقه وعلله، وهم علماء أهل الحديث العالمون بأحوال نبيهم، الضابطون لأقواله وأفعاله المعتنون بها أشد من عناية المقلدين بأقوالهم متبوعيهم، فكما أن العلم بالتواتر ينقسم إلى عام وخاص، فيتواتر عند الخاصة ما لا يكون معلوما لغيرهم فضلا أن يتواتر عندهم، فأهل الحديث لشدة عنايتهم بسنة نبيهم وضبطهم لأقواله وأفعاله وأحواله يعلمون من ذلك علما لا يشكون فيه مما لا شعور لغيرهم به البتة"[(٢)].

والمتأمل لمؤلفات أبي رية يجد أنه ينظر للحديث وأهله بمنظار المعتزلة و الرافضة ومن نحا نحوهم، حيث يزن الحديث متناً وسنداً بعقله القاصر وهواه الغادر، فما قبله عقله وهواه صح عنده، وما أعترض عليه عقله وهواه ضعف عنده وسقط، ولا غرابة في ذلك، فقد قدم له في كتابه (شيخ المضيرة أبو هريرة) الرافضي الخبيث صدر الدين شرف الدين ابن الهالك عبد الحسين شرف الدين الذي كان له فضل على أبي رية، إذ أنه استقى أبرز طعونه في الحديث وأهله من كتابه (أبو هريرة) حيث نقل عنه جملة من الطعون في أبي هريرة رضي الله عنه، وليس المراد من ذلك أبا هريرة رضي الله عنه بل سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، لأنه بالطعن في حملة السنة وإسقاطهم، إسقاط للسنة النبوية .

---

(١) المنهاج بشرح صحيح مسلم(١/٣٥).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (٥٦٣).

قال الإمام مالك رحمه الله: " إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه حتى يقال: رجل سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين"(١).

وقال أبو زرعة الرازي رحمه الله: " إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح أوْلى بهم وهم زنادقة"(٢).

ومن تلك الطعون التشكيك في كمية الحديث الذي رواه الصحابي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه نقلاً عن الرافضي الخبيث عبد الحسين تحت قوله: ملاحظة دقيقة لمن يفهم، قال:" للعلامة الكبير السيد عبد الحسين شرف الدين كلمة قيمة علق بها على كمية حديث أبي هريرة التي بلغت ...."(٣)، ثم أخذ يثني على شيخه الرافضي الخبيث وعلى طعنه بأبي هريرة رضي الله عنه وكما هو معلوم أن المراد من ذلك إبطال سنة الرسول ﷺ، فقال:" وقد فند هذا الزعم الباطل ودحضه العلامة عبد الحسين شرف الدين بأدلة قاطعة وترى كلامه في ذلك فيما زعم أبو هريرة في أمر (بسط الثوب)"(٤).

ومن خير ما قيل في محمود أبو رية ومن هو على شاكلته، ما كتبه وسطره مصطفى السباعي، حيث قال:"هذا هو أبو ريّةَ على حقيقتهِ، جاهلٌ يبتغي الشُهرةَ في أوساطِ العلماءِ، وفاجرٌ يبتغى الشهرةَ بإثارةِ أهلِ الخيرِ، ولعمري إنَّ أشقى النّاسِ من ابتغى الشهرةَ عندَ المنحرفينَ والموتورينَ بلعنةِ اللهِ والملائكةِ والنّاسِ أجمعينَ"(٥).

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٤٢٩).

(٢) تهذيب الكمال (١٩/٩٦).

(٣) شيخ المضيرة أبو هريرة لأبي رية (١٤٤-١٤٥).

(٤) المصدر السابق (١٤٦).

(٥) السنة ومكانتها للسباعي (٤٦٧).

المبحث الخامس:

عرض النصوص المتشابهة في الدعوة إلى الله تعالى (الاستدلال بالمتشابه).

منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله تعالى هو الاستدلال بالمحكم في الأصول، ورد المتشابه للمحكم.

قال ابن القيم رحمه الله بعد أن ذكر طريقة الذين يتمسكون بالمتشابه في رد المحكم مبيناً طريقة السلف رحمهم الله: "وهي أنهم يردون المتشابه إلى المحكم، ويأخذون من المحكم ما يفسر لهم المتشابه ويبينه لهم، فتتفق دلالته مع دلالة المحكم، وتوافق النصوص بعضها بعضا، ويصدق بعضها بعضا، فإنها كلها من عند الله، وما كان من عند الله فلا اختلاف فيه ولا تناقض، وإنما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره"(١).

وقال ابن رجب رحمه الله تعالى: " وإنما القطعيات ما جاء عن الله ورسوله من الآيات المحكمات البينات، والنصوص الواضحات، فترد إليها المتشبهات، وجميع كتب الله المنزلة متفقة على معنى واحد، وإن ما فيها محكمات ومتشابهات، فالراسخون في العلم يؤمنون بذلك كله، ويردون المتشابهة إلى المحكم، ويكلون ما أشكل عليهم فهمه إلى عالمه، والذين في قلوبهم زيغ يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فيضربون كتاب الله بعضه ببعض، ويردون المحكم، ويتمسكون بالمتشابه ابتغاء الفتنة، ويحرفون المحكم عن مواضعه، ويعتمدون على شبهات وخيالات لا حقيقة لها، بل هي من وسواس الشيطان وخيالاته، يقذفها في القلوب، فأهل العلم والإيمان يمتثلون في هذه الشبهات ما أمروا به من الاستعاذة بالله، والانتهاء عما ألقاه الشيطان، وقد جعل النبي ﷺ ذلك من علامات الأيمان "(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى:" وأهل العلم الراسخون فيه، يردون المتشابه إلى المحكم؛ لتكون النصوص كلها محكمة، ولا يتبع المتشابه ويعرض عن المحكم إلا من كان

(١) إعلام الموقعين (٢/٢٠٩-٢١٠).

(٢) فتح الباري لابن رجب (٤/٢٨٣-٢٨٤).

في قلبه زيغ؛ لقول الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ ﴾"[1][آل عمران: ٧].

والمتأمل لحال الدعاة اليوم يجد أن الكثير منهم يستدل بالمتشابه ويتشبث به، ويترك المحكم ويعرض عنه، ولا شك أن هذا المسلك الخطير هو مسلكٌ من مسالك أهل الأهواء والبدع، الذين يحتجون بالمتشابه على تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، وبالتالي ضرب القران الكريم بعضه ببعض، فقد روى البخاري، عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧]، قالت: قال رسول الله ﷺ: (فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم)"[2].

و كذلك فسرها ابن عباس رضي الله عنهما، كما أخرج الآجري رحمه الله تعالى أنه ذُكر لابن عباس الخوارج وما يصيبهم عند قراءة القرآن؟ قال:" يؤمنون بمحكمه، ويضلون عن متشابهه وقرأ ﴿ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٧] والراسخون في العلم يقولون آمنا به"[3].

وقصة عمر رضي الله عنه مع صَبيغ بن عسل الذي كان يسأل عن متشابه القرآن مشهورة حيث أخرج جمعٌ من أهل العلم: " أن صبيغاً العراقي جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين حتى قدم مصر ، فبعث به عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فلما أتاه الرسول بالكتاب فقرأه قال: أين الرجل؟ قال: في الرحل ، قال عمر رضي الله عنه: أبصر أن

(١) الشرح الممتع (١٥/٢٥٣).

(٢) صحيح البخاري كتاب التفسير (باب: ﴿ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ ﴾) برقم: ٤٥٤٧ .

(٣) الشريعة للأجري (٢٤) برقم: ٤٥.

يكون ذهب فتصيبك مني العقوبة الموجعة ، فأتاه به ، فقال عمر ﷺ: تسأل فحدثه ؟ فأرسل عمر ﷺ إلى رطائب الجريد فضربه بها حتى ترك ظهره خبزة ثم تركه حتى برئ ، ثم عاد له ثم تركه حتى برئ فدعا به ليعود له ، فقال له صبيغ: إن كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا ، وإن كنت تريد تداويني فقد والله برئت ، فأذن له إلى أرضه ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري ألا يجالسه أحد من المسلمين ، فاشتد ذلك على الرجل ، فكتب أبو موسى إلى عمر بن الخطاب ﷺ أن قد حسنت هيئته ، فكتب إليه عمر ﷺ أن يأذن للناس يجالسونه"[(١)].

والمبتدعة في عرضهم للمتشابه إنما يريدون نصر بدعتهم، فلا تجد مبتدعاً يعرض ماله وما عليه، **قال** عبد الرحمن بن مهدي[(٢)]:" أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم"[(٣)].

وقال الإمام الشاطبي: " لا تجد مبتدعاً ممن ينسب إلى الملة إلا وهو يستشهد على بدعته بدليل شرعي فينزله على ما وافق عقله وشهوته وهو أمر ثابت في الحكمة الأزلية التي لا مرد لها، قال الله تعالى: ﴿ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ﴾[البقرة: ٢٦] وقال الله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [المدثر: ٣١]، لكن إنما ينساق لهم من الأدلة المتشابه منها لا الواضح والقليل منها لا الكثير، وهو أدل الدليل على أتباع الهوى،

---

(١) أخرجه ابن وضاح في كتاب البدع واللفظ له (١٠٧-١٠٨) وقال محققه إسناده حسن والأثر صحيح، والدارمي في سننه (٢٥٤/١) برقم: ١٥٠، والأجري في الشريعة (٥٨) برقم: ١٥٣.

(٢) هو الإمام عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري اللؤلؤي البصري ولد سنة ١٣٥هـ وكان من كبار أئمة السلف ومن أئمة الحديث الثقات المتقنين ومن أهل الورع والصلاح توفي بالبصرة سنة ١٩٨هـ، انظر: اللباب في تهذيب الأنساب لابن الجوزي (١٣٥/٣-١٣٦) و تهذيب التهذيب لابن حجر (٢٧٩/٦-٢٨١).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٥٩-٦٠)، ولم أجده في كتب السنة المسندة عن عبد الرحمن بن مهدي، بل وجدته يروى عن وكيع كما عند الدارقطني في سننه (كتاب الطهارة، باب: حكم الماء إذا لاقته نجاسة ٢٧/١ ح:٣٦).

فإن المعظم والجمهور من الأدلة إذا دل على أمر بظاهره، فهو الحق، فإن جاء على ما ظاهره الخلاف؛ فهو النادر والقليل، فكان من حق الظاهر رد القليل إلى الكثير، والمتشابه إلى الواضح "[١].

ومن ذلك:

١/ ما يعرضه الخوارج من المتشابه في دعوتهم في تكفير المسلمين وقولهم بأن صاحب الكبيرة خالدٌ مخلدٌ في النار، وتجويزهم الخروج على ولاة أمور المسلمين، كل ذلك كان بسبب التمسك بالمتشابه والدعوة إليه واتخاذه دليلاً وحجة .

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: " وأصل مذهبهم تعظيم القرآن وطلب اتباعه لكن خرجوا عن السنة والجماعة فهم لا يرون اتباع السنة التي يظنون أنها تخالف القرآن"[٢].

فالخوارج قد أقروا بحجية القران الكريم، ولكنهم خالفوا فهم السلف في حقيقته، حتى ضلوا بسبب إتباع المتشابه والدعوة إليه .

قال شيخ الإسلام رحمه الله: " وصاروا يتتبعون المتشابه من القرآن فيتأولونه على غير تأويله من غير معرفة منهم بمعناه ولا رسوخ في العلم ولا اتباع للسنة ولا مراجعة لجماعة المسلمين الذين يفهمون القرآن"[٣].

وقد عقد الإمام الشاطبي رحمه الله باباً في كتابه الاعتصام في مآخذ الاستدلال عند أهل البدع والأهواء، ومن تلك المآخذ اتباع المتشابه والاستدلال به.

قال رحمه الله تعالى: " انحرافهم عن الأصول الواضحة إلى اتباع المتشابهات التي للعقول فيها مواقف، وطلب الأخذ بها تأويلا، كما أخبر الله تعالى في كتابه . إشارة إلى النصارى في قولهم بالثالوثي بقوله: ﴿ **فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ** ﴾ [آل عمران: ٧]، وقد علم العلماء أن كل دليل فيه اشتباه

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/٢٣٤-٢٣٥).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٠٨).

(٣) المصدر السابق (١٣/٢١٠).

وإشكال ليس بدليل في الحقيقة، حتى يتبين معناه ويظهر المراد منه، ويشترط في ذلك أن لا يعارضه أصل قطعي، فإذا لم يظهر معناه لإجمال أو اشتراك، أو عارضه قطعي؛ كظهور تشبيه؛ فليس بدليل؛ لأن حقيقة الدليل أن يكون ظاهرا في نفسه، ودالا على غيره، وإلا؛ احتيج إلى دليل عليه، فإن دل الدليل على عدم صحته؛ فأحرى أن لا يكون دليلا"[(١)].

٢/ الاستدلال بالأحاديث المتشابهة على أن تارك جميع الأعمال بالكلية مؤمن ناقص الإيمان كحديث (لم يعملوا خيراً قط)[(٢)] وحديث البطاقة[(٣)].

فقد سُئل فضيلة الشيخ صالح الفوزان حفظه الله:

هناك بعض الأحاديث التي يستدل بها البعض على أن من ترك جميع الأعمال بالكلية فهو مؤمن ناقص الإيمان كحديث (لم يعملوا خيراً قط) وحديث البطاقة وغيرها من الأحاديث ؛ فكيف الجواب على ذلك ؟

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٥٣/٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا خلص المؤمنون من النار يوم القيامة وأمنوا، فما مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا، بأشد مجادلة له، من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار...الحديث"، برقم: ١١٨٩٨، وقال محققه: إسناده صحيح على شرط الشيخين.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر (٧١٠/١) برقم: ١٩٣٧ عن عبدالله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسع وتسعون سجلا كل سجل مد البصر، ثم يقال له: أتنكر من هذا شيئا؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: ألك عذر، أو حسنة؟ فيهاب الرجل، فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنات، وإنه لا ظلم عليك، فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم، قال: فيوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة)، قال هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

فأجاب حفظه الله:

"هذا من الاستدلال بالمتشابه، هذه طريقة أهل الزيغ الذين قال الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران: ٧].

فيأخذون الأدلة المتشابه ويتركون الأدلة المحكمة التي تفسرها وتبينها .. فلا بد من رد المتشابهة إلى المحكم، فيقال من ترك العمل لعذر شرعي ولم يتمكن منه حتى مات فهذا معذور، وعليه تحمل هذه الأحاديث .. لأن هذا رجل نطق بالشهادتين معتقداً لهما مخلصاً لله عز وجل، ثم مات في الحال أو لم يتمكن من العمل، لكنه نطق بالشهادتين مع الإخلاص لله والتوحيد كما قال ﷺ: (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله فقد حرم دمه وماله)(١). وقال ﷺ: (فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)(٢)، هذا لم يتمكن من العمل مع انه نطق بالشهادتين واعتقد معناهما وأخلص لله عز وجل، لكنه لم يبق أمامه فرصة للعمل حتى مات فهذا هو الذي يدخل الجنة بالشهادتين، وعليه يحمل حديث البطاقة وغيره مما جاء بمعناه، والذين يُخرجون من النار وهم لم يعملوا خيراً قط لأنهم لم يتمكنوا من العمل مع أنهم نطقوا بالشهادتين ودخلوا في الإسلام، هذا هو الجمع بين الأحاديث"(٣).

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان (باب: الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله) برقم: ١٣٠.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري كتاب الأطعمة (باب: الخزيرة) برقم: ٥٤٠١، وصحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة (باب: الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر) برقم:١٤٩٦.

(٣) الإجابات المهمة في المشاكل الملمة (١١٢-١١٣).

المبحث السادس:

استخدام المراء والجدال، والخصومات في الدين، والمناظرات في الدعوة إلى الله تعالى.

المراء في اللغة: من الافتراء والشك، وهو استخراج غضب المجادل، وأصله أن يستخرج الرجل من مناظره كلاما ومعاني الخصومة وغيرها، وهو من قولهم: مريت الشاة، إذا حلبتها واستخرجت لبنها[١].

وفي الاصطلاح: "طعن في كلام الغير لإظهار خلل فيه "[٢].

والمراء منهي عنه لقوله ﷺ: "أنا زعيم ببيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقا...الحديث"[٣].

ولأن المراد من المراء الانتصار على الآخرين ومخاصمتهم ومغالبتهم .

والجدال في اللغة: من جدلت الحبل: إذا أحكمت فتله، فكأن المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه[٤].

والمجادلة: "هي المناظرة لا لإظهار الصواب بل لإلزام الخصم"[٥].

والمجادلة والمخاصمة والمناظرة تأتي بمعنى واحد عند بعض أهل العلم .

قال ابن الأثير: " والمجادلة: المناظرة والمخاصمة "[٦].

---

(١) انظر: تهذيب اللغة (٢٠٤/١٥) ولسان العرب (٢٧٨/١٥).

(٢) فيض القدير للمناوي (١٥٠/٦).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الآداب (باب: في حسن الخلق) برقم:٤٨٠٠، حسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٧٩/٣) برقم:٤٨٠٠ .

(٤) انظر: تاج العروس (١٩٤/٢٨)

(٥) المعجم الوسيط (١١١/١).

(٦) النهاية في غريب الحديث والآثر(٢٤٧/١-٢٤٨).

والجدال في الاصطلاح: هو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وهو متعلق بإظهار المذاهب وتقريرها[١].

وقد جاء ذم المراء والجدال المذموم واستخدام الخصومات في القران الكريم والسنة النبوية وآثار السلف، من ذلك:

أولاً: من القران الكريم .

قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

قال الطبري رحمه الله تعالى في تفسيره: " وهذا نعت من الله تبارك وتعالى للمنافقين، بقوله جل ثناؤه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ ﴾ يا محمد ظاهر قوله وعلانيته، ويستشهد الله على ما في قلبه، ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾، جدل بالباطل"[٢].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾ [الحج: ٨].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره: " ذكر في هذه حال الدعاة إلى الضلال من رؤوس الكفر والبدع فقال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾ أي بلا عقل صحيح، ولا نقل صحيح صريح، بل بمجرد الرأي والهوى"[٣].

ثانياً: السنة النبوية .

عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ﷺ قال: " إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم"[٤].

---

(١) انظر: تاج العروس (٢٨/١٩٤) و التعريفات (٧٥).

(٢) تفسير الطبري (٣/٣٤٠-٣٤١).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/١٢٤١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب المظالم (باب: قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴾) برقم: ٢٤٥٧ .

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: " الأبغض هو الكافر فمعنى الحديث أبغض الرجال الكفار الكافر المعاند أو بعض الرجال المخاصمين، قلت والثاني هو المعتمد وهو أعم من أن يكون كافرا أو مسلما فإن كان كافرا فأفعل التفضيل في حقه على حقيقتها في العموم وإن كان مسلما فسبب البغض أن كثرة المخاصمة تفضي غالبا إلى ما يذم صاحبه أو يخص في حق المسلمين بمن خاصم في باطل"[1].

وقال النووي رحمه الله:" والألد شديد الخصومة مأخوذ من لديدي الوادي وهما جانباه لأنه كلما احتج عليه بحجة أخذ في جانب آخر وأما الخصم فهو الحاذق بالخصومة والمذموم هو الخصومة بالباطل في رفع حق أو إثبات باطل والله أعلم"[2].

عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ : "(ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل) ثم تلا هذه الآية ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨]"[3].

والمراد بالجدال هنا:" الخصام بالباطل وضرب الحق به وضرب الحق بعضه ببعض بإبداء التعارض والتدافع والتنافي بينهما لا المناظرة لطلب الثواب مع تفويض إلى الله عند العجز عن معرفة الكنه"[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال: (أيها الناس قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا)، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله ﷺ: (لو قلت: نعم لوجبت، ولما استطعتم)، ثم قال: (ذروني ما تركتكم، فإنما

(١) فتح الباري (٢٦٧/١٣).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٩١/١٦).

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب السنة (باب:اجتناب البدع والجدال) برقم: ٤٨، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف ابن ماجة (٣٤/١-٣٥) برقم:٤٥.

(٤) حاشية السندي (٢٤/١-٢٥).

هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه)"(١).

قال الإمام الأصبهاني رحمه الله تعالى:" فأي أمر أكف لمن يعقل عن التنقيب من هذا، ولم يبلغ الناس يوم قيل لهم هذا القول من الكشف عن الأمور جزءا من مئة جزء مما بلغوا اليوم، وهل هلك أهل الأهواء وخالفوا الحق إلا بأخذهم بالجدل، والتفكير في دينهم فهم كل يوم على دين ضلال وشبهه جديدة، لا يقيمون على دين وإن أعجبهم، إلا نقلهم الجدل والتفكير إلى دين سواه، ولو لزموا السنن وأمر المسلمين وتركوا الجدل لقطعوا عنهم الشك، وأخذوا بالأمر الذي حضهم عليه رسول الله ﷺ ورضيه لهم، ولكنهم تكلفوا ما قد كفوا مؤنتة، وحملوا على عقولهم من النظر في أمر الله ما قصرت عنه عقولهم، وحق لها أن تقصر عنه وتحسر دونه، فهنالك تورطوا"(٢).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:" من حالت شفاعته دون حد من حدود الله، فقد ضاد الله، ومن خاصم في باطل وهو يعلمه، لم يزل في سخط الله حتى ينزع عنه، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال"(٣).

جاء في شرح هذا الحديث أن:" (من خاصم) أي جادل أحدا (في باطل وهو يعلمه) أي يعلم أنه باطل أو يعلم نفسه أنه على الباطل أو يعلم أن خصمه على الحق أو يعلم الباطل أي ضده الذي هو الحق ويصر عليه (حتى ينزع عنه) أي يترك وينتهي عن مخاصمته

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (باب:الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ) برقم: ٧٢٨٨، ومسلم في صحيحه واللفظ له كتاب الحج (باب:فرض الحج مرة في العمر) برقم:٣٢٥٧ .

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/٢٠٠).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأقضية (باب:فيمن يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها) برقم:٣٥٩٧، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٣٩٦/٢) برقم: ٣٥٩٧ .

يقال نزع عن الأمر نزوعا إذا انتهى عنه (ما ليس فيه) أي من المساوىء أسكنه الله (ردغة الخبال)[١]"[٢].

ثالثاً: من آثار السلف رحمهم الله تعالى.

الآثار الواردة عن السلف في ذم المراء والجدال والخصومات كثيرة جداً، ونذكر منها ما يلي:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه بلغه أن قوما يختصمون في القدر ، فمضى عنهم ولم يجلس، ثم قال: " (كفى بك إثمًا ألا تزال مماريًا) ثم انصرف عنهم "[٣].

وقال الأوزاعي:" إذا أراد الله بقوم شرًا ألزمهم الجدل ومنعهم العمل"[٤].

وقال مسلم بن يسار: "إياكم والمراء، فإنها ساعة جهل العالم، وبها يبتغي الشيطان زلته"[٥].

وعن عبد الرحمن بن مهدي رحمه الله قال:" أدركت الناس وهم على الجملة يعني لا يتكلمون ، ولا يخاصمون"[٦].

وقال الشافعي رحمه الله: "المراء في الدين يقسّي القلب ويورث الضغائن"[٧].

---

(١) ردغة الخبال: هي الشيء المختلط من صديد أهل النار، والردغة بسكون الدال وفتحها: طين ووحل كثير، وتجمع على ردغ ورداغ، انظر: (غريب الحديث لابن الجوزي ٣٩٠/١) و (النهاية في غريب الحديث والأثر لأبن الأثير ٢١٥/٢) .

(٢) عون المعبود (٦/١٠).

(٣) القضاء والقدر للبيهقي (٢٩٤) برقم: ٤٥٥ .

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧٠) برقم: ٢٩٦.

(٥) الشريعة للأجري (٤٤) برقم: ١١٢.

(٦) الإبانة الكبرى(٥٢٩/٢).

(٧) السير (٣٨٩/٨).

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى:" أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم ، وترك البدع ، وكل بدعة فهي ضلالة ، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء ، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين"[(١)].

وقال الإمام البربهاري رحمه الله: "واعلم رحمك الله أنه ما كانت زندقة قط، ولا كفر، ولا شك، ولا بدعة، ولا ضلالة، ولا حيرة في الدين، إلا من الكلام، وأهل الكلام، والجدل، والمراء، والخصومة"[(٢)].

وعن الفضيل بن عياض[(٣)]رحمه الله قال: "لا تجادلوا أهل الخصومات فإنهم يخوضون يخوضون في آيات الله"[(٤)].

وعن أبي قلابة قال:"لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون"[(٥)].

وقد بيّن الإمام اللالكائي رحمه الله ما جنته مناظرات أهل البدع والأهواء على الإسلام والمسلمين بعدما فُتِحَ معهم هذا الباب، حيث قال رحمه الله: " فما جني على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة، ولم يكن لهم قهر ولا ذل أعظم مما تركهم السلف على تلك الجملة يموتون من الغيظ كمدا ودردا، ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلا، حتى جاء المغرورون ففتحوا لهم إليها طريقا، وصاروا لهم إلى هلاك الإسلام دليلا، حتى كثرت بينهم المشاجرة، وظهرت دعوتهم بالمناظرة، وطرقت أسماع من لم يكن عرفها من الخاصة

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٧٦) برقم: ٣١٧.

(٢) شرح السنة للبربهاري (٨٧).

(٣) الإمام القدوة الثبت شيخ الإسلام أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي ارتحل ارتحل في طلب العلم ثم انتقل إلى مكة شرفها الله تعالى وجاور بها إلى أن مات في المحرم سنة:١٨٧هـ رضي الله عنه، انظر: (السير ٦١٣/٧) و (وفيات الأعيان ٤٩/٤).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦٠) برقم: ٢٢٣

(٥) أخرجه الدارمي في سننه (٣٨٧/١) برقم:٤٠٥، وقال محققه: إسناده صحيح، واللالكائي في شرح شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦٣) برقم: ٢٤٤.

والعامة، حتى تقابلت الشبه في الحجج، وبلغوا من التدقيق في اللجج، فصاروا أقرانا وأخدانا، وعلى المداهنة خلانا وإخوانا، بعد أن كانوا في الله أعداء وأضدادا، وفي الهجرة في الله أعوانا، يكفرونهم في وجوههم عيانا، ويلعنونهم جهارا، وشتان ما بين المنزلتين، وهيهات ما بين المقامين"(١).

وقال الإمام الأصبهاني رحمه الله تعالى عند كلامه على حديث رسول الله ﷺ وقد تركت فيكم أيها الناس ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا أمرا بينا كتاب الله وسنة نبيكم"(٢).

حيث قال رحمه الله: " فقرن رسول الله ﷺ بينهما، ولم يذكر في أثر كتاب الله وسنة نبيه ﷺ شيئا وأيم الله إن كنا لتلتقط من أهل الفقه والثقة ونتعلمها شبيها بتعلمنا آي القرآن، وما برح من أدركنا من أهل الفضل والفقه من خيار أولية الناس يعيبون أهل الجدل والتنقيب، ويعيبون الأخذ بالرأي أشد العيب وينهون عن لقائهم ومجالستهم ويحذرونا مقاربتهم أشد التحذير، ويخبرونا أنهم أهل ضلال وتحريف لتأويل كتاب الله وسنن رسوله ﷺ وما توفي رسول الله ﷺ حتى كره المسائل والتنقيب والبحث عن الأمور وزجر عن ذلك وحذر المسلمين في غير موطن حتى"(٣).

وبعد هذا النقل، قد يعترض معترض بأن الصحابة ﷺ والسلف من بعدهم رحمهم الله تعالى قد حصل بينهم جدل ومناظرات، وهذا صحيح، فقد قسّم أهل العلم الجدال إلى قسمين، كما ذكر ذلك الإمام النووي رحمه الله تعالى حيث **قال:**" واعلم أن الجدال قد يكون بحقّ وقد يكون بباطل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] وقال تعالى:﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٥).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب العلم (١٧١/١) برقم: ٣١٨، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم: ١٧٦١ (٣٥٥/٤).

(٣) الحجة في بيان المحجة (١٩٩/١-٢٠٠).

وقال تعالى: ﴿ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ [غافر: ٤] فإن كان الجدالُ للوقوفِ على الحقّ وتقريرِه كان محموداً، وإن كان في مدافعة الحقّ، أو كان جدالاً بغير علم كان مذموماً"[١].

وبناء على هذا يمكننا القول بأن الجدال قسمان، هما:

١/ جدال محمود: وهو الجدال الذي يكون في الدعوة إلي دين الله تعالى و الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبيان الحق كما أرشد القرآن الكريم إليه في قوله تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال الطبري رحمه الله تعالى:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ ﴿ ٱدۡعُ ﴾ يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته﴿ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ يقول: إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقه، وهو الإسلام﴿ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾ يقول بوحي الله الذي يوحيه إليك وكتابه الذي ينزله عليك ﴿ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾ يقول: وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكرهم بها في تنزيله، كالتي عدد عليهم في هذه السورة من حججه، وذكرهم فيها ما ذكرهم من آلائه ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ يقول: وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك"[٢].

وقد أجاب ابن بطة[٣] رحمه الله تعالى بعد أن ذكر بعض الروايات في التحذير من المراء والمجادلة المذمومة عن هذه الشبهة فقال رحمه الله تعالى:" فإن قال قائل فهذا النهي

---

(١) الأذكار للنووي (٣٣٠).

(٢) تفسير الطبري (٧/٢٨٥).

(٣) هو الإمام القدوة العابد المحدث شيخ العراق عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان أبو عبد الله العكبري المعروف بابن بطة مصنف كتاب "الإبانة الكبرى" في ثلاث مجلدات كان أحد الفقهاء على مذهب أحمد بن حنبل توفي سنة ٣٨٧هـ، انظر: (تاريخ بغداد ١٠/٣٧٠) و (طبقات الحنابلة ٢/١٤٤) و (السير ١٢/٥٧٢).

والتحذير عن الجدل في الأهواء ، والمماراة لأهل البدع قد فهمناه ، ونرجو أن تكون لنا فيه عظة ومنفعة ، فما نصنع بالجدل والحجاج فيما يعرض من مسائل الأحكام في الفقه ، فإنا نرى الفقهاء وأهل العلم يتناظرون على ذلك كثيرا في الجوامع والمساجد ، ولهم بذلك حلق ومساجد ، فإني أقول له: هذا لست أمنعك منه ، ولكني أذكر لك الأصل الذي بنى المسلمون أمرهم عليه في هذا المعنى ، كيف أسسوه ووضعوه ، فمن كان ذلك الأصل أصله ، وهو قصده ومعوله ، فالحجاج والمناظرة له مباحة ، وهو مأجور ، ثم أنت أمين الله على نفسك ، فهو المطلع على سرك ، فاعلم رحمك الله أن أصل الدين النصيحة ، وليس المسلمون إلى شيء من وجوه النصيحة أفقر ولا أحوج ، ولا هي لبعضهم على بعض أفرض ولا ألزم من النصيحة في تعليم العلم الذي هو قوام الدين وبه أديت الفرائض إلى رب العالمين"[١].

وعلى هذا يُحمل كلام السلف رحمهم الله تعالى في مدح الجدال والمناظرات فيما بينهم، **قال** ابن عبد البر[٢] رحمه الله: " وأما الفقه فأجمعوا على الجدال فيه والتناظر؛ لأنه علم يحتاج فيه إلى رد الفروع على الأصول للحاجة إلى ذلك وليس الاعتقادات كذلك؛ لأن الله عز وجل لا يوصف عند جماعة أهل السنة إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسول الله ﷺ، أو أجمعت الأمة عليه وليس كمثله شيء فيدرك بقياس أو بإنعام نظر"[٣].

ومن تلك الروايات، ما أخرجه ابن عبد البر رحمه الله عن أسد بن الفرات، يقول:"بلغني أن قوما كانوا يتناظرون بالعراق في العلم فقال قائل: من هؤلاء؟ فقيل له: قوم يقتسمون ميراث محمد ﷺ "[٤].

---

(١) الإبانة الكبرى (٢/٤٥٤).

(٢) هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري الأندلسي القرطبي المالكي المحدث الفقيه الثقة صاحب المصنفات الفائقة كالتمهيد والاستذكار الاستيعاب وغيرها ولد سنة ٣٦٨هـ وتوفي سنة: ٤٦٣هـ، انظر: (السير ١٣/٥٠٥) و(شذرات الذهب ٣/٣١٤).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/٩٢٩).

(٤) المصدر السابق (٢/٩٧٢).

وما روي عن عمر بن عبد العزيز ومالك رحمهما الله قولهم: "رأيت ملاحاة الرجال تلقيحا لألبابهم"(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: " وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ [النساء: ٥٩] وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية مع بقاء الألفة والعصمة وأخوة الدين"(٢).

٢/ جدال مذموم: وهو الاسترسال في الكلام بغير بينة ولا دليل ولكن بقصد الانتصار والغلبة والمخاصمة، كما قال الله تعالى: ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَۢاۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف: ٥٨].

فهذا الجدل لأجل الجدال والخصومة فقط، لا لطلب حق ودفع باطل .

قال الطبري رحمه الله تعالى:" يقول تعالى ذكره: ما مثلوا لك هذا المثل يا محمد ولا قالوا لك هذا القول إلا جدلا وخصومة يخاصمونك به ﴿ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ ما بقومك يامحمد هؤلاء المشركين في محاجتهم إياك بما يحاجونك به طلب الحق ﴿ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ ﴾ يلتمسون الخصومة بالباطل"(٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ ﴾ [غافر: ٥].

وهذا الجدل هو مدافعة للحق بالباطل ظلماً وعدواناً بعد بيان الحق وظهوره بالبينة والبرهان.

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) مجموع الفتاوى (١٧٢/٢٤).

(٣) تفسير الطبري (٥٤/١٠).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:" ما يدفع الحق ويجادل فيه بعد البيان وظهور البرهان إلا الذين كفروا أي الجاحدون لآيات الله وحججه وبراهينه"(١).

ومن ذلك المجادلة بالمتشابه من القران الكريم، كما أخبر الله تعالى عن أهل الزيغ أنهم يأخذون بالمتشابه لإمكانهم تحريفه إلى مقاصدهم الفاسدة، قال الله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧].

قال أيوب السختياني(٢) رحمه الله: "لا أعلم اليوم أحدا من أهل الأهواء يخاصم إلا بالمتشابه"(٣).

ومن ذلك المراء في القران الكريم، فقد أخرج أبو داود في سننه عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: "المراء في القرآن كفر"(٤).

واختلف في تأويل هذا الحديث على أقوال، منها:

القول الأول: أن المراد اللفظ دون التأويل .

وهو اختيار أبي عبيد القاسم بن سلام حيث **قال** رحمه الله: "وجه الحديث عندنا ليس على الاختلاف في التأويل ولكنه عندنا على الاختلاف في اللفظ على أن يقرأ الرجل القراءة على حرف فيقول له الآخر: ليس هكذا ولكنه كذا على خلافه وقد أنزلهما الله

---

(١) تفسير ابن كثير (١٦٣٢/٤).

(٢) أبو بكر أيوب ابن أبي تميمة كيسان السختياني البصري ولد سنة ٦٨هـ، قال عنه ابن سعد في الطبقات:كان ثقة ثبتا في الحديث جامعا عدلا ورعا كثير العلم حجة. توفي سنة ١٣١هـ، انظر: (الطبقات الكبرى ١٨٣/٧ وما بعدها) و (تهذيب التهذيب ٣٩٧/١) .

(٣) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٥٠١/٢) برقم: ٥٦٠.

(٤) سنن أبي داود كتاب السنة (باب:النهي عن الجدال في القران) برقم: ٤٦٠٣، وقال عنه الألباني حسن صحيح، انظر:صحيح وضعيف سنن أبي داود للألباني (١١٧/٣) برقم:٤٦٠٣

جميعا ... فإذا جحد هذان الرجلان كل واحد منهما ما قرأ صاحبه لم يؤمن أو قال: يقمن أن يكون ذلك قد أخرجه إلي الكفر لهذا المعنى"(١).

القول الثاني: الشك والجحود في القران الكريم .

قال المناوي رحمه الله: " أي الشك في كونه كلام الله (كفر) أو المراد الخوض فيه بأنه محدث أو قديم والمجادلة في الآي المتشابهة المؤدي ذلك إلى الجحود والفتن وإراقة الدماء فسماه باسم ما يخاف عاقبته"(٢).

القول الثالث: أن المراد الجدالُ والمراء بالقرآن في الآي التي فيها ذكر القدر والوعيد .

قال الخطابي رحمه الله: " إنما جاء هذا في الجدال بالقرآن في الآي التي فيها ذكر القدر والوعيد وما كان في معناهما على مذهب أهل الكلام والجدل وعلى معنى ما يجري من الخوض بينهم فيها دون ما كان منها في الأحكام وأبواب التحليل والتحريم والحظر والإباحة فإن أصحاب رسول الله ﷺ قد تنازعوها فيما بينهم وتحاجوا بها عند اختلافهم في الأحكام ولم يتحرجوا عن التناظر بها وفيها، وقد قال سبحانه ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ٥٩] فعلم أن النهي منصرف إلى غير هذا الوجه والله أعلم"(٣).

وقد جمع الإمام البغوي رحمه الله تعالى هذه الأقوال الثلاثة، فقال:" اختلفوا في تأويله، فقيل: معنى المراء: الشك، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ ﴾ [هود: ١٧] أي: في شك .

وقيل: المراء: هو الجدال المشكك، وذلك أنه إذا جادل فيه، أداه إلى أن يرتاب في الآي المتشابهة منه، فيؤديه ذلك إلى الجحود، فسماه كفرا باسم ما يخشى من عاقبته إلا من عصمه الله.

(١) غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام(٢/١١).

(٢) فيض القدير (٦/٣٥٠).

(٣) معالم السنن للخطابي (٤/٢٩٧).

وتأوله بعضهم على المراء في قراءته، وهو أن ينكر بعض القراءات المروية، وقد أنزل الله القرآن على سبعة أحرف، فتوعدهم بالكفر، لينتهوا عن المراء فيها، والتكذيب بها، إذ كلها قرآن منزل، يجب الإيمان به .

وقيل: إنما جاء هذا في الجدال بالقرآن من الآي التي فيها ذكر القدر والوعيد، وما كان في معناهما على مذهب أهل الكلام والجدل، وفي معناه الحديث الأول دون ما كان منها في الأحكام، وأبواب الإباحة والتحريم، فإن أصحاب رسول الله ﷺ قد تنازعوها فيما بينهم، وتحاجوا بها عند اختلافهم في الأحكام، قال الله عز وجل: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩]"[١].

ومن ذلك (الجدال المذموم): الخوض في مسائل القضاء والقدر، فقد أخرج ابن ماجة رحمه الله عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه، وهم يختصمون في القدر، فكأنما يفقأ في وجهه، حب الرمان من الغضب، فقال:"بهذا أمرتم، أو لهذا خلقتم، تضربون القرآن بعضه ببعض، بهذا هلكت الأمم قبلكم"[٢].

والمراد بالخوض في القدر هنا هو الخوض بالظن وعدم العلم واليقين ومحاولة علم ما لا تهتدي العقول إلى معرفته، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:"إذ الخوض في ذلك-أي القدر- بغير علم تام أوجب ضلال عامة الأمم ولهذا نهى النبي ﷺ أصحابه عن التنازع فيه"[٣].

---

(١) شرح السنة للبغوي (١/٢٦١-٢٦٢).

(٢) سنن ابن ماجة كتاب السنة (باب: في القدر) برقم: ٨٥، قال عنه الألباني حسن صحيح، انظر صحيح وضعيف سنن ابن ماجة للألباني (١/٤٥) برقم: ٦٩

(٣) مجموع الفتاوى (١٨/١٣٧).

ومن ذلك المجادلة في باب الصفات، يقول البغوي رحمه الله تعالى:"واتفق علماء السلف من أهل السنة على النهي عن الجدال والخصومات في الصفات، وعلى الزجر عن الخوض في علم الكلام وتعلمه"(١).

ومن ذلك مناظرات أهل البدع والأهواء علناً أمام عوام المسلمين، لأن المبتدع قد يُلقي شبهة فتعلق في قلب العاميّ ولا يستطيع إزالتها، فقد أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "إن عبد الرحمن بن عوف رجع إلى أهله وهو بمنى، في آخر حجة حجها عمر فوجدني، فقال عبد الرحمن فقلت: يا أمير المؤمنين، إن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم، وإني أرى أن تمهل حتى تقدم المدينة، فإنها دار الهجرة والسنة والسلامة، وتخلص لأهل الفقه وأشراف الناس وذوي رأيهم، قال عمر: لأقومن في أول مقام أقومه بالمدينة"(٢).

والشاهد من هذا الحديث هو قول عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه: (إن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم).

قال ابن هبيرة(٣) رحمه الله: " إن العلم يصان عن غير أهله، ولا يحدث منه الناس إلا بما يرجى ضبطهم له، ألا تراه قال له: (إن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغائهم)، فوافق عمر رضي الله عنه عبدالرحمن رضي الله عنه في صونه نشر العلم عن غير أهله"(٤).

---

(١) شرح السنة للبغوي (١/٢١٦).

(٢) صحيح البخاري كتاب مناقب الأنصار (باب:مقدم النبي ﷺ وأصحابه المدينة) برقم: ٣٩٢٨

(٣) هو الوزير الكامل الإمام العالم العادل عون الدين يمين الخلافة أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد بن الحسن بن جهم الشيباني الدوري، العراقي الحنبلي صاحب التصانيف ولد سنة ٤٩٩هـ دخل بغداد في صباه وطلب العلم وجالس الفقهاء وسمع الحديث وتلا بالسبع وشارك في علوم الإسلام ومهر في اللغة وكان يعرف المذهب والعربية والعروض سلفيا أثريا وكان دينا خيرا متعبدا عاقلا وقورا متواضعا جزل الرأي توفي سنة:٥٦٠هـ انظر: (السير ١٥/١٨١) و(الأعلام ٨/١٧٥).

(٤) الإفصاح عن معاني الصحاح (١/١١٦).

وأخرج ابن بطة رحمه الله عن أبي علي حنبل بن إسحاق بن حنبل[(١)] قال:"كتب رجل إلى أبي عبد الله رحمه الله كتابا يستأذنه فيه أن يضع كتابا يشرح فيه الرد على أهل البدع ، وأن يحضر مع أهل الكلام فيناظرهم ويحتج عليهم ، فكتب إليه أبو عبد الله: (بسم الله الرحمن الرحيم ، أحسن الله عاقبتك ، ودفع عنك كل مكروه ومحذور ، الذي كنا نسمع، وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم أنهم كانوا يكرهون الكلام ، والجلوس مع أهل الزيغ، وإنما الأمور في التسليم ، والانتهاء إلى ما كان في كتاب الله ، أو سنة رسول الله لا في الجلوس مع أهل البدع والزيغ لترد عليهم ، فإنهم يلبسون عليك ، وهم لا يرجعون، فالسلامة إن شاء الله في ترك مجالستهم ، والخوض معهم في بدعتهم وضلالتهم ، فليتق الله امرؤ ، وليصر إلى ما يعود عليه نفعه غدا من عمل صالح يقدمه لنفسه ، ولا يكن ممن يحدث أمرا ، فإذا هو خرج منه أراد الحجة ، فيحمل نفسه على المحال فيه ، وطلب الحجة لما خرج منه بحق أو بباطل ليزين به بدعته وما أحدث ، وأشد من ذلك أن يكون قد وضعه في كتاب قد حمل عنه ، فهو يريد أن يزين ذلك بالحق والباطل ، وإن وضح له الحق في غيره ، ونسأل الله التوفيق لنا و لك ، والسلام عليك)"[(٢)].

وأما ما يتعلق بالرد على المبتدعة وأهل الأهواء وبيان حالهم، فهذا أصلٌ من أصول أهل السنة والجماعة لأنه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن النصيحة للمسلمين، كما في حديث تميم الداري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " الدين النصيحة، قلنا: لمن يا رسول الله ؟ قال: لله و لكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[(٣)].

---

(١) هو حنبل بن إسحاق بن حنبل أبو علي الشيباني ابن عم إمامنا أحمد ذكره الخطيب أحمد بن ثابت فقال: كان ثقة ثبتا، قال وأخبرنا الأزهري قال: سئل الدارقطني عن حنبل فقال كان صدوقا، وذكره أبو بكر الخلال فقال: قد جاء حنبل عن أحمد بمسائل أجاد فيها الرواية وأغرب بغير شيء وإذا نظرت في مسائله شبهتها في حسنها وإشباعها وجودتها بمسائل الأثرم توفي سنة ٢٧٣ هـ انظر:(طبقات الحنابلة ١/٣٨٣).

(٢) الإبانة الكبرى (١/١٧٧-١٧٨).

(٣) سبق تخريجه.

ومن النصيحة للمسلمين كما ذكر ذلك ابن رجب رحمه الله حيث قال:"ومن أنواع النصح لله تعالى وكتابه ورسوله – وهو مما يختص به العلماء – رد الأهواء المضلة بالكتاب والسنة، وبيان دلالتهما على ما يخالف الأهواء كلها كذلك رد الأقوال الضعيفة من زلات العلماء، وبيان دلالة الكتاب والسنة على ردها، ومن ذلك بيان ما صح من حديث النبي ﷺ، وما لم يصح منه بتبيين حال رواته ومن تقبل رواياته منهم ومن لا تقبل، وبيان غلط من غلط من ثقاتهم الذين تقبل روايتهم"[١].

ومنهج أهل السنة والجماعة في الرد على أهل الأهواء والبدع مبني على الكتاب والسنة.

قال الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى:"منهجهم في ذلك مبني على الكتاب والسنة وهو المنهج المقنع حيث يوردون شبه المبتدعة وينقضونها، ويستدلون بالكتاب والسنة على وجوب التمسك بالسنن والنهي عن البدع والمحدثات"[٢].

ومن آثار السلف رحمهم الله تعالى فيما يتعلق بالرد على المبتدعة ما يلي:

١/ قال يحي بن سعيد: "سألت مالكا والثوري والليث بن سعد – أظنه – والأوزاعي عن الرجل يتهم في الحديث أو لا يحفظ ؟ فقالوا: بين أمره.

وقال بعضهم لأحمد بن حنبل: أنه يثقل علي أن أقول فلان كذا وفلان كذا.

فقال: إذا سكت أنت وسكت أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم.

ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة؛ فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مبيناً كلام الإمام أحمد رحمه الله: " فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله؛ إذ تطهير سبيل الله ودينه

---

(١) جامع العلوم والحكم (٨٢).

(٢) كتاب التوحيد (١٥٦).

ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعا وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء"[١].

٢/ كان يحيى بن معين يقول: " الذب عن السنة أفضل من الجهاد "[٢].

ولا يزال علماء المسلمين – والحمد لله – ينكرون البدع ويردون على المبتدعة من خلال الصحف والمجلات والإذاعات وخطب الجمع والندوات والمحاضرات والمؤلفات مما له كبير الأثر في توعية المسلمين والقضاء على البدع وقمع المبتدعين[٣].

وحكى ابن وضاح رحمه الله عن غير واحد أن أسد بن موسى[٤] كتب إلى أسد بن الفرات[٥]:" اعلم أي أخي أنما حملني على الكتاب إليك ما ذكر أهل بلادك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس وحسن حالك مما أظهرت من السنة ، وعيبك لأهل البدعة، وكثرة ذكرك لهم ، وطعنك عليهم ، فقمعهم الله بك ، وشد بك ظهر أهل السنة ، وقواك عليهم بإظهار عيبهم والطعن عليهم ، فأذلهم الله بذلك ، وصاروا ببدعتهم مستترين، فأبشر

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٣١-٢٣٢)

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ١٣)

(٣) كتاب التوحيد للشيخ صالح الفوزان حفظه الله(١٥٨).

(٤) هو الإمام الحافظ الثقة أسد بن موسى بن إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك الأموي يقال له أسد السنة ولد سنة ١٣٢هـ وقد طلب العلم ولقي كبار العلماء وله كتاب الزهد وغيره كان حريصا على السنة شديدا على أهل البدع توفي سنة ٢١٢هـ، انظر: (السير٨/٤٦٧) و(تهذيب التهذيب١/٢٦٠) .

(٥) هو الإمام العلامة القاضي الأمير مقدم المجاهدين أبو عبد الله الحراني ثم المغربي ولد بحران سنة ١٤٤هـ وكان والده الفرات ابن سنان من أعيان الجند ،غلب عليه علم الرأي توفي سنة ٢١٣هـ بعد أن فتح بلدا من جزيرة صقلية، انظر: (السير٩/١٣) و(وفيات الأعيان ٣/١٨٢).

أي أخي بثواب ذلك ، واعتد به أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد ، وأين تقع هذه الأعمال من إقامة كتاب الله وإحياء سنة رسوله"[١].

وخلاصة القول في مناظرة أهل البدع والأهواء هو: أن يغلب الظن على أن المناظر يقبل الحق لو تبين له، وإلا فالمناظرة والمجادلة مع من يغلب على الظن مكابرته ومعاندته وعدم قبوله للحق مذمومة ولذا كان السلف ينهون عن مجادلة أهل البدع لهذا السبب لما كان يغلب على ظنهم عدم رجوعهم وقبولهم للحق كما جاء في رسالة الإمام أحمد رحمه الله[٢].

ونقل الشاطبي رحمه الله تعالى عن رجلٍ كتب إلى الإمام مالك رحمه الله تعالى:" إن بلدنا كثير البدع، وإنه ألف كلاما في الرد عليهم.

فكتب إليه مالك يقول له: إن ظننت ذلك بنفسك، خفت أن تزل فتهلك، لا يرد عليهم إلا من كان ضابطا عارفا بما يقول لهم، لا يقدرون أن يعرجوا عليه، فهذا لا بأس به، وأما غير ذلك، فإني أخاف أن يكلمهم فيخطئ فيمضوا على خطئه، أو يظفروا منه بشيء فيطغوا ويزدادوا تماديا على ذلك"[٣].

---

(١) كتاب البدع لابن وضاح (٨).

(٢) انظر: الإبانة الكبرى (٢/٤٧١) رواها ابن بطة عن حنبل بن إسحاق بن حنبل.

(٣) الاعتصام (١/٣٩).

الفصل الثاني:

المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى أركان الإيمان.

وفيه تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول:

المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى الإيمان بالله تعالى.

المبحث الثاني:

المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى الإيمان بالملائكة والكتب والرسل.

المبحث الثالث:

المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر.

المبحث الرابع:

المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى الإيمان بالقضاء والقدر.

تمهيد:

أركان الإيمان الستة اتفق الرسل عليها، ولم يختلفوا فيها، وهي أصول الدين كما دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، منها:

قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر: ٤٩].

وفي حديث جبريل المتفق عليه، عندما سأل جبريل رسول الله ﷺ عن الإيمان، قال ﷺ: "أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[(١)].

وقد اتفقت عليها جميع الشرائع، ونزلت بها جميع الكتب، فمن جحد شيئا منها فقد خرج من الدين، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ ﴾ [النساء: ١٥٠].

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: " لا نفرق بينهم بأن نؤمن ببعض ونكفر ببعض، بل نؤمن بهم ونصدقهم كلهم، فإن من آمن ببعض وكفر ببعض، كافر بالكل"[(٢)].

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري كتاب الإيمان (باب:سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان...) برقم: ٥٠، وصحيح مسلم واللفظ له كتاب الإيمان (باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ...) برقم: ٩٣.

(٢) شرح الطحاوية (٢٩٢-٢٩٣).

ونقل ابن رجب رحمه الله عن يحي بن يعمر قال:"كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين، فقلنا: لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوافق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكِلُ الكلام إلي، فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن، ويتقفرون العلم، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف.

فقال: إذا لقيت أولئك، فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني، والذي يحلف به عبد الله بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا، فأنفقه، ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر"[(١)].

وفي هذا الفصل سأعرض بإذن الله تعالى لذكر أهم المخالفات العقدية المتعلقة بأركان الإيمان، وبيان ذلك من خلال المباحث الآتية:

(١) جامع العلوم والحكم (٢٥) .

المبحث الأول:

المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى الإيمان بالله تعالى.

الدعوة إلى الإيمان بالله عز وجل هي أول مقام يقوم به الداعية إلى دين الله تعالى، حيث أنها أولُ ما دعا إليه الرسول ﷺ والأنبياء عليهم السلام من قبله .

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى عن نوح عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ٥٩].

قوله تعالى عن هود عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [سورة الأعراف: ٦٥] .

وعن عثمان بن حنيف[١] قال:"كان رسول الله ﷺ مقامه بمكة يدعو الناس إلى الإيمان بالله والتصديق به قولا بلا عمل ، والقبلة إلى البيت المقدس ، فلما هاجر إلينا نزلت الفرائض ، فنسخت المدينة مكة ، والقول لها أم القرى ، ونسخ البيت الحرام بيت المقدس ، فصار الإيمان قولا وعملا"[٢].

(١) هو عثمان بْن حنيف الأَنْصَارِيُّ الأوسي شهد أحدًا والمشاهد بعدها وقال الترمذي وحده أنه شهد بدراً استعمله عُمَر بْن الخطاب رضي الله عنه عَلَى مساحة سواد العراق فمسحه عامره وغامره فمسحه وقسط خراجه واستعمله عليّ رضي الله عنه عَلَى البصرة فبقي عليها إِلَى أن قدمها طلحة والزبير مَعَ عَائِشَة رضي الله عنها فِي نوبة وقعة الجمل فأخرجوه منها ثُمَّ قدم عليّ فكانت وقعة الجمل فلما ظفر بهم عليّ استعمل عَلَى البصرة عَبْد اللَّه بْن عَبَّاس، انظر: (أسد الغابة ٢١٠/٣) و(الإصابة في تمييز الصحابة ١٢٣٤/٢).

(٢) الإبانة الكبرى (٢٨٣/١).

من خلال هذه النصوص يتبين لنا أن الأنبياء عليهم السلام كانوا أول ما يدعون إليه أقوامهم إفراد الله تعالى بالعبادة، وترك عبادة ما سواه .

فقد مكث رسول الله ﷺ مدة من دعوته في ترسيخ العقيدة في النفوس، وتوحيد الله عز وجل ونبذ الشرك وأهله، وإعادة الخلق للفطرة التي فطروا عليها .

فالخلق فطرهم الله تعالى على التوحيد، قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى:" يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ أي: أخرج من أصلابهم ذريتهم، وجعلهم يتناسلون ويتوالدون قرنا بعد قرن، وحين أخرجهم من بطون أمهاتهم وأصلاب آبائهم ﴿ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ أي: قررهم بإثبات ربوبيته، بما أودعه في فطرهم من الإقرار، بأنه ربهم وخالقهم ومليكهم، قالوا: بلى قد أقررنا بذلك، فإن الله تعالى فطر عباده على الدين الحنيف القيم.

فكل أحد فهو مفطور على ذلك، ولكن الفطرة قد تُغير وتُبدل بما يطرأ عليها من العقائد الفاسدة"[١].

وقال الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٣٠].

قال ابن كثير رحمه الله: " فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم، الذي هداك الله لها وكملها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم

---

(١) تفسير السعدي (٢٨٦).

فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره"(١).

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﵁، قال النبي ﷺ: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء"، ثم يقول أبو هريرة ﵁: ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠]"(٢).

وأتت الشياطين فاجتالتهم عن هذه الفطرة ألا وهي توحيد الله تعالى كما، أخرج الإمام مسلم في صحيحة عن عياض بن حمار المجاشعي، أن رسول الله ﷺ، قال ذات يوم في خطبته: " ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا...الحديث"(٣).

فأرسل الله تعالى الرسل وأنزل معهم الكتب لكي يُعِيدُ الناس إلى الفطرة التي فطرهم الله تعالى عليها .

فكان من أعظم مظاهر تلك الفطرة توحيد الله تعالى، وهو المتعلق بالإيمان به سبحانه وتعالى، وما له سبحانه من حقوق على خلقه .

ويكمن ذلك في الإيمان بوجوده وإفراده سبحانه وتعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وأفعاله .

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى: " فأما الإيمان بالله فيتضمَّنُ أربعة أمور:

الإيمان بوجود الله تعالى، و الإيمان بربوبيَّته أي بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين، والإيمان بألوهيَّته أي: بأنه وحده الإله الحق لا شريك له، و الإيمان بأسمائه وصفاته"(٤).

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/١٤٣٥).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) شرح الواسطية (١/٥٥).

ولقد ضل كثير من دعاة المسلمين في هذا الأصل المهم، الذي هو القاعدة و الركيزة التي يرتكز عليها العبد في سيره إلى الله تعالى .

وفي هذه المبحث سأعرض بإذن الله تعالى بعضا من تلك المخالفات العقدية التي يقع فيها الدعاة إلى الله تعالى في هذا الباب، وهي كالتالي:

المطلب الأول:

عدم البدء بالدعوة إلى التوحيد .

الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك هي الأصل الذي دعا إليه أنبياء الله أقوامهم، بل إنه أول واجب يجب عليهم تبليغه، كيف لا، وهو المنهج الذي سنه الله تعالى إلى يوم القيامة لكل من حمل الدعوة إلى هذا الدين .

قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء: ٢٥].

قال القرطبي رحمه الله: " أي قلنا للجميع لا إله إلا الله، فأدلةُ العقل شاهدة أنه لا شريك له، والنقل عن جميع الأنبياء موجود، والدليل إما معقول وإما منقول، وقال قتادة: لم يرسل نبي إلا بالتوحيد، والشرائع مختلفة في التوراة والإنجيل والقرآن، وكل ذلك على الإخلاص والتوحيد"(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله"(٢).

---

(١) تفسير القرطبي (١٩٢/١٤).

(٢) سبق تخريجه .

قال ابن أبي العز لحنفي رحمه الله: " اعلم أن التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل"(١).

وعن عبد الله بن عمرو ﵄ قال:" أن هذه الآية التي في القرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٥]، قال في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله فيفتح بها أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا "(٢).

ولقد كان رسول الله ﷺ يمشي بالأسواق ويقول لقومه:" قولوا لا إله إلا الله تفلحوا"(٣).

واخبر أبو سفيان عن دعوة النبي ﷺ حينما سأله هرقل، ماذا يأمركم ؟ فقال له أبو سفيان:"يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصلاة والزكاة والصدق والعفاف والصلة"(٤).

وحينما أتى وفد عبد القيس سألوا النبي ﷺ أن يأمرهم بأمرٍ فصلٍ يأخذونه عنه ويدعون إليه، فقال لهم ﷺ: " آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع الإيمان بالله، هل تدرون ما

---

(١) شرح الطحاوية (٢١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب التفسير (باب:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾) برقم: ٤٨٣٨

(٣) سبق تخريجه .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب بدء الوحي (باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ) برقم: ٧ .

الإيمـان بـالله؟ شـهادة أن لا إلـه إلا الله، وإقـام الصـلاة، وإيتـاء الزكـاة، وصـوم رمضان...الحديث"[(١)].

بل إن الرسول ﷺ عندما أتاه رجل يسأله عن عمل يدخله الجنة، قال له ﷺ: " تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم"[(٢)].

وأما السلف الصالح ﷺ فقد اهتموا بالدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك، وجعلوه بداية دعوتهم، كما سن ذلك لهم رسول الله ﷺ وأرشدهم إليه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "إن السلف والأئمة متفقون على أن أول ما يؤمر به العباد الشهادتان..."[(٣)].

فعن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل ﷺ حين بعثه إلى اليمن:"(إنك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذ جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم... الحديث)"[(٤)].

فأمره ﷺ أن يبدأ في دعوته لهم بالتوحيد كما أمر الله أنبيائه عليهم السلام بذلك، ثم يتدرج معهم في التشريع إن هم أطاعوه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: " وقد علم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ، واتفقت عليه الأمة أن أصل الإسلام وأول ما يؤمر به الخلق: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله... "[(٥)].

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري كتاب المغازي (باب: وفد عبد القيس) برقم: ٤٣٦٨، ومسلم في كتاب الإيمان (باب:الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ وشرائع الدين...) برقم:١١٥

(٢) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الزكاة (باب:وجوب الزكاة) برقم: ١٣٩٦.

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٥٣٨/٣).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) نقلا عن كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (٦٩).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى:"ووقعت البداءة بهما لأنهما أصل الدين الذي لا يصح شيء غيرهما إلا بهما..."[(١)].

وقال العظيم آبادي[(٢)]:"إنما وقعت البداية بالشهادتين لأنهما أصل الدين الذي لا يصح شيء غيرهما إلا بهما فمن كان منهم غير موحد فالمطالبة متوجهة إليه بكل واحدة من الشهادتين على التعيين ومن كان موحدا فالمطالبة بالجمع بين الإقرار بالوحدانية والإقرار بالرسالة وإن كانوا ما يقتضي الإشراك أو يستلزمة فيكون مطالبتهم بالتوحيد لنفي ما يلزم من عقائدهم (فإن هم أطاعوك لذلك) استدل به على أن الكفار غير مخاطبين بالفروع حيث دعوا أولا إلى الإيمان فقط ثم دعوا إلى العمل"[(٣)]

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه التوحيد، باب: الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، واستدل بالأدلة من الكتاب والسنة ومنها حديث معاذ ﷺ وقال: فيه مسائل، وذكر منها:"الثامنة: أن يبدأ به قبل كل شيء حتى الصلاة"[(٤)].

والدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك وأهله هي وصية النبي ﷺ كما ذكر ذلك ابن مسعود ﷺ فيما أخرجه الترمذي في سننه قال: " من سره أن ينظر إلى الصحيفة التي عليها خاتم

---

(١) فتح الباري (٣/٥٦٩).

(٢) محمد بن علي بن مقصود علي الصديقي العظيم آبادي أبو الطيب شمس الحق عالم بالحديث من أهل (عظيم آباد) في الهند ولد بها سنة:١٢٧٣هـ وجمع مكتبة حافلة بالمخطوطات وتوفي في (ديانوان) من أعمال عظيم آباد سنة: ١٣٢٩هـ قرأ الحديث في دهلي وصنف كتبا منها (عون المعبود في شرح سنن أبي داود) لم ينسبه إلى نفسه في مقدمته ونسبه إلى أخ له يدعى شرف الحق و (غاية المقصود) وهو مطول في شرح سنن أبي داود أيضا لم يكمله و (التعليق المغني على سنن الدارقطنيّ) و (المكتوب اللطيف إلى المحدث الشريف) في الإجازات العامة بعلم الحديث و (إعلام أهل العصر بأحكام ركعتي الفجر) انظر: (الإعلام ٦/٣٠١-٣٠٢) و(معجم المؤلفين ١١/٦٤) .

(٣) عون المعبود (٤/٢٧٣).

(٤) كتاب التوحيد ضمن مجموع مؤلفات الشيخ رحمه الله (١/٢٢).

محمد ﷺ فليقرأ هذه الآيات ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٥١]- الآية إلى قوله تعالى - ﴿ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ "(١).

فلا يمكن أن تكون دعوة إسلامية موافقة لما أمر الله به أنبياءه ورسله عليهم السلام دون البدء بالدعوة إلى التوحيد .

والتوحيد هو الحنيفية السمحة التي أخبر النبي ﷺ أنه أُرسل بها، قال ﷺ: " إني أرسلت بحنيفية سمحة "(٢).

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [آل عمران: ٦٧].

قال الطبري رحمه الله تعالى: " لأن ملة إبراهيم هي الحنيفية المسلمة"(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يونس: ١٠٥].

قال ابن رجب رحمه الله تعالى:"فلما طبق الشرك أقطار الأرض، واستطار شرره في الآفاق من المشرق إلى المغرب بعث الله محمداً ﷺ بالحنفية المحضة والتوحيد الخالص دين إبراهيم عليه السلام، وأمره أن يدعو الخلق كلهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، فكان يدعو الناس سراً إلى ذلك نحواً من ثلاث سنين، فاستجاب له طائفة من الناس، ثم أمر بإعلان الدعوة وإظهارها، وقيل له: ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ [الحجر: ٩٤] فدعا إلى الله وإلى توحيده وعبادته وحده لا شريك له جهراً، وأعلن الدعوة، وذم الآلهة التي تعبد من دون الله، وذم من عبدها وأخبر أنه من أهل النار..."(٤).

---

(١) سنن الترمذي كتاب تفسير القران (باب: ومن سورة الأنعام) برقم: ٣٣٢٤، وقال الترمذي حسن غريب، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٣٤٨-٣٤٩)، برقم: ٣٠٧٠

(٢) أخرجه أحمد في مسنده من حديث عائشة ﵂ ،برقم: ٢٤٨٥٥، وقال محققه: هذا سند حسن.

(٣) تفسير الطبري (٨٠٣/١).

(٤) الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي ﷺ بعثت بالسيف بين يدي الساعة (١٥/١-١٦).

هذا وقد ظهرت فرق مخالفة لأهل السنة والجماعة في هذا الأصل، منها:

١/ جماعة الإخوان المسلمين.

حيث قامت جماعتهم وتأسست على خلاف ما أمر الله به من الدعوة إلى إفراده بالعبادة ونبذ الشرك وأهله والبراءة منهم، بل تجد بعض كبرائهم يتساهل في كثير من الأمور الشركية والبدعية و لربما دعا إليها وقررها، فضلوا بذلك وأضلوا، وسأنقل هنا بعضا من النماذج التي تدل على ذلك .

من ذلك:

حسن البنا[1] مؤسس جماعة الإخوان المسلمين:

يقول: " أتحدث إليك الآن عن دعوتنا، أما الخلافات الدينية و الآراء المذهبية، نجمع ولا نفرق .

اعلم فقهك الله . أولا: أن دعوة الإخوان المسلمين دعوة عامة لا تنتسب إلى طائفة خاصة، ولا تنحاز إلى رأي عرف عند الناس بلون خاص ومستلزمات وتوابع خاصة، وهي تتوجه إلى صميم الدين ولبه، وتود أن تتوحد وجهة الأنظار والهمم حتى يكون العمل أجدى والإنتاج أعظم وأكبر، فدعوة الإخوان دعوة بيضاء نقية غير ملونة بلون"[2].

فدعوتهم على حد قوله لا تنتسب إلى السنة وما كان عليه سلف الأمة، حيث كانوا على التوحيد يأمرون به ويدعون إليه وينهون عن الشرك ويحذرون منه، ويتواصون بذلك .

إذاً هي على خلاف ذلك، هي دعوة بدعية .

---

(١) هو حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنا مؤسس جمعية (الإخوان المسلمين) بمصر وصاحب دعوتهم ومنضم جماعتهم ولد في المحمودية ١٣٢٤هـ وتخرج بمدرسة دار العلوم بالقاهرة واشتغل بالتعليم فتنقل في بعض البلدان متعرفا إلى أهلها مختبرا طباعهم وعاداتهم له مذكرات نشرت بعد وفاته باسم (مذكرات الدعوة والداعية) توفي سنة ١٣٧٨هـ، انظر: (الأعلام ١٨٣/٢) و (معجم المؤلفين ٢٠٠/٣).

(٢) رسائل حسن البنا (١٥-١٦).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: "ومذهب أهل السنة والجماعة مذهب قديم قبل أن يخلق الله أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد، فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم، ومن خالف ذلك كان مبتدعا عند أهل السنة والجماعة"(١).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى: " وقد سئل بعض الأئمة عن السنة؟ فقال: ما لا اسم له سوى السنة، يعني: أن أهل السنة ليس لهم اسم ينسبون إليه سواها"(٢).

فالذي لا ينتسب للسنة فإنه حتماً على خلافها وضدها.

ويقول البنا في موطن أخر: " وأهم ما يجب أن تتوجه إليه همم المسلمين الآن توحيد الصفوف، وجمع الكلمة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا"(٣).

والمتأمل لمثل هذا المنهج يجد أن من أولوياته تجميع الناس حوله، على حساب العقيدة والتوحيد، وهي سمه من سمات أهل البدع والأهواء، فلا يمكن أن يستوي المتمسك بالسنة المتبع للنبي ﷺ الداعي إلى توحيد الله تعالى، المحارب للشرك والبدع والخرافات، مع المبتدع وصاحب الهوى، المخالف لمنهج الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ في دعوتهم .

فكيف يمكن أن يجتمع السني المتبع للنبي ﷺ مع صاحب البدعة !!

أوليس الأولى اجتماعهم على التوحيد والسنة ونبذ الشرك والبدعة والخرافة !!.

كيف يمكن أن يحصل الأمن للمسلمين وهم لم يحققوا شرطه، كما قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[الأنعام: ٨٢]

قال ابن كثير وغيره من المفسرين: " هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك له، ولم يشركوا به شيئا، هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة"(٤).

فكيف يمكن أن يتوحد الصف بدون البدء بكلمة التوحيد ؟!!.

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/٢٠٤).

(٢) مدارج السالكين (٨٧٨).

(٣) رسائل حسن البنا (٤٢٩).

(٤) تفسير ابن كثير (٢/٦٧٧). وانظر (تفسير الطبري ٥/٤٦) و (تفسير البغوي ٢/١٤٠).

وكيف يحصل الأمن في الدنيا والآخرة وفيه من يتوجه بالدعاء لغير الله ومن يتمسح بالقبور ومن يستغيث بالأموات وغير ذلك من أمور شركية .

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

فهذا البنا مؤسس الجماعة، يقرر للأتباع المنهج الذي يجب أن يسيروا عليه، وهو خلاف ما سنه الله سبحانه لأنبيائه ورسله، وخلاف ما أمر به رسول الله ﷺ، حيث يأمر البنا أتباعه ويقرر لهم البدء بجمع الناس أولا، ولا يهم اختلاف العقائد والمذاهب فقاعدتهم المشهورة: " **نجتمع على ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه** "

وقد رد الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى على الصابوني صاحب المقال بقوله: "نقل في المقال المذكور عن الشيخ حسن البنا رحمه الله ما نصه: (نجتمع على ما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه).

والجواب أن يقال:

نعم يجب أن نتعاون فيما اتفقنا عليه من نصر الحق والدعوة إليه والتحذير مما نهى الله عنه ورسوله، أما عذر بعضنا لبعض فيما اختلفنا فيه فليس على إطلاقه بل هو محل تفصيل فما كان من مسائل الاجتهاد التي يخفى دليلها فالواجب عدم الإنكار فيها من بعضنا على بعض، أما ما خالف النص من الكتاب والسنة، فالواجب الإنكار على من خالف النص بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن عملا بقوله تعالى:﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ [سورة المائدة الآية ٢] ، وقوله سبحانه: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [سورة التوبة الآية ٧١]، وقوله عز وجل: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُۚ ﴾ [سورة النحل الآية ١٢٥]

وقول النبيﷺ: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[١].

وقوله ﷺ: (من دل على خير فله مثل أجر فاعله)[٢].

والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة"[٣].

والجماعة والإتلاف لا يمكن أن تحصل إلا بالعقيدة الصحيحة والدعوة إلى التوحيد وجمع الناس على ذلك .

قال الله تعالى: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٢ – ٦٣].

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى:"هذا وعد من الله لعباده المؤمنين المتبعين لرسوله، بالكفاية والنصرة على الأعداء فإذا أتوا بالسبب الذي هو الإيمان والإتباع، فلا بد أن يكفيهم ما أهمهم من أمور الدين والدنيا، وإنما تتخلف الكفاية بتخلف شرطها"[٤].

ومن ذلك:

ما قرره سيد قطب في كتابه الظلال[٥] من أن الخلاف لم يكن في توحيد الإلهية بل كان في توحيد الربوبية: " وهكذا تتوافق قطاعات السورة الثلاثة كذلك على التعريف بحقيقة الألوهية وحقيقة الآخرة في سياقها، وهي لا تستهدف إثبات وجود الله- سبحانه- إنما تستهدف تقرير ربوبية الله وحده في حياة البشر، كما أنها مقررة في نظام الكون.. فقضية

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الإيمان (باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص ...) برقم: ١٧٧

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الإمارة (باب: فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره...) برقم: ٤٨٩٩

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (٣/٥٨-٥٩).

(٤) تفسير السعدي (٣٠٣).

(٥) [٤/١٨٤٦].

الألوهية لم تكن محل خلاف إنما قضية الربوبية هي التي كانت تواجهها الرسالات وهي التي كانت تواجهها الرسالة الأخيرة. إنها قضية الدينونة لله وحده بلا شريك والخضوع لله وحده بلا منازع، ورد أمر الناس كلهم إلى سلطانه وقضائه وشريعته وأمره".

وإذا كان هذا هو الحال فلن يكون للدعوة إلى توحيد الله عز وجل من شأنٍ عند دعاة الأخوان، وليست في أولوياتهم، إذ أن الكفار والمشركين قد أقروا بهذا النوع من التوحيد في الجملة في زمن النبي ﷺ وقبله.

بل أصبح دعاة الإخوان وكبراؤهم يبررون للأتباع أنواعا من الشركيات، **من ذلك قول** عمر التلمساني المرشد العام للإخوان المسلمين حيث **قال**: " قال البعض إن رسول الله ﷺ يستغفر لهم إذا جاؤه حياً فقط ولم أتبين سبب التقييد في الآية عند الاستغفار بحياة النبي ﷺ وليس في الآية ما يدل على هذا التقييد – إلى أن قال – ولذا أراني أميل إلى الأخذ بالرأي القائل أن رسول الله ﷺ يستغفر حياً وميتاً لمن جاءه قاصداً رحابه الكريم"(١).

ويختم قوله بتقرير شرك القبور وجوازه والدعوة إليه حيث يقول: " فلا داعي إذا للتشدد في النكير على من يعتقد في كرامات الأولياء واللجوء إليهم في قبورهم الطاهرة والدعاء فيها عند الشدائد، وكرامات الأولياء من أدلة معجزات الأنبياء"(٢).

وبعد هذا العرض نختم بالغاية التي يسعى لها هذا التنظيم المتلبس بالدين، والذي يردد شعارات وهمية، لا محل لها من الواقع، فغايتهم هي الحكم، والوصول للسلطة باسم الدين والإسلام، كما صرح بذلك **أبو الأعلى المودودي،** عن الحقيقة والغاية النهائية التي يسعون لها وهي قوله:"لعله قد تبيّن لكم من كتاباتنا و رسائلنا أن غايتنا النهائية التي نقصدها من وراء ما نحن بصدده الآن من الكفاح إنما هي إحداث الانقلاب في القيادة، و أعني بذلك أنّ ما نبتغي الوصول إليه و الظفر به في هذه الدنيا أن نطهر الأرض من أدناس قيادة الفسقة الفجرة وسيادتهم، و نقيم فيها نظام الإمامة الصالحة الراشدة، فهذا السعي والكفاح

(١) عمر شهيد المحراب (١٩٦).

(٢) المصدر السابق نفسه (١٩٦).

المتواصل نراه أكبر و أنجح وسيلة موصلة إلى نيل رضا الرب تعالى و ابتغاء وجهه الأعلى في الدنيا و الآخرة"[١].

كيف سيقيم هؤلاء الخلافة الراشدة وهم بعيدون كل البعد عن منهج القران الكريم ومنهج النبي ﷺ من البدء في تقرير العقيدة الصحيحة أولاً كما أمر الله بذلك رسله عليهم الصلاة والسلام ؟؟.

وبهذا يتبين ضلال هذه الجماعة في هذا الأصل، وأنهم لا يُعيرون التوحيد الذي بعث الله به رسله أي اهتمام، بل لم يفهموا أصل التوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام فقالوا إن الخلاف في توحيد الربوبية كما تقدم آنفا.

وقد سئل الشيخ الإمام ابن باز رحمه الله عن جماعة الإخوان المسلمين:

" سماحة الشيخ، حركة (الإخوان المسلمين) دخلت المملكة منذ فترة وأصبح لها نشاط واضح بين طلبة العلم، ما رأيكم في هذه الحركة؟ وما مدى توافقها مع منهج السنة والجماعة؟

فأجاب رحمه الله: حركة الإخوان المسلمين ينتقدها خواص أهل العلم؛ لأنه ليس عندهم نشاط في الدعوة إلى توحيد الله وإنكار الشرك وإنكار البدع، لهم أساليب خاصة ينقصها عدم النشاط في الدعوة إلى الله، وعدم التوجيه إلى العقيدة الصحيحة التي عليها أهل السنة والجماعة.

فينبغي للإخوان المسلمين أن تكون عندهم عناية بالدعوة السلفية، الدعوة إلى توحيد الله، وإنكار عبادة القبور والتعلق بالأموات والاستغاثة بأهل القبور كالحسين أو الحسن أو البدوي، أو ما أشبه ذلك، يجب أن يكون عندهم عناية بهذا الأصل الأصيل بمعنى لا إله إلا الله، التي هي أصل الدين، وأول ما دعا إليه النبي ﷺ في مكة دعا إلى توحيد الله، إلى معنى لا إله إلا الله، فكثير من أهل العلم ينتقدون على الإخوان المسلمين هذا الأمر، أي: عدم النشاط في الدعوة إلى توحيد الله، والإخلاص له، وإنكار ما أحدثه الجهال من التعلق بالأموات والاستغاثة بهم، والنذر لهم والذبح لهم، الذي هو الشرك الأكبر، وكذلك ينتقدون

---

(١) الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية لأبي الأعلى المودودي (٦).

عليهم عدم العناية بالسنة: تتبع السنة، والعناية بالحديث الشريف، وما كان عليه سلف الأمة في أحكامهم الشرعية، وهناك أشياء كثيرة أسمع الكثير من الإخوان ينتقدونهم فيها، ونسأل الله أن يوفقهم ويعينهم ويصلح أحوالهم"(١).

٢/ جماعة التبليغ(٢).

ودعوتهم دعوة صوفية خالصة تسعى لتعليم الناس البدع والخرافة، فالتوحيد عندهم هو تقرير توحيد الربوبية فقط، كما قرر ذلك شيخهم السهارنفوري(٣)حيث قال:" قبل أن نشرع في الجواب أنا – بحمد الله – ومشايخَنا وجميعَ طائفتِنا و جماعتنا: مقلّدون للإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان في الفروع ومتّبعون للإمام الهُمام أبي الحسن الأشعريّ و الإمام الهمام أبي منصور في الاعتقاد والأصول ومنتسِبون من طُرق الصوفية إلى الطريقة العليّة المنسوبة إلى السادة النَقْشَبَنْدِيَّة، والطريقة الزكيّة المنسوبة إلى السادة الجِشْتِيَّة والطريقة البَهِية المنسوبة إلى السادة القادِرِيّة، والطريقة المرضيّة المنسوبة إلى السُهَرْوَرْدِيَّة "(٤).

ومعلوم أن الأشاعرة والماتريدية قد قرروا وفسروا معنى التوحيد الذي جاءت به الرسل بخلاف معناه الحقيقي، بل التوحيد كله عندهم يشمل ثلاثة أمور، هي:

١/ أن الله واحد في ذاته لا قسيم له.

---

(١) فتاوى الشيخ ابن باز رحمه الله (٤١/٨).

(٢) جماعة التبليغ جماعة بدعة وضلالة وليسوا على الأمر الذي عليه رسول الله ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان وإنما هم على بعض طرق الصوفية ومناهجهم المبتدعة، انظر: (القول البليغ ص:٥).

(٣) خليل أحمد بن مجيد علي الحنفي الأنبيتهوي ولد سنة ١٢٦٩هـ في قرية نانوته من أعمال سهارنفور ونشأ ببلدة أنبيتهه اشتغل بالعلوم من صباه ودرسه في دار العلوم الإسلامية بديوبند ثم في سهارنفور فدرس علوم الآلة وفنون العربية والعلوم العقلية والنقليه رحل إلى الحرمين وكان على طريقة الصوفية، انظر: (مقدمة بذل المجهود في حل سنن أبي داود).

(٤) المهند على المفند للسهارنفوري (٢٩-٣٠) نقلاً عن الماتريدية للشمس السلفي الأفغاني(٣٣١/٣).

٢/ أن الله واحد في صفاته لا شبيه له.

٣/ أن الله واحد في أفعاله لا شريك له[١].

وأعظم من ذلك هو تفسير معنى لا إله إلا الله بمعنى القادر على الاختراع .

قال عبد القاهر البغدادي: " واختلف أصحابنا في معنى الإله فمنهم من قال أنه مشتق من الآلهية وهي قدرته على اختراع الأعيان وهو اختيار أبي الحسن الأشعري..."[٢].

وقال الشهرستاني في كتابه الملل والنحل:" قال أبو الحسن الأشعري: إذا كان الخالق على الحقيقة هو الباري تعالى لا يشاركه في الخلق غيره، فأخص وصفه تعالى هو: القدرة على الاختراع.

قال: وهذا تفسير اسمه تعالى الله "[٣].

وهذا جهلٌ منهم في تفسير كلمة التوحيد بهذا المعنى الذي أقر به المشركون في الجملة ولم ينكره إلا قلة قليلة.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى:" وهو الذي دل عليه كتاب الله سبحانه في مواضع من القرآن الكريم مثل قوله سبحانه:﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝ ﴾ [الفاتحة: ٥] وقوله عز وجل:﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣]

وقوله سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝ ﴾ [الذاريات: ٥٦]وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ [الحج: ٦٢] والآيات في هذا المعنى كثيرة، وهو الذي فهمه المشركون من هذه الكلمة حين دعاهم النبي ﷺ إليها، وقال: (يا قومي قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)[٤] .

---

(١) انظر: (شرح أسماء الله الحسنى للرازي ٧٩ وما بعدها) و (التوحيد للماتريدي ٢٣و٢٣٣).

(٢) أصول الدين للبغدادي (١٢٣).

(٣) الملل والنحل (١/١١٣).

(٤) سبق تخريجه.

فأنكروا ذلك، واستكبروا عن قبوله، لأنهم فهموا أن ذلك يخالف ما عليه آباؤهم من عبادة الأصنام والأشجار والأحجار، وتأليههم لها، كما ذكر الله عز وجل في قوله: ﴿ وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص: ٤] ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥] وقال سبحانه وتعالى في سورة الصافات عن المشركين ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [الصافات: ٣٥]

﴿ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴾ [الصافات: ٣٦] ، فعلم من ذلك أنهم فهموا معناها بأنها تبطل آلهتهم وتوجب تخصيص العبادة لله وحده، ولهذا لما أسلم من أسلم منهم، ترك ما هو عليه من الشرك، وأخلص العبادة لله وحده، ولو كان معناها: لا رب إلا الله، أو لا مطاع إلا الله، لما أنكروا هذه الكلمة، فإنهم يعلمون أن الله ربهم وخالقهم، وأن طاعته واجبة عليهم، فيما علموا أنه من عنده سبحانه، ولكنهم كانوا يعتقدون أن عبادة الأصنام والأنبياء، والملائكة والصالحين، والأشجار ونحو ذلك على وجه الاستشفاع بها إلى الله، ورجاء أن تقربهم إليه زلفى كما ذكر الله ذلك عنهم سبحانه في قوله: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [يونس: ١٨] فأبطل الله ذلك ورده عليهم بقوله سبحانه: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس: ١٨] وفي قوله عز وجل ﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ١ - ٣] والمعنى أنهم يقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، فرد الله عليهم ذلك بقوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ ﴾ [الزمر: ٣] فبين سبحانه

بذلك أنهم كاذبون في زعمهم أن آلهتهم تقربهم إلى الله زلفى، كافرون بهذا العمل. والآيات في هذا المعنى كثيرة"[١].

أما تفسير مشائخ ودعاة جماعة التبليغ لمعنى (لا إله إلا الله) فهو: " إخراج اليقين الفاسد من القلب على الأشياء وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله وأنه لا خالق ولا رازق ولا مدبر إلا الله "[٢].

وقد سئل فضيلة الشيخ العثيمين رحمه الله عن:

" قول بعض الناس إن معنى " لا إله إلا الله " إخراج اليقين الفاسد على الأشياء وإدخال اليقين الصادق على الله، أنه هو الضار والنافع والمحيي والمميت، وكل شيء لا يضر ولا ينفع وأن الله هو الذي وضع فيه الضر والنفع؟

فأجاب بقوله: قول هذا القائل قول ناقص، فإن هذا معنى من معاني " لا إله إلا الله " ومعناها الحقيقي الذي دعا إليه رسول الله، ﷺ، وكفر به المشركون أنه لا معبود بحق إلا الله، فالإله بمعنى مفعول، وتأتي فِعال بمعنى مفعول وهذا كثير، ومنه فراش بمعنى مفروش، وبناء بمعنى مبني، وغراس بمعنى مغروس، فإله بمعنى مألوه، أي الذي تألهه القلوب وتحبه وتعظمه ولا يستحق هذا حقًّا إلا الله. فهذا معنى لا إله إلا الله.

وقد قسم العلماء التوحيد إلى أقسام ثلاثة: ربوبية، وألوهية، وأسماء وصفات، فتوحيد الربوبية هو إفراد الله – سبحانه – بالخلق والملك والتدبير، وتوحيد الألوهية هو إفراد الله – سبحانه – بالعبادة، وتوحيد الأسماء والصفات هو إفراد الله بما يجب له من الأسماء والصفات بأن نثبتها لله – تعالى – على وجه الحقيقة من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

وقد يقول البعض: إن هذا التقسيم للتوحيد بدعة، ولكن نقول: بتتبع النصوص الواردة في التوحيد وجدناها لا تخرج عن هذه الأقسام الثلاثة، والاستدلال المبني على التتبع

(١) مجموع فتاوى ابن باز رحمه الله (٢/٧-٩).

(٢) نقلاً عن كتاب جماعة التبليغ في الهند (٣٩٥).

والاستقراء ثابت حتى في القرآن، كما في قوله – تعالى –: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [مريم: ٧٧ – ٧٨] والجواب: لا هذا ولا هذا. ولهذا قال – تعالى –: ﴿ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ ﴾ [مريم: ٧٩].

وبعض المتكلمين قالوا: التوحيد أن تؤمن أن الله واحد في أفعاله لا شريك له، واحد في ذاته لا جزء له، واحد في صفاته لا شبيه له، وهذا تقسيم قاصر"[١].

يقول الشيخ محمد يوسف أحد مشائخ التبليغ: (" لا إله إلا الله، ليس مراد لا إله إلا الله إلا أنه لا يتحقق شيء من أحد ولا يوجد إلا من الله".

ويقول: " أشهد أن لا إله إلا الله، يعني لا صانع ولا معطل إلا هو ولا يتحقق شيء من الأشكال والأشياء إلا من الله ")[٢].

وبهذا يُعلم ضلال جماعة التبليغ في هذا الباب، وأنهم بحاجة إلى من يدعوهم لتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله على المعنى الصحيح الذي بعث الله به رسله وأنزل عليهم لأجله كتبه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" أما التوحيد الذي ذكره الله في كتابه وأنزل به كتبه وبعث به رسله واتفق عليه المسلمون من كل ملة فهو كما قال الأئمة شهادة ألا إله إلا الله وهو عبادة الله وحده لا شريك له كما بين ذلك بقوله ﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١/٨٣-٨٤).

(٢) نقلاً عن كتاب (جماعة التبليغ في الهند لمحمد جنيد عبد المجيد)، ١٨٨.

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٣]، فأخبر أن الإله إله واحد لا يجوز أن يتخذ إله غيره فلا يعبد إلا إياه"[(١)].

وقال رحمه الله تعالى: " فبين سبحانه أنه بهذا التوحيد بعث جميع الرسل وأنه بعث إلى كل أمة رسولا به وهذا هو الإسلام الذي لا يقبل الله من الأولين ولا من الآخرين دينا غيره"[(٢)].

---

(١) الفتاوى الكبرى (٦/٥٦٤).

(٢) المصدر السابق (٦/٥٦٥).

المطلب الثاني:

ترك الدعوة إلى التوحيد لتحقيق مصالح أخرى .

الدعوة إلى التوحيد هي أول مهمة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ولأجل ذلك بعثهم الله تعالى إلى أقوامهم، فلا يمكن أن تكون مصلحة أرجح من الدعوة إلى التوحيد، وهو إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد .

فتحقيق مصالح العباد تكون في ردهم ودعوتهم لما خُلِقوا له وهو عبادة الله تعالى وحده دونما سواه كما سار على ذلك أنبياء الله ورسله عليهم السلام.

ومن الأدلة على أن دعوتهم عليهم السلام لم تكن لأجل مالٍ أو دنيا أو مصالح أخرى، ما ذكره الله تعالى في كتابه على لسان نبيه نوح عليه السلام: ﴿ وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴾ [هود: ٢٩].

وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴾ [الفرقان: ٥٧]

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص: ٨٦].

قال الطبري رحمه الله تعالى: " قل لهؤلاء الذين أرسلتك إليهم، ما أسألكم يا قوم على ما جئتكم به من عند ربي أجرا، فتقولون: إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعونا إليه، فلا نتبعه فيه، ولا نعطيه من أموالنا شيئا، ﴿ قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [ص: ٨٦]يقول: لكن من شاء منكم اتخذ إلى ربه سبيلا طريقا بإنفاقه من ماله في سبيله، وفيما يقربه إليه من الصدقة والنفقة في جهاد عدوّه، وغير ذلك من سبل الخير"[١].

---

(١) تفسير الطبري (٨/٥٢٥).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فهو يعلم ويهدي ويصلح القلوب ويدلها على صلاحها في الدنيا والآخرة بلا عوض. وهذا نعت الرسل كلهم كل يقول﴿ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ ﴾ ولهذا قال صاحب يس ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾ [يس: ٢٠] ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ [يس: ٢١]، وهذه سبيل من اتبعه كما قال ﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨]"(١).

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى:" قل يا محمد لهؤلاء المشركين: ما أسألكم على هذا البلاغ وهذا النصح أجرا تعطونيه من عرض الحياة الدنيا ﴿ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ ﴾ أي: وما أزيد على ما أرسلني الله به، ولا أبتغي زيادة عليه بل ما أمرت به أديته لا أزيد عليه ولا أنقص منه وإنما أبتغي بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة"(٢).

وهذا ما سار عليه النبي ﷺ في دعوته، وما علمه أصحابه ﭫ، فرتب لهم الأول فالأول كما في حديث معاذ ﭬ حينما بعثه إلى اليمن(٣).

فالداعي إلى الله تعالى ينبغي أن يكون همه الأول تحقيق التوحيد، لا يقدم عليه أي مصلحة أخرى سواء كانت تلك المصلحة سياسية أو اجتماعية أو حزبية مقيتة، بل المصلحة العالية تحقيق ما لأجله خلق الله الخلق .

قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فقد كان تحقيق التوحيد والدعوة إليه هو شغل النبي ﷺ في كل أحواله وأوقاته .

فلم يكن يمنعه من ذلك تعارض مصلحته مع قومه، سواء تلك المصالح السياسية أو الاجتماعية أو المالية أو غيرها.

---

(١) مجموع الفتاوى (٣١٤/١٦).

(٢) تفسير ابن كثير (١٦٠٩/٤).

(٣) سبق تخريجه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وقد كان النبي ﷺ يحقق هذا التوحيد لأمته ويحسم عنهم مواد الشرك؛ إذ هذا تحقيق قولنا لا إله إلا الله فإن الإله هو الذي تألهه القلوب؛ لكمال المحبة والتعظيم والإجلال والإكرام والرجاء والخوف..."(١).

ومن المقرر شرعا تقديم مسائل الاعتقاد في الدعوة إلى الله تعالى على مسائل الشريعة.

قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ﴿١٩﴾ ﴾ [محمد: ١٩].

قال الطبري رحمه الله: " فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهية، ويجوز لك وللخلق عبادته، إلا الله الذي هو خالق الخلق، ومالك كل شيء، يدين له بالربوبية كل ما دونه"(٢).

فإذا صحت العقيدة صحت العبادات، وإذا فسدت العقيدة فسدت العبادات، فالعقيدة الصحيحة هي الأصل الذي يُبنى عليه العمل، وإذا فسد الأصل فسد ما بُني عليه.

ولذلك كان توجه الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى إصلاح هذا الأصل أولا، لأنه هو الغاية من خلق الخلق .

ولقد كان النبي ﷺ يعلم أصحابه العقيدة الصحيحة قبل أن يعلمهم الشريعة والحلال والحرام كما ذكر ذلك ابن عمر رضي الله عنهما، قال: "لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أحدنا يؤتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يوقف عنده فيها كما تعلمون أنتم القرآن..."(٣).

وقال ابن القيم رحمه الله في الحث على تعليم الأطفال معنى التوحيد:"...فإذا كان وقت نطقهم فليلقنوا لا إله إلا الله محمد رسول الله وليكن أول ما يقرع مسامعهم معرفة الله

(١) مجموع الفتاوى (١/١٣٦).

(٢) تفسير الطبري (١٠/١٩٦).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الإيمان، برقم: ١٠١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة ولم يخرجاه.

سبحانه وتوحيده وأنه سبحانه فوق عرشه ينظر إليهم ويسمع كلامهم وهو معهم أينما كانوا"[١].

وبعد هذا، فإنه لا يمكن أن تكون هناك جماعة مجتمعة على حق ما لم تكن مجتمعة على أعظم أمرٍ أمر الله به رسله وأنبيائه ومن سار على نهجهم ألا وهو توحيده وإفراده بالعبادة سبحانه كما قال تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ ﴾ [النساء: ٣٦].

قال ابن كثير رحمه الله: " يأمر تبارك وتعالى بعبادته وحده لا شريك له؛ فإنه هو الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الأنات والحالات، فهو المستحق منهم أن يوحدوه، ولا يشركوا به شيئا من مخلوقاته"[٢].

وقال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ [آل عمران: ١٠٣]

فذكر الله سبحانه أن الاعتصام بحبله الذي هو القران الكريم[٣] يجمع ويؤلف بين العباد، ولا يَحدث الاختلاف والتناحر والتباغض إلا بترك التوحيد والدعوة إليه .

وذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أن القرآن الكريم كله في التوحيد، فقال:" فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم..."[٤].

وقد نبتت نابتة من أهل البدع والأهواء تركت الدعوة إلى التوحيد بحجج واهية، وأعذار باهته، وجعلوا أعظم حقٍ لله تعالى وأول ما أمر الله به رسله عليهم الصلاة والسلام أن يُبلغوه أقوامهم أخر اهتماماتهم في دعوتهم بزعمهم، فلا التزموا بالكتاب ولا اهتدوا بهدي المصطفى ﷺ في دعوته، فحاجة العبد لأن يعبد الله تعالى أعظم من حاجته للطعام

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود (٢٣١).

(٢) تفسير ابن كثير (١/٤٤٧).

(٣) انظر تفسير الطبري (٣/ ٣٥٦)، (رواية عن ابن عباس وقتادة والسدي حبل الله: القران الكريم).

(٤) مدارج السالكين (١٠٧٧).

والشراب، وأعظم من حاجته للسياسة والأمور الاجتماعية وغيرها، فمصلحة الخلق تكمن فيما خُلقوا من أجله، ونفعهم يكون ببيان ذلك لهم.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:"حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً في محبته ولا في خوفه ولا في رجائه ولا في التوكل عليه ولا في العمل له ولا في الحلف به ولا في النذر له ولا في الخضوع له ولا في التذلل والتعظيم والسجود والتقرب أَعظم من حاجة الجسد إلى روحه والعين إلى نورها. بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به، فإن حقيقة العبد روحه وقلبه ولا صلاح لها إلا بإلهها الذي لا إله إلا هو، فلا تطمئن في الدنيا إلا بذكره وهى كادحة إليه كدحاً فملاقيته، ولا بد لها من لقائه، ولا صلاح لها إلا بمحبتها وعبوديتها له ورضاه وإكرامه لها ولو حصل للعبد من اللذات والسرور بغير الله ما حصل لم يدم له ذلك"[1].

ومن الشبه التي يتمسك بها من ترك الدعوة إلى التوحيد، تقديم مصلحة الجماعة والحزب على الأصل الذي بعث الله به الرسل عليهم السلام، وقولهم إن الدعوة إلى التوحيد وبيان مخالفات الفرق والمذاهب تفرق وتنفر الناس من الدعوة.

من ذلك: قول مؤسس جماعة الإخوان المسلمين حسن البنا: "وموقفنا من الدعوات المختلفة التي طغت في هذا العصر فَفَرَّقَت القلوب، وبَلْبَلَت الأفكار أَنْ نَزِنَها بميزان دعوتنا، فما وافَقَها فَمَرْحَباً بِه وما خالفها فنَحْن براء منه، ونحن مؤمنون بأن دعوتنا عامة لا تغادر جزءا صالحا من أية دعوة إلا ألمت به وأشارت إليه"[2].

---

(١) طريق الهجرتين (٥٨).

(٢) مجموعة رسائل حسن البنا (ص: ٨ من رسالة دعوتنا).

وقال الصابوني الإخواني: "إن الوقت ليس وقت مهاجمة لأتباع المذاهب، ولا للأشاعرة ولا للإخوان ولا حتى للصوفية "[١].

ولقد رد الشيخ صالح الفوزان حفظه الله تعالى على هذه الترهات بقوله:" هناك ناس الآن يقولون: لا تذكروا الشرك، ولا تذكروا العقائد، يكفي التسمّي بالإسلام، لأن هذا ينفّر النّاس ويفرق الناس، اتركوا كلاً على عقيدته، دعونا نجتمع ولا تفرقونا.

يا سبحان الله، نترك الشرك ولا نتكلم في أمر التّوحيد من أجل أن نجمع الناس؟!!.

وهذا الكلام باطل من وجوه:

أولاً: لا يمكن اجتماع النّاس إلاَّ على العقيدة الصحيحة.

وثانياً: ما الفائدة من الاجتماع على غير عقيدة، هذا ماذا يؤدي إليه؟ لا يؤدي إلى نتيجة أبداً، فلا بد من الاهتمام بالعقيدة، ولابد من تخليصها من الشرك، ولا بد من بيان التّوحيد، حتى يحصل الاجتماع الصحيح على الدين، لا يجتمع النّاس إلاَّ على التّوحيد، لا يوحد النّاس إلاَّ كلمة: لا إله إلاَّ الله؛ قولاً وعملاً واعتقاداً.

هذا هو الذي جمع العرب على عهد الرسول ﷺ، وجعلهم أمة واحدة هو الذي يجمعهم في آخر الزمان، أما بدون ذلك فلا يمكن الاجتماع مهما حاولتم، فلا تتعبوا أنفسكم أبداً، وهذا من الجهل أو من المغالطة.

فالتّوحيد ليس هو الذي يفرق الناس، بل العكس؛ الذي يفرق النّاس هو الشرك، والعقائد الفاسدة، والبدع والمنهجيات هذه هي التي تفرق الناس، أما التّوحيد والإتباع للرسول ﷺ فهذا هو الذي يوحد الناس، كما وحّدهم في أول الأمر، ولا يُصلح آخر هذه الأمة إلاَّ ما أصلح أولها"[٢].

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية عدد: ٦٢٨، المقال رقم: ٤ للصابوني.

(٢) إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد(١/٣١٣-٣١٤).

ولا يتقتصر ترك الدعوة إلى التوحيد على جماعة الإخوان وجماعة التبليغ، بل هناك جماعات وأحزاب كثيرة، منها: حزب التحرير[١] وفرقة الأحباش[٢] ومن نحا نحوهم.

---

(١) حزب سياسي إسلامي يدعو إلى تبني مفاهيم الإسلام وأنظمته وتثقيف الناس به والدعوة إليه والسعي جديًّا لإقامة دولة الخلافة الإسلامية معتمداً الفكر أداة رئيسية في التغيير. وقد صدرت عنه انحرافات كانت محل انتقاد جمهرة علماء المسلمين، انظر: الموسوعة الميسرة (٣٤١/١).

(٢) طائفة ضالة تنسب إلى عبد الله الحبشي، ظهرت حديثاً في لبنان مستغلة ما خلّفته الحروب الأهلية اللبنانية من الجهل والفقر والدعوة إلى إحياء مناهج أهل الكلام والصوفية والباطنية بهدف إفساد العقيدة وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الأساسية، انظر: (الموسوعة الميسرة ٤٢٧/١).

المطلب الثالث:

الاكتفاء بتقرير توحيد الربوبية دون توحيد الألوهية.

لم يبعث الله سبحانه نبياً من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليقرر وليدعو قومه لتوحيد الربوبية فحسب، بل القران الكريم كله يثبت أن المشركين ومن نحى نحوهم مقرون بهذا النوع من التوحيد، إلا شرذمة قليلة أنكروا ربوبية الله تعالى علوا واستكبارا، وقد أقروا بها في أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾ [النمل: ١٤].

قال ابن كثير رحمه الله: "...وجحدوا بها في ظاهر أمرهم و استيقنتها أنفسهم أي علموا في أنفسهم أنها حق من عند الله، ولكن جحدوها وعاندوها وكابروها، ظلما وعلوا أي ظلما من أنفسهم سجية ملعونة، وعلوا أي استكبارا من أتباع الحق"[(١)].

فالخلق مفطورون على الإقرار بهذا النوع من التوحيد، كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١]، وغيرها من الآيات الدالة على إقرارهم بربوبية الله سبحانه، ولذلك فهم السلف الصالح ﷺ أن المراد بالتوحيد الذي بُعث به محمد ﷺ والأنبياء من قبله هو توحيد الإلهية، **فمن ذلك:**

ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:" (له دعوة الحق) قال: شهادة أن لا إله إلا الله"[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير (١٣٧١/١)

(٢) تفسير الطبري (٨٠١/٦).

وفهم المغيرة ﷺ[1] المراد بالتوحيد عندما قال لعامل كسرى:" فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا، أنه من قُتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط، ومن بقي منا ملك رقابكم"[2].

وفي قوله تعالى: ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: ٣٤]

قال قتادة: " النية والعمل والإخلاص والتوحيد"[3].

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٨] قال:"الإخلاص والتوحيد لا يزال في ذريته من يقولها من بعده"[4].

قال الطبري رحمه الله: "وإنما عنى بالدعوة الحق، توحيد الله وشهادة أن لا إله إلا الله"[5].

بل إن المشركين فهموا المراد بالتوحيد في دعوة النبي ﷺ، بأنه توحيد الألهية الذي يبطل آلهتهم التي يعبدونها من دون الله ولذلك قالوا: ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥].

قال ابن كثير رحمه الله:" أي أزعم أن المعبود واحد لا إله إلا هو"[6].

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى:" فإذا عرفت أن جهَّال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه

---

(١) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي أسلم قبل عمرة الحديبيّة، وشهدها وبيعة الرضوان مات سنة ٥٠ هـ، انظر: (أسد الغابة ١٨١/٤) و (الإصابة ١٨٧٩/٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الجزية والموادعة (باب: الجزية والموادعة مع أهل الحرب) برقم: ٣١٥٩

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٢٠/٢).

(٤) المصدر السابق (١٨/٦).

(٥) تفسير الطبري (٨٠١/٦).

(٦) تفسير ابن كثير (١٥٩٥/٤).

جهَّال الكفرة، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني. والحاذق منهم يظن أن معناه لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولا يدبر الأمر إلا الله، فلا خير في رجل جهَّال الكفار أعلم منه بمعنى (لا إله إلا الله)"[١].

وممن خالف في هذا الأصل فرق عدة، وقد تكون بعض الفرق المتأخرة قد بنت أصولها على أصول من سبقها من الفرق، كجماعة التبليغ والإخوان المسلمين ومن نحى نحوهم في الانحراف عن أصول أهل السنة والجماعة، فقد تأثروا بأهل الكلام من الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة، **ومن ذلك**: **تقرير** إكرام الله جان قاسمي (أحد زعماء جماعة التبليغ في الهند) للمقصد من شهادة لا إله إلا الله، حيث قال: "مقصد لا إله إلا الله أن الله سبحانه وتعالى هو المعبود الحقيقي وهو وحيد في ذاته وصفاته فهو الخالق والرازق والمحيي والمميت والمعز والمذل وبيده كل شيء، فينبغي لنا أن نخرج اليقين الفاسد على ذات الأشياء ونأتي باليقين الكامل على ذات الله تعالى وصفاته في قلوبنا"[٢].

ويقول شيخهم محمد يوسف: "ذكر القرآن الكريم بأماكن شتى بأن لا يعتقد في المخلوقات بل يعتقد أن الله هو المتصرف، وهذا هو التوحيد"[٣].

وقد نقل عنهم الشيخ سيف الرحمن أحمد قولهم في معنى كلمة التوحيد بأن:" الأصنام ولا سيما في عصرنا هذا تبلغ إلى خمسة أصنام فقط:

الصنم الأول: التكسب والتسبب والترزق ولو عن طريق الحلال، فهذه الوظيفة والتجارة والدكاكين أصنام، لأنها تلهي الأنسان عن واجباته الدينية ...

الصنم الثاني: القرابات والصداقات والولآت بجميع أنواعها أصنام، لأنها هي الثانية أيضا تلهي الإنسان عن واجبه ....

الصنم الثالث: النفس الأمارة بالسوء لأنها تصده عن الخير وعن سبيل الله ...

---

(١) كشف الشبهات ضمن مجموع مؤلفات الإمام رحمه الله تعالى (١/١٥٨).

(٢) زاد الداعي (١٠-١٢)، نقلاً عن كتاب جماعة التبليغ في الهند لمحمد جنيد عباالمجيد (٣٩٦).

(٣) تذكرة حضرت جي مولانا محمد يوسف كاندهلوي (١٣١)، نقلا عن جماعة التبليغ في الهند (١٨٨).

الصنم الرابع: الهوى لأنه سبب الردى ودائما يعاكس الخير ويميل إلى الراحة...

الصنم الخامس: الشيطان، وهذا الأخير أكبر المانعين عن الخير ..."[(١)].

ولما يسمع المغفل هذا البيان وهذا التفسير للتوحيد يظنه نادرة من نوادر التوحيد وجوهرة من جواهر العلم ولا يدري أنه شذوذ مغرض، وخروج على الإجماع ومخالفة للنصوص وتشبه صريح بالخوارج حرفيا .... ولو قالوا في تفسير كلمة التوحيد: أن كل ماعبد من دون الله فهو صنم يجب كسره وكل من دعا إلى عبادة نفسه أو غيره سوى الله أو عبد وهو راض فهو طاغوت تجب محاربته لكان قولا سليما موافقا للكتاب والسنة[(٢)].

ويقولون: "أن توحيد الربوبية فقط وفقط هو المطلوب منا وهو كل شيء في باب التوحيد بدليل قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]

مستفتح الفاتحة وبدليل الصيغة في سؤال الملكين: منكر ونكير من ربك ؟ وحيث لم يأت السؤال بصيغة من إلهك ؟ فدل ذلك أن توحيد الألوهية ليس مطلوب منا لزاما"[(٣)].

ومن تقريرات جماعة الإخوان المسلمين **قول** حسن البنا: "لما كانت هذه المخلوقات محدثة ونحن نعلم من طبائعها أنها لا توجد بذاتها بل لا بد لها من موجد عرفنا أن موجدها هو الله تبارك وتعالى، ولـمَّا كان كمالُ الألوهية يقتضي عدم احتياج الإله إلى غيره، بل إنَّ من صفاته قيامه بنفسه ؛ عرفنا أنَّ الله تبارك وتعالى موجود بذاته، وغيرُ محتاجٍ إلى من يُوجِدُه ..."[(٤)].

والمتأمل يجد أنه جعل كمال الألوهية مقتضياً للربوبية، وهذا جهل منه، فتوحيد الألوهية متضمنٌ لتوحيد الربوبية، فمن عبد الله ولم يشرك به شيئا دل ذلك على أنه قد اعتقد إفراد الرب بصفات الربوبية كالخلق والرزق والملك وغيرها.

---

(١) نظرة عابرة اعتبارية حول الجماعة التبليغية لسيف الرحمن أحمد (٣٣-٣٤).

(٢) انظر المرجع السابق (٣٥).

(٣) المصدر السابق (٣٥).

(٤) رسائل حسن البنا، رسالة العقائد (٢٥٠).

وتوحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، فمن أقر بربوبية الله تعالى لزمه إفراده سبحانه بالعبادة وحده دونما سواه.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:" والإلهية التي دعت الرسل أممهم إلى توحيد الرب بها: هي العبادة والتأليه.

ومن لوازمها: توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون، فاحتج الله عليهم به، فإنه يلزم من الإقرار به الإقرار بتوحيد الإلهية"(١).

وليس المراد توحيد الربوبية كما تقرر ذلك في مباحث سابقة من هذا البحث، بل المراد هو توحيد الإلهية الذي أرسل الله لأجله الرسل، قال ابن القيم رحمه الله: " وليس التوحيد مجرد إقرار العبد بأنه لا خالق إلا الله، وأن الله رب كل شيء ومليكه، كما كان عباد الأصنام مقرين بذلك وهم مشركون، بل التوحيد يتضمن - من محبة الله، والخضوع له، والذل له، وكمال الانقياد لطاعته، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعلى بجميع الأقوال والأعمال، والمنع، والعطاء، والحب، والبغض - ما يحول بين صاحبه وبين الأسباب الداعية إلى المعاصي، والإصرار عليها"(٢).

ويظهر هذا التأثر جليا عند مقارنة أصول المخالفات لتلك الفرق مع من جاء بعدها، وفي أحيانٍ كثيرة يصرح أكابر القوم عن أخذهم لتلك الأصول ممن سبقوهم كما فعل السهارنفوري(٣)، ومن أولئك:

المتكلمون، (أهل الكلام من الأشاعرة والماتريدية والمعتزلة).

فإن الناظر لمنهج الاستدلال عندهم يجده يعتمد على العقل ويجعله مصدرا أصلياً يثبت من خلاله مسائل الدين ويحكم عليها صحةً وضعفاً وقبولاً ورداً .

---

(١) إغاثة اللهفان (٢/٥٦٤).

(٢) مدارج السالكين (٢٣٨).

(٣) فقد صرح السهارنفوري كما في كتابه المهند على المفند بأنهم أشاعرة ماتريدية في الأصول، انظر من هذا البحث (ص:١٦٤).

ولذا ضلوا في أعظم أمر أمرهم الله به ألا وهو التوحيد، فضلوا وانحرفوا في هذا الباب انحرافا عظيما .

فأهل الكلام يقررون نوعين من التوحيد فقط، توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات.

وهذان النوعان قد أقر بهما كفار قريش ولم يقاتلهم رسول الله ﷺ عليها، وإنما قاتلهم على صرفهم لأنواع العبادة لغير الله تعالى .

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أن رسول الله ﷺ قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله"(١).

ولو كان المراد بلا إله إلا الله توحيد الربوبية لما أمر ﷺ بقتالهم، لأنهم مقرون في الجملة بأن الله هو الخالق الرازق المدبر المحيي المميت ....إلخ ،وما يستحقه الله من صفات الرب سبحانه.

ومن تلك المخالفات، تقرير عبدالجبار الهمذاني للتوحيد بأنه:"هو العلم بأن الله تعالى واحد لا يشاركه غيره فيما يستحق من الصفات نفياً وإثباتاً على الحد الذي يستحقه والإقرار به"(٢).

ويقول الغزالي: " الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بأنوار اليقين وآثر رهط الحق بالهداية إلى دعائم الدين وجنبهم زيغ الزائغين وضلال الملحدين ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين وسددهم للتأسي بصحبه الأكرمين ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الأولين وعقائدهم بالمنهج المبين فجمعوا بالقبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا أن النطق بما تعبدوا به من قول لا إله إلا الله محمد رسول الله ليس له طائل ولا محصول إن لم تتحقق الإحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الأقطاب والأصول وعرفوا أن كلمتي الشهادة على إيجازها تتضمن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) شرح الأصول الخمسة (١٢٨).

إثبات ذات الإله وإثبات صفاته وإثبات أفعاله وإثبات صدق الرسول وعلموا أن بناء الإيمان على هذه الأركان وهي أربعة ويدور كل ركن منها على عشرة أصول..."[١].

فيظهر جليا اهتمامهم بتوحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتقريرهما، وأن التوحيد قائم على هذا المعنى والتفسير، وليس لتوحيد الألهية أي اهتمام أو اعتبار.

وقال عبد القاهر البغدادي الأشعري: " واختلف أصحابنا في معنى الإله فمنهم من قال أنه مشتق من الآلهية وهي قدرته على اختراع الأعيان وهو اختيار أبي الحسن الأشعري..."[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رده على هؤلاء ونقد تقريرهم للتوحيد: "وبهذا وغيره يعرف ما وقع من الغلط في مسمى «التوحيد»، فإن عامة المتكلمين الذين يقرّرون التوحيد في كتب الكلام والنظر - غايتهم أن يجعلوا التوحيد ثلاثة أنواع، فيقولون: هو واحد في ذاته لا قسيم له، وواحد في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له، وأشهر الأنواع الثلاثة عندهم هو الثالث: وهو توحيد الأفعال وهو أن خالق العالم واحد، وهم يحتجون على ذلك بما يذكرونه من دلالة التمانع وغيرها، ويظنون أن هذا هو التوحيد المطلوب، وأن هذا هو معنى قولنا: لا إله إلا الله، حتى قد يجعلون معنى الإلهية القدرة على الاختراع"[٣].

---

(١) القواعد في العقائد للغزالي (١٤٣-١٤٥).

(٢) أصول الدين للبغدادي (١٢٣).

(٣) التدمرية (١٨٠).

المطلب الرابع:

ترك الدعوة إلى توحيد الأسماء والصفات بحجة أنه من المتشابه.

الإيمان بأسماء الله وصفاته أحد أركان الإيمان بالله تعالى، وله من الأهمية الشأن العظيم، ذلك أن الدارس له والداعي إليه إنما يتعلم ويدعو الناس إلى أمر عظيم، أمرٌ متعلق بمعرفة الله عز وجل من خلال أسمائه سبحانه وصفاته وأفعاله .

فشرف العلم بشرف المعلوم، وأجّل معلوم هو الله سبحانه وتعالى.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:" ولا ريب أن العلم به وبأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومه إلى سائر المعلومات وكما أن العلم به أجل العلوم وأشرفها فهو أصلها كلها كما أن كل موجود فهو مستند في وجوده إلى الملك الحق المبين ومفتقر إليه في تحقق ذاته وأينيته وكل علم فهو تابع للعلم به مفتقر في تحقق ذاته إليه فالعلم به أصل كل علم"[(١)].

فالعلم بالله نجاة للعبد والجهل به سبحانه هلاك وشقاء .

وعبادة الله وتوحيده هي الأصل الذي بعث الله لأجله الرسل وأنزل معهم الكتب، ولا يمكن أن تحصل العبادة الصحيحة دون المعرفة التامة بالمعبود سبحانه، إذ أن من شروط لا إله إلا الله العلم بها وبما تقتضيه وما تدل عليه ومن ذلك، العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله سبحانه.

قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴾[محمد: ١٩] .

قال ابن عبد البر رحمه الله تعالى:" قد أجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض متعين على كل امرئ في خاصة نفسه ومنه ما هو فرض على الكفاية إذا قام به قائم سقط فرضه عن أهل ذلك الموضع واختلفوا في تلخيص ذلك والذي يلزم الجميع فرضه من ذلك ما لا يسع الإنسان جهله من جملة الفرائض المفترضة عليه نحو الشهادة باللسان والإقرار بالقلب بأن الله وحده لا شريك له ولا شبه له ولا مثل له ﴿ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣

---

(١) مفتاح دار السعادة (٨٦/١).

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [الإخلاص: ٤] خالق كل شيء وإليه يرجع كل شيء، المحيي المميت الحي الذي لا يموت عالم الغيب والشهادة هما عنده سواء لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء هو الأول والآخر والظاهر والباطن، والذي عليه جماعة أهل السنة والجماعة أنه لم يزل بصفاته وأسمائه ليس لأوليته ابتداء ولا لأخريته انقضاء، هو على العرش استوى..."(١).

وقال البغوي رحمه الله تعالى:" العلوم الشرعية قسمان: علم الأصول، وعلم الفروع.

أما علم الأصول: فهو معرفة الله سبحانه وتعالى بالوحدانية، والصفات، وتصديق الرسل، فعلى كل مكلف معرفته، ولا يسع فيه التقليد لظهور آياته، ووضوح دلائله .

وأما علم الفروع: فهو علم الفقه، ومعرفة أحكام الدين..."(٢).

ومما يبين منزلة هذا النوع من التوحيد ما ذكره الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى عند قوله تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]

قال رحمه الله: " وهذا يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة فدعاء المسألة: أن تقدم بين يدي مطلوبك من أسماء الله تعالى ما يكون مناسبا، مثل أن تقول: يا غفور اغفر لي، ويا رحيم ارحمني، ويا حفيظ احفظني، ونحو ذلك.

ودعاء العبادة: أن تتعبد لله بمقتضى هذه الأسماء، فتقوم بالتوبة إليه لأنه التواب، وتذكره بلسانك لأنه السميع، وتتعبد له بجوارحك لأنه البصير، وتخشاه في السر لأنه اللطيف الخبير، وهكذا"(٣).

ولا شك أن الدعاء هو العبادة كما صح ذلك عن رسول الله ﷺ (٤).

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (٥٦/١).

(٢) شرح السنة للبغوي (٢٩٠/١).

(٣) القواعد المثلى (٩-١٠).

(٤) أخرجه ابن ماجة في سننه من حديث النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الدعاء هو العبادة" برقم: ٣٨٢٨ كتاب الدعاء (باب: فضل الدعاء) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة برقم: ٣١٠١، (٢٥٢/٣).

وتكمن أهمية تعلم هذا العلم الجليل والدعوة إليه فيما يلي:

١/ معرفة الله سبحانه تدعو العبد إلى تحقيق أركان العبادة الثلاثة، محبته وخوفه ورجائه، ولا سبيل لمعرفة الله تعالى إلا عن طريق معرفة أسمائه وصفاته سبحانه.

٢/ إن معرفة الله سبحانه وتعالى مما يزيد في إيمان العبد، والحاجة ملحة لدعوة الناس لمعرفة ما يزيد إيمانهم، قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: " معرفة الأسماء الحسنى هي أصل الإيمان، والإيمان يرجع إليها، ومعرفتها تتضمن أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، وتوحيد الأسماء والصفات. وهذه الأنواع هي رُوح الإيمان ورَوْحه، وأصله وغايته. فكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته، ازداد إيمانه، وقوي يقينه وطمأنينة في أحواله"(١).

وقال الشيخ العثيمين رحمه الله تعالى:" وأما نقص الإيمان فله أسباب منها: الجهل بالله تعالى وأسمائه وصفاته..."(٢).

٣/ قال ابن القيم رحمه الله تعالى عن توحيد الأسماء والصفات:" وجعل مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم معرفة المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله إذ على هذه المعرفة تنبني مطالب الرسالة جميعها وإن الخوف والرجاء والمحبة والطاعة والعبودية تابعة لمعرفة المرجو المخوف المحبوب المطاع المعبود"(٣).

وبعد هذا البيان، نقول: قد يحتج بعض الدعاة بترك الدعوة إلى هذا النوع العظيم من أنواع التوحيد بحجة أنه من المتشابه، وهذه الحجة غير صحيحة كما سنبين ذلك بإذن الله تعالى .

قال الله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

---

(١) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (٣٨-٣٩).

(٢) فتح رب البرية بتلخيص الحموية (١٢٣).

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (١/١٥٠).

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وفي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة ﷺ أن رسول ﷺ قال:" إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة"(١).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:" الثاني عشر: في بيان مراتب إحصاء أسمائه التي من أحصاها دخل الجنة وهذا هو قطب السعادة ومدار النجاة والفلاح.

المرتبة الأولى: إحصاء ألفاظها وعددها .

المرتبة الثانية: فهم معانيها ومدلولها.

المرتبة الثالثة: دعاؤه بها كما قال تعالى:﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وهو مرتبتان، إحداهما: دعاء ثناء وعبادة.

والثانية: دعاء طلب ومسألة فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وكذلك لا يسأل إلا بها..."(٢).

وقال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى:" أي من حفظها وفهم معانيها واعتقدها وتعبد الله بها دخل الجنة "(٣).

وقال الإمام ابن باز رحمه الله تعالى:"ولكنه خلقهم سبحانه لحكمة عظيمة، وهي: أن يعبدوه ويعظموه، ويخشوه، ويثنوا عليه سبحانه بما هو أهله، ويعلموا أسماءه وصفاته،ويثنوا عليه بذلك، وليتوجهوا إليه بما يحب من الأعمال والأقوال، ويشكروه على إنعامه، ويصبروا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الشروط (باب: ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار، والشروط التي يتعارفها الناس بينهم...) برقم: ٢٧٣٦، ومسلم في صحيحة كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها) برقم: ٦٨٠٩.

(٢) بدائع الفوائد (١/١٦٤).

(٣) التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (٣٨).

على ما ابتلاهم به، وليجاهدوا في سبيله، وليتفكروا في عظمته، وما يستحق عليهم من العمل..."[١].

فالله عز وجل أمرنا أن ندعوه بأسمائه الحسنى ونسأله ونتعبّده سبحانه بها، وكذلك الرسول ﷺ كما في الحديث السابق، الذي رغَّب فيه على تعلمها وتعليمها والدعوة إليها وحفظها.

فكيف يأمرنا الله سبحانه بذلك وقد حجب عنا فهمها ومعرفة معناها كما يزعم من يقول أنها من المتشابه ؟؟!!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " فإن من المعلوم أن الله تعالي أمرنا أن نتدبر القرآن، وحضنا على عقله وفهمه، فكيف يجوز مع ذلك أن يراد منا الإعراض عن فهمه ومعرفته وعقله؟"[٢].

وأما إن كان المقصود من المتشابه في الحقيقة والكيفية فهذا مستساغ، لأن حقائق وكيفية الأسماء والصفات لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى.

روى الخلال عن الوليد بن مسلم قال: "سألت سفيان والأوزاعي ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث – أي أحاديث الصفات – فقالوا: نمرها كما جاءت"[٣].

أي يمرونها على ظاهرها ولا يسألون عن الكيفية التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، وهذا هو مذهب السلف رحمهم الله تعالى.

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله:"واعلموا أن آيات الصفات كثير من الناس يطلق عليها اسم المتشابه وهذا من جهة غلط ومن جهة قد يسوغ كما بينه الإمام

---

(١) بيان التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعا وبعث به خاتمهم محمدا ﷺ (٩).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٢١٤/١).

(٣) السنة لأبي بكر الخلال(٢٠٩/١).

مالك بن أنس بقوله الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول والسؤال عنه بدعة والإيمان به واجب"(١).

وأما من ناحية المعنى فإننا نعلم معنى الاسم والصفة، فنعلم معنى حي وبصير وسميع وعليم، ومعنى الحياة والبصر والسمع والعلم، ولكن علمنا بها لا يقتضي التشبيه والمماثلة أبداً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" وأما الرب سبحانه وتعالى فلا يماثله شيء من الأشياء في شيء من صفاته، بل التباين الذي بينه وبين كل واحد من خلقه في صفاته، أعظم من التباين الذي بين أعظم المخلوقات وأحقرها.

وأما المعنى الكلي العام المشترك فيه، فذاك -كما ذكرنا - لا يوجد كليا إلا في الذهن.

وإذا كان المتصفان به بينهما نوع موافقة ومشاركة ومشابهة من هذا الوجه، فذاك لا محذور فيه ؛ فإنه ما يلزم ذلك القدر المشترك من وجوب وجواز وامتناع فإن الله متصف به، فالموجود من حيث هو موجود، أو العليم أو الحي، مهما قيل: إنه يلزمه من وجوب وامتناع وجواز، فالله موصوف به، بخلاف وجود المخلوق وحياته وعلمه، فإن الله لا يوصف بما يختص به المخلوق من وجوب وجواز واستحالة، كما أن المخلوق لا يوصف بما يختص به الرب من وجوب وجواز واستحالة"(٢).

ومن أقوال أهل العلم في أن الأسماء والصفات ليست من المتشابه بل هي من المحكم، أنقل ما يلي:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" من قال إن هذا من المتشابه وأنه لا يفهم معناه فنقول أما الدليل على بطلان ذلك فإني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه..."(٣).

---

(١) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (٣٨).

(٢) منهاج السنة النبوية (٤/٤٠٠).

(٣) مجموع الفتاوى (١٣/٢٩٤).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وقد تنازع الناس في المحكم والمتشابه تنازعا كثيرا ولم يعرف عن أحد من الصحابة قط أن المتشابهات آيات الصفات بل المنقول عنهم يدل على خلاف ذلك فكيف تكون آيات الصفات متشابهة عندهم وهم لا يتنازعون في شيء منها وآيات الأحكام هي المحكمة وقد وقع بينهم النزاع في بعضها وإنما هذا قول بعض المتأخرين"[(١)].

وأما طريقة الدعوة إلى توحيد الأسماء والصفات فإنه ينبغي أن يُعلم أنه قد تقرر أن هذا النوع من أنواع التوحيد هو من المحكم الذي خاطبنا الله سبحانه وتعالى به، وأخبرنا به رسوله ﷺ ومن المتشابه من ناحية معرفة الحقيقة والكيفية .

فينبغي أن يُعلَّم الناس ما يحتاجونه دون التعمق والتكلف والتنطع في البحث عن أمورٍ لم ترد لا في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية من الكيفية والحقيقة لتلك الصفات، كقولهم كيف استوى على العرش ؟

كما ينبغي الرد على الفرق المخالفة في هذا الباب، وبيان مذهب السلف رحمهم الله تعالى للناس إن شاع بينهم من يدعو لمخالفة مذهب السلف رحمهم الله تعالى[(٢)].

ومما سبق يتضح لنا جلياً أن الدعوة إلى توحيد الأسماء والصفات، تُفرِّق بين الحق والباطل لأنه أصل من أصول الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، فكيف يمكن أن يكون الاجتماع مع من ينكر أسماء الله وصفاته، أو ينكر بعضها، أو يؤلها وصرفها عما دلت عليه.

بل العجب فيمن لا يدعو إلى هذا النوع من التوحيد بحجة أنه يفرق بين الأمة.

ومن أولئك الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية ومن نحا نحوهم في هذا الأصل العظيم من حيث الدعوة إلى إنكاره أو إنكار بعضه، أو إلى الإيمان بالأسماء دون الصفات، أو الدعوة إلى تحريفها وتأويلها، وهذا كله داخل في الإعراض عن الدعوة إلى الإيمان بالأسماء والصفات.

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية المعطلة (٢١٣/١-٢١٤).

(٢) انظر: فتاوى نور على الدرب للشيخ العثيمين رحمه الله (٢/٤).

ومذاهب الدعاة في الدعوة إلى توحيد الأسماء والصفات تنقسم إلى ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: من يدعو إلى تعطيل الرب عما يستحق من الأسماء والصفات[١].

المذهب الثاني: من يدعو لتشبيه صفات الرب سبحانه بصفات المخلوقين[٢]، وإثباتهم خاطئ لأنهم شبهوا صفات الرب بصفات خلقه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"ما من شيئين إلا بينهما قدر مشترك وقدر مميز فالنافي إن اعتمد فيما ينفيه على أن هذا تشبيه قيل له: إن أردت أنه مماثل له من كل وجه فهذا باطل؛ وإن أردت أنه مشابه له من وجه دون وجه أو مشارك له في الاسم لزمك هذا في سائر ما تثبته وأنتم إنما أقمتم الدليل على إبطال التشبيه والتماثل الذي فسرتموه بأنه يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر ويمتنع عليه ما يمتنع عليه ويجب له ما يجب له ومعلوم أن إثبات التشبيه بهذا التفسير مما لا يقوله عاقل يتصور ما يقول؛ فإنه يعلم بضرورة العقل امتناعه ولا يلزم من نفي هذا نفي التشابه من بعض الوجوه كما في الأسماء والصفات المتواطئة ولكن من الناس من يجعل التشبيه مفسرا بمعنى من المعاني ثم أن كل من أثبت ذلك المعنى قالوا: إنه مشبه ومنازعهم يقول: ذلك المعنى ليس من التشبيه"[٣].

فإذا عُلِم هذا، فكيف يمكن الاجتماع مع من يُعطل الرب سبحانه وتعالى عن صفاته أو يشبهها بصفات الخلق.

فالمعتزلة والأشاعرة فروا من التشبيه إلى التعطيل، وأما الجهمية فهم معطلة على درجات، ويشترك المعتزلة والأشاعرة معهم بقدر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" وكذلك الجهمية على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: وهي شرها الغالية الذين ينفون أسماء الله وصفاته وإن سموه بشيء من أسمائه الحسنى قالوا: هو مجاز فهو في الحقيقة عندهم ليس بحي ولا عالم ولا قادر ولا سميع ولا بصير ولا متكلم ولا يتكلم.

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٣/٧-٨).

(٢) انظر: در تعارض العقل والنقل (٢/٤٠٥-٤٠٧ و ٤/٦٣٥)، ولوامع الأنوار البهية (١/٩١)

(٣) مجموع الفتاوى (٣/٦٩).

والدرجة الثانية: من التجهم هو تجهم المعتزلة ونحوهم، الذين يقرون بأسماء الله الحسنى في الجملة، لكن ينفون صفاته، وهم أيضا لا يقرون بأسماء الله الحسنى كلها على الحقيقة، بل يجعلون كثيرا منها على المجاز، وهؤلاء هم الجهمية المشهورون.

وأما الدرجة الثالثة: فهم الصفاتية المثبتون المخالفون للجهمية، لكن فيهم نوع من التجهم، كالذين يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة، لكن يردون طائفة من أسمائه وصفاته الخبرية، أو غير الخبرية، ويتأولونها كما تأول الأولون صفاته كلها، ومن هؤلاء من يقر بصفاته الخبرية الواردة في القرآن دون الحديث، كما عليه كثير من أهل الكلام والفقه وطائفة من أهل الحديث، ومنهم من يقر بالصفات الواردة في الأخبار أيضا في الجملة، لكن مع نفي وتعطيل لبعض ما ثبت بالنصوص وبالمعقول، ....وفي هذا القسم يدخل أبو الحسن الأشعري وطوائف من أهل الفقه والكلام والحديث والتصوف، وهؤلاء إلى أهل السنة المحضة أقرب منهم إلى الجهمية والرافضة والخوارج والقدرية، لكن انتسب إليهم طائفة هم إلى الجهمية أقرب منهم إلى أهل السنة المحضة، فإن هؤلاء ينازعون المعتزلة نزاعا عظيما فيما يثبتونه من الصفات أعظم من منازعتهم لسائر أهل الإثبات فيما ينفونه"[(١)].

هذه هي المذاهب المخالفة لأهل السنة والجماعة في هذا الأصل، ويدخل معهم أيضاً القُصَّاص الذين عُرِف عنهم الإعراض عن تعليم الناس التوحيد بجميع أقسامه.

فعن أبي قلابة رحمه الله قال:" ما أمات العلم إلا القصاص، يجالس الرجلُ الرجلَ سنةً فلا يتعلق منه شيء، و يجلس إلى العالم فلا يقوم حتى يتعلق منه شيء"[(٢)].

وسُئل الشيخ صالح الفوزان حفظه الله:

لقد ذكر السلف القصاص وذموهم، فما هي طريقتهم، وما موقفنا تجاههم؟

فأجاب حفظه الله بقوله: "حذر السلف رحمهم الله من القصاص لأنهم في الغالب لا يتوخون في كلامهم ما يؤثر على الناس من القصص وإلا التي لم تصح، ولا يعتمدون على

(١) الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦/ ٢٧٠-٢٧٢).

(٢) حلية الأولياء (٢/ ٢٨٧).

الدليل الصحيح ، ولا يعنون في تعليم الناس أحكام دينهم وأمور عقيدتهم ، لأنهم ليس عندهم فقه ويمثلهم في وقتنا الحاضر: جماعة التبليغ بمنهجهم المعروف، مع ما عندهم من تصوف وخرافة، وكذلك هم – القصاص – في الغالب يعتمدون على نصوص الوعيد، فيُقنّطوا الناس من رحمة الله – تعالى "[(١)].

وذكر الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في كتابه التوحيد[(٢)] (باب: من جحد شيئا من الأسماء والصفات) ثم ساق الأدلة رحمه الله تعالى، ومنها: قول علي رضي الله عنه: "حدثوا الناس بما يعرفون، أتريدون أن يُكَذَّب الله ورسوله؟ "[(٣)].

قال الشيخ سليمان بن عبد الله عند قول المؤلف رحمه الله: (باب من جحد شيئًا من الأسماء والصفات): " أي: من أسماء الله وصفاته، والمراد ما حكمه هل هو ناج أو هالك؟ ولما كان تحقيق التوحيد بل التوحيد لا يحصل إلا بالإيمان بالله والإيمان بأسمائه وصفاته، نبه المصنف على وجوب الإيمان بذلك وأيضًا فالتوحيد ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد العبادة. والأولان وسيلة إلى الثالث، فهو الغاية والحكمة المقصود بالخلق والأمر. وكلها متلازمة فناسب التنبيه على الإيمان بتوحيد الصفات"[(٤)].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله في شرحه على حديث علي رضي الله عنه: "وسبب هذا القول - والله أعلم - ما حدث في خلافته من كثرة إقبال الناس على الحديث، وكثرة القصاص وأهل الوعظ، فيأتون في قصصهم بأحاديث لا تعرف من هذا القبيل فربما استنكرها بعض الناس وردها. وقد يكون لبعضها أصل أو معنى صحيح، فيقع بعض المفاسد لذلك، فأرشدهم أمير المؤمنين رضي الله عنه إلى أنهم لا يحدثون عامة الناس إلا بما هو

---

(١) الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة (٢٢٤-٢٢٧).

(٢) كتاب التوحيد (١١٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب العلم (باب: من خص بالعلم قوما دون قوم كراهية ألا يفهموا) برقم: ١٢٧ .

(٤) تيسير العزيز الحميد (٤٩٧).

معروف ينفع الناس في أصل دينهم وأحكامه، من بيان الحلال من الحرام الذي كلفوا به علما وعملا، دون ما يشغل عن ذلك مما قد يؤدي إلى رد الحق وعدم قبوله فيفضي بهم إلى التكذيب، ولا سيما مع اختلاف الناس في وقته، وكثرة خوضهم وجدلهم"[(١)].

المذهب الثالث: وهو كما تقدم معنا من تقريرٍ لمذهب أهل الحق، وهم أهل السنة والجماعة، الذين يثبتون الصفات من غير تشبيه، وينفون من غير تعطيل.

فيثبتون ما أثبته الله سبحانه لنفسه في كتابه أو في سنة نبيه ﷺ من غير تمثيل ولا تشبيه، ومن غير تحريف ولا تعطيل.

قال ابن القيم رحمه الله في نونيته[(٢)]:

لسنا نشبه وصفه بصفاتنا ... إن المشبه عابد الأوثان

كلا ولا نخليه من أوصافه ... إن المعطل عابد البهتان

من مثل الله العظيم بخلقه ... فهو النسيب لمشرك نصراني

أو عطل الرحمن من أوصافه ... فهو الكفور وليس ذا إيمان

قال العلامة صالح الفوزان حفظه الله في تعليقه على هذه الأبيات[(٣)]:

[١] الذي يشبه صفات الله بصفات المخلوقين فإنه يعبد وثناً لأن الله لا شبيه له، والذي ينفي الأسماء والصفات عن الله تعالى يعبد عدما، لأن الذي ليس له أسماء ولا صفات معدوم، ولذلك يقول العلماء: المشبه يعبد صنما والمعطل يعبد عدما.

[٢] المعطل يعبد عدما لا أصل له، لأنه ليس هناك شيء في الوجود ليس له أسماء ولا صفات.

[٣] من شبه الله بخلقه فهو كالنصارى الذين يعبدون المسيح عليه السلام لأنهم شبهوا المسيح البشري بالله عز وجل.

[٤] وأشد منه الذي عطل الرحمن عن أوصافه، وهذا كفر بوجود الرب.

---

(١) فتح المجيد (٣١٦).

(٢) نونية ابن القيم المعروفة بالكافية الشافية (٢٠٦).

(٣) التعليق المختصر على القصيدة النونية (٢/٧٦٢).

المبحث الثاني:

المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل.

الإيمان بالملائكة والكتب والرسل هي من ضمن أركان الإيمان، فلا يصح إيمان عبدٍ ما لم يؤمن بها كما أمر الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ .

قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

قال أبي العز الحنفي رحمه الله: " هذه الأمور من أركان الإيمان، فجعل الله سبحانه وتعالى الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمى من آمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة، بقوله: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء: ١٣٦] .

وقال ﷺ في الحديث المتفق على صحته من حديث جبريل عليه السلام وسؤاله للنبي ﷺ عن الإيمان، فقال:" أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[(١)].

فهذه الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه، ولم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل.

وأما أعداؤهم ومن سلك سبيلهم من الفلاسفة وأهل البدع فهم متفاوتون في جحدها وإنكارها..."[(٢)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) شرح الطحاوية (٢٢٨).

ولشدة الحاجة لمعرفة عقيدة أهل السنة والجماعة حول تقرير هذه الأركان وما تمثله من أهمية قصوى لعموم المسلمين دعاة ومدعوين، سأتناول بإذن الله تعالى في هذا المبحث عقيدة أهل السنة والجماعة في هذه الأركان، وطريقة دعوتهم لها وبيانها للناس.

والداعي لذلك هو انحراف فِئام من الدعاة عن منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى تقرير هذه الأركان من خلال الإعراض عنها بالكلية أو الدعوة إلى سلوك طرق ووسائل تؤدي إلى فتح بابٍ من أبواب البدعة والشرك، والمتأمل لهذا يعلم مدى الحاجة لبيان ذلك من خلال جمع تلك المخالفات، وسيكون ذلك من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول:

الإعراض عن تقرير عقيدة الإيمان بالملائكة بحجة عدم حاجة الناس لها.

الإيمان بالملائكة ركنٌ من أركان الإيمان، ولا يتم إيمان عبدٍ إلا به، ولكي يكتمل إيمانٌ العبد لابد له من طلب العلم فبزيادة العلم تحصل الزيادة في الإيمان، ومن الأمور التي يجب تعلمها وهي فرض عين، الإيمان بالملائكة .

فالملائكة عالم غيبي، لم يطلعنا الله عليه إلا من خلال نصوص الكتاب والسنة، فهم عابدون لله تعالى منقادون لأمره موكَّلون بأمورٍ ذكرها الله سبحانه في كتابة أو على لسان نبيه ﷺ، والإيمان بالملائكة إجمالاً يتضمن أموراً عدة، منها:

١/ الإيمان بوجودهم.

قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

٢/ الإيمان بمن سمى الله سبحانه وتعالى منهم أو سماه رسوله ﷺ خاصة، وبمن لا نعلم أسمه نؤمن به إجمالاً.

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [البقرة: ٩٨].

٣/ الإيمان بما ورد من أعمالهم، وبما كلفوا به، وأنهم لا يملكون شيئا من خصائص الربوبية بل هم عبادٌ مكرمون مأمورون، كما قال تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢٦ — ٢٩]

وللملائكة أعمال يقومون بها وفق ما أمرهم الله عز وجل، فجبريل عليه السلام موكل بالوحي ،كما قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [البقرة: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ — ١٩٤].

وهناك ملائكة حملة للعرش، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ ﴾ [غافر: ٧]

ومن تلك الأعمال أيضا: خزنة الجنة وخزنة النار، والموكلون بالسحاب والقطر والمعقبات وغير ذلك من الأعمال الواردة بالكتاب والسنة .

٤/ الإيمان بما ورد من صفاتهم في الكتاب والسنة ،كصفاتهم الخِلقية من عِظَمِ خلقهم وعدد أجنحتهم ونحو ذلك، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ [فاطر: ١]

وفي صفة عبادتهم عليهم السلام كما قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٠٦] .

وبعد هذا فإن للإيمان بالملائكة آثراً عظيماً في نفوس الخلق، ولا يمكن أن يحصل هذا الأثر دون الدعوة إلى هذا الركن العظيم وحض الناس على تعلمه ودراسته، وبيان منهج السلف الصالح حول الإيمان بالملائكة، فبذلك الأثر وهذه الثمرات يتضح لنا حاجة الناس لدعوتهم لهذا الركن العظيم .

ومن تلك الثمرات:

١/ العلم بعظمة الله تعالى، وقوته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

٢/ شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

٣/ محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى(١).

٤/ الاقتداء بالملائكة عليهم السلام في عبادتهم وفي التزامهم لأمر الله تعالى حيث قال الله عنهم: ﴿ **لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾ [التحريم: ٦]، وفي انتظامهم قال الرسول ﷺ: " ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها، فقلنا: يا رسول الله، وكيف تصف الملائكة عند ربها ؟ قال: يتمون الصفوف الأول، ويتراصون في الصف"(٢).

٥/ الإيمان بالملائكة من الأمور الغيبية، ودعوة الناس للإيمان بالملائكة يحقق الإيمان بالغيب.

٦/ الإيمان بالملائكة يجعل من العبد رقيبا على نفسه، إذا علم أن هناك ملائكة تكتب حسناته وسيئاته، أثمر ذلك تعظيم العبد لربه .

ومما يجلي منزلة الإيمان بالملائكة أن الله تعالى قرن الإيمان به سبحانه بالإيمان بالملائكة كما قال سبحانه: ﴿ **ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ**

---

(١) انظر: شرح ثلاثة أصول للشيخ العثيمين رحمه الله (٩٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الصلاة (باب: الأمر بالسكون في الصلاة، والنهي عن الإشارة باليد، ورفعها عند السلام، وإتمام الصفوف الأول والتراص فيها والأمر بالاجتماع) برقم: ٩٦٨ .

وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨٥] .

وعدَّ الإيمان بالملائكة من البر، كما قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وجعل الملائكة شهوداً على أعظم أمر وهو التوحيد، كما قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨].

وغير ذلك مما يدل على عظيم منزلة هذا الركن، وإذا علم هذا فكيف يدّعي مدعي عدم حاجة الناس له !!.

والخلاصة، أن الناس في أمسِّ الحاجة إلى من يدعوهم ويعلمهم ما يشتمل عليه هذا الركن من وجوب الإيمان به، وبيان منزلة الملائكة، وما يثمر للعبد من فوائد عند تعلمه ما يتعلق بهذا الركن العظيم، فيحصل له الخير في الدنيا والآخرة .

والمخالفون في هذا الباب كثر، منهم:

١/ الفلاسفة:

وعقيدتهم تقوم على الفلسفة العقلية وطلب الحكمة الإلهية، سواءً وافقت المعقول أو عارضته[1].

ودعوتهم قائمة على أن الملائكة قوى خفية للخير والشر، أو هي من يحرك الأفلاك وغير ذلك من التأويلات الباطلة.

---

(١) انظر: (لسان العرب ٢٧٣/٩) و (التعريفات ١٦٩) و (تاج العروس ٤٧٦/٢٣).

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى عن قول بعضهم:"ويزعمون أنه لم يسجد لآدم شيء من الملائكة، وأن الشياطين امتنعوا عن السجود له لأنهم يفسرون الملائكة والشياطين بقوى النفس: قوى الخير، والشر"(١).

وقال بعضهم: " إنها جواهر مجردة مخالفة للنفوس الناطقة في الحقيقة، وصرح بعضهم بأنها العقول العشرة والنفوس الفلكية التي تحرك الأفلاك"(٢).

٢/ الذين يخوضون في الملائكة بغير علم ويتأولونها وفق معتقدهم، ومنهم:

محمد عبده كما نُقِل عنه قوله:" أخبر الله الملائكة بأنه جاعل في الأرض خليفة، ففهموا من ذلك أن الله يودع في فطرة هذا النوع الذي يجعله خليفة أن يكون ذا إرادة مطلقة واختيار في عمله غير محدود، وأن الترجيح بين ما يتعارض من الأعمال التي تعن له تكون بحسب علمه، وأن العلم إذا لم يكن محيطا بوجوه المصالح والمنافع فقد يوجه الإرادة إلى خلاف المصلحة والحكمة وذلك هو الفساد، وهو متعين لازم الوقوع؛ لأن العلم المحيط لا يكون إلا لله – تعالى –، فعجبوا كيف يخلق الله هذا النوع من الخلق وسألوا الله – تعالى – بلسان المقال إن كانوا ينطقون، أو بلسان الحال والتوجيه إليه لاستفاضة المعرفة بذلك وطلب البيان والحكمة، وعبر الله عن ذلك بالقول؛ لأنه هو المعهود بالاستعلام والاستفهام عند البشر الذين أنزل القرآن لهدايتهم، كما نسب القول إلى السماوات والأرض في قوله: ﴿قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]، فأول ما ألقي إليهم من الإلهام أو غيره من طرق الإعلام هو وجوب الخضوع والتسليم لمن هو بكل شيء عليم؛ لأن ما يضيق عنه علم أحد ويحار في كيفيته يتسع له علم من هو أعلم منه، ومن شأن الإنسان أن يسلم لمن يعتقد أنه فوقه في العلم ما يتصدى له مهما يكن بعيد الوقوع في اعتقاده، ومثل الأستاذ لذلك بمشايخ الصوفية مع مريديهم"(٣).

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/١٣٨).

(٢) تفسير الألوسي، روح المعاني (١/٢٢١).

(٣) تفسير المنار (١/٢١٣-٢١٤).

وقد دلت الأدلة على أن الملائكة تتكلم بكلام مفهوم لفظاً ومعناً، فهي تتكلم مع الله عزوجل ومع بعضها ومع الأنبياء عليهم السلام ومع أهل الجنة ومع أهل النار، منها:

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [آل عمران: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴾ [الزمر: ٧٣].

ومن ذلك ما أخرجه البخاري ومسلم، في كيفية بدء الوحي على الرسول ﷺ من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت: " أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ، قال: «ما أنا بقارئ»، قال: " فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ﴾ [العلق: ١-٣]"[(١)].

وقال أيضاً في موضعٍ أخر معتبراً أن الملائكة والشياطين أرواح تتصل بأجساد الناس:"إن إلهام الخير والوسوسة بالشر مما جاء في لسان صاحب الوحي ﷺ وقد أسندا إلى

---

(١) صحيح البخاري كتاب بدء الوحي (باب: كيف كان بدء الوحي على رسول الله ﷺ) برقم: ٣، ومسلم في صحيحة كتاب الإيمان (باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ) برقم: ٤٠٣.

هذه العوالم الغيبية، وخواطر الخير التي تسمى إلهاما وخواطر الشر التي تسمى الوسوسة كل منهما محله الروح، فالملائكة والشياطين إذن أرواح تتصل بأرواح الناس فلا يصح أن تمثل الملائكة بالتماثيل الجثمانية المعروفة لنا (لأن هذه لو اتصلت بأرواحنا، فإنما تتصل بها من طرق أجسامنا، ونحن لا نحس بشيء بأبداننا لا عند الوسوسة ولا عند الشعور بداعي الخير من النفس، فإذن هي من عالم غير عالم الأبدان قطعا) والواجب على المسلم في مثل الآية: الإيمان بمضمونها مع التفويض أو الحمل على أنها حكاية تمثيل، ثم الاعتبار بها بالنظر في الحكم التي سيقت لها القصة"[١].

٣/ الباطنية: قال البغدادي: " والباطنية يرفضون المعجزات وينكرون نزول الملائكة من السماء بالوحي والأمر والنهي بل ينكرون أن يكون في السماء ملك وإنما يتأولون الملائكة على دعائهم إلى بدعتهم ويتأولون الشياطين على مخالفيهم والأبالسة على مخالفيهم"[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومن دخل معهم من المنتسبين إلى الإسلام أو اليهود والنصارى: كأصحاب" رسائل إخوان الصفا " وأمثالهم ممن زعم أن " الملائكة " هي العقول والنفوس وأنه لا يمكن موتها بحال بل هي عندهم آلهة وأرباب لهذا العالم"[٣].

فهؤلاء هم أبرز من عُرِف عنهم الدعوة إلى إنكار الملائكة أو تأويل لفظ الملائكة عن حقيقته أو الخوض في الملائكة بلا علم .

---

(١) تفسير المنار (٢٢٢/١).

(٢) الفرق بين الفرق (٢٣٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٥٩/٤).

المطلب الثاني:

الإعراض عن تقرير عقيدة الإيمان بالكتب .

الإيمان بالكتب السماوية ركن من أركان الإيمان، دل على ذلك قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ [النساء:١٣٦] .

وقد أخبر النبي ﷺ – في حديث جبريل – أن الإيمان بالكتب السماوية، جزء من حقيقة الإيمان، وذلك بقوله: " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله..."(١).

ولا يتم إيمان عبدٍ إلا بالإيمان بأركان الإيمان كلها، والإيمان بالكتب ركنٌ من هذه الأركان .

فيجب التصديق الجازم بأن الله تعالى أنزل على رسله كتباً على الحقيقة فيها الهدى والصلاح والفلاح لمن اتبع ما فيها من أقوام الرسل، وأن الله عز وجل تكلم به حقيقةً.

قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأعراف: ٣٥].

قال الطبري رحمه الله تعالى:" يتلون عليكم آيات كتابي، ويعرفونكم أدلتي وأعلامي على صدق ما جاؤوكم به من عندي، وحقيقة ما دعوكم إليه من توحيدي"(٢).

والإيمان بالكتب السابقة فرض عين، ويكون إيماناً مجملاً، أي نؤمن بأن الله تعالى أنزل على رسله كتباً فيها الهدى والنور والصلاح سمى الله بعضاً منها في القران الكريم وهي صحف إبراهيم والتوارة والإنجيل والزبور والقران الكريم، ولم يسمي الباقي، فنؤمن بما سمى

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) تفسير الطبري (٣٢٥/٥).

بالاسم ونؤمن بما لم يسم إجمالاً، قال تعالى: ﴿ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ﴾[الشورى: ١٥].

قال شارح الطحاوية رحمه الله: " وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتبا أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى"(١).

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ﴾[الزمر: ٧١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " والكتاب هو الذي جعله الله حاكما بين الناس... فهذا كله إذا تدبره المؤمن علم علما يقينا أن الكتاب والقول والحديث وآيات الله كل ذلك واحد والمحمودون الذين أثنى الله عليهم هم المتبعون لذلك استماعا وتدبرا وإيمانا وعملا ..."(٢).

وهذه الكتب قد نسخها القران الكريم، فلا يصح التعبد بها والتحاكم إليها ولا قرأتها والنظر فيها إلا لأهل العلم العارفين، بقصد الرد على اليهود والنصارى.

قال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة: ٤٦ – ٤٨]

---

(١) شرح الطحاوية (٢٣٩).

(٢) الاستقامة (١٧٤-١٧٥).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: " لما ذكر تعالى التوراة التي أنزلها على موسى كليمه، ومدحها وأثنى عليها وأمر بأتباعها حيث كانت سائغة الإتباع وذكر الإنجيل ومدحه وأمر أهله بإقامته وأتباع ما فيه، كما تقدم بيانه، شرع في ذكر القرآن العظيم الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم، فقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾أي بالصدق الذي لا ريب فيه أنه من عند الله مصدقا لما بين يديه من الكتاب أي من الكتب المتقدمة المتضمنة ذكره ومدحه، وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد ﷺ، فكان نزوله كما أخبرت به، مما زادها صدقا عند حامليها من ذوي البصائر الذين انقادوا لأمر الله، واتبعوا شرائع الله، وصدقوا رسل الله، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ [الإسراء: ١٠٧]، أي إن كان ما وعدنا الله على ألسنة رسله المتقدمة من مجيء محمد ﷺ لمفعولا، أي لكائناً لا محالة ولا بد"[١].

وقال ابن جرير الطبري، مهيمناً: " أي أنزلنا الكتاب الذي أنزلناه إليك، يا محمد، مصدقا للكتب قبله، وشهيدا عليها أنها حق من عند الله، أمينا عليها، حافظا لها"[٢].

وأما القرآن الكريم فإن الإيمان به يجب أن يكون مفصلاً، من حيث الإقرار والاعتقاد والتحاكم إليه والعمل بما فيها، وأنه كلام الله منزل غير مخلوق.

قال شارح الطحاوية: " وأما الإيمان بالقرآن، فالإقرار به، وأتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب"[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وقد قال أئمة المسلمين وجمهورهم: القرآن كلام الله غير مخلوق منه بدأ"[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير (٦٠١/٢).

(٢) تفسير الطبري (٥٦٧/٤).

(٣) شرح الطحاوية (٢٣٩).

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣٤٢/٢).

وقال رحمه الله: " الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وإن هذا القرآن الذي يقرؤه الناس هو كلام الله، يقرؤه الناس بأصواتهم"(١).

والغاية من إنزال الكتب، هي عبادة الله وحده وتحقيق التوحيد الذي دعت إليه الرسل عليهم الصلاة والسلام، كما قال تعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ [النحل: ٢].

قال الطبري رحمه الله تعالى:" ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده، بأن أنذروا عبادي سطوتي على كفرهم بي وإشراكهم في اتخاذهم معي الآلهة والأوثان، فإنه لا إله إلا أنا، يقول: لا تنبغي الألوهية إلا لي، ولا يصلح أن يعبد شيء سواي.

﴿ فَٱتَّقُونِ ﴾ يقول: فاحذروني بأداء فرائضي وإفراد العبادة وإخلاص الربوبية لي، فإن ذلك نجاتكم من الهلكة"(٢).

وللإيمان بالكتب ثمرات جليلة ومنافع غزيرة، ينتفع بها من آمن بها وحقق الإيمان علماً وتعليماً ودعوةً إليها، فمنها:

١/ أن الله عز وجل أنزل الكتب لغاية واحدة، وهي إفراده سبحانه بالعبادة، والأدلة كثيرة في هذا الباب، فبالإيمان بالكتب ومعرفة الغاية من إنزالها يتحقق أعظم مطلوب ألا وهو التوحيد .

٢/ من رحمة الله بعبادة أن أنزل إليهم كتباً تهديهم وترشدهم لما فيها صلاح معاشهم ومعادهم، ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

قال الشيخ السعدي رحمه الله:" القرآن العظيم والذِّكر الحكيم فيه الخير الكثير، والعِلْم الغزير، وهو الذي تُستمَدُّ منه سائر العلوم، وتُستخرَج منه البَركات، فما من خيرٍ إلاَّ وقد دعا إليه ورغَّب فيه، وذكَر الحِكَم والمصالح التي تحثُّ عليه، وما من شرٍّ إلا وقد نهى

(١) الفتاوى الكبرى (٢/٣١٢).

(٢) تفسير الطبري (٧/١٤٢).

عنه، وحذَّر منه، وذكَر الأسباب المنفِّرة منه ومِن فِعْله، وعواقبها الوخيمة، فاتَّبِعوه فيما يأمر به وينهى، وابنوا أصول دينكم وفروعَه عليه"(١).

وقــال تعــالى: ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[النحل: ٨٩].

قال الطبري رحمه الله تعالى:" نزل عليك يا محمد هذا القرآن بيانا لكل ما بالناس إليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب (وهدى) من الضلال (ورحمة) لمن صدق به، وعمل بما فيه من حدود الله، وأمره ونهيه، فأحل حلاله، وحرم حرامه (وبشرى للمسلمين) يقول: وبشارة لمن أطاع الله وخضع له بالتوحيد، وأذعن له بالطاعة، يبشره بجزيل ثوابه في الآخرة، وعظيم كرامته"(٢).

٣/ قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى:" من ثمرات الإيمان بالكتب العلم بحكمة الله تعالى في شرعه من حيث شرَّع لكل قوم ما يناسب أحوالهم، كما قال تعالى: ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ﴾ [المائدة: ٤٨]"(٣).

٤/ الإيمان بالكتب يحقق للعبد الإيمان التام بتوحيد الأسماء والصفات، حيث أن الكتب المنزلة هي كلام الله تعالى، تكلم بها حقيقة، فيسلم المؤمن من التحريف والتعطيل لكلام الله سبحانه وتعالى.

٥/ مما تختص به هذه الأمة، أن الله تعالى أنزل على نبيها ﷺ كتابا مهيمناً على الكتب السابقة، فكل هدى ونور وصلاح وفلاح في الكتب السابقة فهو مثبت في القران الكريم وزيادة، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ ﴾ [فاطر: ٣٢]

---

(١) تفسير السعدي (٢٥٨).

(٢) تفسير الطبري (٧/٢٤٦).

(٣) شرح ثلاثة أصول للشيخ العثيمين رحمه الله (٩٥).

قال القرطبي رحمه الله تعالى:" والكتاب ها هنا يريد به معاني الكتاب وعلمه وأحكامه وعقائده، وكأن الله تعالى لما أعطى أمة محمد ﷺ القرآن، وهو قد تضمن معاني الكتب المنزلة، فكأنه ورث أمة محمد ﷺ الكتاب الذي كان في الأمم قبلنا"(١).

هذا وإن الإعراض عن تقرير عقيدة الإيمان بالكتب يشمل أمورا عدة، منها:

١/ التكذيب بها وتحريفها، كما تفعل الرافضة وغلاة الصوفية .

قال الشعراني في طبقاته: " ومنهم الشيخ شعبان المجذوب ... – إلى أن قال – وكان يقرأ سوراً غير التي في القران على كراسي المساجد يوم الجمعة وغيرها فلا ينكر عليه أحد، وكان العامي يظن أنها من القرآن لشبهها بالآيات في الفواصل..."(٢).

والصوفية يعتقدون بأن القرآن الكريم له ظاهر وباطن، وهذا الأصل وافق دعاة الصوفية وغلاتهم فيه الرافضة، **قال** الطوسي الصوفي(٣): (إن العلم ظاهر وباطن وهو علم الشريعة الذي يدل ويدعو إلى الأعمال الظاهرة والباطنة ... ولا يستغني الظاهر عن الباطن، ولا الباطن عن الظاهر، وقد قال الله عز وجل: ﴿ **وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ** ﴾[النساء: ٨٣] فالمستنبط هو العلم الباطن، وهو علم أهل التصوف، لأن لهم مستنبطات من القرآن والحديث وغير ذلك... فالعلم ظاهر وباطن، والقرآن ظاهر وباطن، وحديث رسول الله ﷺ ظاهر وباطن، والإسلام ظاهر وباطن"(٤).

ومن الروايات الرافضية ما أخرجه الكليني في أصول الكافي:"عن محمد بن منصور قال: سألت عبداً صالحاً عن قول الله عز وجل: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** ﴾ [الأعراف: ٣٣] ، قال: فقال: إن القرآن له ظهر وبطن، فجميع ما حرم الله في

---

(١) تفسير القرطبي (٣٨١/١٧).

(٢) طبقات الشعراني (١٦٧/٢).

(٣) عبد الله بن علي بن محمد بن يحيى بن يحيى أبو نصر بن أبي الحسن السراج الصوفي الطوسي توفي سنة ٣٧٨هـ، انظر: (تاريخ دمشق ٧٥/٣١).

(٤) اللمع (٤٣-٤٤).

القرآن هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الجور، وجميع ما أحل الله تعالى في الكتاب هو الظاهر والباطن من ذلك أئمة الحق"[١].

وأما حالهم مع القران الكريم من حيث التكذيب به والطعن فيه والقول بالتحريف والتبديل فهو أمر معلوم وظاهر فقد زعم معممهم الهالك النوري الطبرسي في كتابه (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) أن القرآن الكريم قد وقع فيه التحريف، بل إن الروايات في إثبات ذلك جاءت مستفيضة كما زعم شيخهم المفيد حيث **قال:**" إن الأخبار قد جاءت مستفيضة عن أئمة الهدى من آل محمد ﷺ باختلاف القرآن وما أحدثه بعض الظالمين فيه من الحذف والنقصان فأما القول في التأليف فالموجود يقضي فيه بتقديم المتأخر وتأخير المتقدم ..."[٢].

ومن ذلك ما جاء في أصول الكافي:" عن أبي جعفر عليه السلام قال هكذا نزلت هذه الآية: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ ﴾ في علي ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ [النساء: ٦٦]"[٣].

٢/ كذلك الدعوة إلى التحاكم إلى القوانين الوضعية وغيرها .

وأصحاب هذه الدعوة في الغالب من الليبرالية، حيث يشرعون القوانين الوضعية من ناحية، ويرون استحلال الحكم بغير ما أنزل الله تعالى من ناحية أخرى.

ومن مبادئها تنحية الشريعة، وإثبات الحاكمية لغير الله تعالى.

٣/ الإعراض عن تعلم القرآن الكريم وتعليمه، فجميع المصائب التي حلت بالمسلمين اليوم بسبب بعدهم عن كتاب الله تعالى تعلماً وتعليما، ويعود ذلك في الغالب إلى دعاة البدعة والسوء ممن يحرفون الكلم عن مواضعه وممن يزهدون العباد في كتاب ربهم .

---

(١) أصول الكافي للكليني (١/ ٢٨٠).

(٢) أوائل المقالات للمفيد (٨٠-٨١).

(٣) أصول الكافي للكليني (١/ ٣٢٠).

ويدخل ضمن ذلك، تركيز بعض الدعاة على ربط الطلاب بمجرد التلاوة دون فهمٍ للمعاني مما تسبب في وجود الانحرافات الفكرية التي منشؤها الجهل بمعاني القران الكريم ومن التسرع في التكفير دون معرفة الضوابط، والاحتجاج بالآيات الدالة على تكفير من لم يحكم بالشريعة دون الرجوع لفهم السلف في تفسيرها .

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى كلاماً خطيراً حول الإعراض عن كتاب الله تعالى وعدم المبالاة تجاهه، وعدم تعليم الناس له فقال رحمه الله تعالى:" الأصل الثاني: أن العذاب يستحق بسببين:

أحدهما: الإعراض عن الحجة وعدم إرادة العلم بها وبموجبها.

الثاني: العناد لها بعد قيامها وترك إرادة موجبها. فالأول كفر إعراض والثاني كفر عناد"(١).

وبعد هذا يتبين لنا خطورة الإعراض عن تقرير عقيدة الإيمان بالكتب، حيث أنها مرتبطة بأركان الإيمان، والإعراض عن ركن لا يجعل العبد مؤمناً كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء:١٣٦] .

ويختص القران الكريم بأنه مهيمنٌ على الكتب السابقة وأنه تضمن الهدى والنور والفلاح الذي في الكتب السابقة، وأن الله سبحانه وتعالى أمر بتدبره وتعلمه وتعليمه، فالإعراض عن تقرير عقيدة الإيمان بالكتب يجر للإعراض عن تعلم القران الكريم وتعليمه وتدبره وفهمه كما أمر الله سبحانه .

قال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

---

(١) طريق الهجرتين (٤١٤).

وقال تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤].

وقال ﷺ: " خيركم من تعلم القرآن وعلمه"[1].

وقد حذر الله تعالى من هجره وتركه والبعد عن تعلمه وتعليمه، كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴾ [الفرقان: ٣٠].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى عند كلامه عن أنواع الهجر:" **أحدها**: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم .

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلب وأدوائها فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به"[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب فضائل القرآن (باب: خيركم من تعلم القرآن وعلمه) برقم: ٥٠٢٧

(٢) الفوائد (٨٥).

المطلب الثالث:

النقل عن كتب الأمم السابقة في باب الدعوة إلى الله تعالى.

القران الكريم كتاب الله تعالى، ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: ٤٢]، فيه الهدى والنور والخير والبيان ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[النحل: ٨٩]، فيه نبأ الأولين والأخرين، قال ابن مسعود ﵁: "من أراد العلم فعليه بالقرآن، فإن فيه خبر الأولين والآخرين"[(١)]، والسنة النبوية فيها الخير والصلاح، من تمسك بها ودعا إليها أفلح وأنجح ومن زاغ عنها هلك وأهلك، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:" أي مهما أمركم به فافعلوه ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر"[(٢)].

وقال الرسول ﷺ: " قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك..."[(٣)].

فالقران الكريم والسنة النبوية فيهما العظة والعبرة، وفيهما الخير الكثير الوفير، والاعتماد عليهما في الدعوة إلى الله تعالى دأب الصالحين وطريق المفلحين، لأن فيهما النجاة في الدنيا والآخرة.

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي (٣/٣٤٧) برقم: ١٨٠٨.

(٢) تفسير ابن كثير (٤/١٨٦٧).

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب السنة (باب:أتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين) برقم:٤٣، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجة برقم: ٤١ (١/٣٢).

والنقل عن كتب الأمم السابقة يعتريه ما يعتريه من الباطل والكذب، ولا يمكن أن يثبت أو يصح إلا بموافقته للقران الكريم والسنة النبوية، فيجب التحري والتدقيق والتمحيص لما يُنقل من تلك الكتب.

ولذلك ذكر أهل العلم أقساماً لما يقع في النقل من كتب الأمم السابقة أو ما يسمى بالأسرائيليات، ورتبوا عليها أحكاماً، منها:

أولا: أن يكون موافقاً للكتاب والسنة .

ثانيا: أن يكون مخالفاً للكتاب والسنة .

ثالثاً: أن يكون مسكوتاً عنه، أي ليس مخالفاً ولا موافقاً.

قال الإمام ابن كثيرٍ رحمه الله تعالى:" ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للأعتضاد فإنها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه .

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل فلا نؤمن به ولا نكذبه ويجوز حكايته لما تقدم، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني"[(١)].

وبالنظر للدين الإسلامي من حيث التقسيم، فإنه ينقسم إلى أصول الدين، وشرائع الدين أي: عقيدة وشريعة .

فالعقيدة هي الأصل الذي تُبنى عليه الشريعة، والأصل لا يمكن أن يؤخذ إلا من الكتاب والسنة النبوية .

فلا مجال للنقل من كتب الأمم السابقة في هذا الأصل، إلا مما يوافق القران والسنة في مسألة ما، كمسألة التوحيد، وهي أن الله بعث جميع الرسل عليهم السلام لأجل غاية واحدة وهي توحيده وإفراده سبحانه بالعبادة، والكفر بالطاغوت ونبذ الشرك وأهله، كما

---

(١) تفسير ابن كثير (١/١٢-١٣).

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦].

وعلى ما سبق يمكن أن نقول بأن النقل من كتب الأمم السابقة لا يجوز إلا بالشروط المذكورة، من حيث صحة النقل وموافقته للكتاب والسنة في مجال الدعوة لله تعالى، إذ أن النقل دون تمحيص وتدقيق يعد من القصص المنهي عنه .

وسُئل فضيلة الشيخ العلامة صالح الفوزان هذا السؤال:

"هل إيراد القصص أيًّا كانت علىٰ سبيل الدَّعوة من منهج السَّلف الصَّالح ؟ أم يقتصر الإنسان علىٰ القصص الَّتي وردت في الكتاب والسُّنَّة فقط ؟

فأجابَ بقوله: نعم ؛ يقتصر الإنسان علىٰ ما ورد في القُرآن مِن قصص الأُمم السَّابقة، وما ورد في السُّنَّة عن الرَّسول ﷺ في القصص عن الأُمم السَّابقة من أجل الموعظة والاعتبار، وما عدا هذا لا يشتغل به ما لم يثبت في الكتاب والسُّنَّة ؛ لا يُشغِل نفسه، ويُشغِل السَّامعين"(١).

والمراد من الدعوة إلى الله تعالى هي الموعظة والاعتبار كما دل على ذلك القران الكريم، حيث قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

وقد حذر النبي ﷺ والسلف رحمهم الله من بعده من القصص والقصاصين أشد تحذير، فمن ذلك:

---

(١) الإجابات المهمة في المشاكل الملمة (١٨٣).

١/ عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: "يكون في آخر الزمان دجالون كذابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم، ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم، ولا يفتنونكم"(١).

٢/ وعن خبَّاب بن الأرت عن النبي ﷺ قال:" إن بني إسرائيل لما هلكوا قصُّوا"(٢).

قال الإمام الألباني رحمه الله تعالى:" (أي اتكلوا على القول وتركوا العمل، فكان ذلك سبب هلاكهم، أو بالعكس، لما هلكوا بترك العمل أخلدوا إلى القصص).

وأقول: ومن الممكن أن يقال: إن سبب هلاكهم اهتمام وعاظهم بالقصص والحكايات دون الفقه والعلم النافع الذي يعرف الناس بدينهم فيحملهم ذلك على العمل الصالح، لما فعلوا ذلك هلكوا، وهذا هو شأن كثير من قصاص زماننا الذين جل كلامهم في وعظهم حول الإسرائيليات والرقائق والصوفيات نسأل الله العافية"(٣).

٣/ عن أبي قلابة رحمه الله قال: "ما أمات العلم إلا القصاص يجالس الرجل الرجل القاص سنة فلا يتعلق منه بشيء، ويجلس إلى العالم فلا يقوم حتى يتعلق منه بشيء"(٤).

٤/ وذكر ابن الجوزي رحمه الله سبب كراهة السلف للقصص والقصاصين، حيث قال رحمه الله تعالى:" وإنما كره بعض السلف القصص لأحد ستة أشياء:

أحدها: أن القوم كانوا على الاقتداء والاتباع.

والثاني: أن القصص لأخبار المتقدمين تندر صحته، خصوصا ما ينقل عن بني إسرائيل، وفي شرعنا غُنية.

---

(١) أخرجه مسلم في مقدمة الصحيح (باب: النهي عن الرواية عن الضعفاء والاحتياط في تحملها) برقم: ١٦.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/٨٠) برقم: ٣٧٠٥، قال الألباني: وهذا إسناد حسن، انظر السلسة الصحيحة (٤/٢٤٧).

(٣) السلسلة الصحيحة (٤/٢٤٧-٢٤٨).

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم (٢/٢٨٧).

والثالث: أن التشاغل بذلك يشغل عن المهم من قراءة القرآن، ورواية الحديث، والتفقه في الدين.

والرابع: أن في القرآن من القصص وفي السنة من العظة ما يكفي عن غيره مما لا تتيقن صحته.

والخامس: أن أقواما ممن يدخل في الدين ما ليس منه قصوا، فأدخلوا في قصصهم ما يفسد قلوب العوام.

والسادس: أن عموم القصاص لا يتحرون الصواب ولا يحترزون من الخطأ لقلة علمهم وتقواهم"[(١)].

والمتأمل لحال أهل الكلام يجد أن سبب هلاكهم وضياعهم هو أخذهم عن كتب الأمم السابقة، حيث ظنوا أن الخير فيها، وما فيها والله إلا الفساد والإفساد، فحصل بسبب ترجمتها والنقل منها ما لا يخفى على ذي لب من تفرق الأمة وتمزقها وتناحرها وطمس هويتها وتشتت علمائها.

قال السفاريني رحمه الله تعالى:" قال العلماء: إن المأمون لما هادن بعض ملوك النصارى – أظنه صاحب جزيرة قبرص – طلب منه خزانة كتب اليونان، وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يظهر عليه أحد، فجمع الملك خواصه من ذوي الرأي واستشارهم في ذلك، فكلهم أشاروا بعدم تجهيزها إليه إلا مطران واحد، فإنه قال: جهزها إليهم، فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها، وأوقعت بين علمائها"[(٢)].

ولا يخفى على عاقلٍ من أن الناقل والقاص من كتب الأمم السابقة مما لم يثبت صحته وموافقته للقران الكريم والسنة النبوية هو ادِّعاءٌ منه على نقص القران الكريم والسنة النبوية .

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى عند تفسيره لأول سورة يوسف عليه السلام:" واعلم أن الله ذكر أنه يقص على رسوله أحسن القصص في هذا الكتاب، ثم ذكر هذه

---

(١) القصاص والمذكرين لأبن الجوزي (١٦٠-١٦١).

(٢) لوامع الأنوار البهية (٩/١).

القصة وبسطها، وذكر ما جرى فيها، فعلم بذلك أنها قصة تامة كاملة حسنة، فمن أراد أن يكملها أو يحسنها بما يذكر في الإسرائيليات التي لا يعرف لها سند ولا ناقل وأغلبها كذب، فهو مستدرك على الله، ومكمل لشيء يزعم أنه ناقص، وحسبك بأمر ينتهي إلى هذا الحد قبحا، فإن تضاعيف هذه السورة قد ملئت في كثير من التفاسير، من الأكاذيب والأمور الشنيعة المناقضة لما قصه الله تعالى بشيء كثير، فعلى العبد أن يفهم عن الله ما قصه، ويدع ما سوى ذلك مما ليس عن النبي ﷺ ينقل"[١].

والدارس للفرق والمذاهب يجد أن الانحرافات العقدية عندهم إنما كانت بسبب أصحاب الديانات الأخرى ممن دخلوا في الإسلام بقصد الكيد للإسلام والمسلمين فنقلوا ما تحملهم ثقافتهم وديانتهم من معتقدات فاسدة وألبسوها اللباس الإسلامي زوراً وبهتاناً، وتبعهم أقوام من الدعاة على هذا المنهج الرديء .

فنشأة الشيعة كانت سبئية يهودية[٢]، ونشأة القدرية كانت نصرانية[٣]، وأهل الكلام تأثروا بما نُقِل إليهم من كتب فلاسفة اليونان .

قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: " أول من نطق بالقدر: رجل من أهل العراق يقال له: سوسن، وكان نصرانيا فأسلم، ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد"[٤].

ونشأة القول بخلق القران الكريم ونفي الصفات أخذت عن يهودي .

---

(١) تفسير السعدي (٣٦٩).

(٢) انظر: (مقالات الإسلاميين ١٩) و (الفِصل في الملل والنحل ١٣٨/٤).

(٣) انظر: (القدر للفريابي٢٢٥-٢٢٦) و (الشريعة للآجري ١٨٥) و (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٣٦٠).

(٤) الشريعة للآجري (١٨٥) برقم: ٥٥٥.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:" وقد أخذ الجعد بدعته عن بيان بن سمعان، وأخذها بيان عن طالوت ابن أخت لبيد بن أعصم، زوج ابنته، وأخذها لبيد بن أعصم الساحر الذي سحر رسول الله ﷺ عن يهودي باليمن..."(١).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: " ثم أصل هذه المقالة – مقالة التعطيل للصفات – إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين، وضُلاّل الصابئين، فإن أول من حُفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام هو الجعد بن درهم..."(٢).

وهكذا بقية المخالفات العقدية في النقل عن الأمم السابقة تبدأ من أصحاب الديانات الأخرى، ومن ثم يتلقفها بعض الدعاة ظناً منهم أن فيها خيراً ونفعاً للإسلام والمسلمين.

ولو كان فيها خيراً لسبقنا إليها أصحاب القرون المفضلة ﷺ فهم أحرص منا على الخير وأعلم منا بالخير وأفهم منا للخير .

---

(١) البداية والنهاية (٩/٢٠٨).

(٢) الفتوى الحموية الكبرى (٢٢٥).

المطلب الرابع:

تمثيل الرسل في المسلسلات بهدف نشر سيرهم عليهم السلام.

الأنبياء والرسل عليهم السلام أولياء الله، اختارهم الله سبحانه واصطفاهم على الخلق أجمعين وفضل بعضهم على بعض، لهم من الفضل ما لا يحصيه إلا خالقهم سبحانه.

فهم عليهم السلام أكمل الخلق إيماناً وأحسنهم أخلاقاً وأصدقهم يقيناً وأفضلهم عبادةً وصبراً، وأعرف الخلق بالله سبحانه .

قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥ ﴾ [الحج: ٧٥]

وقال تعالى: ﴿ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖ ﴾ [البقرة: ٢٥٣]

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ﴾ [النساء: ٦٩]

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:" من عمل بما أمره الله ورسوله، وترك ما نهاه الله عنه ورسوله، فإن الله عز وجل يسكنه دار كرامته، ويجعله مرافقا للأنبياء ثم لمن بعدهم في الرتبة، وهم الصديقون، ثم الشهداء، ثم عموم المؤمنين وهم الصالحون الذين صلحت سرائرهم وعلانيتهم"[١].

وهذا ما عليه أهل العلم من الإجماع بأن أفضل الخلق هم الأنبياء عليهم السلام ثم الصديقين ثم الشهداء ثم الصالحين[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤٧٣/١).

(٢) انظر: (الدر المنثور ٢٠٣/٢-٢٠٤) و (تفسير السعدي ١٦٦).

وللأنبياء عليهم الصلاة والسلام حقوقٌ علينا، يجب معرفتها، منها:

١/ الإيمان بهم عليهم الصلاة والسلام.

ويتضمن الإيمان بهم عليهم السلام تصديق نبوتهم وما جاؤوا به من الكتب من عند الله تعالى، وعدم التفريق بينهم بل يجب الإيمان بهم كلهم عليهم الصلاة والسلام، ومتابعتهم في أمرهم ونهيهم، والسير على سنتهم ومنهجهم .

قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٣٦]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" ولهذا وجب الإيمان بالأنبياء جميعهم وما أوتوه كلهم، ومن كذب نبيا واحدا تعلم نبوته فهو كافر باتفاق المسلمين ومن سبه وجب قتله كذلك بخلاف من ليس بنبي، فإنه لا يكفر أحد بمخالفته ولا يقتل بمجرد سبه إلا أن يقترن بالسب ما يكون مبيحا للدم"(١).

٢/ محبتهم وتوقيرهم.

فهم الذين بعثهم الله تعالى إلى الخلق ليرشدوهم إلى طريق الخير والهدى، وهم عليهم الصلاة والسلام أحرص الناس على الخلق، فهم سبب في إخراج العباد من ظلام الشرك والعبودية لغير الله تعالى، إلى نور التوحيد وعبادة الله وحده سبحانه وتعالى .

قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/٤٩٣).

وقال تعالى: ﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةً وَأَصِيلًا ﴾ [الفتح: ٩].

٣/ الحذر من الغلو فيهم وإطرائهم كما أطرت النصارى عيسى بن مريم عليه السلام.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴾ [النساء: ١٧١].

وقال الرسول ﷺ: " لا تطروني، كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله، ورسوله"(١).

والقاعدة المعتمدة أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إخوة، كما أخبر بذلك النبي ﷺ في الحديث: " الأنبياء إخوة لعلات ..."(٢).

فيشمل التنقص من أحدهم التنقص من البقية عليهم الصلاة والسلام بل لا يحصل الإيمان إلا بالإيمان بهم جميعا كما أخبر الله بذلك، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الأنبياء (باب: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا ﴾) برقم: ٣٤٤٥.

(٢) سبق تخريجه (٢٤).

قال الطبري رحمه الله تعالى:"﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾من اليهود والنصارى ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾، بأن يكذبوا رسل الله الذين أرسلهم إلى خلقه بوحيه، ويزعموا أنهم افتروا على ربهم، وذلك هو معنى إرادتهم التفريق بين الله ورسله، بنحلتهم إياهم الكذب والفرية على الله، وادعائهم عليهم الأباطيل، ﴿وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٍ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٍ ﴾، يعني أنهم يقولون: نصدق بهذا ونكذب بهذا، كما فعلت اليهود من تكذيبهم عيسى ومحمدا ﷺ، وتصديقهم بموسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم، وكما فعلت النصارى من تكذيبهم محمدا ﷺ، وتصديقهم بعيسى وسائر الأنبياء قبله بزعمهم ﴿ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾ يقول: ويريد المفرقون بين الله ورسله، الزاعمون أنهم يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، أن يتخذوا بين أضعاف قولهم: نؤمن ببعض الأنبياء ونكفر ببعض﴿ سَبِيلًا ﴾، يعني: طريقا إلى الضلالة التي أحدثوها، والبدعة التي ابتدعوها، يدعون أهل الجهل من الناس إليه

فقال جل ثناؤه لعباده، منبها لهم على ضلالتهم وكفرهم:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقًّاۚ ﴾ يقول: أيها الناس، هؤلاء الذين وصفت لكم صفتهم، هم أهل الكفر بي، المستحقون عذابي والخلود في ناري حقا"[1].

وعلى ما تقدم، نقول إن تمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في المسلسلات وغيرها محرم ولا يجوز أبداً، لما فيه فتح باب الغلو فيهم وإطرائهم من أهل الغلو، وفتح باب التنقص من قدرهم ومكانتهم، وامتهانهم عليهم الصلاة والسلام وجواز الكذب عليهم من أهل التفريط، وهذه من الأمور العظيمة والكبيرة، فقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" من تعمد علي كذبا، فليتبوأ مقعده من النار"[2].

(١) تفسير الطبري (٢٣٩/٤).

(٢) صحيح البخاري كتاب العلم (باب:إثم من كذب على النبي ﷺ) برقم: ١٠٨، ومسلم في مقدمة الصحيح (باب: تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ) برقم: ٣

وعلى القاعدة السابقة من أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إخوة فإن الكذب على أحدهم كالكذب على بقيتهم عليهم الصلاة والسلام، والتمثيل لا يخلو من الكذب قل أو كثر.

وقد أجمع علماء الأمة على تحريم تمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وأفتوا بحرمته وجرمه. إذ أنه لا يمكن أن يُجوِّز ذلك أو يَعُدّه خلافاً إلا ضالٌ مضل، لم يعرف قدر أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، ولم يظهر عليه أثر الإيمان بهم عليهم السلام .

ومن تلك الفتاوى المحرمة والمجرمة لتمثيل أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، ما يلي:

أولاً: قرار لجنة الفتوى بالأزهر.

هل يمكن تمثيل الأنبياء؟

لندع القصص المكذوبة على أنبياء الله جانبا، ولنفترض أن التمثيل لا يتناول إلا القصص الحق الذي قدمنا شذرات منه عاجلة، ثم نتساءل:

١ - كيف يمثل آدم أبو البشر وزوجه وهما يأكلان من الشجرة؟ وما هي هذه الشجرة؟ أهي شجرة الحنطة؟ أم هي شجرة التين؟ أم هي النخلة؟ . . .

وعلى أي حال نمثلهما وقد طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة؟ وهل نمثل الله تعالى وقد ناداهما: ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: ٢٢] ؟ ! أو نترك تمثيله تعالى وهو ركن في الرواية ركين؟ ! سبحانك سبحانك، نعوذ بك من سخطك ونقمتك ومن هذا الكفر المبين؟ ؟ ! !

٢ - وكيف يمثل موسى وهو يناجي ربه؟ وكيف يمثل وقد وكز المصري فقتله؟ بل كيف يمثل وقد أحاط به فرعون والسحرة، ورماه فرعون بأنه مهين، ولا يكاد يبين؟ وكيف تمثل العقدة التي طلب من الله أن يحلها من لسانه؟ وما مبلغ كفر النظارة والممثلين إذا أفلتت - ولا بد أن تفلت - منهم فلتة مضحكة أو هازئة حينما يتمثلون الرسولين وقد أخذ أحدهما برأس الآخر وجره إليه؟ وما مبلغ التبديل والتغيير لخلق الله الفطري ليطابق هذا الخلق الصناعي وقد عملت فيه أدوات الأصباغ والعلاج عملها؟

٣ - وكيف يمثل يوسف الصديق وقد همت به امرأة العزيز وهم بها لولا أن رأى برهان ربه؟ وما تفسير الهم في لغة الفن؟

٤ - وكيف يمثل أنبياء الله وأقوامهم يرمونهم بالسحر تارة، وبالكهانة والجنون تارة أخرى؟ بل كيف يمثلون حينما كانوا يرعون الغنم " وما من نبي إلا رعاها "؟ بل كيف يمثلون وقد آذاهم المشركون ولم يستح بعضهم أن يرمي القذر والنجس على خاتم النبيين وهو في الصلاة والكفار يتضاحكون؟ سيقول السفهاء من النظارة - وما أكثرهم - مقالة المستهزئين الكافرين من قبل: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان: ٤١] ؟ وسيغضب فريق لأنبياء الله ورسله فيقاتلون السفهاء، وينتقمون منهم، وتقوم المعارك الدينية لا محالة ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

تمثيل الأنبياء تنقيص لهم:

لسنا بحاجة بعد هذا إلى بيان أن من قصص الأنبياء ما لا يستطاع تشخيصه، وأن ما يستطاع تشخيصه من قصصهم فهو تنقيص لهم، وزراية بهم، وحط من مقامهم، وانتهاك لحرماتهم وحرمات الله الذي اختارهم لرسالته واصطفاهم لدعوته. . . لا ريب في ذلك كله ولا جدال. .

وهذا كله في القصص الحق الذي قصه الله علينا ورسوله، وأما القصص الباطل - وما أكثره - فهو زور على زور، وكفر على كفر، وهو البلاء والطامة. . وما نظن أن أحدا يستطيع أن يجادل في هذه الحقائق الناصعة. . . وأكبر علمنا أن أول من يخضع لها ويؤمن بها هم أهل الفن أنفسهم، فإنهم أرهف حسا، وأشد إدراكا لمقتضيات التمثيل وملابساته.

على أنا لو افترضنا محالا، أو سلمنا جدلا بأن تمثيل الأنبياء لا نقيصة فيه ولا مهانة، فلن نستطيع بحال أن نتجاهل أنه ذريعة إلى اقتحام حمى الأنبياء وابتذالهم، وتعريضهم للسخرية والمهانة، فالنتيجة التي لا مناص منها ولا مفر: أن تشخيص الأنبياء تنقيص لهم، أو ذريعة إلى هذا التنقيص لا محالة.

سد الذرائع:

وسد الذرائع ركن من أركان الدين والسياسة، فقد أجمع العلماء أخذا من كتاب الله وبيان رسوله، على أن من أعمال الناس وأقوالهم ما حرمه الله تعالى؛ لأنه يشتمل على المفسدة من غير وساطة؛ كالغصب والقذف والقتل بغير حق، وأن من الأعمال والأقوال ما حرمه الله سبحانه؛ لأنهذريعة إلى المفسدة، ووسيلة إليها، وإن لم يكن هو في نفسه مشتملا على المفسدة، ومن ذلك مناولة السكين لمن يسفك بها دما معصوما، فالمناولة في نفسها عارية عن المفسدة، ولكنها وسيلة إليها، ومن ذلك سب معبودات المشركين وهم يسمعون، فهو في نفسه جائز، ولكنه منع لجره إلى مفسدة، وهي إطلاق ألسنة المشركين بسب الله تعالى؛ ولهذا نهانا الله سبحانه عن هذا السب فقال: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨]، ومن هذا القبيل تفضيل بعض الأنبياء على بعض، هو نفسه جائز، فقد فضل الله بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات، ولكنه يمنع حينما يجر إلى الفتنة والعصبية، وقد تخاصم مسلم ويهودي في العهد النبوي، ولطم المسلم وجه اليهودي؛ لأنه أقسم بالذي اصطفى موسى على العالمين، وأقسم المسلم بالذي اصطفى محمدا على العالمين، فلما بلغت الخصومة خاتم النبيين ﷺ عليهم أجمعين – غضب حتى عرف الغضب في وجهه، وقال: " لا تخيروني على موسى"[(١)]، ثم أثنى عليه بما هو أهله، ونهاهم أن يفضلوا بين أنبياء الله تعالى؛ سدا لذريعة الفتن، وحرصا على وقارهم صلوات الله وسلامه عليهم، وإذا كانت الدول تشدد في سد الذرائع وترى ذلك ركنا من أركان السياسة والأمن والنظام والمعاملات الدنيوية، فإنه في العقائد أخلق، وفي مقام النبوة أوجب وأحق.

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري كتاب الرقاق (باب: نفخ الصور) برقم ٦٥١٧:، وصحيح مسلم كتاب الفضائل (باب: فضائل موسى عليه السلام) برقم: ٦١٥١ .

مفاسد تمثيل الأنبياء

ومفاسد تمثيل الأنبياء كثيرة نكتفي منها بهذه الأمثلة:

١ - تشكيك المؤمنين في عقائدهم، وتبديد ما وقر في نفوسهم من تمجيد هذه المثل العليا، إذ أنهم قبل رؤية هذه المشاهد يؤمنون حقا بعظمة الأنبياء ورسالتهم، ويتمثلونهم حقا في أكمل مراتب الإنسانية وأرفع ذراها - إذا هم بعد العرض قد هانت في نفوسهم تلك الشخصيات الكريمة، وهبطت من أعلى درجاتها إلى منازل العامة والأخلاط، وقد تقمصهم الممثلون في صور وأشكال مصطنعة مما يتقلص معه ظل الدين والأخلاق.

٢ - إثارة الجدل والمناقشة والنقد والتعليق حول هذه الشخصيات الكريمة وممثليها من أهل الفن والمسرح تارة، ومن النظارة تارة أخرى، وها نحن أولا نرى صفحات للفن والمسرح ومجادلات في التعليق والنقد، وأنبياء الله ورسله مثل كلام الله عز وجل، فوق النقد والتعليق.

٣ - التهاب المشاعر، وتحزب الطوائف، ونشوب الخصام والقتال بين أهل الأديان كما وقع بين المسلم واليهودي في العصر النبوي، وما أحوجنا إلى الأمن والاستقرار وإطفاء الفتن وتسكينها لا إثارتها وإشعالها.

٤ - الكذب على الله ورسله؛ لأن التمثيل أو التخييل ليسا إلا ترجمة للأحوال والأقوال والحركات والسكنات، ومهما يكن فيهما من دقة وإتقان فلا مناص من زيادة أو نقصان، وذلك يجر طوعا أو كرها إلى الكذب والضلال، والكذب على الأنبياء كذب على الله تعالى، وهو كفر وبهتان مبين، والعياذ بالله.

هذه أمثلة من مفاسد تمثيل الأنبياء. . فماذا تفيد الإنسانية من هذا التمثيل إلا الضلال والنكال، وإذا كان الله جلت قدرته قد أعجز الشياطين عن أن يتشبهوا بالأنبياء توقيرا وإعظاما لهم عليهم الصلاة والسلام، كما يدل على ذلك ما رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما، أن رسول الله ﷺ قال: " من رآني في المنام فقد رآني، فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي "[(١)]، وسبق أن قلنا: إن الأنبياء إخوة يمس كل واحد منهم ما يمس أخاه.

---

(١) صحيح البخاري كتاب العلم (باب: إثم من كذب على النبي ﷺ) برقم: ١١٠، وصحيح مسلم كتاب الرؤيا (باب: قول النبي ﷺ من رآني في المنام فقد رآني) برقم: ٥٩١٩

نقول: إذا كان الله سبحانه قد حال بين الشياطين وبين التمثيل بالأنبياء مع أنه أعطاهم القدرة على التشكل كما يهوون، فكيف يستبيح الإنسان لنفسه أن يكون أخبث من الشيطان بتمثيل الأنبياء؟ ! ثم ماذا يكون الشأن إذا اجترأ إنسان على التمثل بالنبي محمد أو غيره واهتاج الناس وأثار شعورهم استياء من الجرأة على قداسة النبوة وخاصة في نفوس النظارة المتدينين؟ !

إن حقا محتوما علينا أن نجل الأنبياء، وأن نجل آل الأنبياء وأصحاب الأنبياء عن التمثيل والتشخيص، واحتراما وإجلالا للأنبياء أنفسهم؛ لأن حرمتهم مستمدة من حرمة الأنبياء، كما أن حرمة الأنبياء مستمدة من حرمة الله عز وجل، وهذا بعض حقهم على الإنسانية جزاء ما صنعوا لها من جميل، وأدوا إليها من إحسان.

وجملة القول: أن أنبياء الله تعالى ورسله معصومون بعصمة الله لهم من النقائص الخلقية والخلقية، وأن تمثيلهم تنقيص لهم، أو ذريعة إلى التنقيص لا محالة، وكلاهما مفسدة أو مؤد إلى المفسدة التي من شعبها إثارة العصبيات والفتن التي لا يعلم مداها إلا الله تعالى.

وإن في الأدب والتاريخ وتصوير الفضائل ومكارم الأخلاق لميدانا فسيحا للفن والتمثيل، فليتجه إليها الفن ما شاء له الاتجاه، وليبتكر ما شاء له الابتكار، وليدع أنبياء الله ورسله محفوفين -كما حفهم الله تعالى - بالجلال والوقار، وليعمل على أن يكون مفتاحا للخير مغلاقا للشر، فطوبى لمن كان كذلك، والويل ثم الويل لمن يثير غضب الله وسخطه وانتقامه وغيرته لأنبيائه.

في قصص الأنبياء كفاية

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾

وأن العبرة لا تزال ماثلة في مواطنها، واضحة في معالمها، ينتفع بها في القرآن الكريم، وصادق الأخبار، ولو شئنا لأطلنا، ولكن في هذا بلاغا.

النتيجة: من أجل ما قدمنا تقرر في إثبات واطمئنان أنه لا ينبغي ولا يحل بحال أن يشخص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في المسرح، ولا على شاشة السينما.

والله نسأل أن يجمع قلوبنا على محبته، وتوقير أنبيائه ورسله، وأن يهدينا الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

١٠ من جمادى الآخرة سنة ١٣٧٤ هـ الموافق ٣ من فبراير سنة ١٩٥٥م.

مدير التفتيش وعضو جماعة كبار العلماء

عبد اللطيف السبكي

من مفتشي العلوم الدينية والعربية ...

طه محمد الساكت ... حافظ محمد الليثي ... عبد الكريم جاويش [١]

ثانياً: قرار هيئة كبار العلماء رقم (١٠٧ في ١٤٠٣/١١/٢هـ).

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على عبد الله ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه، وبعد:

ففي الدورة العشرين لمجلس هيئة كبار العلماء المنعقدة بمدينة الطائف من٢٥/١٠/١٤٠٢هـ حتى ٦/ ١١/١٤٠٢هـ اطلع المجلس على الأمر السامي رقم (١٢٤٤)

وتاريخ ٢٦/ ٧/ ١٤٠٢ هـ المتضمن الرغبة الكريمة في قيام مجلس هيئة كبار العلماء بالنظر في موضوع تمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وتمثيل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، وحكم تمثيل الأنبياء وأتباعهم من جانب، والكفار من جانب آخر.

بعد صدور الفتوى رقم (٤٧٢٣) وتاريخ ١١/ ٧/ ١٤٠٢هـ من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بتحريم ذلك؛ لأن الموضوع من الأمور المهمة والحساسة، ولا يقتصر أثره على هذه الدولة، بل يتعداها إلى سواها من الدول الإسلامية الأخرى، ولأنه سبق أن أجيز مثل هذا العمل من عدد من مشايخ الدول الإسلامية، وبما أنه سوف يترتب على البت فيه كثير من الأمور التي لها مساس بوسائل الإعلام المختلفة، وما يترتب على ذلك

(١) مجلة البحوث الإسلامية (١/ ٢٤٠).

إنتاج وبث كثير من البرامج أو منعها نهائيا، ولأن بعض الدول الإسلامية قد تأخذ المملكة قدوة في ذلك إذا درس من قبل مجلس هيئة كبار العلماء.

ولما استمع المجلس إلى فتوى اللجنة الدائمة رأى أن الموضوع يحتاج إلى مزيد من النظر والتأمل فأجل البت فيه إلى دورة أخرى.

وفي الدورة الثانية والعشرين المنعقدة بمدينة الطائف من العشرين من

شهر شوال حتى الثاني من شهر ذي القعدة عام ١٤٠٣ هـ أعاد المجلس النظر في الموضوع ورجع إلى قراره السابق رقم (١٣) وتاريخ ١٦/ ٤/١٣٩٣هـ، وإلى الكتاب المرفوع من المجلس بتوقيع رئيس الدورة الخامسة إلى جلالة الملك فيصل رحمه الله برقم (١٨٧٥ / ١) وتاريخ ٢٧/ ٨/ ١٣٩٤ هـ المتضمن تأييد مجلس هيئة كبار العلماء لما قرره مؤتمر المنظمات الإسلامية من تحريم إظهار فيلم محمد رسول لله، وإخراجه، ونشره، سواء فيما يتعلق بالرسول ﷺ، أو بأصحابه الكرام ﵃ ؛ لما في ذلك من تعريض مقام النبوة، وجلال الرسالة، وحرمة الإسلام، وأصحاب الرسول ﷺ للازدراء والاستهانة والسخرية، وبعد المناقشة وتداول الرأي قرر المجلس تأييد رأيه السابق الذي تضمنه القرار والكتاب المشار إليهما آنفا.

والله ولي التوفيق، وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد، وعلى آله وصحبه.

هيئة كبار العلماء

رئيس الدورة

عبد العزيز بن صالح

عبد الرزاق عفيفي ... عبد الله خياط ... عبد العزيز بن عبد الله بن باز

محمد بن جبير ... إبراهيم بن محمد آل الشيخ ... سليمان بن عبيد

صالح بن غصون ... عبد المجيد حسن ... راشد بن خنين

عبد الله بن منيع ... صالح اللحيدان ... عبد الله بن غديان

. ... عبد الله بن قعود [(١)]

---

(١) أبحاث هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية (٣ / ٣٣١-٣٣٢).

ثالثاً: فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء .

فتوى رقم (٤٧٢٣):

نص السؤال: حكم تمثيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والصحابة والتابعين رضي الله عنهم؟ وعن تمثيل الأنبياء وأتباعهم من جانب والكفار من جانب آخر؟

فأجابت: أولا: إن المشاهد في التمثيليات التي تقام والمعهود فيها طابع اللهو وزخرفة القول والتصنع في الحركات ونحو ذلك مما يلفت النظر ويستميل نفوس الحاضرين ويستولي على مشاعرهم ولو أدى ذلك إلى لي في كلام من يمثله، أو تحريف له أو زيادة فيه، وهذا مما لا يليق في نفسه فضلا عن أنه يقع تمثيلا من شخص أو جماعة للأنبياء وصحابتهم وأتباعهم فيما يصدر عنهم من أقوال في الدعوة والبلاغ، وما يقومون به من عبادة وجهاد أداء للواجب ونصرة للإسلام.

ثانيا: إن الذين يشتغلون بالتمثيل يغلب عليهم عدم تحري الصدق وعدم التحلي بالأخلاق الإسلامية الفاضلة، وفيهم جرأة على المجازفة وعدم مبالاة بالانزلاق إلى ما لا يليق ما دام في ذلك تحقيق لغرضه من استهواء الناس وكسب للمادة ومظهر نجاح في نظر السواد الأعظم من المتفرجين، فإذا قاموا بتمثيل الصحابة ونحوهم أفضى ذلك إلى السخرية والاستهزاء بهم والنيل من كرامتهم والحط من قدرهم وقضى على مالهم من هيبة ووقار في نفوس المسلمين.

ثالثا: إذا قدر أن التمثيلية لجانبين، جانب الكافرين كفرعون أبي جهل ومن على شاكلتهما، وجانب المؤمنين كموسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام وأتباعهم – فإن من يمثل الكافرين سيقوم مقامهم ويتكلم بألسنتهم فينطق بكلمات الكفر ويوجه السباب والشتائم للأنبياء ويرميهم بالكذب والسحر والجنون.. إلخ، ويسفه أحلام الأنبياء وأتباعهم ويبهتهم بكل ما تسوله له نفسه من الشر والبهتان مما جرى من فرعون وأبي جهل وأضرابهما مع الأنبياء وأتباعهم لا على وجه الحكاية عنهم، بل على وجه النطق بما نطقوا به من الكفر والضلال هذا إذا لم يزيدوا من عند أنفسهم ما يكسب الموقف بشاعة ويزيده نكرا وبهتانا

وإلا كانت جريمة التمثيل أشد وبلاؤها أعظم وذلك مما يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه من الكفر وفساد المجتمع ونقيصة الأنبياء والصالحين.

رابعا: دعوى أن هذا العرض التمثيلي لما جرى بين المسلمين والكافرين طريق من طرق البلاغ الناجح والدعوة المؤثرة والاعتبار بالتاريخ - دعوى يردها الواقع، وعلى تقدير صحتها فشرها يطغى على خيرها. ومفسدتها تربو على مصلحتها وما كان كذلك يجب منعه والقضاء على التفكير فيه.

خامسا: وسائل البلاغ والدعوة إلى الإسلام ونشره بين الناس كثيرة، وقد رسمها الأنبياء لأممهم وآتت ثمارها يانعة؛ نصرة للإسلام، وعزة للمسلمين، وقد أثبت ذلك واقع التاريخ فلنسلك ذلك الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ولنكتف بذلك عما هو إلى اللعب وإشباع الرغبة والهوى أقرب منه إلى الجد وعلو الهمة، ولله الأمر كله من قبل ومن بعد وهو أحكم الحاكمين.

وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

الرئيس... عبد العزيز بن عبد الله بن باز

نائب رئيس اللجنة ... عبد الرزاق عفيفي

عضو ... عبد الله بن قعود

عضو... عبد الله بن غديان [١]

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والأفتاء (٣/ ٢٦٨-٢٧٠).

المطلب الخامس:

الدعوة إلى إحياء آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والغلو فيهم .

جاء الإسلام وسطاً بين الإفراط والتفريط والجفاء والغلو، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

والوسط هنا هو العدل كما فسره النبي ﷺ [١].

ونهى عن الغلو في الدين كما قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ﴾ [المائدة: ٧٧]، والغلو هو مجاوزة الحد[٢].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "غداة العقبة وهو على ناقته (القط لي حصى) فلقطت له سبع حصيات، هن حصى الخذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول (أمثال هؤلاء، فارموا) ثم قال: (يا أيها الناس إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين)"[٣].

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "ما أمر الله بأمر إلا وللشيطان فيه نزعتان، إما إلى تفريط، وإما إلى مجاوزة، وهي الإفراط، ولا يبالي بأيهما ظفر: زيادة أو نقصان"[٤].

وأمر بالأتباع ونهى عن الابتداع في الدين.

قال تعالى: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [النساء: ٨٠]

---

(١) صحيح البخاري كتاب التفسير (باب: قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾) برقم: ٤٤٨٧

(٢) انظر مقاييس اللغة (٣٨٧/٤-٣٨٨).

(٣) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب المناسك (باب: قدر حصى الرمي) برقم: ٣٠٢٩، وقال الألباني صحيح، انظر: (صحيح وضعيف ابن ماجة للألباني ٤٩/٣) برقم: ٢٤٧٣

(٤) مدارج السالكين (١٠٨/٢).

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا ﴾ [الحشر: ٧]

وقال الرسول ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد"(١).

وقال الرسول ﷺ: " أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة"(٢).

وبعث الله تعالى نبيه ﷺ ليدعو للتوحيد الخالص، وينهى عن الشرك وما يُفضي إليه، من وسائل وطرائق.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وقد كان النبي ﷺ يحقق هذا التوحيد لأمته، ويحسم عنهم مواد الشرك، إذ هذا تحقيق قولنا "لا إله إلا الله"، فإن الإله هو الذي تألهه القلوب لكمال المحبة والتعظيم والإجلال والإكرام والرجاء والخوف"(٣).

ومن الأمور المفضية إلى الشرك إحياء آثار الأنبياء عليهم السلام وهذا يقود للغلو فيهم

كما حدث مع قوم نوح عليه السلام، ففي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما،

قال:"صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود كانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواع كانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد، ثم لبني غطيف بالجوف عند سبإ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم

(١) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الصلح (باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود) برقم: ٢٦٩٧

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الجمعة (باب: تخفيف الصلاة والخطبة) برقم: ٢٠٠٥

(٣) مجموع الفتاوى (١٣٦/١).

التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبدت"[١].

قال ابن القيم رحمه الله: " وقال غير واحد من السلف: كان هؤلاء قوما صالحين في قوم نوح عليه السلام، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم، ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم"[٢].

ولذلك أمر النبي ﷺ بحماية حمى التوحيد وصيانته وسد الذرائع المفضية إلى الشرك، فلم يثبت أن النبي ﷺ أحياء آثراً لنبيٍ من الأنبياء عليهم السلام أو غيرهم أو أمر بذلك، وسار على ذلك صحابته ﷺ وهم خير القرون كما أخبر النبي ﷺ بذلك:"خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"[٣].

قال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى:"ومعلوم أن أصحاب النبي ﷺ و ﷺ أعلم الناس بدين الله وأحب الناس لرسول الله ﷺ وأكملهم نصحاً لله ولعباده ولم يحيوا هذه الآثار، ولم يعظموها، ولم يدعوا إلى إحيائها ... ولو كان إحياؤها أو زيارتها أمراً مشروعاً لفعله النبي ﷺ في مكة وبعد الهجرة أو أمر بذلك أو فعله أصحابه أو أرشدوا إليه وسبق أنهم أعلم الناس بشريعة الله وأحبهم لرسوله ﷺ وأنصحهم لله ولعباده ولم يحفظ عنه ﷺ ولا عنهم أنهم زاروا غار حراء حين كانوا بمكة أو غار ثور، ولم يفعلوا ذلك أيضا حين عمرة القضاء، ولا عام الفتح ولا في حجة الوداع ولم يعرجوا على موضع خيمتي أم معبد ولا محل شجرة البيعة فعلم أن زيارتها وتمهيد الطرق إليها أمر مبتدع لا أصل له في شرع الله، وهو من أعظم الوسائل إلى الشرك الأكبر ولما كان البناء على القبور واتخاذ مساجد عليها من أعظم وسائل الشرك نهى النبي ﷺ عن ذلك... "[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب التفسير (باب: ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾)برقم: ٤٩٢٠ .

(٢) إغاثة اللهفان (١/١٨٤).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) مجموع فتاوى ابن باز (٣/٣٣٨-٣٣٩).

والأدلة على احتياط النبي ﷺ في سد الذرائع المفضية إلى الشرك كثيرة، **منها**:

عن عمر بن الخطاب ؓ قال: سمعت النبي ﷺ يقول:"لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده فقولوا: عبد الله ورسوله"(١).

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: " أي لا تمدحوني فتغلوا في مدحي كما غلت النصارى في عيسى عليه السلام فادّعوا فيه الإلهية. وإنما أنا عبد الله ورسوله، فصفوني بذلك كما وصفني ربي، فقولوا: عبد الله ورسوله، فأبى المشركون إلا مخالفة أمره وارتكاب نهيه، وعظموه بما نهاهم عنه وحذرهم منه، وناقضوه أعظم مناقضة، وضاهوا النصارى في غلوهم وشركهم، ووقعوا في المحذور، وجرى منهم من الغلو والشرك شعرا ونثرا ما يطول عده؛ وصنفوا فيه مصنفات"(٢).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:" نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر أو يقعد عليه أو يبنى عليه"(٣).

وعن عائشة وعبد الله بن عباس، قالا ؆ : (لما نزل برسول الله ﷺ طفق ﷺ يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" يحذر ما صنعوا)(٤).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " فحرم ﷺ أن تتخذ قبورهم مساجد بقصد الصلوات فيها، كما تقصد المساجد، وإن كان القاصد لذلك إنما يقصد عبادة الله وحده، لأن ذلك ذريعة إلى أن يقصدوا المسجد لأجل صاحب القبر ودعائه، والدعاء به، والدعاء عنده، فنهى رسول الله ﷺ عن اتخاذ هذا المكان لعبادة الله وحده لئلا يتخذ ذريعة إلى الشرك بالله،

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) فتح المجيد (١٧٠).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الجنائز (باب: النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه) برقم: ٢٢٤٥

(٤) متفق عليه، صحيح البخاري كتاب الصلاة برقم: ٤٣٥، وصحيح مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة (باب: النهي عن بناء المساجد على القبور...) برقم: ١١٨٦

والفعل إذا كان يفضى إلى مفسدة وليس فيه مصلحة راجحة ينهى عنه، كما نهى عن الصلاة في الأوقات الثلاثة لما في ذلك من المفسدة الراجحة، وهو التشبه بالمشركين الذي يفضى إلى الشرك"(١).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى:" إن فتنة الشرك بالصلاة في القبور ومشابهة عباد الأوثان أعظم بكثير من مفسدة الصلاة بعد العصر والفجر، فإذا نهى عن ذلك سدا لذريعة التشبه التي لا تكاد تخطر ببال المصلى، فكيف بهذه الذريعة القريبة التي كثيرا ما تدعو صاحبها إلى الشرك ودعاء الموتى، واستغاثتهم، وطلب الحوائج منهم، واعتقاد أن الصلاة عند قبورهم أفضل منها في المساجد، وغير ذلك، مما هو محادة ظاهرة لله ورسوله.

فأين التعليل بنجاسة البقعة من هذه المفسدة؟ ومما يدل على أن النبي ﷺ قصد منع هذه الأمة من الفتنة بالقبور كما افتتن بها قوم نوح ومن بعدهم "(٢).

وأما سلف الأمة ﭫ فكانوا بحق خير سلفٍ لتمسكهم بأمر النبي ﷺ وتواصيهم به، ومن الأدلة التي تدل على حمايتهم لجناب التوحيد وتمسكهم بوصية رسول الله ﷺ ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحة عن أبي الهياج الأسدي، قال: قال لي علي بن أبي طالب ﭬ: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟:"أن لا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته"(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: " فأمره بمحو التمثالين: الصورة الممثلة على صورة الميت والتمثال الشاخص المشرف فوق قبره. فإن الشرك يحصل بهذا وبهذا"(٤).

فالمحبة لأنبياء الله عليهم السلام تكون باتباعهم فيما أمروا به واجتناب ما نهوا عنه، ولذلك أنزل الله تعالى أية المحنة، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٣١].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٦٣-١٦٤).

(٢) إغاثة اللهفان (١/١٨٨).

(٣) صحيح مسلم كتاب الجنائز (باب:الأمر بتسوية القبر) برقم: ٢٢٤٣

(٤) مجموع الفتاوى (١٧/٤٦٢).

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: " إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها.

فدليلها وعلامتها: اتباع الرسول ﷺ، وفائدتها وثمرتها: محبة المرسل لكم، فما لم تحصل منكم المتابعة فمحبتكم له غير حاصلة، ومحبته لكم منتفية"(١).

إذاً المحبة التي يدعيها من خالف أمر الرسول ﷺ منتفيه لأنتفاء المتابعة له ﷺ في مسألة منعه إحياء آثار من سبقه من الأنبياء عليهم السلام والصالحين، فتبطل دعواهم بأن الداعي لإحياء آثار الأنبياء عليهم السلام هو محبتهم والأقتداء بهم ومتابعتهم!!.

وقال السهسواني(٢) رحمه الله: " فمن كان أكثر اتباعاً وطاعة كان أكثر محبة، ومن كان أكثر محبة كان أشد تعظيماً، وأيضاً علم أن بعض أفراد التعظيم قد نهى رسول الله ﷺ عنه، فمنه السجدة، وفي هذا الحكم جميع التعظيمات التي هي من جنس العبادة، كالدعاء والنذر والنحر والطواف والركوع وغير ذلك، ومنه التمثل قياماً والقيام تعظيماً كما تقوم الأعاجم، وأن المبالغة في الثناء والغلو والإطراء منهي عنه، بل الواجب في ذلك القصر على ما ثبت بالكتاب العزيز والسنة المطهرة..."(٣).

ولا يخلو إحياء آثار الأنبياء عليهم السلام من المبالغة في الثناء والغلو والإطراء ولو من الدهماء من الناس، لذلك حمى الرسول ﷺ حِمى التوحيد من وسائل الشرك المفضية إليه.

ومن تلك الدعوات المنادية لإحياء آثار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ما انتشر في بعض صحف المملكة العربية السعودية من بعض الكتاب هداهم الله، وقد رد عليهم

---

(١) فتح المجيد (٢٥٨).

(٢) هو محمد بشير بن محمد بدر الدين السهسواني الهندي عالم بالحديث والفقه من أهل الهند مولده في لكهنؤ سنة ١٢٥٠هـ ونسبته إلى سهسوان من أعمال ولاية (بدايون) تعلم في دهلي ودعاه النّواب صديق حسن خان بهادر إلى (بهوبال) سنة ١٢٩٥ هـ ففوض إليه رياسة المدارس الدينية فيها فأقام نحو ٢٥ عاما وعاد إلى دهلي فتوفي بها توفي سنة ١٣٢٦ هـ، انظر: (الأعلام ٥٢/٦-٥٣).

(٣) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (٢٣٥).

أهل العلم بالحجة والبرهان، ومن أولئك العلماء، سماحة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى حيث كتب: " الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وآله وصحبه وبعد:

فقد نشرت بعض الصحف مقالات حول إحياء الآثار والاهتمام بها لبعض الكتاب ...، وقد رد عليه سماحة العلامة الشيخ عبد الله بن محمد بن حميد فأجاد وأفاد وأحسن أجزل الله مثوبته، ولكن الأستاذ ... هداه الله وألهمه رشده لم يقتنع بهذا الرد أو لم يطلع عليه فكتب مقالا في الموضوع نشرته جريدة المدينة بعددها الصادر برقم ٥٤٤٨ وتاريخ ٢٢ /٤ /١٤٠٢ هـ بعنوان (طريق الهجرتين) قال فيه (والكلمة المنشورة بجريدة المدينة بالعدد ٥٤٣٣ وتاريخ ٧ /٤ /١٤٠٢ هـ للأستاذ البحاثة عبد القدوس الأنصاري عطفا على ما قام به الأديب الباحث الأستاذ عبد العزيز الرفاعي من تحقيق للمواقع التي نزل بها رسول الله ﷺ في الطريق الذي سلكه في هجرته من مكة إلى المدينة المنورة، تدفعنا إلى استنهاض همة المسئولين إلى وضع شواخص تدل عليها كمثل خيمتين أدنى ما تكونان إلى خيمتي أم معبد مع ما يلائم بقية المواقع من ذلك بعد اتخاذ الحيطة اللازمة لمنع أي تجاوز يعطيها صفة التقديس أو التبرك أو الانحراف عن مقتضيات الشرع؛ لأن المقصود هو إيقاف الطلبة والدارسين ومن يشاء من السائحين على ما يريدونه من التعرف على هذا الطريق ومواقعه هذه لمعرفة ما عاناه الرسول ﷺ في رحلته السرية المتكتمة هذه من متاعب وذلك لمجرد أخذ العبرة وحمل النفوس على تحمل مشاق الدعوة إلى الله؛ تأسيا بما تحمله في ذلك ﷺ.

على أن تعمل لها طرق فرعية معبدة تخرج من الطريق العام وتقام بها نزل واستراحات للسائحين وأن يعنى أيضا بتسهيل الصعود إلى أماكن تواجده ﷺ بدءا بغار حراء ثم ثور، والكراع حيث تعقبه سراقة بن مالك حتى الوصول إلى قباء وما سبق ذلك من مواقع في مكة المكرمة كدار الأرقم بن أبي الأرقم والشعب الذي قوطع هو وأهله فيه وطريق دخوله في فتح مكة ثم نزوله بالأبطح، وكذا في الحديبية وحنين وبدر وكذلك مواقعه في المدينة المنورة ومواقع غزواته وتواجده في أريافها ثم طريقه ﷺ إلى خيبر وإلى تبوك، وتواجده فيهما لإعطاء المزيد من الإحاطة والإلمام بجهاده الفذ في نشر الدعوة الإسلامية والعمل على التأسي به في ذلك) اهـ.

كما دعا الدكتور فاروق أخضر في مقاله المنشور في جريدة الجزيرة بعددها رقم ٣٣٥٤ وتاريخ ١٤٠٢/١/١٣ هـ إلى تطوير الأماكن الأثرية في المملكة لزيارتها من قبل المسلمين بصفة مستمرة، لضمان الدخل بزعمه بعد نفاذ البترول ومما استدل به: (أن السياحة الدينية في المسيحية في الفاتيكان تعتبر أحد الدخول الرئيسية للاقتصاد الإيطالي وأن إسرائيل قد قامت ببيع زجاجات فارغة على اليهود في أمريكا على اعتبار أن هذه الزجاجات مليئة بهواء القدس) كما أشار إلى أنها ستؤدي من الفوائد أيضا (في تثبيت العلم بالإسلام عند الأطفال المسلمين ... إلخ) .

ونظرا لما يؤدي إليه إحياء الآثار المتعلقة بالدين من مخاطر تمس العقيدة أحببت إيضاح الحق وتأييد ماكتبه أهل العلم في ذلك والتعاون معهم على البر والتقوى والنصح لله ولعباده وكشف الشبهة وإيضاح الحجة فأقول:

إن العناية بالآثار على الوجه الذي ذكر يؤدي إلى الشرك بالله جل وعلا؛ لأن النفوس ضعيفة ومجبولة على التعلق بما تظن أنه يفيدها، والشرك بالله أنواعه كثيرة غالب الناس لا يدركها، والذي يقف عند هذه الآثار سواء كانت حقيقة أو مزعومة بلا حجة يتضح له كيف يتمسح الجهلة بترابها، وما فيها من أشجار أو أحجار، ويصلي عندها ويدعو من نسبت إليه ظنا منهم أن ذلك قربة إلى الله سبحانه ولحصول الشفاعة، وكشف الكربة ويعين على هذا كثرة دعاة الضلال الذين تربت الوثنية في نفوسهم والذين يستغلون مثل هذه الآثار لتضليل الناس وتزيين زيارتها لهم حتى يحصل بسبب ذلك على بعض الكسب المادي، وليس هناك غالبا من يخبر زوارها بأن المقصود العبرة فقط بل الغالب العكس ويشاهد العاقل ذلك واضحا في بعض البلاد التي بليت بالتعلق بالأضرحة وأصبحوا يعبدونها من دون الله، ويطوفون بها كما يطاف بالكعبة باسم أن أهلها أولياء فكيف إذا قيل لهم إن هذه آثار رسول الله ﷺ، كما أن الشيطان لا يفتر في تحين الأوقات المناسبة لإضلال الناس، قال الله تعالى عن الشيطان إنه قال: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [ص: ٨٢ – ٨٣] وقال أيضا سبحانه عن عدو الله الشيطان ﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَن

شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦ – ١٧] وقد أغوى آدم فأخرجه من الجنة مع أن الله سبحانه وتعالى حذره منه وبين له أنه عدوه كما قال تعالى: ﴿ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [طه: ١٢١ – ١٢٢] ومن ذلك قصة بني إسرائيل مع السامري حينما وضع لهم من حليهم عجلا ليعبدوه من دون الله فزين لهم الشيطان عبادته مع ظهور بطلانها، وثبت في جامع الترمذي وغيره بإسناد صحيح عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه قال «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال ﷺ: الله أكبر إنها السنن قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اجعل لنا إلها كما لهم آلهة؛ لتركبن سنن من كان قبلكم "[1]. شبه قولهم اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط بقول بني إسرائيل اجعل لنا إلها كما لهم آلهة فدل ذلك على أن الاعتبار بالمعاني والمقاصد لا بمجرد الألفاظ، ولعظم جريمة الشرك وخطره في إحباط العمل نرى الخليل عليه السلام يدعو الله له ولبنيه السلامة منه قال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[إبراهيم: ٣٥ – ٣٦] الآية فإذا خافه الأنبياء والرسل – وهم أشرف الخلق وأعلمهم بالله وأتقاهم له – فغيرهم أولى وأحرى بأن يخاف عليه ذلك ويجب تحذيره منه كما يجب سد الذرائع الموصلة إليه.

ومهما عمل أهل الحق من احتياط أو تحفظ فلن يحول ذلك بين الجهال وبين المفاسد المترتبة على تعظيم الآثار؛ لأن الناس يختلفون من حيث الفهم والتأثر والبحث عن الحق اختلافا كثيرا ولذلك عبد قوم نوح عليه السلام ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا مع أن الأصل في تصويرهم هو التذكير بأعمالهم الصالحة للتأسي والاقتداء بهم لا للغلو فيهم وعبادتهم من

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الفتن (باب: لتركبن سنن من كان قبلكم) برقم: ٢٣٢١، وصححه الألباني رحمه الله في صحيح سنن الترمذي (٢/٤٦٥) برقم: ٢١٨٠ .

دون الله ولكن الشيطان أنسى من جاء بعد من صورهم هذا المقصد وزين لهم عبادتهم من دون الله وكان ذلك هو سبب الشرك في بني آدم روى ذلك البخاري رحمه الله في صحيحه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [نوح: ٢٣] قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم؛ ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت(١).

أما التمثيل بما فعله اليهود والنصارى، فإن الله جل وعلا أمر بالحذر من طريقهم؛ لأنه طريق ضلال وهلاك ولا يجوز التشبه بهم في أعمالهم المخالفة لشرعنا، وهم معروفون بالضلال واتباع الهوى والتحريف لما جاء به أنبياؤهم فلهذا، ولغيره من أعمالهم الضالة نهينا عن التشبه بهم وسلوك طريقهم والحاصل أن المفاسد التي ستنشأ عن الاعتناء بالآثار وإحيائها محققة ولا يحصى كميتها وأنواعها وغاياتها إلا الله سبحانه، فوجب منع إحيائها وسد الذرائع إلى ذلك ومعلوم أن أصحاب النبي ﷺ و رضي الله عنهم أعلم الناس بدين الله وأحب الناس لرسول الله ﷺ، وأكملهم نصحا لله ولعباده ولم يحيوا هذه الآثار ولم يعظموها ولم يدعوا إلى إحيائها.

بل لما رأى عمر رضي الله عنه بعض الناس يذهب إلى الشجرة التي بويع النبي ﷺ تحتها أمر الناس بشريعة الله وأحبهم لرسوله ﷺ وأنصحهم لله ولعباده ولم يحفظ عنه ﷺ ولا عنهم أنهم زاروا غار حراء حين كانوا بمكة أو غار ثور، ولم يفعلوا ذلك أيضا حين عمرة القضاء، ولا عام الفتح ولا في حجة الوداع ولم يعرجوا على موضع خيمتي أم معبد ولا محل شجرة البيعة فعلم أن زيارتها وتمهيد الطرق إليها أمر مبتدع لا أصل له في شرع الله، وهو من أعظم الوسائل إلى الشرك الأكبر ولما كان البناء على القبور واتخاذ مساجد عليها من أعظم وسائل الشرك نهى النبي ﷺ عن ذلك، ولعن اليهود والنصارى على اتخاذهم قبور أنبيائهم مساجد وأخبر عمن يفعل ذلك أنهم شرار الخلق.

---

(١) سبق تخريجه.

وقال فيما ثبت عنه في صحيح مسلم رحمه الله عن جندب بن عبد الله البجلي ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: " ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك"(١)، وفي صحيح مسلم أيضا عن جابر بن عبد الله ﵁ عنه قال: "نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه"(٢)... والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

وقد دلت الشريعة الإسلامية الكاملة على وجوب سد الذرائع القولية والفعلية، واحتج العلماء على ذلك بأدلة لا تحصى كثرة، وذكر منها العلامة ابن القيم رحمه الله في كتابه [إعلام الموقعين] تسعة وتسعين دليلا كلها تدل على وجوب سد الذرائع المفضية إلى الشرك والمعاصي وذكر منها قول الله تعالى ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ [الأنعام: ١٠٨] وقوله ﷺ: "لا صلاة بعد الصبح حتى تطلع الشمس ولا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس"(٣)، سدا لذريعة عبادة الشمس من دون الله.

ومنعا للتشبه بمن فعل ذلك كما ذكر منها أن النبي ﷺ نهى عن بناء المساجد على القبور ولعن من فعل ذلك ونهى عن تجصيص القبور وتشريفها واتخاذها مساجد وعن الصلاة إليها وعندها وعن إيقاد المصابيح عليها وأمر بتسويتها ونهى عن اتخاذها عيدا وعن شد الرحال إليها لئلا يكون ذلك ذريعة إلى اتخاذها أوثانا والإشراك بها وحرم ذلك على من قصده ومن لم يقصده بل قصد خلافه سدا للذريعة.

فالواجب على علماء المسلمين وعلى ولاة أمرهم أن يسلكوا مسلك نبي الله ﷺ وأصحابه ﷺ في هذا الباب وغيره، وأن ينهوا عما نهى عنه رسول الله ﷺ وأن يسدوا الذرائع والوسائل المفضية إلى الشرك والمعاصي والغلو في الأنبياء والأولياء حماية لجناب التوحيد وسدا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب المساجد ومواضع الصلاة (باب: النهي عن بناء المساجد على القبور ...) برقم: ١١٨٨.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب مواقيت الصلاة (باب: لا يتحرى الصلاة قبل غروب الشمس) برقم: ٥٨٦

لطرق الشرك ووسائله والله المسئول أن يصلح أحوال المسلمين وأن يفقههم في الدين وأن يوفق علماءهم وولاة أمرهم لما فيه صلاحهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة وأن يوفق قادة المسلمين لتحكيم شريعة الله والحكم بها في كل شئونهم وأن يسلك بالجميع صراطه المستقيم، إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين"[١].

ويلحق بذلك مايسمى بمشروع (السلام عليك أيها النبي)، وهو مشروع يحوي على ١٥٠٠ قطعة تحكي سيرة الرسول ﷺ وما ورد عن النبي ﷺ في الكتاب والسنة وبطريقة حديثة، وأن المشروع بعد تدشينه ستفتح أبوابه للزائرين ٢٤ ساعة ويستوعب ٥٠٠ زائر في الساعة إلى آخر ما جاء من وصف المشروع وأنه يحوي على محاكاة لحلي أزواج النبي ﷺ والجبة والصاع والمد وأنواع الأثاث والسلاح والمكاييل والعملات وأنواع الطعام والشراب ...إلخ[٢].

وهذا العمل لا يجوز لعدة محاذير منها:

١/ أن هذا خلاف ما أُمرنا به من العمل بسنته لأنه يشغل عن ذلك فهو استبدال الغير المشروع بالمشروع لأنه لا يجمع العمل بالشيء مع العمل بضده.

٢/ أن هذا خلاف ما نُهينا عنه فهو إحياء للبدع وترك للسنن فهو عمل محدث وقد قال النبي ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[٣]، وفي رواية: "من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد"[٤]، وقال عليه الصلاة والسلام: "وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة"[٥].

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز رحمه الله (٣/٣٣٤-٣٤٠).

(٢) صحيفة الرياض الصادرة بتاريخ ١٤٣٣/٩/١٨هـ .

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الأقضية (باب: نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور) برقم: ٤٤٩٢

(٥) سبق تخريجه.

٣/ أن هذا الشيء لم يفعله الصحابة ﷺ والتابعون رحمهم الله ومن أتبعهم بإحسان، وقد قال النبي ﷺ: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي"[(١)].

٤/ أن هذه الأشكال التي تقام في هذا المعرض ليست هي الأدوات التي كان يستخدمها الرسول ﷺ، وإنما هي أشكال صنعت حديثا ففي هذا تمويه على الناس.

وكون بعض الصحابة يتبركون بأواني الرسول وملابسه التي لامست جسمه الشريف إنما هو بأعيان تلك الأواني والملابس لا بما يشبهها بالشكل لأنه يفقد المعنى وهو ملامسة جسم النبي ﷺ .

٥/ أن إيجاد هذه الأشياء فيه وسيلة إلى الشرك لأن الجهال من الناس سيتعلقون بها لكونها نسبت إلى الرسول ﷺ، وما كان وسيلة إلى الشرك فهو محرم على قاعدة سد الذرائع.

٦/ أن هذا سيصرف العوام عن التوجه إلى مكة والمشاعر أو يقلل من أهميتها عندهم لأن كثيرا من النفوس تميل إلى البدعة وتتعلق بها وتترك السنة وما كان صارفا عن السنة فهو محرم.

٧/ إن هذه البلاد – بلاد الحرمين – هي بلاد التوحيد يجب أن تطهر من الشرك ووسائله قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحج: ٢٦].

٨/ وليس هناك مبررات لهذا العمل تقابل المحاذير المترتبة عليه، وقول أن هذا العمل فيه توضيح للمسميات الواردة في السنة نقول عنه إن توضيح هذه المسميات يؤخذ من شروح الأحاديث ومفردات اللغة العربية فلا حاجة إلى وضع مجسمات يزعم أنها توضحها مع ما يترتب على ذلك من المحاذير المذكورة وما هو أعظم منها – وعلى كل حال يسعنا ما وسع السلف الصالح.

---

(١) سبق تخريجه.

٩/ اقتطاع الأراضي الواسعة لإقامة هذا المشروع وإنفاق الأموال الطائلة لتمويله جهد ضائع فلو وزعت هذه الأراضي مساكن للفقراء وأنفقت هذه الأموال في تعميرها لهم لكان ذلك سدا لحاجة المحتاجين ووضع للمال في موضعه الصحيح.

فالمؤمل في ولاة أمورنا وفقهم الله وقف هذا المشروع لما فيه من المحاذير حماية للعقيدة من الشرك ووسائله كما عهدناه منها، ونسأل الله أن يوفق الجميع لما فيه صلاح الإسلام والمسلمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه[(١)].

وقد عقب الشيخ العلامة صالح الفوزان على مؤسس هذا المشروع والداعي إليه بعد أن استعان صاحب المشروع بتأييد بعض الدعاة من داخل المملكة وخارجها لإتمام مشروعه والمضي فيه، فقال الشيخ العلامة صالح الفوزان حفظه الله: " كان الدكتور ناصر الزهراني قد نشر في بعض الصحف مقابلة مع بعض الصحفيين أعلن فيها عن قيامه بإعداد مشروع ضخم يحوي مجسمات وأشكالاً لآثار النبي ﷺ ومقتنياته وللكعبة المشرفة والمسجد النبوي وحجرات النبي ﷺ إلى غير ذلك إحياء بزعمه لسيرة النبي ﷺ وجمع ذلك في معرض واسع يتاح للزوار فكتبتُ تعقيبا على ما جاء في هذه المقابلة وبينت ما يترتب على هذا العمل من المحاذير الشرعية التي أعظمها أن ذلك وسيلة إلى الشرك بالتبرك بها بحكم نسبتها إلى النبيﷺ لكنه بعد ذلك أراد أن ينتصر لهذا المشروع فنشر في جريدة عكاظ العدد ١٦٨٣٤ وتاريخ ٣/١١/١٤٣٣هـ وفي جريدة الرياض العدد ١٦١٥٧ وتاريخ ٢ ذي القعدة عام ١٤٣٣هـ مقابلات له مع بعض العلماء من داخل المملكة وخارجها يؤيدون مشروعه هذا ويثنون عليه ويعجبون بمحتوياته مما قوى عزمه على المضي فيه وقد نشر صور هؤلاء المشائخ ونصوص مقالاتهم ليجعلها رداً على تعقيبي عليه وأقول:

إن هؤلاء المشائخ الذين ذكرتهم أيها الدكتور نظروا إلى العمل الفني التشكيلي لهذه المجسمات ولم ينظروا إلى ما يترتب عليه من المحاذير التي أهمها –كون هذا العمل وسيلة إلى الشرك بالتبرك بهذه المجسمات بحكم نسبتها إلى النبي ﷺ، فأول ما حدث الشرك في الأرض

---

(١) كتبه فضيلة الشيخ العلامة صالح الفوزان حفظه الله تعالى، من موقعه الرسمي بتاريخ ٢٠/٩/١٤٣٣هـ، (http://alfawzan.af.org.sa/node/14068).

في قوم نوح حينما صوروا صور الصالحين ونصبوها على مجالسهم ليتذكروا بها أحوالهم فينشغلوا على العبادة بالاقتداء بهم ثم آل بهم الأمر إلى عبادتهم من دون الله عز وجل فكان هذا العمل وسيلة إلى الشرك فكذلك إقامة مجسمات لآثار النبي ﷺ فالمآل ستكون وسيلة للشرك بالتبرك بها بحكم نسبتها إلى النبي ﷺ فالمآل واحد، أولم ير هؤلاء المشائخ ما يجري الآن حول دار المولد بمكة وغار ثور وغار حراء ومسجد البيعة وغيرها مما ينسب إلى النبي ﷺ من التبرك بها وما يعمل حولها من البدع والشركيات ألا يخاف هؤلاء المشائخ أن يزيد هذا الأمر ويعظم حول هذه المجسمات التي أثنوا على إقامتها وشجعوا عليها وقد عقد الإمام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله بابًا في كتاب التوحيد بعنوان: باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسده كل طريق يوصل إلى الشرك، وأورد فيه حديث: "لا تجعلوا قبري عيدا"[(١)]، أي بالتردد عليه والتبرك به وذكر فيه إنكار علي بن الحسين على الرجل الذي يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدعوا عندها، وعقد الشيخ بابًا آخر في هذا الكتاب بعنوان: ما جاء في حماية النبي ﷺ حمى التوحيد ومنع من ألفاظ تقال في حقه مثل أنت سيدنا وابن سيدنا، ويا خيرنا وابن خيرنا، وقال: "ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل أنا عبدالله ورسوله"[(٢)].

وأنا أرى أن في هذا المشروع إذا تم نسفًا لجهود دعوة التوحيد في هذا البلاد وعملاً لما يضادها من الشرك ووسائله ولو على المدى البعيد، أليس عمر بن الخطاب قد قطع الشجرة التي وقعت تحتها بيعة الرضوان في الحديبية لما رأى الناس يذهبون إليها ويصلون عندها[(٣)] ثم إن في الشعار التي وضع لهذا المشروع وهو: [السلام عليك أيها النبي] ما يوحي للجهال أن النبي ﷺ له حضور في هذا المكان الذي تقام فيه هذه التماثيل بحيث يخاطبونه بالسلام عليه

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب المناسك (باب: زيارة القبور) برقم: ٢٠٤٢، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٥٧١/١) برقم: ٢٠٤٢.

(٢) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة برقم: ٢٤٨ (ص:٢٤٩)، وأحمد في المسند (٢١٦/٢١) برقم: ١٣٥٩٦، قال محققه صحيح على شرط مسلم.

(٣) أخرجه ابن وضاح في البدع برقم: ١٠٧، (٧٩-٨٠)، قال محققه إسناده مرسل.

مما يزيد من الافتتان بهذه المجسمات المقامة، ثم إننا نتساءل هل هذا المشروع الذي يقيمه الدكتور ناصر ويؤيده عليه هؤلاء المشائخ هل هو من السنة التي تركها سلفنا خلال القرون الماضية أو هو عمل محدث ليس من السنة، فإن كان من السنة فهل الأمة قصرت في إقامته وإن لم يكن من السنة فلماذا نخالف إجماع الأمة على تركه ونحدثه، وكل محدثة بدعة إن دراسة السيرة النبوية أيها العلماء ليست بإقامة المجسمات المحدثة وإنما هي بدراسة أسانيدها والتفقه فيها كما فعل الإمام ابن القيم في كتابه زاد المعاد في هدي خير العباد وباستخلاص دروس التوحيد منها، والأمم السابقة إنما أهلكت بسبب تتبع آثار أنبيائهما والتبرك بها وإعراضهم عما جاءت به رسلهم ألا يكون لنا بهم عبرة والصحابة والسلف الصالح لما فنيت آثار النبي ﷺ من ملابسه وأوانيه لم يقيموا لها مجسمات تشبهها وهم أحرص منا على الاقتداء به فلو كان هذا عملا مشروعا لسبقونا إليه (ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها) كما قال الإمام مالك وقال عبدالله بن مسعود: (اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم)[1]، ولقد أنكر الشيخ ابن باز والشيخ ابن حميد رحمهما الله على الكاتب الذي دعا إلى إقامة معالم طريق الهجرة وإقامة مجسمات لخيمتي أم معبد وغيرهما خشية من نتائج ذلك فليسعنا ما وسعهم ولا نشجع من يحاول إحياء الآثار الدارسة بإقامة مجسمات لها كما يحاول صاحب هذا المشروع وقد منعت هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة من عمل مجسمات للكعبة المشرفة والمسجد الحرام والمسجد النبوي وحجرات النبي ﷺ كما نقلت ذلك عنهم في مقالتي السابقة، هذا ما أردت التنبيه عليه ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾﴾ [هود: ٨٨] وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه[2].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) مقال للشيخ العلامة صالح الفوزان بعنوان (هؤلاء المشايخ أعجبتهم الأشكال وغفلوا عن الغايات والمآلات) بتاريخ ١٤٣٣/١١/٣هـ من موقع الشيخ الرسمي (http://alfawzan.af.org.sa/node/14099).

المبحث الثالث:

المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر.

الإيمان باليوم الآخر ركنٌ من أركان الإيمان، ولا يتم إيمان عبد إلا بالإيمان بجميع الأركان دون استثناء، وهو ركيزة من ركائز الإيمان بالغيب.

واليوم الأخر هو: يوم القيامة، وسمي باليوم الآخر لأنه أخر يوم لا يوم بعده سواه(١).

والقيامة: أصلها ما يكون من الإنسان من القيام دفعة واحدة أدخل فيها الهاء تنبيها على وقوعها دفعة بغته، وقيل: أصله مصدر، قام الخلق من قبورهم(٢).

والإيمان باليوم الآخر يشمل أموراً عدة أبتداءً من وفاة العبد ودفنه في قبره وما يحدث له من نعيم أو عذاب في القبر ثم البعث والنشور وغير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة حتى يوفى حسابه إما إلى جنةٍ أو نارٍ.

ولأهمية هذا الركن العظيم نجد أنه جاء مقروناً في القرآن الكريم بالإيمان بالله تعالى في كثيرٍ من الآيات، وكذلك في السنة النبوية، فمن ذلك:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ [آل عمران: ١١٣ – ١١٤].

---

(١) تفسير الطبري (٢١٢/١).

(٢) انظر: (النهاية في غريب الحديث والأثر ١٣٥/٤) و (لسان العرب ٥٠٦/١٢) و (التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ٢٧٨) و (تاج العروس ٣٢٠/٣٣).

وقال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١٦٢].

ومن السنة النبوية، ما يلي:

عن أبي شريح أنه قال لعمرو بن سعيد – وهو يبعث البعوث إلى مكة – ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولا قام به النبي ﷺ الغد من يوم الفتح سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به: حمد الله وأثنى عليه ثم قال: " إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما ولا يعضد بها شجرة...الحديث"(١).

وعن أبي هريرة ﷺ أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت"(٢).

وعن أبي هريرة ﷺ كذلك أن رسول الله ﷺ قال:"لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله واليوم الآخر"(٣).

وغير ذلك من الأدلة الدالة على عظم هذا الركن من حيث اقترانه بالإيمان بالله سبحانه وتعالى.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون باليوم الآخر وما يقع فيه من أحداثٍ أخبر الله سبحانه وتعالى بها في كتابه أو أخبر بها نبيه ﷺ من الأمور الغيبية الواقعة في ذلك اليوم، وتجد هذا في أقوالهم المبثوثة في كتب أهل العلم، ومن أقوال السلف الصالح:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب العلم (باب: ليبلغ العلم الشاهد الغائب) برقم: ١٠٤

(٢) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الأدب (باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره) برقم: ٦٠١٨

(٣) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الإيمان (باب: الدليل على أن حب الأنصار وعلي من الإيمان وعلاماته...) برقم: ٢٣٨

١/ عن ابن عباس رضي الله عنهما ، في قول الله عز وجل: ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ ﴾ [الأعراف: ٢٩ – ٣٠] ولذلك خلقهم حين خلقهم ، فجعلهم مؤمنا وكافرا ، وسعيدا وشقيا ، وكذلك يعودون يوم القيامة مهتديا وضالا"(١).

٢/ وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيضا ، قال: إن أول ما خلق الله عز وجل القلم فخلقه عن هجاء فقال: قلم ، فتصور قلما من نور ظله ما بين السماء والأرض ، فقال: اجر في اللوح المحفوظ ، قال: يا رب بماذا ؟ قال: بما يكون إلى يوم القيامة ، فلما خلق الله عز وجل الخلق، وكل بالخلق حفظة يحفظون عليهم أعمالهم، فإذا كان يوم القيامة عرضت عليهم أعمالهم فقيل﴿ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الجاثية: ٢٩]، أي في اللوح المحفوظ، قال: فيعارضون بين الكتابين فإذا هما سواء"(٢).

٣/ وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: " ثلاث أحلف عليهن، والرابعة لو حلفت عليها لرجوت أن لا آثم: لا يجعل الله ذا سهم في الإسلام كمن لا سهم له .

وأسهم الإسلام: الصلاة، والزكاة، والصيام، ولا يحب رجل قوما إلا بعثه الله معهم، ولا يتولى الله عز وجل عبدا في الدنيا فيوليه سواه يوم القيامة، والرابعة لو حلفت عليها لرجوت أن لا آثم: لا ستر الله على عبد في الدنيا إلا رجوت أن يستر عليه في الآخرة "(٣).

٤/ عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال: "يؤتى بالعبد يوم القيامة، فيستره ربه بينه وبين الناس فيرى خيرا، فيقول: قد قبلت، ويرى شرا فيقول: قد غفرت فيسجد عند الخير والشر، فيقول الناس: طوبى لهذا العبد الذي لم يعمل شرا قط"(٤).

٥/ وأخرج اللالكائي عن سفيان بن عيينة قوله: " السنة عشرة ، فمن كن فيه فقد استكمل السنة ، ومن ترك منها شيئا فقد ترك السنة: إثبات القدر ، وتقديم أبي بكر وعمر،

---

(١) الإبانة الكبرى (٤٦٩/١) برقم: ١٢٩٢.

(٢) المصدر السابق (٥٠٥/١-٥٠٦) برقم: ١٣٧٦ .

(٣) الإيمان للعدني (٧٦).

(٤) البعث والنشور للبيهقي (٨١)برقم: ٥٤.

والحوض ، والشفاعة ، والميزان ، والصراط ، والإيمان قول وعمل ، والقرآن كلام الله ، وعذاب القبر ، والبعث يوم القيامة ، ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم"[(١)].

٦/ وأخرج أيضا: "عن أبي إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني يقول:

شهدت بأن الله لا شيء غيره *** وأشهد أن البعث حق وأخلص

وأن عرى الإيمـــان قـــول مبين *** وفعل زكي قد يزيد وينقص"[(٢)].

٧/ وعن زيد بن أسلم قال: "لابد لأهل هذا الدين من أربع: دخول في دعوة الإسلام ولابد من الإيمان، وتصديق بالله والمرسلين أولهم وآخرهم، وبالجنة والنار، والبعث بعد الموت، ولابد من أن تعمل عملا تصدق به إيمانك، ولابد من أن تعلم علما تحسن به عملك، ثم قرأ: وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى"[(٣)].

وعلى الرغم من هذا التقرير المستمد من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وأقوال سلف الأمة إلا أن الحاجة ماسة لتقرير هذا الركن الذي لا يتم إيمان عبدٍ إلا به، وذلك لكثرة ما يقع فيه من مخالفاتٍ مبتدعة ليست في الكتاب ولا في السنة ولم تعرف عن أحدٍ من سلف هذه الأمة.

وعلى ذلك فإني سأتناول في هذا المبحث بإذن الله تعالى بعضاً من تلك المخالفات في المطالب الآتية:

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للألكائي (٧٥) برقم: ٣١٦.

(٢) المصدر السابق (٦٥٨) برقم: ٢٦٦٨

(٣) الإيمان لأبن أبي شيبه (٩٢-٩٣) برقم: ١٣٦.

المطلب الأول:

الإعراض عن تقرير عقيدة الإيمان باليوم الآخر .

الإيمان باليوم الآخر هو من الإيمان بالغيب الذي أثنى الله سبحانه وتعالى على أهله وامتدحهم به، فقال سبحانه: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٥ ﴾ [البقرة: ١ – ٥].

عن قتادة رحمه الله قال: " آمنوا بالجنّة والنار، والبَعْث بعدَ الموت، وبيوم القيامة، وكلُّ هذا غيبٌ"(١).

والإيمان بالغيب هو أصل الإيمان على الإطلاق، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، حيث قال: " ومنه ما يتعلق بالغيب وهو ما غاب عن إحساسهم، وأصل الإيمان هو الإيمان بالغيب"(٢).

وقال في موضع آخر: " ولما كانت سورة البقرة سنام القرآن، ويقال: إنها أول سورة نزلت بالمدينة افتتحها الله بأربع آيات في صفة المؤمنين"(٣).

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: "حقيقة الإيمان: هو التصديق التام بما أخبرت به الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح، وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر، إنما الشأن في الإيمان بالغيب، الذي لم نره ولم نشاهده، وإنما نؤمن به، لخبر الله وخبر رسوله، فهذا الإيمان الذي يميز به المسلم من الكافر، لأنه تصديق مجرد لله ورسله، فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله، سواء شاهده، أو لم يشاهده وسواء فهمه وعقله، أو لم يهتد إليه عقله وفهمه، بخلاف الزنادقة والمكذبين بالأمور

---

(١) تفسير الطبري (١/١٩١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٣/٢٣٢).

(٣) المصدر السابق (٧/٢٠٠).

الغيبية، لأن عقولهم القاصرة المقصرة لم تهتد إليها فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ففسدت عقولهم، ومرجت أحلامهم، وزكت عقول المؤمنين المصدقين المهتدين بهدى الله.

ويدخل في الإيمان بالغيب، الإيمان بجميع ما أخبر الله به من الغيوب الماضية والمستقبلة، وأحوال الآخرة، وحقائق أوصاف الله وكيفيتها، وما أخبرت به الرسل من ذلك فيؤمنون بصفات الله ووجودها، ويُتقِنونها، وإن لم يفهموا كيفيتها"(١).

ويتضمن الإيمان باليوم الآخر أموراً عدة، منها:

أولاً: الإيمان بعلامات الساعة وأماراتها، قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ ﴾ [محمد: ١٨].

وقال ﷺ في حديث جبريل الطويل عندما سأله جبريل عليه السلام عن الساعة قال: فأخبرني عن الساعة، قال: "ما المسئول عنها بأعلم من السائل" قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: " أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان...الحديث"(٢).

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه، قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم، فقال: " اعدد ستا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا "(٣).

قال الطحاوي رحمه الله تعالى: " ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها"(٤).

---

(١) تفسير السعدي (٢٦-٢٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الجزية والموادعة (باب: ما يحذر من الغدر) برقم: ٣١٧٦

(٤) شرح الطحاوية (٤٠٨).

ثانياً: الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ١٦٩ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩ – ١٧٠].

وعن البراء بن عازب أن رسول الله ﷺ قال: "المسلم إذا سئل في القبر: يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]"[(١)].

قال تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦].

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: "فجعل عذابهم يوم تقوم الساعة بعد عرضهم على النار في الدنيا غدوا وعشيا، وقال تعالى: ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ﴾ [التوبة: ١٠١]، مرة بالسيف، ومرة في قبورهم، ثم يردون إلى عذاب غليظ في الآخرة.

وأخبر الله تعالى أن الشهداء في الدنيا يرزقون ويفرحون بفضل الله تعالى.

وهذا لا يكون إلا في الدنيا، لأن الذين لم يلحقوا بهم أحياء لم يموتوا ولا قتلوا"[(٢)].

ثالثاً: الإيمان بالبعث والنشور، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ١٥ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ١٦ ﴾ [المؤمنون: ١٥ – ١٦].

رابعاً: الإيمان بالحساب والجزاء، قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ٢٦ ﴾ [الغاشية: ٢٥ – ٢٦].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب التفسير (باب ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ ﴾) برقم: ٤٦٩٩

(٢) الإبانة عن أصول الديانة (٢٥٠).

خامساً: الإيمان بوجود الجنة والنار، قال تعالى: ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[آل عمران: ١٣٣]

وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣١].

وأهل السنة والجماعة قد اهتموا بهذا الركن العظيم شأنه شأن بقية أركان الإيمان، من حيث التأليف والكتابة حوله والدعوة إليه وبيان ما يتضمنه هذا الركن العظيم وما له من آثر في عقيدة المسلم وسلوكه، ومن تلك الآثار والثمرات ما يلي:

أولاً: الإيمان باليوم الآخر دليل على سلامة القلوب من الشرك وطهارتها من شوائبه.

قال تعالى: ﴿ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٞ وَهُم مُّسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النحل: ٢٢]

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ ﴾ [الزمر: ٤٥].

ثانياً: الحرص على طاعة الله تعالى رغبة في ثواب الله، والبعد عن معصية الله خوفًا من عقاب الله، وهذا كله في اليوم الآخر (يوم الحساب والجزاء).

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨١]

ثالثاً: تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها.

قال تعالى: ﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ

عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد: ٢١ – ٢٣]

رابعاً: يقول الشيخ السعدي رحمه الله: " إن العلم بذلك ــ أي باليوم الآخر ــحقيقة المعرفة، يفتح للإنسان باب الخوف والرجاء، اللذين إن خلا القلب منهما خرب كل الخراب، وإن عمر بهما أوجب له الخوف الإنكفاف عن المعاصي، والرجاء تيسير الطاعة وتسهيلها، ولا يتم ذلك إلا بمعرفة تفاصيل الأمور التي يخاف منها وتحذر، كأحوال القبر وشدته، وأحوال الموقف الهائلة، وصفات النار المفظعة"(١).

وبعد هذا التقرير الموجز عن عقيدة أهل السنة والجماعة في اليوم الأخر، وفيه أنهم آمنوا بهذا الركن العظيم شأنه شأن بقية أركان الإيمان ودعوا إليه، فإنه ولا بد أن يزيغ عن المنهج الحق فِئامٌ من الناس أعرضوا عن الكتاب والسنة وأخذوا عن سفهائهم فضلوا وأضلوا، ومن أولئك الباطنية والرافضة وغلاة الصوفية ومن نحا نحوهم، فهم لم يقرروا هذا الأصل ويدعو إليه بل منهم من أنكر يوم القيامة كالباطنية ومنهم من ربط هذا الأصل بما يوافق معتقده من حيث الغلو بالأئمة، فزعموا أن اليوم الآخر مُلكٌ للأئمة يتصرفون فيه كيفما أرادوا، والهدف من ذلك إنكار يوم القيامة وإضعاف الإيمان به في قلوب الأتباع وجعلهم يتعلقون بالأئمة.

تقريرات الشيعة في مسألة الإيمان باليوم الآخر:

من خلال مطالعة الكتب المعتبرة عند الشيعة الإمامية فيما يخص عقيدتهم باليوم الآخر يلاحظ ما يلي:

١/يعتقد الرافضة بأن اليوم الآخر بيد الإمام:

يدعي الرافضة بأن اليوم الأخر ملك للإمام، يضعه حيث يشاء ويدفعه عمن يشاء.

(١) تفسير السعدي (٢٣).

جاء في أصول الكافي للكليني قوله: "عن أبي بصير عن أبي عبد الله قال: قلت له أما على الإمام زكاة ؟ فقال: أحلت يا أبا محمد أما علمت أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء ويدفعها إلى من يشاء جائز له ذلك من الله..."[(١)].

وذكر شيخهم الصفار في كتابه بصائر الدرجات، (باب في أمير المؤمنين عليه السلام أنه قسيم الجنة والنار)، ثم ذكر روايات عدة قرر فيها لشيعته أن اليوم الأخر بيد الإمام، منها: "قال أبو عبد الله عليه السلام إذا كان يوم القيامة وضع منبر يراه جميع الخلائق فيصعد عليه رجل فيقوم عن يمينه ملك وعن يساره ملك، ينادي الذي عن يمينه يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب عليه السلام يدخل الجنة من يشاء وينادي الذي عن يساره يا معشر الخلائق هذا علي بن أبي طالب عليه السلام يدخل النار من يشاء"[(٢)].

وفي الرواية الأخرى يقول، عن أبي جعفر عليه السلام قال علي عليه السلام: "أنا قسيم الجنة والنار أدخل أوليائي الجنة وأدخل أعدائي النار"[(٣)].

٢/ ويعتقد الرافضة بأن الله تعالى خلق الجنة والنار لأجل الأئمة:

قال ابن بابويه القمي:" ونعتقد أن الله تبارك وتعالى خلق جميع ما خلق له ولأهل بيته عليهم السلام، وأنه لولاهم لما خلق الله السماء والأرض ولا الجنة ولا النار..."[(٤)].

٣/ وبأن الحساب يكون منه ما هو لله تعالى وما هو للأئمة:

قال ابن بابويه القمي: "اعتقادنا في الساب أنه حق، منه ما يتولاه الله عز وجل ومنه ما يتولاه حججه، فحساب الأنبياء والرسل والأئمة يتولاه الله عز وجل، ويتولى كل نبي حساب أوصيائه، ويتولى الأوصياء حساب الأمم ..."[(٥)].

---

(١) أصول الكافي (١/٣٠٨).

(٢) بصائر الدرجات للصفار (٤٥٧).

(٣) المصدر نفسه (٤٥٨).

(٤) الاعتقادات لابن بابويه القمي (٣٢).

(٥) المصدر السابق نفسه (٢٤).

٤/ وسؤال الملكين في القبر يكون عن الأئمة:

وهذا من الهذيان ومما لا دليل عليه سوى اتباع الهوى، فالرافضة يعتقدون بأن الملكين الموكلان بسؤال العباد في القبر، يسألون الميت عن الأئمة واحدا واحدا، فإن لم يجب فإنه من أهل النار، **قال** المجلسي: "فيجيئه الملكان منكر ونكير في صورة مهيبة، إن كان معذبا ومبشر وبشير في صورة حسنة إن كان من الأبرار، فيسألانه عن عقائده ومن يعتقده من الأئمة واحدا بعد واحد، فإن لم يجب عن واحد منهم يضربانه بعمود من نار يمتلى قبره نارا إلى يوم القيامة، وإن أجاب يبشرانه بكرامة من الله تعالى ويقولان له نوم نومة عروس قرير العين"(١).

من خلال ما سبق يتضح لنا جليا دعوة الرافضة لاتباعهم بأن اليوم الأخر هو بيد الأئمة

فإذا تقرر ذلك، ذهب الخوف والرجاء والمحبة من الله عز وجل وهذه أركان العبادة، وصُرِفت للإمام، وهذا هو المراد من دعوة كبار الرافضة، وأصبح العامي الرافضي يصرف جميع أنواع العبادة للأئمة من دون الله تعالى.

---

(١) العقائد للمجلسي (٦٨).

تقريرات الباطنية[1] في إنكار اليوم الآخر:

الباطنية طائفة تعتقد بأن للنصوص ظاهر وباطن، وأنهم يأخذون بباطن النصوص بخلاف الآخرين الذين يأخذون بظاهرها، وعلى هذا بنوا عقيدتهم على أصول ثلاث[2] هي:

١/ إنكار وحدانية الله تعالى.

٢/ تأويل الشرائع.

٣/ إنكار البعث والنشور.

والذي يهمنا من هذه الأصول هو إنكار يوم القيامة عند هذه الطائفة، حيث نقل الغزالي معتقدهم في اليوم الآخر **فقال:** " وقد اتفقوا عن آخرهم على إنكار القيامة وان هذا النظام المشاهد في الدنيا من تعاقب الليل والنهار وحصول الانسان من نطفة والنطفة من انسان وتولد النبات وتولد الحيوانات لا يتصرم أبدا الدهر وان السموات والأرض لا يتصور انعدام اجسامهما وأولوا القيامة وقالوا إنها رمز إلى خروج الإمام وقيام قائم الزمان وهو السابع الناسخ للشرع المغير للأمر وربما قال بعضهم ان للفلك أدوارا كلية تتبدل احوال العالم تبدلا كليا بطوفان عام او سبب من الأسباب فمعنى القيامة انقضاء دورنا الذي نحن فيه واما المعاد فانكروا ما ورد به الأنبياء ولم يثبتوا الحشر والنشر للاجساد ولا الجنة والنار ولكن قالوا معنى المعاد عود كل شئ الى أصله والانسان متركب من العالم الروحاني الجسماني اما الجسماني منه وهو جسده فمتركب من الاخلاط الاربعة الصفراء والسوداء والبلغم والدم

---

(١) هي طائفة تزعم أن لظواهر النصوص بواطن تجرى في الظواهر مجرى اللب من القشر، وهي فرق عدة منها: الإسماعيلية والنصيرية والدروز والبابية والبهائية، يجمعها القول بهذه المقالة وغيرها، انظر: (فضائح الباطنية ٢١).

(٢) انظر: فضائح الباطنية (٤٤-٥٦).

فينحل الجسد ويعود كل خلط الى الطبيعة العالية أما الصفراء فتصير نارا وتصير السوداء ترابا ويصير الدم هواء ويصير البلغم ماء وذلك هو معاد الجسد وأما الروحاني وهو النفس المدركة العاقلة من الانسان فانها ان صفيت بالمواظبة على العبادات وزكيت بمجانبة الهوى والشهوات وغذيت بغذاء العلوم والمعارف المتلقاة من الأئمة الهداة اتحدت عند مفارقة الجسم بالعالم الروحاني الذي منه انفصالها وتسعد بالعود الى وطنها الأصلي ولذلك سمي رجوعا فقيل ﴿ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾ [الفجر: ٢٨]، وهي الجنة وإليه وقع الرمز بقصة آدم وكونه في الجنة ثم انفصاله عنها ونزوله الى العالم السفلاني ثم عوده اليها بالاخرة"[١].

ومن تقريراتهم لهذه العقيدة، ما يلي:

الإسماعيلية:

هي فرقة رافضية (من حيث قولهم بالإمامة في ذرية الحسين وحملهم لمجمل عقائد الرافضة) باطنية انفصلت عن الرافضة بإثبات الإمامة لإسماعيل بن جعفر[٢].

وعقيدتهم تقوم على إنكار القيامة ومخالفة أهل الإسلام في ذلك، فالقيامة عندهم قيامتان قيامة كبرى وقيامة صغرى، ويقصدون بالقيامة الكبرى ظهور القائم (صاحب الزمان).

قال شمس الدين الطيبي الإسماعيلي:" وقيام الشرائع والأديان بظهور صاحب الزمان وقيام الدور[٣] بروز النفس الكلية لمحاسبة النفوس الجزئية وقيام القيامة بكمال الأخلاص والنجاة ..."[٤].

(١) المرجع السابق (٤٩-٥٠)

(٢) الفرق بين الفرق (٧٠) و الملل والنحل (٢٢٦) و فرق الشيعة للنوبختي والقمي (٧٨).

(٣) يعتقد الإسماعيلية بـ"وجود دورات متعاقبة لهذا العالم في كل دور نبي ناطق ووصي وأئمة ستة فإذا جاء السابع افتتح دورا جديدا وصار ناطق..." الحركات الباطنية في العالم الإسلامي لمحمد الخطيب (١١٢) وانظر مقدمة عارف تامر في تحقيقه لكتاب أربع رسائل إسماعيلية (١١-١٣).

(٤) الدستور ودعوة المؤمنين للطيبي، ضمن أربع رسائل إسماعيلية، تحقيق: عارف تامر (٦٩).

وهذا يعني كذلك نسخ رسالة النبي محمد ﷺ بظهور السابع الذي يفتتح دورا جديدا يكون فيه نبياً ناطقاً، وعلى هذا تستمر هذه الدورات المتعاقبة إلى مالا نهاية.

قال عارف تامر الإسماعيلي عند تأويله لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

"ففي التأويل الإسماعيلي أن السماء هي الشريعة العائدة للناطق وتأويل الآية أنه عند ظهور القائم السابع المنتظر ستطوى جميع الشرائع وعددهم عدد السموات، أي ست شرائع وهي لآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد، كما يطوى السجل ويضيف إليهم الشريعة السابعة التي تلغي جميع ما قبلها وعندئذ يبدأ عهد جديد كما كان قبل الخليقة الطبيعية"(١).

وأما البرزخ فهو على ضربين محمود ومذموم:" فالمحمود ما يصل إليه المؤمنون بعد نقلهم من المراتب ويكونون فيها إلى أوان البعث الكلي الذي هو ظهور القائم على ذكره سلام الله..."(٢).

وأما القيامة الصغرى فتأويلهم لها بعقيدة تناسخ الأرواح المعروفة عند الباطنية **يقول** الطيبي الإسماعيلي:"والقبر فهو الصورة الجسمانية والهياكل الجرمانية، وأما عذاب القبر فهو تأثر النفس بسبب ما يظهر عليها من الصور الهيولانية المخالفة للطبائع وذلك على سبيل التغيير، وأما أتيان منكر ونكير فهو استيلاء القوة الشهوانية والغضبية الداعيتين إلى الهلاك، وأما الحشر فهو انحطاط النفوس في سلك انقيادها وانجبارها إلى ما فيه ذاتها وحقيقتها...وأما النشر فهو ظهور النفوس في عالم بعد عالم على وفق مكتسباتها..."(٣).

---

(١) جامعة الجامعة لأخوان الصفا، مقدمة المحقق: عارف تامر (٥٨).

(٢) ست مسائل وأجوبتها ضمن أربع كتب إسماعيلية، المسألة الثالثة (١٤٢).

(٣) الدستور ودعوة المؤمنين للطيبي، ضمن أربع رسائل إسماعيلية، تحقيق: عارف تامر(٦٨-٦٩).

وقال:

ولي صور محصورة القدرضبطها *** ظهوري لعيني عند لبسي بردتي

فأبدوا بها في صورة بعد صورة *** وآخر ما يتلوه أول نشأتي

قيامتي الصغرى بخلعي وإنما *** قيامتي الكبرى بتتميم دورتي(١)

البهائية:

هي إحدى الفرق الباطنية الخبيثة التي حاولت هدم الإسلام وإخراج أهله منه بأساليب وطرق شتى قديماً وحديثاً تأسست عام ١٢٦٠ تحت رعاية الاستعمار الروسي واليهودية العالمية(٢).

وموقف البهائية من اليوم الآخر يتسم بالتأويل وإنكار يوم القيامة بالكلية، فكل ما ورد من ذكرٍ للقيامة إنما هو قيامة البهاء(٣) بدعوته.

يقول الدُّكتُور جُون أسلُمنُت في كتابه (بهاء الله والعصر الجديد): " إنّ جزءًا مهمًّا من تعاليم الباب خاص بتفسير عبارات القيامة ويوم الجزاء والجنّة والنّار، فقد قال أنّ معنى القيامة هو ظهور مظهر جديد لشمس الحقيقة، وأنّ معنى قيام الأموات هو اليقظة الرّوحانيّة لمن هم نيام في قبور الجهالة والغفلة والشّهوات، وأنّ يوم الجزاء يعني يوم الظّهور الجديد... "(٤).

---

(١) المرجع السابق نفسه (٩٣).

(٢) انظر: فرق معاصرة تنتسب للإسلام وموقف الإسلام منها (٢/٦٤٣)، والموسوعة الميسرة (١/٤٠٩).

(٣) هو حسين على بن الميرزا عباس بزرك المازندرانى النوري المعروف بالبهاء أو بهاء الله: رأس (البهائية) ومؤسسها إيرانيّ مستعرب واعتنق دعوة كان علي بن محمد الشيرازي، الملقب بالباب قد قام بها ظاهرها الإصلاح الديني والاجتماعي وباطنها تلفيق عقيدة جديدة من أديان ومبادئ مختلفة، انظر: (الأعلام ٢/٢٤٨-٢٤٩).

(٤) بهاء الله والعصر الجديد (٣٢-٣٣).

وهذا إنكارٌ صريح لما دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة، وتأويلٌ فاسد لا يقبله عقل ولا منطق.

ومن عَلِم تأويلاتهم الفاسدة لآيات القرآن الكريم وفق ما يخدم مذهبهم، علم مدى تلاعبهم بدين الله تعالى، وعرف حقيقة مذهبهم الباطني الملحد، فمن تلك التأويلات:

قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧] " أي: يقويهم بالحجج القوية في الحياة الدنيا في إيمانهم بمحمد ﷺ وفي الآخرة في إيمانهم بحضرة بهاء الله"[(١)].

وقوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾ [الروم: ٥٥ – ٥٦] .

"أي علم دين بهاء الله والإيمان به، لقد لبثتم في كتاب الله -الخطاب لأمة محمد ﷺ - أي لبثتم في إقامة كتاب الله وهو القرآن الكريم والعمل بشريعته المطهرة إلى يوم البعث؛ أي إلى قيام بهاء الله وظهوره، فهو المراد بالبعث، أي خروج الناس من دين محمد ﷺ إلى دين البهاء"[(٢)].

وقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

يقرر البهائية لأتباعهم يوم القيامة أو اليوم الأخر على أنه قيام بهاء الله، وليس هناك يومٌ أخر للحساب والجزاء، يقولون عن يوم القيامة والمراد منها ومعناها:" هي القيامة الكبرى بظهور بهاء الله فتنتهي الأمة المحمدية وهذه القيامة هي البعث والمعاد واليوم الأخر ويوم التلاق ويوم الحسرة للمجرمين المكذبين بحضرة بهاء الله ..."[(٣)].

---

(١) التبيان والبرهان في حقيقة القيامة (٢/٦٠)، نقلاً عن قراءة في وثائق البهائية (٢٩٦-٢٩٧).

(٢) نقلاً عن فرق معاصرة تنتسب للإسلام لغالب عواجي (٢/٧١٨).

(٣) الرائد والدليل (٧٥)، نقلاً عن كتاب قراءة في الوثائق البهائية (٣٠٤).

وبهذا يُعلم أن البهائية يُنكرون اليوم الأخر ويتأولون آيات الكتاب الكريم الصريحة في أحداث ذلك اليوم العظيم، وكل هذا ليس له هدفٌ إلا محاربة الإسلام وتشويه صورته، وإنكار شرائعه.

فالرافضة تأولوا وحرفوا المعنى الصحيح لليوم الأخر بدعوى أنه مُلكٌ للإمام وأن الجنة والنار بيده يدخل من يشاء الجنة ويدخل من يشاء النار، والبهائية الباطنية، جعلوا يوم القيامة هو قيامة البهاء وحضرته، والنتيجة المشتركة بينهم أن كل فريق منهم يزعم أن القرآن الكريم قد بشر بأمامه ، ولم تختم النبوة بمحمد ﷺ [1].

---

(١) انظر: حقيقة البابية والبهائية (١٢٦).

المطلب الثاني:

الإعراض عن تقرير الإيمان بعذاب القبر ونعيمه .

من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بعذاب القبر ونعيمة، فوقوع العذاب والنعيم في القبر صدقا وحقا، وقد دلت النصوص من الكتاب والسنة على ذلك:

فمن القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

عن البراء بن عازب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " نزلت في عذاب القبر، فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، ونبيي محمد ﷺ "[١].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ [الطور: ٤٧].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " عذاب القبر قبل عذاب يوم القيامة"[٢].

وقوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: " فإن أرواحهم تعرض على النار صباحًا ومساءً، إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار ... وهذه الآية أصل في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور"[٣].

وقوله تعالى: ﴿ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ [التوبة: ١٠١]

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري كتاب الجنائز (باب: ما جاء في عذاب القبر) برقم: ١٣٦٩، ومسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه) برقم: ٧٢١٩، واللفظ له .

(٢) تفسير الطبري (٤٣١/٢٠).

(٣) تفسير ابن كثير (١٦٤١/٤).

قال قتادة رحمه الله تعالى: "عذاب الدنيا وعذاب القبر"[١].

ومن السنة النبوية:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قال: " إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة "[٢].

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، أنها قالت: أتيت عائشة زوج النبي ﷺ حين خسفت الشمس، فإذا الناس قيام يصلون وإذا هي قائمة تصلي، فقلت: ما للناس، فأشارت بيدها إلى السماء، وقالت: سبحان الله، فقلت: آية؟ فأشارت: أي نعم، قالت: فقمت حتى تجلاني الغشي، فجعلت أصب فوق رأسي الماء، فلما انصرف رسول الله ﷺ حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: " ما من شيء كنت لم أره إلا قد رأيته في مقامي هذا، حتى الجنة والنار، ولقد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور مثل - أو قريبا من - فتنة الدجال - لا أدري أيتهما قالت أسماء - يؤتى أحدكم، فيقال له: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن - أو الموقن، لا أدري أي ذلك قالت أسماء - فيقول: محمد رسول الله ﷺ جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا وآمنا واتبعنا، فيقال له: نم صالحا، فقد علمنا إن كنت لموقنا، وأما المنافق - أو المرتاب لا أدري أيتهما قالت أسماء - فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلته "[٣].

---

(١) تفسير الطبري (٦/١٠٥).

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري كتاب الجنائز (باب: الميت يعرض عليه بالغداة والعشي) برقم: ١٣٧٩، وصحيح مسلم كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر والتعوذ منه) برقم: ٧٢١١ .

(٣) متفق عليه، صحيح البخاري كتاب الكسوف (باب: صلاة النساء مع الرجال في الكسوف) برقم: ١٠٥٣، ومسلم كتاب الكسوف (باب: ما عرض على النبي ﷺ في صلاة الكسوف من أمر الجنة والنار) برقم: ٩٠٥.

وعن عائشة، زوج النبي ﷺ: أن يهودية جاءت تسألها، فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ: أيعذب الناس في قبورهم؟ فقال رسول الله ﷺ (عائذا بالله من ذلك)، ثم ركب رسول الله ﷺ ذات غداة مركبا، فخسفت الشمس، فرجع ضحى، فمر رسول الله ﷺ بين ظهراني الحجر، ثم قام يصلي وقام الناس وراءه، فقام قياما طويلا، ثم ركع ركوعا طويلا، ثم رفع فقام قياما طويلا وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعا طويلا وهو دون الركوع الأول، ثم رفع، فسجد، ثم قام فقام قياما طويلا وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعا طويلا وهو دون الركوع الأول، ثم قام قياما طويلا وهو دون القيام الأول، ثم ركع ركوعا طويلا وهو دون الركوع الأول، ثم رفع، فسجد وانصرف، فقال ما شاء الله أن يقول، ثم أمرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر"(١).

وعن ابن عباس، قال: مر النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة، أو مكة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي ﷺ: "يعذبان، وما يعذبان في كبير ثم قال: بلى، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة، ثم دعا بجريدة، فكسرها كسرتين، فوضع على كل قبر منهما كسرة، فقيل له: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال: لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا أو: إلى أن ييبسا"(٢).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدا، ذكر ذلك جمعٌ من أهل العلم:

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري كتاب الكسوف (باب: التعوذ من عذاب القبر في الكسوف) برقم: ١٠٤٩ و ١٠٥٠، ومسلم كتاب الكسوف (باب: ذكر عذاب القبر في صلاة الخسوف) برقم: ٢٠٩٨.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الوضوء (باب: من الكبائر ألا يستتر من بوله) برقم: ٢١٦، ومسلم كتاب الطهارة (باب: الدليل على نجاسة البول ووجوب الأستبراء منه) برقم: ٦٧٧

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في معرض حديثه عن طوائف الشيعة ومقالاتهم: " ولكن الفساد الظاهر كان في الخوارج: من سفك الدماء وأخذ الأموال والخروج بالسيف؛ فلهذا جاءت الأحاديث الصحيحة بقتالهم والأحاديث في ذمهم والأمر بقتالهم كثيرة جدا وهي متواترة عند أهل الحديث مثل أحاديث الرؤية وعذاب القبر وفتنته وأحاديث الشفاعة والحوض"(١).

وقال أيضا رحمه الله: " وكذلك ما تواتر عنه من أحاديث سوى ما في القرآن من صفة الجنة والنار، وذكر العرش والملائكة، والجن، وإرساله إلى الثقلين، وما ذكره من أسماء الله، وصفاته، وما أخبر به من فتنة الإنسان في قبره، ومن عذاب القبر ونعيمه، ومن دخول من يدخل النار من أهل الكبائر من أمته، وخروجهم من النار بشفاعته، وشفاعة غيره، ومن ذكر حوضه، وما أخبر به من رؤية الله يوم القيامة، ومحاسبة الله للعباد، وغير ذلك"(٢).

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله تعالى: " وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول"(٣).

وقال ابن كثيرٍ رحمه الله تعالى: " وأحاديث عذاب القبر كثيرة جدا"(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٣٥).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/٤٨٠).

(٣) شرح الطحاوية (٣٢٢).

(٤) تفسير ابن كثير (٤/١٦٤١).

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على وقوع عذاب القبر ونعيمه، ومن ذلك أنك لا تجد عالماً من علماء أهل السنة والجماعة يذكر عقيدة أهل الأثر إلا ويذكر الإيمان بعذاب القبر ونعيمه، فمن ذلك:

قال أبو بكر المروذي رحمه الله: " قال لنا أبو عبد اللَّه: عذاب القبر حق ما ينكره إلا ضال مضل"[(١)].

وقال الأجري رحمه الله تعالى: " باب: التصديق والإيمان بعذاب القبر – ثم ساق الأحاديث النبوية الدالة على ذلك وقال-: ما أسوأ حال من كذب بهذه الأحاديث ، لقد ضل ضلالا بعيدا ، وخسر خسرانا مبينا"[(٢)].

وقال الإمام أبو بكر الإسماعيلي[(٣)] عن اعتقاد أهل الحديث: " ويقولون إن عذاب القبر حق، يعذب الله من استحقه إن شاء، وإن شاء عفا عنه، لقوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦]، فأثبت لهم ما بقيت الدنيا عذابا بالغدو والعشي دون ما بينهما، حتى إذا قامت القيامة عذبوا أشد العذاب، بلا تخفيف عنهم كما كان في الدنيا"[(٤)].

---

(١) طبقات الحنابلة (١/١٤٩).

(٢) انظر: الشريعة للأجري (باب: التصديق والإيمان بعذاب القبر ص ٢٧٠ و ٢٧٥).

(٣) هو الإمام الحافظ الحجة الفقيه شيخ الإسلام أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني الإسماعيلي الشافعي صاحب "الصحيح" وشيخ الشافعية ولد سنة ٢٧٧هـ وكتب الحديث بخطه وهو صبي مميز له مصنفات عدة توفي سنة ٣٧١هـ، انظر: (تاريخ جرجان ١٠٨-١٠٩) و (السير ١٢/٤٠٥-٤٠٧).

(٤) اعتقاد أئمة الحديث (٦٩-٧٠).

وقال الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله: " وقد أجمع على ذلك – أي عذاب القبر – الصحابة والتابعون ﷺ أجمعين"[(١)].

وقال الإمام ابن أبي زمنين[(٢)]: " وأهل السنة يؤمنون بعذاب القبر أعاذنا الله وإياك من ذلك قال عز وجل: ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤] وقال: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة: ١٠١] "[(٣)].

وأورد الإمام اللالكائي رحمه الله باباً في سياق: " ما روي عن النبي ﷺ في أن المسلمين إذا دلوا في حفرتهم يسألهم منكر ونكير، وأن عذاب القبر حق، والإيمان به واجب"[(٤)].

وقال الإمام ابن بطال رحمه الله تعالى: " إن عذاب القبر حق، يجب الإيمان به والتسليم له، وهو مذهب أهل السنة"[(٥)].

وبعد هذا، فقد اشتهرت فِرقٌ بمخالفة منهج أهل السنة والجماعة في هذا الأصل من حيث إنكاره بحججٍ واهيةٍ وأبرز أولئك الخوارج والمعتزلة[(٦)] ومن نحا نحوهم ممن يُسمون

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة (١٥).

(٢) هو الإمام القدوة الزاهد أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري الأندلسي الإلبيري شيخ قرطبة ولد سنة ٣٢٤هـ تفنن واستبحر من العلم وصنف في الزهد والرقائق كان مقتفيا لآثار السلف له المقرب في اختصار المدونة ليس في مختصراتها مثله ومنتخب الأحكام الذي سار في الآفاق والوثائق والمذهب في الفقه وغيرها، انظر: (السير ١٠٦/١٣) و (الوافي بالوفيات ٢٦٠/٣).

(٣) أصول السنة للإمام ابن أبي زمنين (١٠٤).

(٤) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥٣٠).

(٥) شرح صحيح البخاري لأبن بطال (٣٢٤/١).

(٦) قال جمع من العلماء إن الخوارج وبعض المعتزلة كضرار بن عمرو وبشر المريسيّ ومن وافقهما هم الذين أنكروا عذاب القبر، وأن الخوارج ينفونه مطلقًا، انظر: (الشريعة للأجري ٧٠٤)

=

بالعقلانيين أو المفكرين اليوم، وإليك أبرز مقالاتهم وإعراضهم عن تقريرهم لهذا الأصل إنكاراً له:

يقول القاضي عبد الجبار: " إن قيل أن مذهبكم أدَّاكم إلى إنكار عذاب القبر وغيره مما قد اطبقت عليه الأمة وظهرت فيه الآثار، قيل له: إن هذا الأمر أنما أنكره أولا ضرار بن عمرو ولما كان من أصحاب واصل(١)، فظنوا أن ذلك ما أنكرت المعتزلة وليس الأمر كذلك، بل المعتزلة رجلان: رجل يجوز ذلك كما وردت به الأخبار، والثاني يقطع على ذلك.

وأكثر أصحابنا يقطعون على ذلك لظهور الأخبار وإنما ينكرون قول طائفة في الجملة أنهم يعذبون وهم موتى لأن دليل العقل يمنع ذلك) – إلى أن قال – (وأنكر مشايخنا عذاب القبر في كل حال)"(٢).

وممن سار على هذا النهج في العصر الحديث الذين يسمون أنفسهم بالقرآنيين(٣) (منكري السنة النبوية)، ومنهم صاحب كتاب (أكذوبة عذاب القبر والثعبان الأقرع) حيث يقرر فيه الإعراض عن تقرير هذه العقيدة، بل يدعو لتكذيبها وإنكارها حقيقةً، حيث يقول في مقدمته: " في الوقت الذي يستعد فيه العالم للارتياد القرن الحادي والعشرين بمزيد من التقدم في العلوم تقدماً يقترب من الخيال، يحصر المسلمون اهتماماتهم حول قضايا ترجع إلى خرافات تنتمي إلى القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد، من نوع عذاب القبر والثعبان الأقرع

و (الفِصل في الملل والنحل ٤/٥٥-٥٦) و (التبصير في الدين ٦٧) و (شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣/٣٥٨) و (شرح مسلم للنووي ٥/٧٧) و (فتح الباري لابن حجر ٣/٣٦٩)

(١) المراد به واصل بن عطاء رأس المعتزلة ومؤسسها انظر (السير ٦/٢٦٠) و(وفيات الأعيان ٦/٧).

(٢) فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة (٢٠١-٢٠٢).

(٣) هم الذين يدعون إلى الاعتماد على القرآن الكريم فقط، وإهمال السنة النبوية وإلغائها، وقد ظهروا في القرن الثاني للهجرة وناظرهم الإمام الشافعي ثم عاودت الظهور في القرن الثالث عشر الهجري، انظر: (الأم للشافعي ٧/٢٨٧) و (القرآنيون وشبهاتهم لخادم حسين بخش ١٩ وما بعدها) .

التي اخترعها أجدادنا المصريون القدماء ثم عادت إلينا منسوبة زوراً إلى النبي، ونحن مشغوفون بهذه الخرافة ونعتبرها من المعلوم من الدين بالضرورة من أنكرها يكون كافرا "[١].

ولقد سلك هؤلاء مسلكين لإنكار عذاب القبر ونعيمه، وهما:

الأول: مسلك إنكار النصوص النقلية الدالة على عذاب القبر من خلال تأويلها وفق ما تقتضيه عقولهم، ورد الأحاديث النبوية بحجة أنها أحاديث آحاد لا يحتج بها في العقائد والغيبيات، كما ذكر ذلك أحمد صبحي منصور: " عذاب القبر وما يحدث فى اليوم الآخر وعلامات الساعة كلها تدخل في نطاق السمعيات أو الغيبيات، وهناك قسم كبير من الأحاديث المنسوبة للنبي في كتب التراث تتحدث عن هذه الغيبيات منها أحديث علامات الساعة وقيامها والمهدي المنتظر وأحوال الآخرة والشفاعة والخروج من النار والمبشرين بالجنة .. كل تلك الأحاديث تدخل في إطار الغيبيات والسمعيات ..والسؤال الهام الآن: هل قال النبي فعلاً تلك الأحاديث ؟..

إن علماء الأصول يقولون أن أمور السمعيات أو الغيبيات لا تؤخذ إلا من القرآن الكريم والأحاديث المتواترة فقط.

ونتساءل ماهي الأحاديث المتواترة التي يمكن أن نأخذ منها أمور الغيبيات مأخذ العلم اليقين والتسليم؟

إن الحديث المتواتر هو الذي يفيد اليقين وليس محلاً للشك أو الظن، وعند أكثرية المحققين مثل الحازمي والشاطبي وأبى حيان والبستي والنووي فإنه لا وجود للحديث المتواتر "[٢].

---

(١) أكذوبة عذاب القبر والثعبان الأقرع لأحمد صبحي منصور (٢).

(٢) المصدر السابق (٨-٩).

ويرد عليه هو ومن على شاكلته بأن:

١/ الأدلة القرآنية التي تدل على إثبات عذاب القبر ونعيمه، فسرها الرسول ﷺ في مواطن كثيرة من سنته وسار على ذلك أهل العلم من السلف رحمهم الله، كما مر معنا آنفا[١].

٢/ الأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ في إثبات عذاب القبر ونعيمه هي أحاديث صحيحة متواترة، أجمع العلماء من خلالها قديماً وحديثاً على تواترها [٢].

الثاني: المسلك العقلي، وشبهتهم فيه استحالة وقوع ذلك عقلاً، حيث رد الإمام ابن القيم رحمه الله على هذه الشبهة القديمة الحديثة، ونقل رحمه الله عنهم قولهم: " فإنا نكشف القبر فلا نجد فيه ملائكة عميا صما يضربون الموتى بمطارق من حديد ولا نجد هناك حيات ولا ثعابين ولا نيرانا تأجج ولو كشفنا حالة من الأحوال لوجدناه لم يتغير ولو وضعنا على عينيه الزئبق وعلى صدره الخردل لوجدناه على حاله وكيف يفسح مد بصره أو يضيق عليه ونحن ونجده بحاله ونجد مساحته على حد ما حفرناها لم يزد ولم ينقص وكيف يسع ذلك اللحد الضيق له وللملائكة وللصورة التي تؤنسه أو توحشه قال إخوانهم من أهل البدع والضلال وكل حديث يخالف مقتضى العقول والحس يقطع بتخطئة قائله قالوا ونحن نرى المصلوب على خشبة مدة طويلة لا يسأل ولا يجيب ولا يتحرك ولا يتوقد جسمه نارا ومن افترسته السباع ونهشته الطيور وتفرقت أجزاؤه وفي أجواف السباع وحواصل الطيور وبطون الحيتان ومدارج الرياح كيف تسأل أجزاؤه مع تفرقها وكيف يتصور مسألة الملكين لمن هذا وصفه وكيف يصير القبر على هذا روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار وكيف يضيق عليه حتى تلتئم أضلاعه "[٣].

---

(١) انظر: ص ٢٤٦ وما بعدها من هذا البحث.

(٢) انظر: ص ٢٤٩ - ٢٥٠.

(٣) الروح (٦٧).

وقد أجاب رحمه الله تعالى على هذه الشبهة في صفحات عدة في كتابه الروح، نلخصها فيما يلي:

١/" أن الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يخبروا بما تحيله العقول وتقطع باستحالته.

٢/ أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير فلا يحمل كلامه مالا يحتمله ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان.

٣/ أن الله تعالى جعل الدور ثلاثا: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار وجعل لكل دار أحكاما تختص بها... وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان، والأرواح تبعا لها.. وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعا لها.. تجري أحكام البرزخ على الأرواح، فتسري إلى أبدانها نعيما أو عذابا، كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان فتسري إلى أرواحها نعيما أو عذابا.. فأحِطْ بهذا الموضع علما، واعرفه كما ينبغي يزل عنك كل إشكال يرد عليك .. فإذا كان يوم حشر الأجساد، وقيام الناس من قبورهم صار الحكم، والنعيم، والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهرا باديا.

٤/ أن الله سبحانه جعل أمر الآخرة وما كان متصلا بها غيبا وحجبها عن إدراك المكلفين في هذه الدار وذلك من كمال حكمته وليتميز المؤمنون بالغيب من غيرهم فأول ذلك أن الملائكة تنزل على المحتضر وتجلس قريبا منه ويشاهدهم عيانا ويتحدثون عنده ومعهم الأكفان والحنوط إما من الجنة وإما من النار ويؤمنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر وقد يسلمون على المحتضر ويرد عليهم تارة بلفظه وتارة بإشارته وتارة بقلبه حيث لا يتمكن من نطق ولا إشارة، قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [الواقعة: ٨٣ – ٨٥]

٥/ أن النار التي في القبر والخضرة ليست من نار الدنيا؛ وإنما هي من نار الآخرة وخضرتها؛ وهي أشد من نار الدنيا؛ فلا يحس بها أهل الدنيا.. وقدرة الرب تعالى أوسع، وأعجب من ذلك.. وقد أرانا الله من آيات قدرته في هذه الدنيا ما هو أعجب من ذلك بكثير؛ ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علما إلا من وفقه الله وعصمه.. وهؤلاء الجن يتحدثون ويتكلمون بالأصوات المرتفعة بيننا ونحن لا نسمعهم .

٦/ أن الله سبحانه وتعالى يحدث في هذه الدار ما هو أعجب من ذلك فهذا جبريل كان ينزل على النبي ويتمثل له رجلا فيكلمه بكلام يسمعه ومن إلى جانب النبي لا يراه ولا يسمعه وكذلك غيره من الأنبياء وأحيانا يأتيه الوحي في مثل صلصة الجرس ولا يسمعه غيره من الحاضرين ... وقد كانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط وتضرب رقابهم وتصيح بهم والمسلمون معهم لا يرونهم ولا يسمعون كلامهم والله سبحانه قد حجب بني آدم عن كثير مما يحدثه في الأرض وهو بينهم وقد كان جبريل يقرئ النبي ويدارسه القرآن والحاضرون لا يسمعونه.

٧/ أنه غير ممتنع أن ترد الروح إلى المصلوب والغريق والمحرق ونحن لا نشعر بها لأن ذلك الرد نوع آخر غير المعهود فهذا المغمى عليه والمسكوت والمبهوت أحياء وأرواحهم معهم ولا تشعر بحياتهم ومن تفرقت أجزاؤه لا يمتنع على من هو على كل شيء قدير أن يجعل للروح اتصالا بتلك الأجزاء على تباعد ما بينها وقربه ويكون في تلك الأجزاء شعور بنوع من الألم واللذة...

٨/ ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه، وهو ما بين الدنيا والآخرة، وسمي عذاب القبر ونعيمه باعتبار غالب الخلق؛ فالمصلوب، والمحروق، والغرق، وأكيل السباع والطيور لهم من عذاب القبر ونعيمه قسطهم الذي تقتضيه أعمالهم..

٩/ أن الموت معاد وبعث أول فإن الله سبحانه وتعالى جعل لابن آدم معادين وبعثين يجزي فيهما الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى .

فالبعث الأول مفارقة الروح للبدن ومصيرها إلى دار الجزاء الأول

والبعث الثاني يوم يرد الله الأرواح إلى أجسادها ويبعثها من قبورها إلى الجنة أو النار..."[1].

---

(١) انظر (كتاب الروح لأبن القيم ٦٧-٧٩).

المطلب الثالث:

تصوير أهوال يوم القيامة بصور مرسومة لتقريبها إلى الأذهان .

إن ما يقع في يوم القيامة من أهوالٍ أخبر الله سبحانه وتعالى بها في كتابه أو في سنة نبيه ﷺ هي من الأمور الغيبية التي أخفاها الله سبحانه عن خلقه.

قال الله تعالى: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[السجدة: ١٧].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "مكتوب في التوراة على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، في القرآن ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾"[(١)].

ففي ذلك اليوم يحشر الناس جميعا على صعيد واحد، قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ﴾[هود: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَوَّلِينَ وَٱلۡأٓخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجۡمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الواقعة: ٤٩ – ٥٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: " وأما البهائم فجميعها يحشرها الله سبحانه كما دل عليه الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٨]"[(٢)].

(١) تفسير الطبري (٩/١٦٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/٢٤٨).

وعن أنس ﷺ قال: بلغ عبد الله بن سلام ﷺ مقدم رسول الله ﷺ المدينة فأتاه، فقال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي قال: ما أول أشراط الساعة ؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة ؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه ؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله ؟ فقال رسول الله ﷺ «خبرني بهن آنفا جبريل» قال: فقال عبد الله ذاك عدو اليهود من الملائكة فقال رسول الله ﷺ: " أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد: فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها " قال: أشهد أنك رسول الله...الحديث"(١).

وفي ذلك اليوم البعث من القبور، واجتماع الشمس والقمر، ودك الجبال والصراط والميزان والحوض، وغيرها من الأهوال التي لا يمكن تصورها فكيف بتصويرها !!

قال الله تعالى: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ [البقرة: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴾ [النمل: ٨٨].

وعن حذيفة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن رجلا حضره الموت، لما أيس من الحياة أوصى أهله: إذا مت فاجمعوا لي حطبا كثيرا، ثم أوروا نارا، حتى إذا أكلت لحمي، وخلصت إلى عظمي، فخذوها فاطحنوها فذروني في اليم في يوم حار، أو راح، فجمعه الله فقال؟ لم فعلت؟ قال: خشيتك، فغفر له "(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الأنبياء (باب: خلق آدم عليه السلام وذريته) برقم: ٣٣٢٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الأنبياء برقم: ٣٤٧٩.

وعن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: "يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم"[١].

وعن ابن مسعود ﷺ قال: "يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: عرضتان معاذير وخصومات، والعرضة الثالثة تطيرّ الصحف في الأيدي"[٢].

وبعد فإن تصوير هذه الأهوال لتقريبها إلى الأذهان يعتريه من المحاذير ما يعتريه، فقد جمع الشيخ عبد الرحمن السحيم حفظه الله بعضاً من تلك المحاذير، فقال:

"لا يجوز بِحال من الأحوال تمثيل مشاهد يوم القيامة، بل ولا تمثيل ولا تجسيد الأمور الغيبية.

لأن تمثيلها يتضمّن عِدّة محاذير، منها:

١/ تصوير الأمور الغيبية بصورة مُشاهَدة، والأمور الغيبية لا عَهد للإنسان بها، فكيف يُصوّرها أو يتخيّلها.

٢/ تَجرئة السفهاء على تمثيل الجنة والنار، بل قد تجرأ بعض السفهاء على تمثيل النبي ﷺ، وتمثيل جبريل الطَّيْلا.

٣/ ما في هذا من الاستهزاء والاستخفاف بأهوال يوم القيامة، أو بأمور الآخرة.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الرقاق (باب: قوله تعالى: ﴿ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴾) برقم: ٦٥٣٢، ومسلم في صحيحة كتاب الجنة وصفة نعيمها (باب: في صفة يوم القيامة) برقم: ٧٢٠٥ .

(٢) تفسير الطبري (٧٥/١١).

٤/ ذهاب هيبة ذلك اليوم من النفوس، وقد جَعَل الله لذلك اليوم هيبته، وساق به النفوس، فإن الله لما ذَكَر الربا قال بعد ذلك: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٨١]

وتكرر في السنة النبوية كثيرا: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ... كل ذلك لكي يبقى لذلك اليوم هيبته في النفوس، ولكي ترتدع وتَنْزَجِر النفوس الجامحة، إذا علِمتْ أن هناك يوم آخر فيه جزاء وحساب، وطول وقوف، وأهوال وأحوال لا يَعلم حقيقتها إلا الله "[1].

وسئل الشيخ العلامة محمد العثيمين رحمه الله تعالى:"ما حكم رسم بستان كأنه يمثل الجنة، ونار كأنها تمثل النار؟

فأجاب رحمه الله بقوله:

هذا لا يجوز ؛ لأننا لا نعلم كيفية ذلك، كما قال عز وجل:﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾[السجدة: ١٧].

ولا يعلم كيفية النار، فهي فضلت على نار الدنيا بتسع وستين جزءا بما فيها النار الغليظة كنار الغاز وغيرها وما هو أشد، فهل أحد يستطيع أن يمثل النار؟ لا أحد يستطيع، ولهذا بلغ من يفعل ذلك أن هذا حرام، ومع الأسف الشديد أن الناس الآن بدؤوا يجعلون الأمور الأخروية كأنها أمور حسية مشاهدة "[2].

---

(١) شبكة مشكاة الإسلامية

http://www.almeshkat.net/vb/showthread.php?t=40365#gsc.tab=0.

(٢) لقاء الباب المفتوح، حكم الرسوم التي تمثل غيبيات كالجنة والنار (لقاء رقم ٢٢٢ / ص: ٢٢) .

وسئل فضيلة الشيخ صالح الفوزان حفظه الله هذا السؤال:

" يوجد نشرة مصورة حول اليوم الآخر وفيها تصوير للجنة والنار ويعلقها البعض في المساجد فما رأي فضيلتكم في هذا الأمر، وهل ينكر على معلقها؟

فأجاب حفظه الله تعالى:

نعم ينكر على معلقها، هذا تصوير لليوم الأخر والجنة والنار وهذا لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ما يعلم الجنة إلا الله ولا يعلم النار إلا الله، ولا يعلم الصراط إلا الله، فنحن لا ندخل في أشياء من أمور الغيب ونصورها للناس لا يجوز هذا .

نؤمن بها ونثبتها لكن ما نصورها للناس وهذا أمر مبتدع ما كان معروفا ولا يجوز تعليقها في المساجد يعني الناس لا يخافون إلا إذا صورت لهم النار ما يكفي قول الله وقول الرسول ﷺ والوعد والوعيد هذا ما يكفي ؟! هذا غلط "[(١)].

---

(١) الإجابات المهمة في المشاكل الملمة (١٩٠-١٩١).

المطلب الرابع:

إنكار بعض علامات الساعة وتأويلها .

إن من عقيدة أهل السنة والجماعة الإيمان بكل ما أخبر الله به سبحانه وتعالى في كتابه وما أخبر به رسوله ﷺ في سنته من الإيمان بالغيب، ويتضمن الإيمان بالغيب الإيمان باليوم الأخر وما يتقدمه من علامات وأشراط تدل على قرب قيام الساعة.

ومن المعلوم أن الله عز وجل قد أخفى عن الخلق وقت قيام الساعة، كما قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٧]

وقوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النازعات: ٤٢ – ٤٤].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: " أمر تعالى نبيه ﷺ إذا سئل عن وقت الساعة أن يرد علمها إلى الله تعالى، فإنه هو الذي يجليها لوقتها، أي: يعلم جلية أمرها، ومتى يكون على التحديد، أي لا يعلم ذلك أحد إلا هو تعالى، ولهذا قال تعالى: ﴿ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ ثقل علمها على أهل السموات والأرض أنهم لا يعلمون"[١].

ولكنه سبحانه وتعالى من رحمته بعباده جعل لذلك اليوم علامات تدل على قرب وقوعه، وهي أشراط الساعة الثابتة بالكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، من ذلك:

قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ ﴾ [محمد: ١٨].

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٧٧٩).

قال الطبري رحمه الله تعالى: " فقد جاء هؤلاء الكافرين بالله الساعة وأدلتها ومقدماتها"(١).

وقال ابن كثير رحمه الله: " أي: أمارات اقترابها..."(٢).

وقال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: " علاماتها الدالة على قربها"(٣).

قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النحل: ١].

قال الطبري رحمه الله: " أتى أمر الله فقرُب منكم أيها الناس ودنا، فلا تستعجلوا وقوعه"(٤).

وأخرج الحاكم في المستدرك عن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ :" تطلع عليكم قبل الساعة سحابة سوداء من قبل المغرب، مثل الترس، فما تزال ترتفع في السماء حتى تملأ السماء، ثم ينادي مناد: يا أيها الناس فيقبل الناس بعضهم على بعض هل سمعتم ؟ فمنهم من يقول: نعم ومنهم من يشك، ثم ينادي الثانية: يا أيها الناس، فيقول الناس: هل سمعتم ؟ فيقولون: نعم، ثم ينادي: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾، قال رسول الله ﷺ: " فو الذي نفسي بيده، إن الرجلين لينشران الثوب فما يطويانه أو يتبايعانه أبدا، وإن الرجل ليمدر حوضه فما يسقي فيه شيئا، وإن الرجل ليحلب ناقته فما يشربه أبدا، ويشتغل الناس"(٥).

وقال الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله تعالى: " وقد أشار القرآن إلى قربها ودنوها وكثير من علاماتها"(٦)، ثم ساق الآية .

---

(١) تفسير الطبري (١٠/١٩٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/١٧٢٥).

(٣) تفسير السعدي (٧٥٣).

(٤) تفسير الطبري (٧/١٤٠).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب الفتن والملاحم برقم: ٨٦٢٢، وقال صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه (٤/٥٨٢).

(٦) معارج القبول (٥٠٨).

قال تعالى: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ ﴾[الأنعام: ١٥٨].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:" قوله تعالى متوعدا للكافرين به، والمخالفين رسله والمكذبين بآياته، والصادين عن سبيله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾وذلك كائن يوم القيامة: ﴿ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ﴾ الآية، وذلك قبل يوم القيامة كائن من أمارات الساعة وأشراطها كما قال البخاري في تفسير هذه الآية[١]"[٢].

وأما السنة النبوية فهي مليئة بذكر أشراط الساعة، فمن ذلك:

حديث عوف بن مالك ﷺ، قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم، فقال: " اعدد ستا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفا "[٣].

وحديث جبريل المشهور، الذي رواه عمر بن الخطاب ﷺ وسُئل فيه النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان ووقت الساعة وعلاماتها وفيه: ". . . فأخبرني عن الساعة ؟

---

(١) أخرج البخاري رحمه الله في صحيحة من حديث أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ:" لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾ كتاب التفسير (باب: قوله تعالى﴿ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا ﴾) برقم: ٤٦٣٥.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/٧١١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الجزية والموادعة (باب: ما يحذر من الغدر) برقم: ٣١٧٦

فقال ﷺ: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها ؟، قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان"[١].

وحديث حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: "طلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال:" ما تذاكرون" ؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: " إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات ". فذكر الدخان والدجال والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم"[٢].

وغير ذلك من الأحاديث النبوية الدالة على أشراط الساعة .

وأما السلف رحمهم الله فقد أجمعوا على الإيمان بأشراط الساعة وعلاماتها سواء ما ذكر بعينه أو ما دلت عليه عموم الأدلة، ودونوا ذلك في عقائدهم، فمن ذلك:

١/ عن عبدوس بن مالك العطار[٣] قال: سمعت أبا عبد اللَّه أحمد بن حنبل رضي الله عنه يقول أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رَسُول اللَّهِ ﷺ والاقتداء بهم — إلى أن قال – والإيمان أن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه كافر والأحاديث التي جاءت فيه والإيمان بأن ذلك كائن وأن عِيسَى ينزل فيقتله بباب لد"[٤].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الفتن وأشراط الساعة (باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة) برقم: ٧٢٨٥

(٣) عبدوس بن مالك أبو محمد العطار ذكره أبو بكر الخلال فقال كانت له عند أبي عبد الله منزلة وكان يقدمه وقد روى عن الإمام أحمد مسائل، انظر: (طبقات الحنابلة ٢/ ١٦٥) و (تاريخ بغداد ١١/١١٦) .

(٤) طبقات الحنابلة (٢/١٦٦-١٦٩).

٢/ وقال الطحاوي رحمه الله في عقيدته المشهورة: " ونؤمن بأشراط الساعة: من خروج الدجال، ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها"(١).

٣/ وقال الإمام البربهاري رحمه الله: "والإيمان بالمسيح الدجال وبنزول عيسى ابن مريم عليه السلام، ينزل فيقتل الدجال، ويتزوج، ويصلي خلف القائم من آل محمد ﷺ، ويموت ويدفنه المسلمون"(٢).

٤/ وقال أبو الحسن الأشعري رحمه الله تعالى: " قول أصحاب الحديث وأهل السنة

جملة ما عليه أهل الحديث والسنة الإقرار بالله وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند الله وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ لا يردون من ذلك شيئاً - إلى أن قال - ويصدقون بخروج الدجال وأن عيسى بن مريم يقتله"(٣).

٥/ وذكر ابن منده رحمه الله في كتابه الإيمان: " ذكر وجوب الإيمان بالآيات العشر التي أخبر بها رسول الله ﷺ التي تكون قبل الساعة "(٤).

ثم ساق الروايات الدالة على ذلك .

٦/ وقال الإمام ابن أبي زمنين: " (وأهل السنة يؤمنون بطلوع الشمس من مغربها، وقال الله عز وجل: ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا ﴾[الأنعام: ١٥٨]).

وقال رحمه الله: (وأهل السنة يؤمنون بخروج الدجال أعاذنا الله وإياك من فتنته).

وقال أيضاً: (وأهل السنة يؤمنون بنزول عيسى وقتله الدجال وقال عز وجل: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ ﴾ [الزخرف: ٦١] يعني عيسى)"(٥).

---

(١) شرح الطحاوية (٤٠٨).

(٢) شرح السنة (٥٠-٥١).

(٣) مقالات الإسلاميين (١٧٠-١٧٣).

(٤) الإيمان لابن مندة (٣٧٥).

(٥) أصول السنة لابن أبي زمنين (١٣٤-١٣٨-١٤٤).

٧/ وقال ابن قدامة المقدسي رحمه الله: " الإيمان بكل ما أخبر به الرسول ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ وصح به النقل عنه فيما شاهدناه، أو غاب عنا، نعلم أنه حق، وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه — إلى أن قال – ومن ذلك أشراط الساعة، مثل خروج الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليه السلام فيقتله وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل"[(١)].

٨/ وقال القنوجي رحمه الله: " ويجب الإيمان بكل ما أخبر النبي ﷺ، وصح به الخبر عنه، مما شهدناه أو غاب عنا أنه صدق وحق، سواء في ذلك ما عقلناه، أو جهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه، وكان يقظة لا مناما.

ومن ذلك: أشراط الساعة، وإن الدجال الأعور خارج في هذه الأمة لا محالة، كما أخبر به النبي ﷺ ، لا شك في ذلك، ولا ارتياب، وهو أكذب الكاذبين.

وأن عيسى ابن مريم عليه السلام، نازل ينزل على المنارة البيضاء، شرقي دمشق، فيأتيه – أي الدجال – وقد حصر المسلمين على عقبة أفيق، فيهرب منه، ويقتله عند باب لُد الشرقي – ولُد أرض فلسطين بالقرب من الرملة نحو ميلين .

ويظهر المهدي المنتظر، ويخرج يأجوج ومأجوج، وتطلع الشمس من مغربها، وتخرج الدابة والنار، وأشباه ذلك كما صح به النقل.

﴿ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴾ [الحج: ٧]، ومن أنكر قيام الساعة والحشر فقد كفر بالله العظيم وخرج عن ملة الإسلام"[(٢)].

وبعدُ فهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في الإيمان بعلامات الساعة وأشراطها وأنها لامحال واقعة على الحقيقة دون إنكارٍ لها أو تأويل.

(١) شرح لمعة الاعتقاد (١١٥).

(٢) قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر (١٢٨-١٣٠).

ومع هذه الأدلة المتواترة والنصوص الصريحة، ظهرت فرقٌ خالفت أهل السنة والجماعة في هذا الأصل، وأخذت تدعو لإنكار بعض الأشراط وتأويل بعضها بحجج لا يقبلها مؤمنٌ آمن بآيات الله سبحانه، واهتدى بسنة نبيه ﷺ واقتفى أثر السلف ﷺ، وأبرز تلك الفرق، الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة ومن اقتفى أثرهم ونحا نحوهم في هذا العصر ممن يُسمون أنفسهم بالعقلانيين، ومنكري السنة هداهم الله .

وهذا مصداق لحديث رسول الله ﷺ كما عند أحمد رحمه الله من حديث عمر ﷺ: " ألا وإنه سيكون من بعدكم قوم يكذبون بالرجم، وبالدجال، وبالشفاعة، وبعذاب القبر، وبقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا"(١).

قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه على صحيح مسلم، بعد أن استعرض الأحاديث المتعلقة بالدجال وأنه حق، وهذا هو مذهب أهل الحق، قال: " هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة وخلافا للبخاري المعتزلي(٢) وموافقيه من الجهمية وغيرهم في أنه صحيح الوجود ولكن الذي يدعى مخارف وخيالات لا حقائق لها وزعموا أنه لو كان حقا لم يوثق بمعجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم..."(٣).

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: " وقد أنكرت طوائف كثيرة من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة خروج الدجال بالكلية وردوا الأحاديث الواردة فيه فلم يصنعوا شيئا وخرجوا بذلك عن حيز العلماء لردهم ما تواترت به الأخبار الصحيحة من غير وجه عن رسول الله ﷺ..."(٤).

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢٩٦/١) برقم: ١٥٦، تحقيق أحمد شاكر، قال صحيح الإسناد.

(٢) أبو جعفر محمد بن أحمد بن حامد بن عبيد البيكندي البخاري المتكلم من دعاة البدع توفي ببغداد سنة:٤٨٢هـ، غير ثقة، انظر: (السير ٩١/١٤-٩٢) و (ميزان الاعتدال ٤٦٢/٣).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم (٤٩/١٨).

(٤) النهاية في الفتن والملاحم، تحقيق: محمد فهيم أبو عبيه (١٢٧/١).

والذي يهمنا هو نقل أقوال ودعاوى بعض الدعاة في مخالفتهم لأهل السنة والجماعة في هذا الأصل سواءً من حيث تأويل بعض تلك الأشراط، أو إنكارها كما سنبين ذلك بإذن الله تعالى ومن هؤلاء:

محمد عبده، حيث ذهب إلى أن: " الدجال رمز للخرافات والدجل والقبائح، التي تزول بتقرير الشريعة على وجهها، والأخذ بأسرارها وحكمها"[١].

ومنهم أيضاً محمد أبو عبيه في تعليقه على كتاب النهاية للإمام ابن كثير رحمه الله حيث ذهب إلى: " أن الدجال رمز للشر، واستعلائه وصولة جبروته، واستشراء خطره، واستفحال ضرره في بعض الأزمنة، وتطاير أذاه في كثير من الأمكنة، بما يتيسر له من وسائل التمكن والانتشار، والفتنة في بعض الوقت، إلى أن تنطفئ جذوته وتموت جمرته بسلطان الحق"[٢].

فوافق أبو عبيه سلفه الجبائي[٣] في مسألة التأويل مع أن الجبائي مثبت للدجال حقيقةً ولكنه منكر للخوارق التي يأتي بها، ولقد نقل ابن كثير رحمه الله عن الجبائي قوله: " لا يجوز أن يكون كذلك حقيقة لئلا يشتبه خارق الساحر بخارق النبي ﷺ "[٤].

وعقد أبو عبيه عنوانا لإنكار الروايات الثابتة عن الدجال التي لا توافق عقله على الرغم من وجود بعضها في صحيح البخاري[٥]، وقال: " مرويات مرفوضة، لأنها لا تصدق عقلاً،

---

(١) تفسير المنار (٣/٢٦١).

(٢) النهاية في الفتن والملاحم (١/٣٧).

(٣) أبو علي محمد بن عبد الوهاب البصري شيخ المعتزلة، وصاحب التصانيف توفي سنة ٣٠٣هـ، انظر: (السير١١/٢٤١) و (الأعلام ٢/١٠٨) .

(٤) النهاية في الفتن والملاحم (١/١٢٧).

(٥) منها حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أن عمر انطلق في رهط من أصحاب النبي ﷺ مع النبي ﷺ، قبل ابن صياد، حتى وجدوه يلعب مع الغلمان، عند أطم بني مغالة، وقد قارب يومئذ ابن =

ليس بمعقول صدورها عن الرسول"[١].

ومنهم أبو ريه فقد عرض لأحاديث المهدي والدجال في كتابه أضواء على السنة المحمدية وختم الفصل بقوله: (كلمة جامعة في أحاديث أشراط الساعة وأمثالها) حيث قرر فيه أن "المهدي والدجال خرافة "[٢].

ومنهم الترابي الذي صرح: " بأن عيسى ابن مريم توفاه الله ولن ينزل آخر الزمان كما هو متداول، وإن كلمة (يوشك) في اللغة العربية تعني اقترب، وقد مضت سنون كثيرة ولم ينزل عيسي. وأضاف أن القرآن الكريم أوضح أن عيسى عليه السلام توفاه الله بعد أن تركه حواريوه، وأن القرآن الكريم يؤكد أن محمدا خاتم النبيين والمرسلين، وأن عيسى قال وهو في «المهد صبيا»، إنه رسول لبني إسرائيل، ولم يقل إنه رسول للمسلمين"[٣].

وللرد على هذه الشبهات بشكل إجمالي يقال:

١/ إن رد هؤلاء وأمثالهم للأحاديث الثابتة عن رسول الله ﷺ لا يخلو من شبهتين: إما نقلية، وإما عقلية .

صياد يحتلم، فلم يشعر بشيء حتى ضرب النبي ﷺ ظهره بيده، ثم قال النبي ﷺ: «أتشهد أني رسول الله؟»، فنظر إليه ابن صياد، فقال: أشهد أنك رسول الأميين، فقال ابن صياد للنبي ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟ قال له النبي ﷺ: «آمنت بالله ورسله»، قال النبي ﷺ: «ماذا ترى؟» قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب، قال النبي ﷺ: «خلط عليك الأمر؟» قال النبي ﷺ: «إني قد خبأت لك خبيئا»، قال ابن صياد: هو الدخ، قال النبي ﷺ: «اخسأ، فلن تعدو قدرك»، قال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه أضرب عنقه، قال النبي ﷺ: «إن يكنه، فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه، فلا خير لك في قتله" كتاب الجهاد والسير (باب: كيف يعرض الإسلام على الصبي) برقم: ٣٠٥٥.

(١) النهاية في الفتن والملاحم (١/١٠٤).

(٢) أضواء على السنة المحمدية (٢٠٧-٢١٨).

(٣) لقاء في صحيفة الشرق الأوسط الثلاثاء ١٢ جمادى الثاني ١٤٣٤ هـ ٢٣ ابريل ٢٠١٣ العدد ١٢٥٦٥ .

وأما شبهتهم النقلية وحجتهم فيها، هي قولهم: (بأن الأحاديث الواردة في أشراط الساعة هي من خبر الآحاد)، وهذا مخالف تماماً لما قرره أهل العلم، أن أحاديث أشراط الساعة متواترة، ومن أقوال أهل العلم ما يلي:

قول الحافظ أبو الحسن الآبري(١): " وقد تواترت الأخبار واستفاضت وكثرت بكثرة رواتها عن المصطفى ﷺ بخروجه (أي المهدي)، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلا، وأنه يخرج مع عيسى عليه السلام فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين، وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه في طول من قصته وأمره "(٢).

قول السفاريني رحمه الله: " وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي وشاع ذلك بين علماء السنة، حتى عد من معتقداتهم"(٣).

وأما نزول عيسى ابن مريم عليه السلام في آخر الزمان:" فقد جاء فيه آياتٌ من القرآن، وتواترت الأحاديث عن النبي ﷺ بالإخبار بنزوله، وأنَّه يقتل الدجَّال، ويكون في هذه الأمَّة حكما عدلاً، وإمامًا مُقسِطًا، وجاء في ذلك آثار كثيرة عن الصحابة والتابعين، وذكر بعضُهم الإجماع على نزوله، وأنه لم يخالِف فيه أحدٌ من أهل الشريعة"(٤).

ومن ذلك أيضا، ورود كثير من تلك الروايات في الصحيحين، وقد بوب البخاري رحمه الله تعالى لذلك، فقال: (باب: ذكر الدجال) و (باب: لا يدخل الدجال المدينة)، وقال الإمام مسلم رحمه الله في صحيحة (كتاب الفتن وأشراط الساعة) وقد عقد أبوابا في ذلك وأورد الروايات الدالة على تلك الفتن وأشراط الساعة.

---

(١) هو أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم السجستاني الآبري المحدث الحافظ المؤرخ مصنف كتاب مناقب الإمام الشافعي توفي سنة ٣٦٣ هـ انظر: (سير أعلام النبلاء ١٢ / ٤١٠) و (شذرات الذهب ٣ / ٤٦)

(٢) تهذيب التهذيب (١٤٤/٩).

(٣) لوامع الأنوار البهية (٨٤/٢).

(٤) إقامة البرهان في الرد على من أنكر خروج المهدي والدجال ونزول المسيح في آخر الزمان للشيخ حمود التويجري رحمه (١٠٤).

وعقد كثير من أهل الحديث أبواباً في أشراط الساعة، حتى عُد إجماعا عند المحدثين تواتر تلك الروايات[١].

قال الإمام الشوكاني: " الأحاديث في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثا، فيها الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك وشبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما دونها في جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة أيضا، لها حكم الرفع؛ إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك"[٢].

وقال الكتاني[٣] رحمه الله:"والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة، وكذا الواردة في الدجال وفي نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام"[٤].

وقال أيضاً بعد أن ذكر جملة من أشراط الساعة منها: خروج المهدي والمسيح الدجال ونزول عيسى عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها والدابة وغيرها، وبيَّن تواتر رواياتها، كما نقل ذلك عن الأئمة: "وقد نقل غير واحد عن الحافظ السخاوي أنها متواترة "[٥].

وأما الرد على شبهتهم العقلية كما زعم محمد فريد وجدي، حيث قال بعد أن أورد الروايات المروية في المهدي: "هذا ما ورد من الأحاديث في المهدي المنتظر والناظرون فيها من أولي البصائر لا يجدون في صدورهم حرجا من تنزيه رسول الله ﷺ من قولها ..."[٦].

---

(١) انظر: (ص: ٢٤٩- ٢٥٠) من هذا المطلب، والمنهاج بشرح صحيح مسلم للنووي (٤٩/١٨).

(٢) نقلا عن نظم المتناثر من الحديث المتواتر للكتاني (٢٢٧).

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني الفاسي مؤرخ ومحدث ولد في فاس بالمغرب ورحل في طلب العلم له عدة مصنفات منها: نظم المتناثر من الحديث المتواتر، توفي سنة: ١٣٤٥ هـ، انظر: الأعلام (٦ / ٧٢ - ٧٣).

(٤) المصدر السابق (٢٢٩).

(٥) المصدر السابق نفسه (٢٢٦).

(٦) دائرة معارف القرن العشرين (٤٨٠/١٠).

وعقد أبو عبيه عنواناً في تحقيقه على كتاب النهاية في الفتن والملاحم: "مرويات مرفوضة، لأنها لا تصدق عقلاً، ليس بمعقول صدورها عن الرسول"[١].

نقول سبق وأن ذكرنا أن الله تعالى أثنى على عباده المؤمنين بصفات عدة، منها الإيمان بالغيب كما قال تعالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ ﴾ [البقرة: ١ – ٣].

قال القرطبي رحمه الله في معنى الغيب هنا بعد أن ذكر أقوالاً منها: " الغيب كل ما أخبر به الرسول ﷺ مما لا تهتدي إليه العقول من أشراط الساعة وعذاب القبر والحشر والنشر والصراط والميزان والجنة والنار"[٢].

والذي يرد أحاديث الرسول ﷺ الثابتة عنه ﷺ بحجة أنها لا تقبل عقلاً لا شك في أنه لا يدخل في زمرة من امتدحهم الله تعالى في هذه الآية .

لأنه واقع في التكذيب والحيرة، خارج عن التسليم لما ثبت عن النبي ﷺ فلا مستقر له، قال الطحاوي رحمه الله تعالى: " فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوساً تائهاً، شاكاً زائغاً، لا مؤمناً مصدقاً، ولا جاحداً مكذباً"[٣].

ومن ناحية أخرى فكثيرا مما أخبر به ﷺ من أمور الغيب المستقبلية لم يكن أحد يتنبأ بها أو يصدقها عقلاً، بل إيماناً بالغيب الذي هو ركنٌ من أركان الإيمان وتصديقاً بنبوة محمد ﷺ، ومن ذلك:

عن خباب بن الأرت رضي الله عنه قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، قلنا له: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: "كان الرجل فيمن قبلكم يحفر

---

(١) انظر تحقيق أبو عبيه على كتاب النهاية في الفتن والملاحم لابن كثير (١/١٠٤).

(٢) تفسير القرطبي (١/٢٥٢).

(٣) شرح الطحاوية (١٣٩ و ١٤٤).

له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون"(١).

وعن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا"(٢).

ومن تلك الأخبار الغيبية التي وقعت ولم يكن يصدقها عقل، زوال مملكتي فارس والروم، وهلاك كسرى وقيصر، وإنفاق كنوزهما في سبيل الله، كما في حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: " إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله"(٣).

وهذه الروايات الغيبية قد تحققت عياناً بياناً، كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ، فلم ينكرها أحد من السلف ولم يَثبُت أن تأولها الصحابة ﷺ أو تابعوهم، بل كانوا يؤمنون بها على حقيقتها، فكانت الخيرية لهم بسبب الصحبة والإيمان بالغيب.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب المناقب (باب: علامات النبوة في الإسلام) برقم: ٣٦١٢

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الفتن وأشراط الساعة (باب: هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض) برقم: ٧٢٥٨

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحة كتاب المناقب (باب:علامات النبوة في الإسلام) برقم: ٣٦١٨، ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة (باب: لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء) برقم: ٧٣٣٠

أخرج الحاكم في مستدركه عن عبد الرحمن بن يزيد، قال: ذكروا عند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أصحاب محمد ﷺ وإيمانهم قال: فقال عبد الله: " إن أمر محمد كان بينا لمن رآه، والذي لا إله غيره، ما آمن مؤمن أفضل من إيمان بغيب، ثم قرأ: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾ [البقرة: ٢] إلى قوله تعالى: ﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ [البقرة: ٣]"[١].

وقد رد الإمام الألباني رحمه الله تعالى على من أنكر وتأول أشراط الساعة، فقال رحمه الله تعالى:" يلجأ بعضهم إلى الخلاص منها [أي من أحاديث الدجال وعيسى عليه السلام] بطريقة أخرى – غير طريقة تفسيرها بالرمز – ألا وهي طريقة التشكيك في ثبوتها يقيناً بزعم أنها أحاديث آحاد! ومن هؤلاء الشيخ "محمود شلتوت" فقد كنت قرأت له قديماً جواباً حول حياة عيسى عليه السلام في السماء ونزوله في آخر الزمان – نشرته مجلة "الرِّسالة" يومئذ– رأيت فيها العجب العجاب من الجهل بحقيقة الأحاديث الواردة في نزوله عليه السلام، ومن ذلك زعمه أن طرقها كلها تدور على وهب ابن منبِّه وكعب الأحبار، فاستنكرت ذلك في نفسي، لأن ذهني كان خالياً من مثل هذه الدعوى، ولكني قلت في نفسي: لعل ذلك بالنسبة لبعض الطرق، ولكن الشيخ يبالغ ! وللتثبت من ذلك، اندفعت إلى تتبع أحاديث نزوله عليه السلام من مصادرها الأصلية في كتب السنة – التي تروي الأحاديث بأسانيدها؛ كالأمهات الست وغيرها – حتى اجتمع عندي في ذلك أحاديث كثيرة جدًّا، من طرق متواترة عن أكثر من أربعين صحابيّاً، فعجبت أشد العجب حين لم أر لوهبٍ وكعب ذكراً في شيء من تلك الطرق أصلاً، حتى ما كان منها ضعيف الإسناد ! فتيقنت حينئذٍ أن الشيخ – عفا الله عنه – كتب ما سبق من ذاكرته، دون أن يراجع في ذلك كتاباً واحداً من كتب السنة المشار إليها..."[٢].

---

(١) مستدرك الحاكم (٢/٢٨٦) برقم: ٣٠٣٣، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) موسوعة الإمام الألباني العقدية (٩/٢٦٩).

وقال رحمه الله تعالى: " وليت شعري ! ما الفرق بين هؤلاء العلماء المنتمين إلى السُّنّة، والمعطِّلين لهذه النصوص بخروج الدجال، ونزول عيسى عليه السلام، وقتله إياه، وبين إيمان الباطنية، والفرق الضالة التي تؤمن بنصوص الكتاب والسنة، مع تأويلهم إياها تأويلاً يؤدي في النهاية إلى الكفر بحقائقها، كالذين ينكرون النصوص المتواترة في الكتاب والسنة برؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، بتأويل أن المقصود منها رؤية نعيم ربهم..."(١).

٢/ الشبهة الثانية التي يتمسك ويحتج بها بعض من ينكر أحاديث المهدي، الاستشهاد بالحديث الذي أخرجه ابن ماجة والحاكم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدنيا إلا إدبارا، ولا الناس إلا شحا، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا المهدي إلا عيسى ابن مريم"(٢).

فهذا الحديث ضعيف جدا، ومداره على محمد بن خالد الجندي .

قال الآبري رحمه الله: " محمد بن خالد غير معروف عند أهل الصناعة من أهل العلم والنقل"(٣).

وقال البيهقي رحمه الله: " هذا حديث تفرد به محمد بن خالد الجندي وهو رجل مجهول"(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" هذا الحديث ضعيف، وقد اعتمد أبو محمد بن الوليد البغدادي وغيره عليه وليس مما يعتمد عليه، ورواه ابن ماجه عن يونس عن الشافعي، والشافعي رواه عن رجل من أهل اليمن، يقال له: محمد بن خالد الجندي، وهو

---

(١) المصدر السابق (٩/٢٧٠).

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب الفتن (باب: شدة الزمان) برقم: ٤٠٣٩، والحاكم في المستدرك (٤/٤٨٨) برقم: ٨٣٦٣

(٣) مناقب الإمام الشافعي (٩٥).

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (٤٧/٥١٨).

ممن لا يحتج به، وليس هذا في مسند الشافعي، وقد قيل: إن الشافعي لم يسمعه من الجندي، وأن يونس لم يسمعه من الشافعي"[(١)].

وقال الذهبي رحمه الله: " قال الأزدي: منكر الحديث، وقال عبد الله الحاكم: مجهول.

قلت: - أي الذهبي - حديثه لا مهدي إلا عيسى ابن مريم، وهو خبر منكر أخرجه ابن ماجة"[(٢)].

وبعد هذا النقل، فإنه لا يُحتج بهذا الحديث أبداً لثبوت الروايات المتواترة التي تخالفه وتعارضه.

ولو سلمنا جدلاً بصحة الرواية، فإن المذهب ما ذهب إليه أهل العلم كما **ذكر** ذلك القرطبي رحمه الله حيث قال: " ويحتمل أن يكون قوله ﷺ: (ولا مهدي إلا عيسى) أي لا مهدي كاملاً معصوماً إلا عيسى، وعلى هذا تجتمع الأحاديث ويرتفع التعارض"[(٣)].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: " يصح أن يقال لا مهدي في الحقيقة سواه وإن كان غيره مهديا كما يقال لا علم إلا ما نفع ولا مال إلا ما وقى وجه صاحبه وكما يصح أن يقال إنما المهدي عيسى ابن مريم يعني المهدي الكامل المعصوم"[(٤)].

---

(١) منهاج السنة النبوية (٤/٥٢٩).

(٢) ميزان الاعتدال (٣/٥٣٥).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١٢٠٦).

(٤) المنار المنيف في الصحيح والضعيف (١٤٨).

المبحث الرابع:

المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى الإيمان بالقضاء والقدر .

الإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان، ولا يكتمل إيمان عبدٍ بدونه.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:" فإن أهم ما يجب معرفته على المكلف النبيل فضلاً عن الفاضل الجليل، ما ورد في القضاء والقدر والحكمة والتعليل، فهو من أسنى المقاصد والإيمان به قطب رحى التوحيد ونظامه، ومبدأ الدين المبين وختامه، فهو أحد أركان الإيمان، وقاعدة أساس الإحسان، التي يرجع إليها ويدور في جميع تصاريفه عليها، فالعدل قوام الملك، والحكمة مظهر الحمد، والتوحيد متضمن لنهاية الحكمة، وكمال النعمة، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، فبالقدر والحكمة ظهر خلقه وشرعه المبين: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقد سلك جماهير العقلاء في هذا الباب في كل واد، وأخذوا في كل طريق، وتولجوا كل مضيق، وركبوا كل صعب وذلول، وقصدوا الوصول إلى معرفته، والوقوف على حقيقته، وتكلمت فيه الأمم قديما وحديثا، وساروا للوصول إلى مغزاه سيرا حثيثا، وخاضت فيه الفرق على تباينها واختلافها، وصنف فيه المصنفون الكتب على تنوع أصنافها، فلا أحد إلا وهو يحدث نفسه بهذا الشأن، ويطلب الوصول فيه إلى حقيقة العرفان، فتراه إما مترددا فيه مع نفسه، أو مناظرا لبني جنسه، وكل قد اختار لنفسه قولا لا يعتقد الصواب في سواه، ولا يرتضي إلا إياه، وكلهم إلا من تمسك بالوحي عن طريق الصواب مردود، وباب الهدى في وجهه مسدود، تحسى علما غير طائل، وارتوى من ماء آجن، قد طاف على أبواب الأفكار، ففاز بأخس الآراء والمطالب، فرح بما عنده من العلم الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، وقدم آراء من أحسن به الظن على الوحي المنزل المشروع، والنص المرفوع، حيران يأتم بكل حيران، يحسب كل شراب ماء فهو طول عمره ظمآن، ينادى إلى الصواب من مكان بعيد، أقبل إلى الهدى فلا يستجيب إلى يوم الوعيد، قد فرح بما عنده من الضلال، وقنع

بأنواع الباطل وأصناف المحال، منعه الكفر الذي اعتقده هدى وما هو ببالغه عن الهداة المهتدين، ولسان حاله أو قاله يقول: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ٥٣﴾ [الأنعام: ٥٣]"[١].

وبعد هذه المقدمة، ينبغي بيان معنى القضاء والقدر في اللغة والشرع .

فالقضاء في اللغة: القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته، قال الله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ﴾ [فصلت: ١٢] أي أحكم خلقهن"[٢].

وقال ابن الأثير: " القضاء في اللغة على وجوه، مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه، وكل ما أحكم عمله، أو أتم، أو ختم، أو أدي، أو أوجب، أو أعلم، أو أنفذ، أو أمضي، فقد قضي "[٣].

وأما القدر في اللغة: "فالقاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته"[٤].

قال الزبيدي: " القدر: القضاء والحكم"[٥].

القضاء والقدر في الشرع:

عُرِّف القضاء والقدر في الشرع بعدة تعاريف، وهي وإن اختلفت في التركيب اللفظي إلا أنها متفقةٌ في المعنى، فمن تلك التعاريف:

قول الإمام أحمد رحمه الله: "القدر هو قدرة الله"[٦].

---

(١) شفاء العليل (٢-٣).

(٢) مقاييس اللغة (٥/٩٩).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/٧٨).

(٤) مقاييس اللغة (٥/٦٢).

(٥) تاج العروس (١٣/٢٧٠).

(٦) مجموع الفتاوى (٨/٣٠٨).

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى:" أن الله تعالى علم مقادير الأشياء وأزمانها قبل إيجادها ثم أوجد ما سبق في علمه أنه يوجد فكل محدث صادر عن علمه وقدرته وإرادته"[(١)].

وقال السفاريني رحمه الله تعالى:" ما سبق به العلم وجرى به القلم، مما هو كائن إلى الأبد، وأنه – عز وجل – قدر مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم – سبحانه وتعالى – أنها ستقع في أوقات معلومة عنده – تعالى –، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها"[(٢)].

وقال ابن عثيمين رحمه الله تعالى:" القدر هو تقدير الله تعالى للكائنات حسبما سبق به علمه، واقتضته حكمته"[(٣)].

فهذه التعاريف شملت مراتب القدر، وهي:

العلم والكتابة والمشيئة والخلق[(٤)].

وفي هذا المبحث بإذن الله تعالى، سأتطرق لبعض المخالفات التي تقع في هذا الركن العظيم من أركان الإيمان، في المطالب الآتية:

---

(١) فتح الباري (١/٢٠٤).

(٢) لوامع الأنوار البهية (١/٣٤٨).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ العثيمين رحمه الله (٣/٢٥٥).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٨-١٤٩) و شفاء العليل لابن القيم (٢٩).

المطلب الأول

الأعراض عن تقرير عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر.

لقد دل القرآن الكريم والسنة النبوية على وجوب الإيمان بالقضاء والقدر، وأنه لا يتم إيمان عبد إلا به، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر: ٤٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ [الرعد: ٨].

وقوله تعالى: ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٨].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:" أي: قدر قدرا، وهدى الخلائق إليه؛ ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه، وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها، وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات، وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات على الفرقة القدرية الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة ﷺ"[(١)].

ومن السنة النبوية:

حديث جبريل عليه السلام الطويل الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيه سؤال جبريل عليه السلام للنبي ﷺ عن الإيمان قال: " فأخبرني عن الإيمان، قال:"أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"[(٢)].

وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يؤمن عبد حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه"[(٣)].

---

(١) تفسير ابن كثير (١٨٠٥/٤).

(٢) سبق تخريجه .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه كتاب القدر (باب:ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره) برقم: ٢٢٨٢، قال الألباني الحديث صحيح فإنه جاء مفرقا في أحاديث فالإسناد حسن إن شاء الله تعالى (السلسة الصحيحة ٥٦٦/٥)، وأحمد في المسند (٤٦٥/٣٥) برقم: ٢١٥٨٩، قال محققه إسناده قوي.

وعن علي بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، وبالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر"(١).

أما السلف ﷺ فقد كانوا على النهج المستقيم، البين المبين، المأخوذ من كتاب الله وسنة النبي الأمين ﷺ، فاهتدوا وهدوا ونجوا، ومن أقوالهم في وجوب الإيمان بالقدر ما يلي:

عن أبي الأسود الدئلي، قال: قال لي عمران بن الحصين، أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟ فقلت: بل شيء قضي عليهم، ومضى عليهم، قال فقال: أفلا يكون ظلما؟ قال: ففزعت من ذلك فزعا شديدا، وقلت: كل شيء خلق الله وملك يده، فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون، فقال لي: يرحمك الله إني لم أرد بما سألتك إلا لأحزر عقلك، إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم، ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟ فقال: " لا، بل شيء قضي عليهم ومضى فيهم، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾** ﴾ [الشمس: ٧ - ٨] "(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب القدر (باب:ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره) برقم: ٢٢٨٣، وابن ماجه في سننه كتاب السنة (باب:في القدر) برقم: ٨١، قال الألباني: صحيح (صحيح ابن ماجة ٤٥/١)برقم: ٦٦-٨٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب القدر (باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته) برقم: ٦٧٣٩

وعن طاووس اليماني[١]، قال: أدركت ناسا من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: ("كل شيء بقدر".

وسمعت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، يقول: قال رسول الله ﷺ: "كل شيء بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز"، وقال الليث، عن طاوس، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩] "حتى العجز والكيس")[٢].

وقال سفيان الثوري رحمه الله في وصيته لشعيب بن حرب: " يا شعيب بن حرب لا ينفعك الذي كتبت حتى تؤمن بالقدر خيره وشره وحلوه ومره ، كل من عند الله عز وجل"[٣].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: " ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره ، والتصديق بالأحاديث فيه ، والإيمان بها لا يقال لم ولا كيف ، إنما هو التصديق بها والإيمان بها ، ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفي ذلك وأحكم له ، فعليه الإيمان به والتسليم له ، مثل حديث الصادق والمصدوق ، وما كان مثله في القدر"[٤].

وقال الإمام الصابوني رحمه الله: " ويشهد أهل السنة ويعتقدون أن الخير والشر والنفع والضر بقضاء الله وقدره، لا مرد لها ولا محيص ولا محيد عنها، ولا يصيب المرء إلا ما

---

(١) طاووس بن كيسان الفارسي الفقيه القدوة عالم اليمن أبو عبد الرحمن الفارسي ثم اليمني الجندي الحافظ كان من أبناء الفرس الذين جهزهم كسرى لأخذ اليمن له، وقيل: هو مولى بحير بن ريسان الحميري، انظر: (السير ٥/٥١١).

(٢) اخرج مسلم في صحيحة بعضاً منه في كتاب القدر (باب: كل شيء بقدر) برقم: ٦٧٥١، والبخاري في خلق أفعال العباد (٦٤) برقم: ١٢١، والأجري في الشريعة (١٦٢) برقم: ٤٤٩، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٦٨) برقم: ١٠٢٧

(٣) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٧٤) برقم: ٣١٤.

(٤) المصدر السابق (٧٦) برقم: ٣١٧.

كتبه له ربه، ولو جهد الخلق أن ينفعوا المرء بما لم يكتبه الله له لم يقدروا عليه، ولو جهدوا أن يضروه بما لم يقضه الله لم يقدروا"[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " مذهب أهل السنة والجماعة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان: وهو أن الله خالق كل شيء وربه ومليكه وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد، وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته لا يمتنع عليه شيء شاءه؛ بل هو قادر على كل شيء ولا يشاء شيئا إلا وهو قادر عليه، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها وقد قدر الله مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، قدر آجالهم وأرزاقهم وأعمالهم وكتب ذلك وكتب ما يصيرون إليه من سعادة وشقاوة فهم يؤمنون بخلقه لكل شيء وقدرته على كل شيء ومشيئته لكل ما كان وعلمه بالأشياء قبل أن تكون وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون"[٢].

فهذا هو معتقد أهل السنة والجماعة في باب الإيمان بالقدر، علماً وعملاً وتعليماً، وإيماناً ودعوةً، ولكن ومع الأسف، فقد ظهر من الدعاة من يدعو للتوقف والإعراض[٣] عن الدعوة لهذا الركن العظيم، والسبب في ذلك، سوء فهمٍ لنصٍ من النصوص الواردة عن النبي ﷺ، فخالف القرآن الكريم، والسنة النبوية الحافلة بتقرير هذا الركن والدعوة إليه، وكذلك تعليم النبي ﷺ لأصحابه ﷺ هذا الركن العظيم، فقد ثبت عن النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "كنت خلف رسول الله ﷺ يوما، فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٨٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/٤٤٩-٤٥٠).

(٣) المقصود بالإعراض هنا ليس الترك فقط، وإنما كذلك الدعوة إلى القدر بخلاف ما ورد في الكتاب والسنة والخوض فيه بالباطل .

سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"(١).

وهذا حديث صحيح صريح في تعليم الناس القدر، والدعوة إليه لما له من فوائد جما وآثار عظيمة في نفوس المدعوين، اعتقاداً، وعبادةً .

ومن الأحاديث التي يحتج بها المعرضون عن الدعوة لهذا الركن، حديث ثوبان ﷺ عن النبي ﷺ قال: " إذا ذكر أصحابي فأمسكوا وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا"(٢).

وكذلك حديث أبي هريرة ﷺ قال: "خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر فغضب حتى احمر وجهه، حتى كأنما فقئ في وجنتيه الرمان، فقال: " أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت إليكم ؟ إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر، عزمت عليكم ألا تتنازعوا فيه"(٣).

وأهل العلم قد اختلفوا في توجيه هذه الأحاديث، فمنهم من أثبتها، ومنهم من ردها.

فأهل السنة والجماعة يثبتونها، وأقل أحوالها الحسن لتعدد طرقها، وقد حملوا هذا النهي على الخوض المذموم الباطل عن طريق العقل كما يفعل أهل الكلام.

قال العمراني رحمه الله: " فهذا الخبر وما أشبهه من الأخبار الواردة في النهي عن الخوض في القدر محمول على الكلام الذي تكلمت به القدرية ...– إلى أن قال – فهذا الوجه من الكلام هو المنهي عنه، فأما القول بأن الأشياء كلها بإرادة الله وخلقه وأن أحداً لا

---

(١) سنن الترمذي كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، برقم: ٢٦٨٥، وقال حديث حسن صحيح.

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٩٦/٢) برقم: ١٤٢٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٥/١) برقم: ٥٤٥ .

(٣) أخرجه الترمذي في سننه كتاب القدر (باب: ما جاء من التشديد في الخوض في القدر) برقم: ٢٢٦٧، وقال الألباني حسن (صحيح الترمذي ٤٣٩/٢) برقم: ٢١٣٣.

يمنعه عن إرادته وما أشبهه من الكلام فليس ينهى عنه وقد تكلم آدم وموسى في القدر[(١)] بمثل ذلك"[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" فإن الناس تنازعوا في معنى هذا الظلم تنازعا صاروا فيه بين طرفين متباعدين ووسط بينهما وخيار الأمور أوساطها وذلك بسبب البحث في القدر ومجامعته للشرع، إذ الخوض في ذلك بغير علم تام أوجب ضلال عامة الأمم ولهذا نهى النبي ﷺ أصحابه ﵃ عن التنازع فيه"[(٣)].

وأما المعتزلة ومن نحا نحوهم فإنهم يردون هذا الخبر، والحجة في ذلك أنه من الآحاد الذي لا تثبت به عقيدة عندهم ولا يحتجون به .

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي: "هذه الأخبار لا يجوز التصديق بها إذا كانت مخالفة للأدلة القاطعة "[(٤)].

وقال أيضاً: " أما ما لا يعلم كونه صدقا ولا كذبا، فهو كأخبار الآحاد، وما هذه سبيله يجوز العمل به إذا ورد بشرائطه، فأما قبوله فيما طريقه الاعتقادات فلا "[(٥)].

---

(١) لعله يقصد حديث محاجة آدم وموسى عليهما السلام، كما عند البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: " احتج آدم وموسى، فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، ثم تلومني على أمر قدر علي قبل أن أخلق " فقال رسول الله ﷺ:"فحج آدم موسى مرتين" (صحيح البخاري ،كتاب الأنبياء برقم: ٣٤٠٩، ومسلم كتاب القدر-باب حجاج آدم وموسى- برقم: ٦٧٤٢).

(٢) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (١٤٣/١)

(٣) مجموع الفتاوى (١٣٧/١٨).

(٤) طبقات المعتزلة وفضل الاعتزال (١٥١).

(٥) شرح الأصول الخمسة (٧٦٩).

ولم يختلف حال الأشاعرة عن المعتزلة في مسألة رد خبر الآحاد، ولو كان ثابتاً عن النبيﷺ فهذا الجويني يصرح برده لها، وأنها لا تُفضي إلى العلم كما يزعم: " وأما الأحاديث التي يتمسكون بها، فآحاد لا تفضي إلى العلم ولو أضربنا عن جميعها لكان سائغا..."[١].

وقد سار على نهج هؤلاء وطريقتهم دعاة في هذا العصر، يدعون للإعراض عن الدعوة لهذا الركن العظيم، منهم:

محمد عبده، حيث نصر مذهب الأشاعرة ونافح عنه، فقال: "ودعوى أن الاعتقاد بكسب العبد لأفعاله يؤدي إلى الإشراك بالله، - وهو الظلم العظيم — دعوى من لم يلتفت إلى معنى الإشراك على ما جاء به الكتاب والسنة ..."[٢].

إلى أن قال: " هذا الذي قررناه قد اهتدى إليه سلف الأمة فقاموا من الأعمال بما عجبت منه الأمم، وعول عليه من متأخري أهل النظر أمام الحرمين الجويني رحمه الله وإن أنكر عليه بعض من لم يفهمه"[٣].

ومراده من الكسب، هو كسب الأشاعرة، الذي ينتهي بصاحبه لتبني قول الجبرية .

وخلاصة قولهم: أن للعبد قدرة وإرادة في الفعل ولكنها غير مؤثرة فيه، أي أنهم جبرية في نهاية المطاف.

قال صاحب الجوهرة:

وعندنا للعبد كسب كلفا **** ولم يكن مؤثرا فلتعرفا[٤]

وقال شارحها:

"والكسب عُرِّف بتعريفين هما:

أنه ما يقع به المقدور من غير صحة انفراد القادر به.

---

(١) الإرشاد للجويني (١٦١).

(٢) رسالة التوحيد (٦٢).

(٣) المصدر السابق (٦٣).

(٤) شرح جوهرة التوحيد (١٤٩).

أنه ما يقع به المقدور في محل قدرته"[١].

قال البغدادي: " وقد ضرب بعض أصحابنا للاكتساب مثلاً، في الحجر الكبير قد يعجز عن حمله رجل ويقدر آخر على حمله منفرداً به، إذا اجتمعا جميعاً على حمله كان حصول الحمل بأقواهما، ولا خرج أضعفهما بذلك كونه حاملاً .

كذلك العبد لا يقدر على الانفراد بفعله، ولو أراد الله الانفراد بإحداث ما هو كسب للعبد قدر عليه، ووجد مقدوره، فوجوده على الحقيقة بقدرة الله عزوجل ولا يخرج مع ذلك المكتسب من كونه فاعلاً، وإن وجد الفعل بقدرة الله عزوجل"[٢].

والمتأمل لهذه النظرية الفلسفية، يجد أنها جبرية صرفة، إلا أنها تختلف في اللفظ فقط.

والجبرية هم الذين غلو في إثبات القدر، ونتج عن هذا الغلو أن أنكروا أنَّ للعبد قدرة أو اختيار.

ومن أقوالهم في القدر:

قول الجهم[٣] الذي تنسب إليه الجهمية وهم من حمل لواء الجبر، حيث نقل عنه البغدادي قوله: " وقال لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى وإنما تنسب الأعمال إلي المخلوقين على المجاز كما يقال زالت الشمس ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين او مستطيعين لما وصفتا به"[٤].

ونقل الشهرستاني عنهم مقالتهم: " إن الإنسان لا يقدر على شيء، ولا يوصف بالاستطاعة، وإنما هو مجبور في أفعاله، لا قدرة له، ولا إرادة، ولا اختيار، وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلق في سائر الجمادات، وتنسب إليه الأفعال مجازا كما

---

(١) المرجع السابق (١٥٠).

(٢) أصول الدين للبغدادي (١٣٣-١٣٤).

(٣) هو جهم بن صفوان أبو محرز الراسبي مولاهم السمرقندي الكاتب المتكلم رأس الضلالة ورأس الجهمية، قال الذهبي: ما علمته روى شيئا ولكنه زرع شرا كثيرا، انظر: (السير ٢٩٣/٦) و (ميزان الاعتدال ٤٢٦/١) .

(٤) الفرق بين الفِرق (١٧٤).

تنسب إلى الجمادات، كما يقال: أثمرت الشجرة، وجرى الماء، وتحرك الحجر، وطلعت الشمس وغربت، وتغيمت السماء وأمطرت، واهتزت الأرض وأنبتت، إلى غير ذلك.

والثواب والعقاب جبر، كما أن الأفعال كلها جبر.

وقال: وإذا ثبت الجبر فالتكليف أيضا كان جبرا"[١].

ونظرية الكسب هذه حار الأشاعرة أنفسهم فيها، فعجزوا عن فهمها، فضلا عن إفهامها لغيرهم .

وأما البوطي فقد نصر مذهب المعتزلة القدرية في كتابه (الإنسان مسير أم مخير) فقال: "إن كل ما تراه عيناك من الشرور المتنوعة التي تبعث الكدر في صفاء الحياة الإنسانية إنما هو من صنع الإنسان وسوء استعماله لتلك المواد الأولية وليس من فعل الله تعالى، كيف وقد نهانا الله عز وجل في خطابه لنا عن استعمال هذه الأدوات والمواد الأولية في الإفساد والقضاء على مظاهر الخير والصلاح في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾ [الأعراف: ٥٦] ، ومن المعلوم أن خلق الله للإنسان الذي يمارس باختياره الفعل القبيح، لا يكون موجباً لنسبة القبح إلى الله عز وجل وليس بينهما ترابط أو لزوم..."[٢].

وقول المعتزلة القدرية، هو نسبة الأفعال لأنفسهم، وأنهم يفعلون ما لا يريد الله تعالى.

أي أنهم خالقون لأفعال أنفسهم .

ويقول البوطي في ذلك: "ولسوف تنفتح أمامنا عندئذ مشكلات أخرى أولها وأهمها مشكلة خلق الله لأفعال الإنسان"[٣].

---

(١) الملل والنحل (٩٨/١).

(٢) الإنسان مسير أم مخير (٤٢).

(٣) المصدر السابق (٢٤).

وسموا بذلك لأنهم: "أضافوا القدر إلى أنفسهم، وغيرهم يجعله لله تعالى، دون نفسه. ومدعي الشيء لنفسه، أولى بأن ينسب إليه ممن جعله لغيره"(١).

قال القاضي عبد الجبار بعد أن ذكر فصلا عن خلق أفعال العباد: " والغرض به الكلام في أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وأنهم المحدثون لها "(٢).

ومنشأ ضلال هؤلاء هو التسوية بين المشيئة والإرادة، بخلاف أهل السنة والجماعة الذين وفقهم الله تعالى للحق، ففرقوا بين المشيئة والإرادة، كما سيأتي بيانه لاحقاً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في قصيدته التائية مبينا سبب ضلال القوم:

وأصل ضلال الخلق من كل فرقة *** هو الخوض في فعل الإله بعلة

فإنهمو لم يفهموا حكمة له *** فصاروا على نوع من الجاهلية

فإن جميع الكون أوجب فعله *** مشيئة رب الخلق باري الخليقة

وذات إله الخلق واجبة بما *** لها من صفات واجبات قديمة

مشيئته مع علمه ثم قدرة *** لوازم ذات الله قاضي القضية

وإبداعه ما شاء من مبدعاته *** بها حكمة فيه وأنواع رحمة"(٣).

قال الشيخ السعدي رحمه الله تعالى في شرحه لهذه الأبيات: " أن أصل ضلال الخلق من جميع فرق الضلال والخوض في فعل الرب فكما أنه تعالى أخبر: أنه على كل شيء قدير، وأنه فعال لما يريد، وأنه إذا أراد أمرا قال له:"كن" فيكون، وأن كل شيء خلقه بقدر، وكل صغير وكبير مستطر، فكذلك قد أخبر: أنه الحكيم الذي شملت حكمته كل شيء، وأنه خلق السماوات والأرض ومن فيهن بالحق، ولم يخلقهما باطلا. ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[ص ٢٧]، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥]، ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ

---

(١) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (١٣٧).

(٢) شرح الأصول الخمسة (٣٢٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٨/٢٤٦).

أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾[القيامة:٣٦]، إلى غير ذلك من الآيات الدالات على الأصلين، وهما: عموم مشيئته لكل موجود، وشمول حكمته للخلق والأمر. هذا: الذي يتعين على المكلفين الاعتراف به واعتقاده"(١).

وقال ابن أبي العز رحمه الله تعالى:" ومنشأ الضلال من التسوية بين المشيئة والإرادة، وبين المحبة والرضا، فسوى بينهما الجبرية والقدرية، ثم اختلفوا، فقالت الجبرية: الكون كله بقضائه وقدره، فيكون محبوبا مرضيا.

وقالت القدرية النفاة: ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له، فليست مقدرة ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه"(٢).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى:" ومنشأ الضلال في هذا الباب من التسوية بينهما، أو اعتقاد تلازمهما، فسوى بينهما الجبرية والقدرية، وقالوا: المشيئة والمحبة سواء، أو متلازمان.

ثم اختلفوا، فقالت الجبرية: الكون كله - قضاؤه وقدره، طاعته ومعاصيه، خيره وشره - فهو محبوبة، ثم من تعبد منهم، وسلك على هذا الاعتقاد رأى أن الأفعال جميعها محبوبة للرب، إذ هي صادرة عن مشيئته، وهي عين محبته ورضاه، وفني في هذا الشهود الذي كان اعتقادا، ثم صار مشهدا، فلزم من ذلك ما تقدم، من أنه لا يستقبح سيئة، ولا يستنكر منكرا، وتلك اللوازم الباطلة المنافية للشرائع جملة..."(٣).

وقال أيضاً رحمه الله تعالى: " وقالت القدرية النفاة: ليست المعاصي محبوبة لله ولا مرضية له، فليست مقدرة له ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه.

قالوا: ونحن مأمورون بالرضا بالقضاء، ومأمورون بسخط هذه الأفعال وبغضها وكراهتها، فليست إذا بقضاء الله، إذ الرضا والقضاء متلازمان، كما أن محبته ومشيئته متلازمان، أو متحدان.

---

(١) الدرة البهية شرح القصيدة التائية (٣٣-٣٤).

(٢) شرح الطحاوية (١٨٧).

(٣) مدارج السالكين (١٨٣).

وهؤلاء لا يجيء من سالكيهم وعبادهم ما جاء من سالكي الجبرية وعبادهم البتة، لمنافاة عقائدهم لمشاهد أولئك وعقائدهم، بل غايتهم التعبد والورع، وهم في تعظيم الذنوب والمعاصي خير من أولئك، وأولئك قد يكونون أقوى حالا وتأثيرا منهم.

فمنشأ الغلط التسوية بين المشيئة والمحبة، واعتقادهم وجوب الرضا بالقضاء"[(١)].

وأما أهل السنة والجماعة ففرَّقوا بين الإرادة والمشيئة.

فالإرادة الشرعية الدينية هي التي تتضمن ما يحبه الله ويرضاه، وما لا يحبه الله ويرضاه، وقد تقع وقد لا تقع .

وأما المشيئة فهي الإرادة الكونية القدرية، والتي تتضمن ما يحبه الله ويرضاه وما لا يحبه ولا يرضاه، وهي واقعة لا محالة.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:" وأن الإرادة في كتاب الله على نوعين:

أحدهما: الإرادة الكونية وهي الإرادة المستلزمة لوقوع المراد التي يقال فيها: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وهذه الإرادة في مثل قوله: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام: ١٢٥]...".

وأما النوع الثاني: فهو الإرادة الدينية الشرعية وهي محبة المراد ورضاه ومحبة أهله والرضا عنهم وجزاهم بالحسنى كما قال تعالى: ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقوله تعالى:﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ ﴾ [المائدة: ٦]"[(٢)].

ثم قسَّم رحمه الله تعالى أنواع الإرادة إلى أربعة أقسام، فقال: " فهذه الإرادة لا تستلزم وقوع المراد إلا أن يتعلق به النوع الأول من الإرادة ولهذا كانت الأقسام أربعة:

أحدها: ما تعلقت به الإرادتان وهو ما وقع في الوجود من الأعمال الصالحة فإن الله أراده إرادة دين وشرع، فأمر به وأحبه ورضيه وأراده إرادة كون فوقع، ولولا ذلك لما كان.

---

(١) المصدر السابق (١٨٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٨٨/٨).

والثاني: ما تعلقت به الإرادة الدينية فقط، وهو ما أمر الله به من الأعمال الصالحة فعصى ذلك الأمر الكفار والفجار فتلك كلها إرادة دين وهو يحبها ويرضاها لو وقعت ولو لم تقع. **والثالث**: ما تعلقت به الإرادة الكونية فقط وهو ما قدره وشاءه من الحوادث التي لم يأمر بها كالمباحات والمعاصي فإنه لم يأمر بها ولم يرضها ولم يحبها إذ هو لا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولولا مشيئته وقدرته وخلقه لها لما كانت ولما وجدت فإنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

والرابع: ما لم تتعلق به هذه الإرادة ولا هذه فهذا ما لم يكن من أنواع المباحات والمعاصي..."[١].

وبفضل الله أولاً، ثم بهذا الفهم السليم نجا أهل السنة والجماعة مما وقع فيه أهل البدعة والضلالة من القدرية المعتزلة، والجهمية الجبرية ومن نحا نحوهم .

فمن عَرَفَ هذه الفوارق سلم بإذن الله من الشبهات التي تنسج حول هذه المسألة، ومن المعلوم أن مسألة القدر قد زلت بها أقدام وضلت بها أفهام .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" وقد بيَّن الله في كتابه: الفرق بين الإرادة والأمر والقضاء والإذن والتحريم والبعث والإرسال والكلام والجعل، وبين الكوني الذي خلقه وقدره وقضاه، وإن كان لم يأمر به ولا يحبه ولا يثيب أصحابه، ولا يجعلهم من أوليائه المتقين، وبين الديني الذي أمر به وشرعه وأثاب فاعليه وأكرمهم، وجعلهم من أوليائه المتقين، وحزبه المفلحين وجنده الغالبين، وهذا من أعظم الفروق التي يفرق بها بين أولياء الله وأعدائه، فمن استعمله الرب سبحانه وتعالى فيما يحبه ويرضاه، ومات على ذلك، كان من أوليائه، ومن كان عمله فيما يبغضه الرب ويكرهه، ومات على ذلك كان من أعدائه"[٢].

ومما يؤيد هذا الفهم، وفيه ردٌ على القدرية والجبرية، قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٨ – ٢٩].

---

(١) المصدر السابق (١٨٩/٨).

(٢) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (١٩٤).

" فهذه الآية فيها رد على القدرية وردٌ على الجبرية، وإثبات للحق الذي عليه أهل السنة والجماعة.

فقوله: ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴾ أثبتت أنه لهم مشيئة حقيقية وفعلا حقيقيا وهو الاستقامة باختيارهم .

وقوله تعالى فيه ردٌ على الجبرية: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ حيث أخبر أن مشيئتهم تابعة لمشيئة الله، وأنها لا توجد بدونها.

فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

ففيها رد على القدرية القائلين: إن مشيئة العباد مستقلة، وليست نابعة لمشيئة الله. ودلت الآية على الحق الواضح، وهو: أن العباد هم الذين يعملون الطاعات والمعاصي حقيقة، وليسوا مجبورين عليها، وأنها مع ذلك تابعة لمشيئة الله [(١)].

ولقد ذم السلف رحمهم الله تعالى القدرية ومن نحا نحوهم، فمن ذلك ما أخرجه مسلم في صحيحة عن يحيى بن يعمر، قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين – أو معتمرين – فقلنا: لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ، فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر، فوفق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخلا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبي أحدنا عن يمينه، والآخر عن شماله، فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إلي، فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن، ويتقفَّرون العلم، وذكر من شأنهم، وأنهم يزعمون أن لا قدر، وأن الأمر أنف، قال:" فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم، وأنهم برآء مني "، والذي يحلف به عبد الله بن عمر" لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا، فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر...ثم ساق حديث جبريل عليه السلام الطويل والذي فيه وتؤمن بالقدر خيره وشره "[(٢)].

---

(١) انظر: الدرة البهية شرح القصيدة التائية للسعدي (٢٨-٢٩).

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان (باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه ...) برقم: ٩٣

المطلب الثاني:

المخالفات المتعلقة بالبحث والتنقيب في مسائل القدر.

لقد جاء النهي عن البحث والتنقيب في مسائل القدر في السنة النبوية، وحمل السلف ﷺ نهيُ النبي ﷺ أصحابة ﷺ عن الخوض في القدر على هذه المسألة، وهي مسألة البحث والتنقيب في مسائل القدر وإعمال العقول فيها، وكثرة السؤال بكيف ولما وغيرها من أدواة الاستفهام، لأن القدر سر الله فلم يطلع عليه أحدٌ من خلقه .

وجاء نهي السلف رحمهم الله تعالى عن ذلك، كما دونوا ذلك في عقائدهم وبيان جُرم الخوض فيه بالباطل، والتشديد في ذلك، فمن ذلك:

عن محمد بن عبيد المكي قال: قيل لابن عباس:" إن رجلا قدم علينا يكذب بالقدر. فقال: دلوني عليه، وهو يومئذ قد عمي، قالوا: وما تصنع به يا أبا عباس؟ قال: والذي نفسي بيده، لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبته في يدي، لأدقنها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كأني بنساء بني فهر يطفن بالخزرج تصطك ألياتهن مشركات " هذا أول شرك هذه الأمة، والذي نفسي بيده، لينتهين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدر خيرا، كما أخرجوه من أن يكون قدر شرا"[١].

ومن ذلك، أن رجلاً قال لعلي بن أبي طالب ﷺ: يا أبا الحسن ما تقول في القدر؟ فقال: "طريق مظلم لا تسلكه"، فقال له: ما تقول في القدر؟ قال: بحر عميق فلا تلجه، قال: ما تقول في القدر؟ قال: "سر الله فلا تكلفه"[٢].

---

(١) مسند الإمام أحمد (١٧١/٥) برقم: ٣٠٥٤ .

(٢) أخرجه الأجري في الشريعة (١٨٣) برقم: ٥٤٧ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٩٣-٢٩٤) برقم: ١١٢٣، واللفظ له .

ومن ذلك أيضاً، ما أخرجه الأجري واللالكائي رحمهما الله تعالى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال:"باب شرك فتح على أهل الصلاة: التكذيب بالقدر، فلا تجادلوهم فيجري شركهم على أيديكم"(١).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً: "ما غلا أحد في القدر إلا خرج عن الإسلام"(٢).

وقال الإمام البربهاري رحمه الله: "والكلام والجدل والخصومة في القدر منهي عنه عند جميع الفرق، لأن القدر سر الله، ونهى الرب -جل اسمه- الأنبياء عن الكلام في القدر، ونهى النبي ﷺ عن الخصومة في القدر، وكرهه أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون، وكرهه العلماء وأهل الورع، ونهوا عن الجدال في القدر، فعليك بالتسليم والإقرار والإيمان، واعتقاد ما قال رسول الله ﷺ في جملة الأشياء واسكت عما سوى ذلك"(٣).

وقال الأجري رحمه الله: " لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث عن القدر؛ لأن القدر سر من سر الله عز وجل، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير أو شر واجب على العباد أن يؤمنوا به، ثم لا يأمن العبد أن يبحث عن القدر فيكذب بمقادير الله الجارية على العباد، فيضل عن طريق الحق..."(٤).

وقال الإمام أبو المظفر السمعاني: "سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس ومجرد العقول فمن عدل عن التوقيف فيه ضل وتاه في بحار الحيرة ولم يبلغ شفاء النفس ولا يصل إلى ما يطمئن به القلب لأن القدر سر من أسرار الله تعالى التي ضربت من دونها الأستار اختص الله به وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم لما علمه من

---

(١) أخرجه الأجري في الشريعة (١٦٣) برقم: ٤٥٧، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٩٤) برقم: ١١٢٦.

(٢) أخرجه الخلال في السنة (م١،ج٣،ص٤٤٣) برقم: ٩٥٠، والأجري في الشريعة (١٦١) برقم: ٤٤٦، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٩٥) برقم: ١١٣١ .

(٣) شرح السنة للبربهاري (٨٠-٨١).

(٤) الشريعة (١١٣).

الحكمة وواجبنا أن نقف حيث حد لنا ولا نتجاوزه وقد طوى الله تعالى علم القدر على العالم فلم يعلمه نبي مرسل ولاملك مقرب وقيل إن سر القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة ولا ينكشف قبل دخولها والله أعلم"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الخوض في ذلك - أي في القضاء والقدر - بغير علم تام، أوجب ضلال عامة الأمم، ولهذا نهى النبي ﷺ عن التنازع فيه"(٢).

وقال ابن عبد البر رحمه الله تعالى: "والقدر سر الله لا يدرك بجدال ولا يشفي منه مقال والحجاج فيه مرتجة لا يفتح شيء منها إلا بكسر شيء وغلقه وقد تظاهرت الآثار وتواترت الأخبار عن السلف الأخيار الطيبين الأبرار بالاستسلام والانقياد والإقرار بأن علم الله سابق ولا يكون في ملكه إلا ما يريد"(٣).

والمخالفات التي تقع في هذا الباب لا تخرج عن أمورٍ، منها:

١/ التكذيب بالقدر، وقد ورد عن النبي ﷺ التحذير من التكذيب بالقدر، وذلك في الحديث الذي رواه أبو الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: " لا يدخل الجنة عاق ، ولا مدمن خمر ، ولا مكذب بقدر"(٤).

ويدل على ذلك أيضاً الأثر الوارد عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال عنه: " باب شرك فتح على أهل الصلاة: التكذيب بالقدر، فلا تجادلوهم فيجري شركهم على أيديكم"(٥).

وقال الإمام الذهبي رحمه الله تعالى بعد أن عدَّ الكبائر، ذكر منها: الكبيرة الحادية والأربعون التكذيب بالقدر:" أجمع سبعون رجلا من التابعين وأئمة المسلمين والسلف وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ أولها الرضا بقضاء الله وقدره

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٦/١٧٠)، وفتح الباري (١١/٦٩٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/١٣٧).

(٣) التمهيد (٦/١٤) .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤٥/٤٧٧) برقم: ٢٧٤٨٣، وقال محققه: حسن لغيره.

(٥) سبق تخريجه.

والتسليم لأمره والصبر تحت حكمه والأخذ بما أمر الله به والنهي عما نهى الله عنه وإخلاص العمل لله والإيمان بالقدر خيره وشره وترك المراء والجدال والخصومات في الدين..."(١).

٢/ الإفراط والتفريط في مسائل أفعال العباد، فالمعتزلة أفرطوا في مسألة أفعال العباد فقالوا إن العبد يخلق فعل نفسه.

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي، في سياقه لتقرير أدلة مذهبه في أن أفعال العباد مخلوقة من العبد نفسه، وأن الله تعالى ليس بخالق لها: " وأحد ما يدل على أنه تعالى لا يجوز أن يكون خالقا لأفعال العباد، هو أن ما في أفعال العباد ما هو ظلم وجور فلو كان الله تعالى خالقا لها لوجب أن يكون ظالما جائرا، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا"(٢).

والجبرية غلو في أفعال العباد في مقابل المعتزلة القدرية، حتى قالوا إن العبد مجبور على فعله، وهو كالريشة في مهب الريح(٣).

قال الشهرستاني: " إن الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل التضاد"(٤).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى:" المخاصمون في القدر نوعان:

أحدهما: من يبطل أمر الله ونهيه بقضائه وقدره كالذين قالوا ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨].

والثاني: من ينكر قضاءه وقدره السابق، والطائفتان خصماء الله"(٥).

٣/ الاكتفاء بتقرير مسائل القدر على العقل فقط .

المتأمل لضلال فرق أهل الكلام في أبواب العقائد إجمالاً، يجد أن من أبرز الأسباب اعتمادهم على العقل، حيث جعلوه المصدر الأول في الاستدلال عندهم.

---

(١) الكبائر للذهبي (١٠٨-١١٠).

(٢) شرح الأصول الخمسة (٣٤٥).

(٣) انظر في هذا المبحث (قول الأشاعرة في الكسب ٢٩٦-٢٩٧) فنظرية الكسب عند الأشاعرة نهايتها جبر أي أنهم جبرية في نهاية المطاف.

(٤) الملل والنحل (٥٦/١).

(٥) شفاء العليل (١٣٠).

يقول القاضي عبد الجبار:" الدلالة أربعة: حجة العقل والكتاب والسنة والإجماع، ومعرفة الله لا تنال إلا بحجة العقل"[(١)].

وقال الجويني الأشعري:" وإن لم تثبت الأدلة السمعية بطرق قاطعة ولم يكن مضمونها مستحيلا في العقل وثبتت أصولها قطعا ولكن طريق التأويل يجول فيها فلا سبيل إلى القطع ولكن المتدين يغلب على ظنه ثبوت ما دل الدليل السمعي على ثبوته وإن لم يكن قاطعا وإن كان مضمون الشرع المتصل بنا مخالفا لقضية العقل فهو مردود قطعا..."[(٢)].

وقال الرازي وهو أشعري كذلك: " اعلم أن الدلائل القطعية إذا قامت على ثبوت شيء، ثم وجدنا أدلة نقلية يشعر ظاهرها بخلاف ذلك، فهناك لا يخلو الحال من أحد أمور أربعة:

١/ إما أن يصدق مقتضى العقل والنقل. فيلزم تصديق النقيضين وهو محال.

٢/ وإما أن يبطل، فيلزم تكذيب النقيضين وهو محال.

٣/ وإما أن يصدق الظواهر النقلية، ويكذب الظواهر العقلية، وذلك باطل؛ لأنه لا يمكننا أن نعرف صحة الظواهر النقلية، إلا إذا عرفنا بدلائل العقلية إثبات الصانع وصفاته.

وكيفية دلالة المعجزة على صدق الرسول ﷺ، وظهور المعجزات على محمد ﷺ، ولو جوزنا القدح في الدلائل العقلية، صار العقل متهماً غير مقبول القول، ولو كان كذلك لخرج أن يكون مقبول القول في هذه الأصول، وإذا لم تثبت هذه الأصول خرجت الدلائل النقلية عن كونها مفيدة، فثبت أن القدح في العقل لتصحيح النقل، يفضي إلى القدح في العقل والنقل معاً، وأنه باطل.

ولما بطلت الأقسام الأربعة، لم يبق إلا أن يقطع بمقتضى الدلائل العقلية القاطعة بأن هذه الدلائل النقلية إما أن يقال:

إنها غير صحيحة.

أو يقال: إنها صحيحة إلا أن المراد منها غير ظواهرها.

---

(١) شرح الأصول الخمسة (٨٨).

(٢) الإرشاد (٣٥٩-٣٦٠).

ثم إن جوزنا التأويل واشتغلنا به على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيل، وإن لم يجز التأويل فوضنا العلم بها إلى الله تعالى. فهذا هو القانون الكلي المرجوع إليه في جميع المتشابهات..."(١).

ولخطورة هذا المسلك فقد حكم عليهم الإمام الشافعي رحمه الله بالضرب والجلد: "حُكمي في أهل الكلام: أن يُضرَبوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم في القبائل والعشائر، ويقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبَلَ على الكلام"(٢).

ومسائل القدر من المسائل التي ضل فيها أقوام كثر قديماً وحديثاً، فيجب التمسك بالكتاب والسنة في فَهم مسائل القدر وتعلمها عن طريق الكتاب والسنة، لأن القدر كما قيل سر الله .

قال البغوي رحمه الله: " والقدر سر من أسرار الله لم يطلع عليه ملكا مقربا، ولا نبيا مرسلا، لا يجوز الخوض فيه، والبحث عنه بطريق العقل، بل يعتقد أن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق، فجعلهم فريقين: أهل يمين خلقهم للنعيم فضلا، وأهل شمال خلقهم للجحيم عدلا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ﴾ [الأعراف: ١٧٩]"(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " الناس لهم في أفعال الله باعتبار ما يصلح منه ويجوز وما لا يجوز منه ثلاثة أقوال: طرفان ووسط.

فالطرف الواحد: طرف القدرية وهم الذين حجروا عليه أن يفعل إلا ما ظنوا بعقلهم أنه الجائز له حتى وضعوا له شريعة التعديل والتجويز فأوجبوا عليه بعقلهم أمورا كثيرة وحرموا عليه بعقلهم أمورا كثيرة؛ لا بمعنى: أن العقل آمر له وناه؛ فإن هذا لا يقوله عاقل بل بمعنى: أن تلك الأفعال مما علم بالعقل وجوبها وتحريمها ولكن أدخلوا في ذلك من المنكرات ما بنوه على بدعتهم في التكذيب بالقدر وتوابع ذلك.

---

(١) أساس التقديس (٣١٥-٣١٦).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (١/٢٣٦-٢٣٧).

(٣) شرح السنة للبغوي (١/١٤٤).

والطرف الثاني: طرف الغلاة في الرد عليهم وهم الذين قالوا: لا ينزه الرب عن فعل من الأفعال ولا نعلم وجه امتناع الفعل منه إلا من جهة خبره أنه لا يفعله المطابق لعلمه بأنه لا يفعله. وهؤلاء منعوا حقيقة ما أخبر به من أنه كتب على نفسه الرحمة وحرم على نفسه الظلم قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: " إن الله لما قضى الخلق كتب على نفسه كتابا فهو موضوع عنده فوق العرش: إن رحمتي تغلب غضبي"[(١)]، ولم يعلم هؤلاء أن الخبر المجرد المطابق للعلم لا يبين وجه فعله وتركه، إذ العلم يطابق المعلوم؛ فعلمه بأنه يفعل هذا وأنه لا يفعل هذا ليس فيه تعرض لأنه كتب هذا على نفسه وحرم هذا على نفسه كما لو أخبر عن كائن من كان أنه يفعل كذا ولا يفعل كذا لم يكن في هذا بيان لكونه محمودا ممدوحا على فعل هذا وترك هذا؛ ولا في ذلك ما يبين قيام المقتضي لهذا والمانع من هذا، فإن الخبر المحض كاشف عن المخبر عنه، ليس فيه بيان ما يدعو إلى الفعل ولا إلى الترك بخلاف قوله: (كتب على نفسه الرحمة)، (وحرم على نفسه الظلم) فإن التحريم مانع من الفعل وكتابته على نفسه داعية إلى الفعل، وهذا بين واضح، إذ ليس المراد بذلك مجرد كتابته أنه يفعل وهو كتابة التقدير"[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب التوحيد (باب:قوله تعالى﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾) برقم: ٧٤٠٤، ومسلم في صحيحة كتاب التوبة (باب:في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه) برقم: ٦٩٦٩.

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/١٤٧-١٤٩).

المطلب الثالث:

الاحتجاج بالقدر على المعائب والذنوب في الدعوة إلى الله تعالى.

المراد بالاحتجاج بالقدر هو: جعل القدر حجة وعذرا يحتج بها العبد على فعل المعاصي أو ترك الطاعات[١].

وهذه المسألة قد كثر الخوض فيها، حيث أن كثيرا من الناس إذا أُمر بطاعة احتج وتحجج بالقدر، وإذا نُهي عن معصية تحجج بالقدر كذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" فإن كثيرا من الناس إذا أمر بما يجب عليه تعلل بالقدر، وقال: حتى يقدر الله لي ذلك، أو يقدرني الله على ذلك، أو حتى يقضي الله ذلك، وكذلك إذا نهي عن فعل ما حرم الله قال: الله قضى علي بذلك، أي حيلة لي في هذا؟ ونحو هذا الكلام"[٢].

فينبغي أن يُعلم أن الله تعالى هو الخالق سبحانه والمقدِّر، وهو سبحانه الأمر والناهي، قال الله تعالى: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ٥٤].

قال السعدي رحمه الله تعالى:" أي: له الخلق الذي صدرت عنه جميع المخلوقات علويها وسفليها، أعيانها وأوصافها وأفعالها والأمر المتضمن للشرائع والنبوات، فالخلق: يتضمن أحكامه الكونية القدرية، والأمر: يتضمن أحكامه الدينية الشرعية، وثم أحكام الجزاء، وذلك يكون في دار البقاء، ﴿ تَبَارَكَ ٱللَّهُ ﴾ أي: عظم وتعالى وكثر خيره وإحسانه، فتبارك في نفسه لعظمة أوصافه وكمالها، وبارك في غيره بإحلال الخير الجزيل والبر الكثير، فكل بركة في الكون، فمن آثار رحمته، ولهذا قال: ﴿ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾"[٣].

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (٢/٣٢٣) و (٨/٢٤١).

(٢) منهاج السنة النبوية (٢/٢٦٦).

(٣) تفسير السعدي (٢٦٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والعبد مأمور أن يصبر على المقدور ويطيع المأمور وإذا أذنب استغفر، كما قال الله تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [غافر: ٥٥].

وقال رحمه الله: " وحكم الله نوعان: خلق وأمر.

فالأول: ما يقدره من المصائب.

والثاني: ما يأمر به وينهى عنه والعبد مأمور بالصبر على هذا وعلى هذا فعليه أن يصبر لما أمر به ولما نهى عنه فيفعل المأمور ويترك المحظور وعليه أن يصبر لما قدره الله عليه"(١).

وعلى هذا فإن الاحتجاج بالقدر، قد يكون صحيحاً، وقد يكون باطلاً:

فالصحيح: هو الاحتجاج بالقدر عند المصائب، كالمرض والفقر ...إلخ.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥ – ١٥٧].

قال الطبري رحمه الله تعالى: " هؤلاء الصابرون، الذين وصفهم ونَعتهم "عليهم"، يعني: لَهم ،"صلوات"، يعني: مغفرة.

"وصلوات الله" على عباده، غُفرانه لعباده، ثم أخبر تعالى ذكره -مع الذي ذكر أنه مُعطيهم على اصطبارهم على محنه، تسليمًا منهم لقضائه، من المغفرة والرحمة- أنهم هم المهتدون، المصيبون طريق الحقّ، والقائلون مَا يُرْضى عنهم والفاعلون ما استوجبوا به من الله الجزيل من الثواب"(٢).

(١) مجموع الفتاوى (٣٢٥/٨).

(٢) تفسير الطبري (٨٧٦/١).

وقال تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد: ٢٢ – ٢٣].

وفي الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: كنت خلف رسول الله ﷺ يوما، فقال: يا غلام إني أعلمك كلمات، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف"(١).

قال ابن رجب رحمه الله تعالى:" واعلم أن مدار جميع هذه الوصية على هذا الأصل، وما ذكر قبله وبعده، فهو متفرع عليه، وراجع إليه، فإن العبد إذا علم أن لن يصيبه إلا ما كتب الله له من خير وشر، ونفع وضر، وأن اجتهاد الخلق كلهم على خلاف المقدور غير مفيد البتة، علِمَ حينئذ أن الله وحده هو الضار النافع، المعطي المانع، فأوجب ذلك للعبد توحيد ربه عز وجل، وإفراده بالطاعة، وحفظ حدوده، فإن المعبود إنما يقصد بعبادته جلب المنافع ودفع المضار، ولهذا ذم الله من يعبد من لا ينفع ولا يضر، ولا يغني عن عابده شيئا، فمن يعلم أنه لا ينفع ولا يضر، ولا يعطي ولا يمنع غير الله، أوجب له ذلك إفراده بالخوف والرجاء والمحبة والسؤال..."(٢).

وقال رحمه الله تعالى:"حصول اليقين للقلب بالقضاء السابق والتقدير الماضي يعين العبد على أن ترضى نفسه بما أصابه، فمن استطاع أن يعمل في اليقين بالقضاء والقدر على الرضا بالمقدور، فليفعل، فإن لم يستطع الرضا، فإن في الصبر على المكروه خيرا كثيرا فهاتان درجتان للمؤمن بالقضاء والقدر في المصائب:

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب صفة القيامة برقم: ٢٦٨٥، وقال حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٦١٠) برقم: ٢٥١٦

(٢) جامع العلوم والحكم (١٩٢).

أحدهما: أن يرضى بذلك، وهي درجة عالية رفيعة جدا

والدرجة الثانية: أن يصبر على البلاء، وهذه لمن لم يستطع الرضا بالقضاء، فالرضا فضل مندوب إليه، مستحب، والصبر واجب على المؤمن حتم، وفي الصبر خير كثير، فإن الله أمر به، ووعد عليه جزيل الأجر"(١).

وأما الاحتجاج الباطل: هو الاحتجاج بالقدر على المعائب والذنوب.

قال الله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَاۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ ﴾[الأنعام: ١٤٨]

قال الشيخ السعدي رحمه الله: " هذا إخبار من الله أن المشركين سيحتجون على شركهم وتحريمهم ما أحل الله، بالقضاء والقدر، ويجعلون مشيئة الله الشاملة لكل شيء من الخير والشر حجة لهم في دفع اللوم عنهم.

وقد قالوا ما أخبر الله أنهم سيقولونه، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[النحل: ٣٥]، فأخبر تعالى أن هذه الحجة، لم تزل الأمم المكذبة تدفع بها عنهم دعوة الرسل، ويحتجون بها، فلم تجد فيهم شيئا ولم تنفعهم، فلم يزل هذا دأبهم حتى أهكلهم الله، وأذاقهم بأسه"(٢).

فهذه حجة الأبالسة الذين يحتجون بالقدر على المعائب والذنوب، وهذا بخلاف ما دل عليه الكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وليس لأحد أن يحتج بالقدر على الذنب باتفاق المسلمين، وسائر أهل الملل، وسائر العقلاء، فإن هذا لو كان مقبولاً لأمكن كل أحد أن يفعل ما يخطر له من قتل النفوس وأخذ الأموال، وسائر أنواع الفساد في الأرض، ويحتج

---

(١) المصدر السابق نفسه (١٩٢-١٩٣).

(٢) تفسير السعدي (٢٥٦).

بالقدر، ونفس المحتج بالقدر إذا اعتدي عليه، واحتج المعتدي بالقدر لم يقبل منه، بل يتناقض، وتناقض القول يدل على فساده، فالاحتجاج بالقدر معلوم الفساد في بدائه العقول"[(١)].

ويستثنى من ذلك الاحتجاج بالقدر على الذنب إذا وقع في الماضي وتاب منه، وترك العودة له .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" الاحتجاج بالقدر على الذنب ينفع في موضع ويضر في موضع فينفع إذا احتج به بعد وقوعه والتوبة منه وترك معاودته كما فعل آدم فيكون في ذكر القدر إذ ذاك من التوحيد ومعرفة أسماء الرب وصفاته وذكرها ما ينتفع به الذاكر والسامع لأنه لا يدفع بالقدر أمرا ولا نهيا ولا يبطل به شريعة بل يخبر بالحق المحض على وجه التوحيد والبراءة من الحول والقوة، يوضحه أن آدم قال لموسى أتلومني على أن عملت عملا كان مكتوبا علي قبل أن أخلق فإذا أذنب الرجل ذنبا ثم تاب منه توبة وزال أمره حتى كأن لم يكن فأنبه مؤنب عليه ولامه حسن منه أن يحتج بالقدر بعد ذلك ويقول هذا أمر كان قد قدر عليّ قبل أن أخلق فإنه لم يدفع بالقدر حقا ولا ذكره حجة له على باطل ولا محذور في الاحتجاج به وأما الموضع الذي يضر الاحتجاج به ففي الحال والمستقبل بأن يرتكب فعلا محرما أو يترك واجبا فيلومه عليه لائم فيحتج بالقدر على إقامته عليه وإصراره فيبطل بالاحتجاج به حقا ويرتكب باطلا كما احتج به المصرون على شركهم وعبادتهم غير الله"[(٢)].

وقال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله تعالى:" الاحتجاج بالقدر على المصائب جائز، وكذلك الاحتجاج بالقدر على المعصية بعد التوبة منها جائز، وأما الاحتجاج بالقدر على المعصية تبريرا لموقف الإنسان واستمرارا فيها فغير جائز"[(٣)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧٩/٨).

(٢) نقلها عنه تلميذه ابن القيم رحمه الله في شفاء العليل (١٨).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢١٣/٣).

وبعد، فهناك نصوص من الكتاب والسنة قد يُشكل فهمها وتكون ذريعة لأهل الزيغ والضلال لاحتجاجهم بالقدر على المعائب والذنوب، ظناً منهم وتأولاً وتحريفاً للنصوص بجواز ذلك، منها:

١/ قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ١٤٨].

قال الطبري رحمه الله تعالى:" قال الله مكذبًا لهم في قيلهم: إن الله رضي منا ما نحن عليه من الشرك، وتحريم ما نحرّم ورادًّا عليهم باطلَ ما احتجوا به من حجتهم في ذلك (كذلك كذب الذين من قبلهم)، يقول: كما كذب هؤلاء المشركون، يا محمد، ما جئتهم به من الحق والبيان، كذب من قبلهم من فسقة الأمم الذين طَغَوا على ربهم ما جاءتهم به أنبياؤهم من آيات الله وواضح حججه، وردُّوا عليهم نصائحهم (حتى ذاقوا بأسنا)، يقول: حتى أسخطونا فغضبنا عليهم، فأحللنا بهم بأسنا فذاقوه، فعطبوا بذوقهم إياه، فخابوا وخسروا الدنيا والآخرة. يقول: وهؤلاء الآخرون مسلوك بهم سبيلهم، إن هم لم ينيبوا فيؤمنوا ويصدقوا بما جئتهم به من عند ربهم .

إلى أن قال رحمه الله: " قل لهم: إن تقولون ما تقولون، أيها المشركون، وتعبدون من الأوثان والأصنام ما تعبدون، وتحرمون من الحروث والأنعام ما تحرّمون، إلا ظنًّا وحسبانًا أنه حق، وأنكم على حق، وهو باطلٌ، وأنتم على باطل (وإن أنتم إلا تخرصون)، يقول:"وإن أنتم"، وما أنتم في ذلك كله "إلا تخرصون"، يقول: إلا تتقوّلون الباطل على الله، ظنًّا بغير يقين علم ولا برهان واضح"[(١)].

فهؤلاء ومن نحا نحوهم احتجوا بالقدر في العبادات والعادات.

فاتخذوا دينا لم يشرعه الله (الشرك)، وحرموا على أنفسهم ما لم يحرمه الله، فضلوا وأضلوا .

---

(١) تفسير الطبري (٥/٢١١-٢١٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" وأصل الضلال في أهل الأرض إنما نشأ من هذين: إما اتخاذ دين لم يشرعه الله. أو تحريم ما لم يحرمه الله"[(١)].

٢/ في قوله تعالى: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦].

وهذه الآية يتخذها الأبالسة حجة تبعاً لزعيمهم إبليس، فقد احتج على ترك الواجبات وفعل المحظورات بالقدر، فمن احتج بذلك كان من زمرته وأوليائه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" من جعل الإيمان بالقدر وشهوده عذرا في ترك الواجبات وفعل المحظورات ؟ بل الإيمان بالقدر حسنة من الحسنات وهذه لا تنهض بدفع جميع السيئات فلو أشرك مشرك بالله وكذب رسوله ناظرا إلى أن ذلك مقدر عليه: لم يكن ذلك غافرا لتكذيبه ولا مانعا من تعذيبه فإن الله لا يغفر أن يشرك به سواء كان المشرك مقرا بالقدر وناظرا إليه أو مكذبا به أو غافلا عنه فقد قال إبليس: ﴿ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الحجر: ٣٩]، فأصر واحتج بالقدر فكان ذلك زيادة في كفره وسببا لمزيد عذابه. وأما آدم عليه السلام فإنه قال: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعراف: ٢٣] وقال تعالى: ﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[البقرة: ٣٧]، فمن استغفر وتاب كان آدميا سعيدا ومن أصر واحتج بالقدر كان إبليسيا شقيا"[(٢)].

وقال في موضع أخر: " فأقر بأن الله أغواه ثم جعل ذلك عنده داعيا يقتضي أن يغوي هو ذرية آدم، وإبليس هو أول من عادى الله وطغى في خلقه وأمره وعارض النص بالقياس. ولهذا يقول بعض السلف: أول من قاس إبليس.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم (٣٨١).

(٢) مجموع الفتاوى (٢/٣٠٢-٣٠٣).

فإن الله أمره بالسجود لآدم فاعترض على هذا الأمر بأني خير منه وامتنع من السجود. فهو أول من عادى الله وهو الجاهل الظالم الجاهل بما في أمر الله من الحكمة الظالم باستكباره الذي جمع فيه بين بطر الحق وغمط الناس، ثم قوله لربه " فبما أغويتني لأفعلن " جعل فعل الله الذي هو إغواؤه له حجة له وداعيا إلى أن يغوي ابن آدم. وهذا طعن منه في فعل الله وأمره وزعم منه أنه قبيح فأنا أفعل القبيح أيضا. فقاس نفسه على ربه ومثل نفسه بربه. ولهذا كان مضاهيا للربوبية كما ثبت في صحيح مسلم عن جابر ﷺ عن النبي ﷺ: (إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئا، قال ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت)(١)، والقدرية قصدوا تنزيه الله عن السفه وأحسنوا في هذا القصد.

فإنه سبحانه مقدس عما يقول الظالمون من إبليس وجنوده علوا كبيرا حكم عدل. لكن ضاق ذرعهم وحصل عندهم نوع جهل اعتقدوا معه أن هذا التنزيه لا يتم إلا بأن يسلبوه قدرته على أفعال العباد وخلقه لها وشمول إرادته لكل شيء. فناظروا إبليس وحزبه في شيء واستحوذ عليهم إبليس من ناحية أخرى "(٢).

٣/ في قوله تعالى: ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [النساء: ٧٨ – ٧٩].

(١) صحيح مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار (باب: تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً) برقم: ٧١٠٦.

(٢) مجموع الفتاوى (١٦/ ٢٤٠-٢٤١).

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: " قال القدري: قال الله سبحانه: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ ﴾، وعند الجبري أن الكل فعل الله وليس من العبد شيء.

وقال الجبري: في الكلام استفهام مقدر تقديره أفمن نفسك فهو إنكار لا إثبات وقرأها بعضهم فمن نفسك بفتح الميم ورفع نفسك أي من أنت حتى تفعلها وقال ولا بد من تأويل الآية وإلا ناقض قوله في الآية التي قبلها: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ ﴾ فأخبر أن الحسنات والسيئات جميعا من عنده لا من عند العبد .

والرد على الفريقين في قوله رحمه الله تعالى:" أخطأتما جميعا — القدرية والجبرية – في فهم الآية أقبح الخطأ ومنشأ غلطكما إن الحسنات والسيئات في الآية المراد بها الطاعات والمعاصي التي هي فعل العبد الاختياري وهذا وهم محض في الآية وإنما المراد بها النعم والمصائب ولفظ الحسنات والسيئات في كتاب الله يراد به هذا تارة وهذا تارة فقوله تعالى: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ﴾ [آل عمران: ١٢٠] وقوله: ﴿ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ ﴾[التوبة: ٥٠] وقوله تعالى: ﴿ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾[الأعراف:١٦٨] ... المراد في هذا كله النعم والمصائب وأما قوله: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[الأنعام: ١٦٠] وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود: ١١٤] وقوله: ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾ [الفرقان: ٧٠] والمراد به في هذا كله الأعمال المأمور بها والمنهي عنها وهو سبحانه إنما قال ما أصابك ولم يقل ما أصبت وما كسبت فما يفعله العبد يقال فيه ما أصبت وكسبت وعملت كقوله: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾ [طه: ١١٢] وكقوله: ﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء: ١٢٣] وقوله ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ

إِثۡمًا﴾ [النساء: ١١٢] وقول المذنب التائب يا رسول الله أصبت ذنبا فأقم علي كتاب الله[1] ولا يقال في هذا أصابك ذنب وأصابتك سيئة وما يفعل به بغير اختياره يقال فيه أصابك كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ [الشورى: ٣٠] وقوله: ﴿إِن تُصِبۡكَ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡۖ وَإِن تُصِبۡكَ مُصِيبَةٞ يَقُولُواْ قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ﴾ [التوبة: ٥٠] وقوله: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾ [آل عمران: ١٦٥] فجمع الله في الآية بين ما أصابوا بفعلهم وكسبهم وما أصابهم مما ليس فعلا لهم وقوله ﴿وَنَحۡنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمۡ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٖ مِّنۡ عِندِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٥٢] وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ﴾ [الرعد: ٣١] وقوله ﴿فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ [المائدة: ١٠٦] فقوله: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء: ٧٩] هو من هذا القسم الذي يصيبه العبد لا باختياره وهذا إجماع من السلف في تفسير هذه الآية"[2].

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الحدود (باب: رجم ماعز بن مالك) برقم: ٤٤١٩، عن نعيم بن هزال عن أبيه، قال: كان ماعز بن مالك يتيما في حجر أبي، فأصاب جارية من الحي، فقال له أبي: ائت رسول الله ﷺ، فأخبره بما صنعت لعله يستغفر لك، وإنما يريد بذلك رجاء أن يكون له مخرجا، فأتاه، فقال: يا رسول الله، إني زنيت فأقم علي كتاب الله، فأعرض عنه، فعاد، فقال: يا رسول الله، إني زنيت فأقم علي كتاب الله، فأعرض عنه فعاد، فقال: يا رسول الله، إني زنيت، فأقم علي كتاب الله، حتى قالها أربع مرار، قال ﷺ: «إنك قد قلتها أربع مرات، فبمن؟» قال: بفلانة، فقال: «هل ضاجعتها؟» قال: نعم، قال: «هل باشرتها؟» قال: نعم، قال: «هل جامعتها؟» قال: نعم، قال: فأمر به أن يرجم، فأخرج به إلى الحرة، فلما رجم فوجد مس الحجارة جزع فخرج يشتد، فلقيه عبد الله بن أنيس وقد عجز أصحابه، فنزع له بوظيف بعير فرماه به فقتله،، ثم أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: «هلا تركتموه لعله أن يتوب، فيتوب الله عليه".

(٢) شفاء العليل (١٥٩-١٦٠).

٤/ حديث حجاج آدم وموسى عليهما السلام، فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "احتج آدم وموسى، فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى، اصطفاك الله بكلامه، وخط لك بيده، أتلومني على أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ " فقال النبي ﷺ:"فحج آدم موسى، فحج آدم موسى"[(١)].

وللجواب على هذا الإشكال، أقول:

أولاً: هذا الحديث صحيح وثابت عن الرسول ﷺ .

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:" هذا حديث صحيح متفق على صحته لم تزل الأمة تتلقاه بالقبول من عهد نبيها قرنا بعد قرن وتقابله بالتصديق والتسليم ورواه أهل الحديث في كتبهم وشهدوا به على رسول الله ﷺ أنه قاله وحكموا بصحته"[(٢)].

ثانياً: صحة هذا الحديث لا تعني جواز الاحتجاج بالقدر على المعائب والذنوب، لأنه قد تبين لنا أنه لا يجوز الاحتجاج بالقدر على المعائب والذنوب، وسبب ضلال الفرق هو سوء فهمهم للأدلة، وابتعادهم عن فهم السلف ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " أن الواحد من هؤلاء إما أن يرى القدر حجة للعبد، وإما أن لا يراه حجة للعبد فإن كان القدر حجة للعبد فهو حجة لجميع الناس فإنهم كلهم مشتركون في القدر وحينئذ فيلزم أن لا ينكر على من يظلمه ويشتمه ويأخذ ماله ويفسد حريمه ويضرب عنقه، ويهلك الحرث والنسل وهؤلاء جميعهم كذابون متناقضون؛ فإن أحدهم لا يزال يذم هذا ويبغض هذا ويخالف هذا حتى إن الذي ينكر عليهم يبغضونه ويعادونه وينكرون عليه فإن كان القدر حجة لمن فعل المحرمات وترك الواجبات لزمهم أن لا يذموا أحدا ولا يبغضوا أحدا ولا يقولوا في أحد: إنه ظالم ولو فعل ما فعل.

---

(١) متفق عليه، صحيح البخاري كتاب القدر (باب: تحاجَّ آدم وموسى عند الله) برقم:٦٦١٤، وصحيح مسلم كتاب القدر (باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام) برقم: ٦٧٤٢ .

(٢) شفاء العليل (١٣).

ومعلوم أن هذا لا يمكن أحدا فعله ولو فعل الناس هذا لهلك العالم فتبين أن قولهم فاسد في العقل كما أنه كفر في الشرع وأنهم كذابون مفترون في قولهم: إن القدر حجة للعبد"(١).

ثالثاً: قال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: " أن آدم لم يحتج بالقضاء والقدر على الذنب، وهو كان أعلم بربه وذنبه، بل آحاد بنيه من المؤمنين لا يحتج بالقدر، فإنه باطل. وموسى عليه السلام كان أعلم بأبيه وبذنبه من أن يلوم آدم على ذنب قد تاب منه وتاب الله عليه واجتباه وهداه، وإنما وقع اللوم على المصيبة التي أخرجت أولاده من الجنة، فاحتج آدم بالقدر على المصيبة، لا على الخطيئة، فإن القدر يحتج به عند المصائب، لا عند المعائب. وهذا المعنى أحسن ما قيل في الحديث. فما قدر من المصائب يجب الاستسلام له، فإنه من تمام الرضى بالله ربا، وأما الذنوب فليس للعبد أن يذنب، وإذا أذنب فعليه أن يستغفر ويتوب. فيتوب من المعائب، ويصبر على المصائب"(٢).

وقد ذهب لهذا الرأي جمع من أهل العلم المحققين كالإمام ابن حجر رحمه الله حيث قال:"إن التائب لا يلام على ما تيب عليه منه ولا سيما إذا انتقل عن دار التكليف وقد سلك النووي هذا المسلك فقال معنى كلام آدم أنك يا موسى تعلم أن هذا كتب علي قبل أن أخلق فلا بد من وقوعه ولو حرصت أنا والخلق أجمعون على رد مثقال ذرة منه لم نقدر فلا تلمني فإن اللوم على المخالفة شرعي لا عقلي وإذا تاب الله علي وغفر لي زال اللوم فمن لامني كان محجوجا بالشرع فإن قيل فالعاصي اليوم لو قال هذه المعصية قدرت علي فينبغي أن يسقط عني اللوم قلنا الفرق أن هذا العاصي باق في دار التكليف جارية عليه الأحكام من العقوبة واللوم وفي ذلك له ولغيره زجر وعظة فأما آدم فميت خارج عن دار التكليف مستغن عن الزجر فلم يكن للومه فائدة بل فيه إيذاء وتخجيل"(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/٢٦٣).

(٢) شرح الطحاوية (٨٧).

(٣) فتح الباري (١١/٧٤٨)، وانظر المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي (١٦/١٧٥-١٧٦).

٥/ قوله ﷺ: " لا يرد القدر إلا الدعاء "[١].

هذا جزء من حديثٍ أخرجه ابن ماجة والترمذي في السنن وغيرهما، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها".

والدعاء له مع البلاء ثلاث مقامات، ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله: " **أحدها**: أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه، **الثاني**: أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء، فيصاب به العبد، ولكن قد يخففه، وإن كان ضعيفا، **الثالث**: أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه"[٢].

ومن خلال هذا يتضح أن الدعاء من قضاء الله وقدره، وبين القدر والدعاء علاقة، فالدعاء سببٌ لجلب النفع ودفع الضر كما في هذا الحديث، وهو من الأسباب النافعة التي أمرنا بفعلها.

وينبغي أن يُعلم أن من القدر ما هو ثابت لا يتغير، ومنه ما هو متغير فيه محو.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" قال العلماء: إن المحو والإثبات في صحف الملائكة وأما علم الله سبحانه فلا يختلف ولا يبدو له ما لم يكن عالما به فلا محو فيه ولا إثبات، وأما اللوح المحفوظ فهل فيه محو وإثبات على قولين. والله سبحانه وتعالى أعلم"[٣].

وقال ابن حجر رحمه الله: "إن الذي سبق في علم الله لا يتغير ولا يتبدل وأن الذي يجوز عليه التغيير والتبديل ما يبدو للناس من عمل العامل ولا يبعد أن يتعلق ذلك بما في

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب السنة (بابٌ: في القدر) برقم: ٩٠ واللفظ له، والترمذي في سننه كتاب القدر (باب: ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء) برقم: ٢٢٧٦، قال الألباني: حديث حسن، انظر: (صحيح ابن ماجة ١/ ٤٨) برقم: ٨٩ .

(٢) الداء والدواء (١١).

(٣) مجموع الفتاوى (٤٩٢/١٤).

علم الحفظة والموكلين بالآدمي فيقع فيه المحو والإثبات كالزيادة في العمر والنقص وأما ما في علم الله فلا محو فيه ولا إثبات والعلم عند الله"(١).

فإذا عُلِم هذا، عرف المسلم معنى لا يرد القدر إلا الدعاء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" ومن قال: أنا لا أدعو ولا أسأل اتكالا على القدر كان مخطئا أيضا، لأن الله جعل الدعاء والسؤال من الأسباب التي ينال بها مغفرته ورحمته وهداه ونصره ورزقه، وإذا قدر للعبد خيرا يناله بالدعاء لم يحصل بدون الدعاء وما قدره الله وعلمه من أحوال العباد وعواقبهم فإنما قدره الله بأسباب يسوق المقادير إلى المواقيت فليس في الدنيا والآخرة شيء إلا بسبب والله خالق الأسباب والمسببات"(٢).

وسئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية هذا السؤال(٣):

هل الدعاء يرد القضاء؟

فأجابت:

شرع الله سبحانه الدعاء وأمر به، فقال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ وقال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ ﴾ [البقرة: ١٨٦] ، فإذا فعل العبد السبب المشروع ودعا فإن ذلك من القضاء فهو رد القضاء بقضاء إذا أراد الله ذلك، وقد ثبت في الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال:"إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر"(٤).

وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم".

---

(١) فتح الباري (١١/٧١٤-٧١٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/٦٩-٧٠).

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (١/١٥٩).

(٤) سبق تخريجه.

أما المخالفين لأهل السنة والجماعة في القدر، فإن الدعاء ليس له فائدة ولا أثر.

قال الخطابي رحمه الله: " فقال قوم لا معنى للدعاء ولا طائل له لأن الأقدار سابقة والأقضية متقدمة والدعاء لا يزيد فيها وتركه لا ينقص منها ولا فائدة في الدعاء والمسألة"(١).

ثم بين رحمه الله بطلان مذهب من ذهب إلى أن الدعاء لا فائدة منه فقال:"فأما من ذهب إلى إبطال الدعاء فمذهب فاسد، وذلك أن الله سبحانه أمر بالدعاء وحض عليه، فقال ﴿ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾ [غافر: ٦٠] ، وقال تعالى: ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ ﴾ [الأعراف: ٥٥] ، وقال تعالى: ﴿ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ ﴾[الفرقان: ٧٧]، في آي ذوات عدد في القرآن ؛ ومن أبطل الدعاء، فقد أنكر القرآن ورده، ولا خفاء بفساد قوله، وسقوط مذهبه"(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " الدعاء في اقتضائه الإجابة كسائر الأعمال الصالحة في اقتضائها الإثابة وكسائر الأسباب في اقتضائها المسببات ومن قال: إن الدعاء علامة ودلالة محضة على حصول المطلوب المسئول ليس بسبب أو هو عبادة محضة لا أثر له في حصول المطلوب وجودا ولا عدما ؛ بل ما يحصل بالدعاء يحصل بدونه فهما قولان ضعيفان فإن الله علق الإجابة به تعليق المسبب بالسبب كقوله: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ﴾[غافر: ٦٠] "(٣).

---

(١) شأن الدعاء للخطابي (٦).

(٢) المصدر السابق (٨-٩).

(٣) مجموع الفتاوى (١٩٢/٨-١٩٣).

ومما له علاقة بموضعنا هذا، بعض الألفاظ التي درج عليها عامة الناس، وهي من الأمور المنكرة في هذا الباب، ومن تلك الألفاظ ما يلي:

١/ قول الشاعر أبي القاسم الشابي(١):

إذا الشعب يوماً أراد الحياة ....فلابد أن يستجيب القدر(٢)

وللأسف تلقفها بعض الدعاة وأخذوا يرددونها حتى أصبحت شعاراً لهم ولمن هم دونهم، بل إنا أصبحنا نسمع هذه القصيدة في الإعلام، وهذا أقل ما يقال عنه جهل بالدين.

والمحظور في قوله هذا، هو أنه جعل الإرادة بيد الشعب، وهذا مخالف لقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩].

وسُئل الإمام الألباني رحمه الله عن هذا البيت فقال: " هذا هو الكفر بعينه، وهو يدل على أن الناس ابتعدوا عن العلم، فلم يعرفوا ما يجوز وما لا يجوز لله وحده، وهذه من الغفلة وهي من الأسباب التي جعلت هذا الشاعر يقول ذلك، وأن تتبنى ذلك بعض الإذاعات العربية نشيدا عربيا .!!

وهذا الشاعر يقول :...

فلا بدّ أن يستجيب القدر

---

(١) أبو القاسم بن محمد بن أبي القاسم الشابي شاعر تونسي في شعره نفحات أندلسية ولد في قرية الشابيّة سنة: ١٣٢٤هـ وقرأ العربية بالمعهد الزيتوني وتخرج بمدرسة الحقوق التونسية وعلت شهرته ومات شابا بمرض الصدر سنة: ١٣٥٣ هـ له " ديوان شعر" وكتاب " الخيال الشعري عند العرب " و " آثار الشابي" انظر: (الأعلام ٥/١٨٥).

(٢) مطلع قصيدة إرادة الحياة من ديوان أغاني الحياة للشابي (٢٤٠).

يعني أن القدر تحت مشيئة الشعب، وهذا عكس قول رب العالمين: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ٢٩]، اللهم اهدنا فيمن هديت، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب "(١).

وسُئل الإمام محمد العثيمين رحمه الله عن هذا البيت فأجاب بقوله: "كفر محض، لأنه جعل إرادة الشعب فوق إرادة الله تعالى"(٢).

٢/ قول القائل: (شاءت الظروف أو شاءت الأقدار).

سُئل الإمام ابن باز رحمه الله عن هذا القول فأجاب بقوله: " لا يجوز هذا الكلام شاءت الظروف أو شاءت الأقدار، كل هذا لا يصح، بل يقال: شاء الله سبحانه، شاء ربنا، شاء الرحمن، شاء الملك العظيم، قال جل وعلا: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير: ٢٩]، ولو قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله، المقصود أن المشيئة تنسب إليه سبحانه لا إلى الظروف ولا إلى الأوقات، ولا إلى الأقدار ولا إلى غير هذا من الشؤون لكن تنسب إلى الله وحده سبحانه وتعالى"(٣).

وسُئل الشيخ العثيمين رحمه الله عن هذا القول فأجاب رحمه الله بقوله: "لا يصح أن نقول (شاءت قدرة الله) لأن المشيئة إرادة، والقدرة معنى، والمعنى لا إرادة له، وإنما الإرادة للمريد، والمشيئة لمن يشاء، ولكننا نقول اقتضت حكمة الله كذا وكذا، أو نقول عن الشيء إذا وقع هذه قدرة الله أي مقدوره كما تقول: هذا خلق الله أي مخلوقه. وأما أن نضيف أمرا يقتضي الفعل الاختياري إلى القدرة فإن هذا لا يجوز ومثال ذلك قولهم (شاء القدر كذا وكذا) هذا لا يجوز لأن القدر والقدرة أمران معنويات ولا مشيئة لهما، إنما المشيئة لمن هو قادر ولمن مقدر. والله أعلم"(٤).

---

(١) مجلة الأصالة العدد٧/ ٧١ مسائل وأجوبتها. للعلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني.

(٢) فتاوى في العقيدة (٢/١٥٥٣).

(٣) فتاوى نور على الدرب لابن باز رحمه الله (٤/٢٦٠).

(٤) المناهي اللفظية للعثيمين رحمه الله (٧٧-٧٨).

٣/ قول القائل في دعائه (اللهم إنا لا نسألك رد القضاء ولكن نسألك اللطف فيه).

سئل الشيخ العثيمين رحمه الله عن هذا القول فأجاب بقوله:" هذا الدعاء الذي سمعته، (اللهم إنا لا نسألك رد القضاء، وإنما نسألك اللطف فيه) دعاء محرم لا يجوز، وذلك لأن الدعاء يرد القضاء كما جاء في الحديث: "لا يرد القدر إلا الدعاء"[١].

وأيضاً كأن هذا السائل يتحدي الله يقول: اقض ما شئت ولكن الطف.

والدعاء ينبغي للإنسان أن يجزم به وأن يقول: اللهم إني أسألك أن ترحمني، اللهم إني أعوذ بك أن تعذبني، وما أشبه ذلك، أما أن يقول: لا أسألك رد القضاء، فما الفائدة من الدعاء إذا كنت لا تسأله رد القضاء، والدعاء يرد القضاء، فقد يقضي الله القضاء ويجعل له سبباً يمنع ومنه الدعاء، فالمهم أن هذا الدعاء لا يجوز، ويجب على الإنسان أن يتجنبه وأن ينصح من سمعه بأن لا يدعو بهذا الدعاء"[٢].

وهذا مما دلت عليه السنة النبوية، فعن أنس ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: " إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يقولن: اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له"[٣].

قال الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله: " فإنه -تعالى- لا يليق به ذلك لكمال غناه عن جميع خلقه، وكمال جوده وكرمه، وكلهم فقير إليه، محتاج لا يستغني عن ربه طرفة عين، وعطاؤه كلام"[٤].

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) مجموع فتاوى ورسائل الشيخ العثيمين رحمه الله (٢٤/٥٤-٥٥).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الدعوات (باب: ليعزم المسألة فإنه لا مكره له) برقم: ٦٣٣٨، ومسلم في صحيحة كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (باب: العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت) برقم: ٦٨١١ .

(٤) فتح المجيد (٣٥٥).

الفصل الثالث:

المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى مسائل الإيمان، والصحابة ﭬ، والإمامة.

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى مسائل الإيمان.

المبحث الثاني:

المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى حقوق الصحابة ﭬ .

المبحث الثالث:

المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة للإمامة، ولزوم الجماعة .

تمهيد:

مسائل الإيمان من المسائل التي كثر حولها الكلام، وقد بدأت منذ وقت مبكر في الإسلام وحدث حولها خلاف عظيم، ولعله أول خلاف حدث هو في مسائل الإيمان(١)، لأنه ينبني عليها مسألة الاسم والحكم، والمراد (بالاسم) هو اسم العبد في الدنيا هل هو مسلم أو فاسق أو كافر أو منافق وهكذا، (والحكم) هو حكمه في الآخرة هل هو من أهل الجنة أو من أهل النار، ولذلك أَطّلقَ عليها أهل العلم مسائل الأسماء والأحكام .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " وكلام الناس في هذا الاسم ومسماه كثير، لأنه قطب الدين الذي يدور عليه وليس في القول اسم علق به السعادة والشقاء والمدح والذم والثواب والعقاب أعظم من اسم الإيمان والكفر، ولهذا سمي هذا الأصل (مسائل الأسماء والأحكام)"(٢).

وأما مسائل الصحابة ﭫ، وما لهم من حقوق، فمن المعلوم أنه قد كثر اللغط حولهمﭫ ممن لا يعرف حقوقهم ﭫ من خلال التنقص والازدراء والخوض فيما حصل بينهم ﭫ ومحاولة تحليل ذلك، أو ممن أراد هدم الدين كالرافضة والخوارج والمعتزلة الذين يكفرون بعضاً من الصحابة ﭫ أو أغلبهم ﭫ، فهم حملة هذا الدين والطعن فيهم طعنٌ في الدين.

قال الإمام مالك رحمه الله تعالى:" إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ، فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه، حتى يقال رجل سوء ولو كان رجلا صالحا لكان أصحابه صالحون"(٣).

---

(١) انظر: (مجموع الفتاوى ٤٧٩/٧) و (شرح العقيدة الأصفهانية ١٩٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٥٨/١٣).

(٣) الصارم المسلول (٥٨٠).

وقال الإمام أحمد رحمه الله: "إذا رأيت رجلا يذكر أحدا من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام"[١].

ففرط قوم وأفرط آخرون، وتوسط أهل السنة والجماعة بين المفرط والغالي، فدونوا في عقائدهم ما للصحابة ﷺ من حقوق، كما دل على ذلك القرآن الكريم والسنة النبوية .

ومما له علاقة بهذين المبحثين، مبحث الإمامة، فالمتأمل لهذه المباحث الثلاثة يجدها مترابطة ترابطا وثيقا، فالضلال في مسائل الأسماء والأحكام يقود للضلال في مسائل الصحابة ﷺ ومسائل الإمامة والجماعة.

وفي هذا الفصل سأتناول بإذن الله تعالى المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى مسائل الإيمان ومسائل الصحابة ﷺ وكذلك الإمامة والجماعة من خلال المباحث التالية:

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للألكائي (٥٨٤) برقم: ٢٣٥٩.

المبحث الأول:

المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى مسائل الإيمان.

في هذا المبحث بإذن الله تعالى سأتطرق لأبرز المخالفات الواقعة في مسائل الإيمان، مع بيان وتقرير مذهب السلف حولها، والتعريج على بعض أقوال وتقريرات الفِرق المخالفة من خلال تبنيهم لهذه المخالفات ودعوتهم إليها، وستكون من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول:

المخالفات العقدية في مسمى الإيمان وحقيقته.

الإيمان في اللغة: له معنيان، قال ابن فارس:" الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر: التصديق"[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى أن الإيمان في اللغة هو الإقرار وليس مجرد التصديق، وهذا رأي سديد موفق.

قال رحمه الله: "ومعلوم أن الإيمان هو الإقرار، لا مجرد التصديق، والإقرار ضمن قول القلب الذي هو التصديق، وعمل القلب الذي هو الانقياد"[(٢)].

وفي الاصطلاح: هو اعتقاد القلب وقول اللسان وعمل الجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

---

(١) مقاييس اللغة (١٣٣/١)، وانظر: (الصارم المسلول لابن تيمية ٥١٩) و (تاج العروس ١٨٦/٣٤-١٨٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٦٣٨/٧).

وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة من أن الإيمان هو اعتقاد وقول وعمل، فلا يجزئ أحدهما عن الآخر، وعلى هذا كلام السلف رحمهم الله.

ومما نُقِل عن السلف رحمهم الله تعالى في مسمى الإيمان وحقيقته، ما يلي:

قال الإمام مالك رحمه الله: " الإيمان قول وعمل يزيد وينقص"[(١)].

وقال عبد الله بن المبارك رحمه الله:"الإيمان: قول وعمل، والإيمان يتفاضل"[(٢)].

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: "الإيمان عندنا داخله وخارجه الإقرار باللسان والقول بالقلب، والعمل به"[(٣)].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله: "اعلم – رحمك الله – أن أهل العلم والعناية بالدين افترقوا في هذا الأمر فرقتين: فقالت إحداهما: الإيمان بالإخلاص لله وشهادة الألسنة وعمل. وقالت الفرقة الأخرى: بل الإيمان بالقلوب والألسنة، فأما الأعمال فإنما هي تقوى وبر، وليست من الإيمان. وإنا نظرنا في اختلاف الطائفتين؛ فوجدنا الكتاب والسنة يصدقان الطائفة التي جعلت الإيمان بالنية والقول والعمل جميعاً، وينفيان ما قالت الأخرى"[(٤)].

وقال الإمام أحمد رحمه الله:"الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص "[(٥)].

---

(١) أخرجه الأجري في الشريعة (٨٨) برقم: ٢٤٧، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤٥١) برقم: ١٧٤٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣٢٧/٦).

(٢) أخرجه ابن بطة في الإبانة (٣٩٠/١) برقم: ١١٠٨، و اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤٥٣) برقم: ١٧٤٨، والبيهقي في شعب الإيمان (١٦٩/١) برقم: ٧٦

(٣) أخرجه الخلال في السنة (م٢/ج٤/ص:٣٧) برقم:١١٦٣، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٣٩٠/١) برقم: ١١٠٤

(٤) الإيمان للقاسم بن سلام (٢٩).

(٥) السنة للخلال (م١/ج٣/ ص:٤٦١) برقم: ١٠١٠.

وقال الإمام البخاري رحمه الله: "كتبت عن ألف من العلماء وزيادة، ولم أكتب إلا عمن قال: الإيمان قول وعمل ولم أكتب عن من قال: الإيمان قول"[(١)].

وقال الإمام البربهاري رحمه الله: "الإيمان قول وعمل، وعمل وقول، ونية وإصابة، يزيد وينقص، يزيد ما شاء الله، وينقص حتى لا يبقى منه شيء"[(٢)].

وقال الإمام الآجري رحمه الله: " اعلموا – رحمنا الله وإياكم – أن الذي عليه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق؛ وهو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح. ثم اعلموا: أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق؛ إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزئ معرفة بالقلب، ونطق باللسان؛ حتى يكون عمل بالجوارح؛ فإذا كملت فيه هذه الثلاث خصال: كان مؤمناً، دل على ذلك القرآن والسنة، وقول علماء المسلمين"[(٣)].

وقال الإمام ابن أبي زمنين رحمه الله: "ومن أقوال أهل السنة: أن الإيمان إخلاص لله بالقلوب، وشهادة بالألسنة، وعمل بالجوارح؛ على نية حسنة، وإصابة السنة"[(٤)].

وقال الإمام إسماعيل الصابوني رحمه الله: "ومن مذهب أهل الحديث: أن الإيمان قول وعمل ومعرفة؛ يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية"[(٥)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"ومن أصول أهل السنة: أن الدين والإيمان قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"[(٦)].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٤١٩) برقم: ١٥٩٧ .

(٢) شرح السنة للبربهاري (٥٢).

(٣) الشريعة للأجري (٨٩).

(٤) أصول السنة لابن أبي زمنين (١٦٥).

(٥) عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني (٢٦٤).

(٦) مجموع الفتاوى (٣/١٥١).

ولقد دل القرآن الكريم والسنة النبوية على ذلك، كما نُقل الإجماع عن السلف رحمهم الله تعالى، ومن أدلة القرآن الكريم، ما يلي:

١/ أن الله تعالى قرن الإيمان بالعمل الصالح في آيات كثيرة من كتابه، منها: **قال** تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة: ٢٧٧].

وقال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [يونس: ٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" من الممتنع أن يكون الرجل مؤمنا إيمانا ثابتا في قلبه بأن الله فرض عليه الصلاة والزكاة والصيام والحج ويعيش دهره لا يسجد لله سجدة ولا يصوم من رمضان ولا يؤدي لله زكاة ولا يحج إلى بيته فهذا ممتنع ولا يصدر هذا إلا مع نفاق في القلب وزندقة لا مع إيمان صحيح..."(١).

وقال الشيخ السعدي رحمه الله: "أي جمعوا بين الإيمان، والقيام بموجبه ومقتضاه من الأعمال الصالحة، المشتملة على أعمال القلوب وأعمال الجوارح، على وجه الإخلاص والمتابعة"(٢).

٢/ أن الله تعالى ذكر أن الإيمان يزيد وينقص، فزيادته تكون بالطاعة، ونقصه يكون بالمعصية، وهذا فيه ردٌ على من زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص أو أنه كلي لا يتجزأ، إذا ذهب بعضه ذهب كله، ومن ذلك:

---

(١) مجموع الفتاوى (٦١١/٧).

(٢) تفسير السعدي (٣٣٦).

قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾ [الأنفال: ٢].

وقـــال تعـــالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [الفتح: ٤].

وقال تعالى: ﴿ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾ [المدثر: ٣١].

وأجمع السلف رحمهم الله تعالى على أن الإيمان يزيد وينقص، من ذلك:

قـال الإمـام الشـافعي رحمـه الله تعـالى:" وكـان الإجمـاع مـن الصـحابة والتـابعين مـن بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة بالآخر"[(١)].

ونقـل الإمـام أبـو عبيـد القاسـم بـن سـلام الإجمـاع عـن أكثـر مـن مائـة رجـل مـن الصحابة ﷺ وغيرهم، قال رحمه الله: "فالأمر الذي عليه السنة عندنا ما نص عليه علماؤنا؟ مما اقتصصنا في كتابنا[(٢)] هذا: أن الإيمان بالنية والقول والعمل جميعا، وأنه درجات بعضها فوق بعض... وكلما ازداد لله طاعة وتقوى، ازداد به إيمانا"[(٣)].

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى:" أجمع تسعون رجلا من التابعين وأئمة المسلمين وأئمـة السـلف وفقهـاء الأمصـار عَلَـى أن السـنة الـتي تـوفي عنهـا رَسُـول اللَّـهِ ﷺ أولهـا الرضـا بقضاء اللَّه عزَّ وجلَّ والتسليم لأمره والصبر على حكمه والأخذ بما أمر اللَّه به والانتهاء عما نهي اللَّه عنه والإيمان بالقدر خيره وشره وترك المراء والجدال في الدين والمسح عَلَى الخفين والجهاد مع كل خليفة بر وفاجر والصلاة عَلَى من مات من أهل القبلة والإيمان قول وعمل يَزِيد بالطاعة وينقص بالمعصية..."[(٤)].

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤١٨) برقم: ١٥٩٣، ومجموع الفتاوى (٢٠٩/٧).

(٢) نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في (مجموع الفتاوى ٣٠٩/٧) عن القاسم أبو عبيد أسماء العلماء من أهل الأمصار الذين قالوا بأن الإيمان قول وعمل.

(٣) الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام (٤٨ و ٥١).

(٤) طبقات الحنابلة (٣٤٩/١).

وقال الطبري رحمه الله تعالى:" وأما القول في الإيمان هل هو قول وعمل؟ وهل يزيد وينقص، أم لا زيادة فيه ولا نقصان؟ فإن الصواب فيه قول من قال: هو قول وعمل، يزيد وينقص، وبه جاء الخبر عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعليه مضى أهل الدين والفضل"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" وأجمع السلف أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص"(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله في نونيته(٣):

واشهد عليهم أن إيمان الورى *** قول وفعل ثم عقـــد جنـــان

ويزيد بالطاعات قطعا هكذا *** بالضد يمسي وهو ذو نقصـــان

والله ما إيمان عاصينا كإيمـان *** الأمـين مـــنزل القــــرآن

كلا ولا إيمان مؤمننا كإيمـان *** الـرســول معـلم الإيمــان

واشهد عليهم أنهم لم يخلدوا *** أهل الكـــبائر في حميـــم آن

بل يخرجون بإذنه بشفاعـــة *** وبدونها لمساكن بجنـــــان

ومن السنة النبوية أحاديث كثيرة تدل على دخول الأعمال في مسمى الإيمان وأنها لا تنفك عن الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان، من ذلك:

حديث وفد عبد القيس، عن أبي جمرة(٤)، قال: كنت أقعد مع ابن عباس يجلسني على سريره فقال: أقم عندي حتى أجعل لك سهما من مالي فأقمت معه شهرين، ثم قال: إن وفد عبد القيس لما أتوا النبي ﷺ قال: (من القوم؟ - أو من الوفد؟) قالوا: ربيعة.

---

(١) صريح السنة للطبري (٢٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٦٧٢/٧).

(٣) الكافية الشافية لابن القيم (١٨٤-١٨٥).

(٤) أبو جمرة نصر بن عمران الضبعي البصري أحد الأئمة الثقات حدث عن: ابن عباس، وابن عمر وزهدم الجرمي وعائذ بن عمرو المزني وطائفة وحدث عنه: أيوب السختياني ومعمر وشعبة =

قال: (مرحبا بالقوم، أو بالوفد، غير خزايا ولا ندامى)، فقالوا: يا رسول الله إنا لا نستطيع أن نأتيك إلا في الشهر الحرام، وبيننا وبينك هذا الحي من كفار مضر، فمرنا بأمر فصل، نخبر به من وراءنا، وندخل به الجنة، وسألوه عن الأشربة: فأمرهم بأربع، ونهاهم عن أربع، أمرهم: بالإيمان بالله وحده، قال: (أتدرون ما الإيمان بالله وحده) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تعطوا من المغنم الخمس) ونهاهم عن أربع: (عن الحنتم[١] والدباء[٢] والنقير[٣] والمزفت[٤])، وربما قال: (المقير[٥]) وقال: (احفظوهن وأخبروا بهن من وراءكم)"[٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" فأصل الإيمان في القلب وهو قول القلب وعمله وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد وما كان في القلب فلا بد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه؛ ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه وهي تصديق لما في القلب ودليل

والحمادان وإبراهيم بن طهمان وعباد بن عباد المهلبي وآخرون توفي سنة:١٢٧هـ، انظر: (السير ٦/٧٣).

(١) الحنتم هي الجرار الخضر التي كانت تُحمل فيها الخمر، انظر: (غريب الحديث للقاسم بن سلام ١/١٨١) و (غريب الحديث لابن الجوزي ١/٢٤٦).

(٢) الدباء وهي القرعة ينتبذ فيها فيضرى، انظر: (غريب الحديث لابن الجوزي ١/٣١٩).

(٣) النقير هو أصل النخلة ينقر ثم يجعل كالوعاء ويوضع فيه الشراب، انظر: (غريب الحديث لابن قتيبة ١/٤٦٨) و (غريب الحديث للخطابي ١/٣٦١)

(٤) المزفت وهو الإناء الذي يطلى بالزفت ثم ينتبذ فيه، انظر: (غريب الحديث للقاسم بن سلام٢/١٨٢) و (غريب الحديث لابن الجوزي١/٤٣٧).

(٥) المقير هو الإناء المطلي بالزفت، انظر: (تهذيب اللغة ١٣/١٢٨) و (مشارق الأنوار على صحاح الآثار ٢/١٩٧).

(٦) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الإيمان (باب:أداء الخمس من الإيمان) برقم:٥٣، ومسلم في صحيحة كتاب الإيمان (باب: الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه ...) برقم: ١١٦ .

عليه وشاهد له وهي شعبة من مجموع الإيمان المطلق وبعض له؛ لكن ما في القلب هو الأصل لما على الجوارح"(١).

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:"ومعلوم أنه لم يرد أن هذه الأعمال تكون إيمانا بالله بدون إيمان القلب، لما قد أخبر في مواضع أنه لا بد من إيمان القلب، فعلم أن هذه مع إيمان القلب وهو الإيمان، وأي دليل على أن الأعمال داخلة في مسمى"الإيمان"فوق هذا الدليل؟ فإنه فسر الإيمان بالأعمال، ولم يذكر التصديق، للعلم بأن هذه الأعمال لا تفيد مع الجحود"(٢).

وبوَّب البخاري رحمه الله تعالى في صحيحة بابٌ: من قال أن الإيمان هو العمل، ثم ساق الروايات، ومنها حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ سُئل: أي العمل أفضل؟ فقال: (إيمان بالله ورسوله) قيل: ثم ماذا ؟ قال: (الجهاد في سبيل الله) قيل: ثم ماذا؟ قال: (حج مبرور)"(٣).

قال ابن رجب رحمه الله: "مقصود البخاري بهذا الباب: أن الإيمان كله عمل؛ مناقضة لقول من قال: إن الإيمان ليس فيه عمل بالكلية؛ فإن الإيمان أصله تصديق بالقلب، وقد سبق ما قرره البخاري أن تصديق القلب كسب له وعمل، ويتبع هذا التصديق قول اللسان"(٤).

(١) مجموع الفتاوى (٧/٦٤٤).

(٢) شرح الطحاوية (٢٧٢).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الإيمان (باب: من قال أن الإيمان هو العمل) برقم:٢٦، ومسلم في صحيحة كتاب الإيمان (باب: كون الإيمان بالله أفضل الأعمال) برقم:٢٤٨ .

(٤) فتح الباري لابن رجب (١/٧٩).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان"(١).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "الإيمان بضع وسبعون – أو بضع وستون – شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"(٢).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدا.

ولقد حدث الخلاف في مسمى الإيمان عند الفرق المخالفة لأهل السنة والجماعة بسبب إخراجهم العمل من مسمى الإيمان أو قولهم أن الإيمان كلي لا يتجرأ، إذا ذهب بعضه ذهب كله، أي أنه لا يزيد ولا ينقص.

قال ابن منده رحمه الله في ذكر أقوال الطوائف التي ظلت في هذا الباب:" (قالت طائفة من المرجئة: الإيمان فعل القلب دون اللسان)، وقالت طائفة منهم: (الإيمان فعل اللسان دون القلب، وهم أهل الغلو في الإرجاء)، وقال جمهور أهل الإرجاء: (الإيمان هو فعل القلب واللسان جميعا)، وقالت الخوارج: (الإيمان فعل الطاعات المفترضة كلها بالقلب واللسان وسائر الجوارح)، وقال آخرون: (الإيمان فعل القلب واللسان مع اجتناب الكبائر)"(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" قالت الخوارج والمعتزلة الطاعات كلها من الإيمان فإذا ذهب بعضها ذهب بعض الإيمان فذهب سائره فحكموا بأن صاحب الكبيرة ليس معه شيء من الإيمان.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الإيمان (باب:دعائكم إيمانكم) برقم:٨، ومسلم في صحيحة كتاب الإيمان (باب:بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام) برقم: ١١٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الإيمان (باب: بيان عدد شعب الإيمان...) برقم:١٥٣

(٣) الإيمان لابن منده (٩٠).

وقالت المرجئة الجهمية: ليس الإيمان إلا شيئا واحدا لا يتبعض أما مجرد تصديق القلب كقول الجهمية أو تصديق القلب واللسان كقول المرجئة قالوا: لأنا إذا أدخلنا فيه الأعمال صارت جزءا منه فإذا ذهبت ذهب بعضه فيلزم إخراج ذي الكبيرة من الإيمان وهو قول المعتزلة والخوارج لكن قد يكون له لوازم ودلائل فيستدل بعدمها على عدمه"(١).

وقال رحمه الله:" والمرجئة ثلاثة أصناف الذين يقولون:

الإيمان مجرد ما في القلب ثم من هؤلاء من يدخل فيه أعمال القلوب وهم أكثر فرق المرجئة...

الثاني: من يقول هو مجرد قول اللسان وهذا لا يعرف لأحد قبل الكرامية(٢).

والثالث: تصديق القلب وقول اللسان وهذا هو المشهور عن أهل الفقه والعبادة منهم"(٣).

والفرق التي خالفت أهل السنة والجماعة في هذا الأصل تنقسم إلى قسمين بناءً على ما سبق:

١/ الخوارج والمعتزلة ومن نحا نحوهم:

الخوارج والمعتزلة وافقوا أهل السنة في مسمى الإيمان من حيث أنه قول وعمل واعتقاد، وخالفوهم من حيث أن الإيمان كلٌ لا يتجزأ ولا يتبعض أي: أنه لا يزيد ولا ينقص.

وهذا مخالف للكتاب والسنة والإجماع كما مر معنا في تقرير مذهب أهل السنة والجماعة.

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/٥١٠-٥١١).

(٢) هي فرقة تنسب لمحمد بن كرام يزعمون أن الإيمان هو الإقرار والتصديق باللسان دون القلب، وأنكروا أن تكون معرفة القلب أو شيء غير التصديق باللسان إيمانا، انظر: (مقالات الإسلاميين ٨٦) و (الفرق بين الفِرق ١٧٧) و (الملل والنحل ١٢٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/١٩٥).

فاجتمعوا على أن صاحب الكبيرة خالدٌ مخلدٌ في النار يوم القيامة، واختلفوا في اسمه في الدنيا، فقالت الخوارج هو كافر في الدنيا، وقالت المعتزلة هو في منزلة بين المنزلتين، أي ليس بالمؤمن ولا بالكافر ولكنه فاسق.

ومن النقول عنهم في تقريرهم لهذا الأصل ودعوتهم إليه، ما يلي:

نقل البغدادي قول المعتزلة والخوارج في الإيمان فقال:"فقالت القدرية والخوارج برجوع الإيمان إلى جميع الفرائض مع ترك الكبائر، وافترقوا في صاحب الكبيرة .

فقالت القدرية أنه فاسق لا مؤمن ولا كافر بل هو في منزلة بين المنزلتين، وقالت الخوارج كل من ارتكب ذنبا فهو كافر"[(١)].

وقال الشهرستاني في معرض حديثه عن فرق الخوارج:"ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما، ويقدمون ذلك على كل طاعة، ولا يصححون المناكحات إلا على ذلك، ويكفرون أصحاب الكبائر ويرون الخروج على الإمام إذا خالف السنة:حقا واجبا"[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن الخوارج: "وهم أول من كفر أهل القبلة بالذنوب بل بما يرونه هم من الذنوب واستحلوا دماء أهل القبلة بذلك"[(٣)].

وقال رحمه الله أيضاً: "وأما قول المعتزلة، فالإيمان عندهم جماع الطاعات، ومن قصر منها عن شيء فهو فاسق، لا مؤمن ولا كافر، وهؤلاء هم المتحققون بالاعتزال أصحاب المنزلة بين المنزلتين"[(٤)].

وقال رحمه الله في موضع أخر:"قالت الخوارج والمعتزلة قد علمنا يقيناً أن الأعمال من الإيمان فمن تركها فقد ترك بعض الإيمان، وإذا زال بعضه زال جميعه؛ لأن الإيمان لا يتبعض

---

(١) أصول الدين للبغدادي (٢٤٩).

(٢) الملل والنحل (١٣٣/١).

(٣) مجموع الفتاوى (٤٨١/٧).

(٤) الإيمان لابن تيمية (٢٥٩).

ولا يكون في العبد إيمان ونفاق، فيكون أصحاب الذنوب مخلدين في النار إذ كان ليس معهم من الإيمان شيء"(١).

ويقرر المعتزلة موافقتهم للخوارج في مرتكب الكبيرة وأن الإيمان كلٌّ لا يتجزأ، والاختلاف فقط في مسألة الاسم في الدنيا فهو فاسق عندهم.

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي عند كلامه على الأصل الرابع من أصولهم وهو: المنزلة بين المنزلتين: " اعلم أن هذا الفصل كلام في الأسماء والأحكام ويلقب بالمنزلة بين المنزلتين .

ومعنى قولنا إنه كلام في الأسماء والأحكام، هو أنه كلام في أن صاحب الكبيرة له اسم بين الأسمين وحكم بين الحكمين، لا يكون اسمه الكافر، ولا اسمه المؤمن، وإنما يسمى فاسقاً وكذلك لا يكون حكمه حكم الكافر ولا حكم المؤمن، بل يفرد له حكم ثالث وهذا الحكم الذي ذكرناه هو سبب تلقيب المسألة بالمنزلة بين المنزلتين ..."(٢).

وتفسير الزمخشري المعتزلي (الكشاف) مليء بتقرير مذهب المعتزلة ومنها: (أن صاحب الكبيرة خالد مخلد في النار إن لم يتب)، من ذلك كلامه في تفسير **قوله تعالى**: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٨١].

قال الزمخشري: "ويجوز أن تكون منقطعة (بَلى) إثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله:

﴿ **لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ** ﴾ أي بلى تمسكم أبدا، بدليل قوله: ﴿ **هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ** ﴾.

مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً من السيئات، يعني كبيرة من الكبائر وأَحاطَت بِهِ خَطِيئَتُهُ تلك واستولت عليه، كما يحيط العدوّ ولم يتفص عنها بالتوبة"(٣).

---

(١) المصدر السابق (٤٨/١٣).

(٢) شرح الأصول الخمسة (٦٩٧).

(٣) الكشاف (١٥٨/١).

وتفسيره لقوله تعالى: ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ ﴾[آل عمران: ١٣٧].

حيث قال: " والمعنى: وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهى عنها وبالوعيد عليها، لأنه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح. وفي هذه الآيات بيان قاطع أنّ الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرّون، وأن الجنة للمتقين والتائبين منهم، دون المصرّين"[١].

وقوله: دون المصرّين، أي أن الإصرار يعد عند المعتزلة كبيرة من كبائر الذنوب وفاعل الكبيرة خالد مخلد في النار إن لم يتب منها، وتفسيره مليء بمثل ذلك، بل إنه داعية لمذهب المعتزلة في هذا الكتاب وغيره.

قال الذهبي رحمه الله عن الزمخشري:"صالح، لكنه داعية إلى الاعتزال"[٢].

ومن أسباب ضلال المعتزلة كذلك إيجابهم على الله إنفاذ الوعيد فقالوا:"يجب على الله أن يثيب المطيع ويعاقب مرتكب الكبيرة، فصاحب الكبيرة إذا مات ولم يتب لا يجوز أن يعفو عنه لأنه أوعده بالعقاب على الكبائر وأخبر به فلو لم يعاقب لزم الخلف في وعيده ولأن الطاعات والأمر بها والمعاصي والنهي عنها وضعت لتحقيق غايات، فمن لم يطع فقد أخل بهذه الغايات فاستوجب العقاب "[٣].

وصرح كبار الإباضية الخوارج أن الاختلاف بينهم وبين المعتزلة يعتبر اختلافا لفظياً حيث قالوا: " والخلاف بيننا لفظي، لأنهم خصوا اسم الكفر بالمشرك، ومنعوا إطلاقه على الفاسق، ونحن نطلقه عليه لكن نقيده بكفر النعمة ولا نجري عليه أحكام المؤمنين إلا في

---

(١) المصدر السابق (٤١٧/١).

(٢) ميزان الاعتدال (٧٨/٤).

(٣) ضحى الإسلام لأحمد أمين (٧٣٣/٣-٧٣٤).

الولاية وقبول الشهادة ونحوهما من الأحكام المختصة بالعدول، وليست التسمية بنفسها موجبة خلافا معنويا بين الفرق وإنما الموجب لذلك الخلاف بناء الأحكام على الأسماء"[١].

وبهذا يتبين لنا أن الخوارج والمعتزلة بينهم توافق في هذه المسألة، والخلاف لفظي على حد قولهم، وهو أمر بيِّن لمن تتبع مقالاتهم في مسائل الاسم والحكم.

وممن نحا نحو الخوارج والمعتزلة في أن الإيمان كلٌّ لا يتجزأ: سيد قطب، حيث ذكر ذلك في كتابه الظلال[٢] فقال:"إن الإيمان وحدة لا تتجزأ...".

والدليل على تبنيه هذا المنهج وهذه الدعوة المخالفة لما عليه أهل السنة والجماعة تقريراته في مؤلفاته لهذا الأصل، من ذلك:

قوله أن: "البشرية عادت إلى الجاهلية وارتدت عن لا إله إلا الله، البشرية بجملتها بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلا الله بلا مدلول ولا واقع، وهؤلاء أثقل إثما وأشد عذابا يوم القيامة أنهم ارتدوا إلى عبادة العباد من بعد ما تبين لهم الهدى ومن بعد أن كانوا في دين الله"[٣].

وقوله:"وأخيراً يدخل في إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة، وهذه المجتمعات لا تدخل في هذا الإطار لأنها تعتقد بألوهية أحد غير الله، ولا لأنها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله، ولكنها تدخل في هذا الإطار لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظامها وشرائعها وقيمها وموازينها وعاداتها وتقاليدها وكل مقومات حياتها تقريبا.."[٤].

---

(١) مشارق أنوار العقول للسالمي الإباضي (٢/٢٠٢).

(٢) [٢ / ٧٩٨].

(٣) المرجع السابق (٢/١٠٥٧-١٠٥٨).

(٤) معالم في الطريق (١٢٧).

٢/ المرجئة ومن نحا نحوهم:

معلوم أن المرجئة ليسوا على قول واحد، بل هي فرق تتفاوت، ويختلف مسمى الإيمان وحقيقته من فرقة لأخرى، وأهل الإرجاء قسَّمهم أهل العلم إلى أقسام عدة بحسب مقالاتهم في مسمى الإيمان وحقيقته، وهي كالتالي:

١/ غلاة المرجئة، وهم الجهمية الذين يقولون بأن الإيمان هو مجرد المعرفة فقط.

٢/ الأشاعرة وهم الذين يقولون: الإيمان هو التصديق بالقلب فقط ولو لم ينطق بلسانه لا مجرد المعرفة.

٣/ الكرامية الذين يقولون: إن الإيمان هو النطق باللسان و لو لم يعتقد بقلبه.

٤/ مرجئة الفقهاء الذين يقولون: إن الإيمان قول باللسان و اعتقاد بالقلب و لا تدخل الأعمال في حقيقة الإيمان[(١)].

٥/ وهناك فرقة خامسة ظهرت الآن وهم الذين يقولون: إن الأعمال شرط في كمال الإيمان الواجب أو الكمال المستحب[(٢)].

ولقد ذم السلف رحمهم الله المرجئة، لما في قولهم في مسمى الإيمان من المفاسد العظيمة ولما لها من الآثار الوخيمة، من ذلك:

قال إبراهيم النخعي:" لفتنتهم أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة[(٣)] "[(٤)].

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (٨١-٨٦) والفرق بين الفِرق (١٦٦) والملل والنحل (١/١٦٢) ومجموع الفتاوى (٧/١٩٥-١٩٦).

(٢) التعليق المختصر على القصيدة النونية للفوزان (٢/٦٤٧-٦٤٨).

(٣) هي فرقة من فرق الخوارج تنسب إلى نافع بن الأزرق، انظر: (مقالات الإسلاميين ٥٩) و (الفرق بين الفِرق ٨٤) و (الملل والنحل ١٣٧).

(٤) أخرجه الخلال في السنة (م١/ج٣/ص:٤٤٤) برقم:٩٥١، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١/٤٢٩) برقم:١٢٢١، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤٦٥) برقم:١٨٠٦ .

وقال الزهري:"ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على أهله من الإرجاء"[(١)].

وكان سفيان الثوري في حجره المصحف وهو يقلب الورق فيقول:"ما أحد أبعد منه من المرجئة"[(٢)].

وقال الفضيل:"أهل الإرجاء يقولون: الإيمان قول بلا عمل، وتقول الجهمية: الإيمان المعرفة بلا قول ولا عمل ويقول أهل السنة: الإيمان المعرفة والقول والعمل"[(٣)].

وسئل الإمام أحمد عن الصلاة خلف المرجئ فقال رحمه الله:" إذا كان داعية فلا يصلى خلفه"[(٤)].

فالسلف الصالح رحمهم الله لم يذموا المرجئة إلا لمعرفتهم بفساد قولهم، وهذا يتبين لنا بعد عرض شيءٍ من تقريراتهم في مسمى الإيمان وحقيقته التي خالفوا فيها أهل السنة والجماعة.

وسأعرض بعضاً من تلك التقريرات والنقول عنهم حسب كل فرقة من فرقهم، وهي كالتالي:

١/ الجهمية:

قال أبو الحسن الأشعري عن الجهمية:" يزعمون أن الإيمان بالله هو المعرفة بالله وبرسله وبجميع ما جاء من عند الله فقط وأن ما سوى المعرفة من الإقرار باللسان والخضوع بالقلب والمحبة لله ولرسوله والتعظيم لهما والخوف منهما والعمل بالجوارح فليس بإيمان وزعموا أن الكفر بالله هو الجهل به، وهذا قول حكي عن جهم بن صفوان"[(٥)].

---

(١) أخرجه الأجري في الشريعة (١٠٨) برقم: ٢٩٥، وابن بطة في الإبانة الكبرى (١/٤٣٠) برقم:١٢٢٢.

(٢) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤٦٨) برقم: ١٨٢٩

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (١/٣٤٧) برقم: ٧٤٢.

(٤) أخرجه الخلال في السنة (م٢/ج٤/ص:٣٤) برقم: ١١٤٦

(٥) مقالات الإسلاميين (٨١).

ونقل الشهرستاني قولهم في مسمى الإيمان بأنه:"من أتى بالمعرفة ثم جحد بلسانه لم يكفر بجحده، لأن العلم والمعرفة لا يزولان بالجحد، فهو مؤمن. قال: والإيمان لا يتبعض أي لا ينقسم إلى: عقد، وقول، وعمل. قال: ولا يتفاضل أهله فيه، فإيمان الأنبياء، وإيمان الأمة على نمط واحد إذ المعارف لا تتفاضل، وكان السلف كلهم من أشد الرادين عليه، ونسبته إلى التعطيل المحض"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"والمقصود هنا أن جهما اشتهر عنه بدعتان:

إحداهما: نفي الصفات؛ والثانية: الغلو في القدر والإرجاء، فجعل الإيمان مجرد معرفة القلب"(٢).

فهذه دعوتهم، وهذا قولهم وتقريرهم في مسمى الإيمان وحقيقته، ولا شك أن هذا التقرير الذي تبناه جهم ومن نحا نحوه مخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة، بل تجد كثيرا من السلف يكفر الجهمية لما عندهم من مقالات ضالة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"المشهور من مذهب الإمام أحمد وعامة أئمة السنة تكفير الجهمية وهم المعطلة لصفات الرحمن؛ فإن قولهم صريح في مناقضة ما جاءت به الرسل من الكتاب، وحقيقة قولهم جحود الصانع؛ ففيه جحود الرب وجحود ما أخبر به عن نفسه على لسان رسله، ولهذا قال عبد الله بن المبارك: إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية، وقال غير واحد من الأئمة: إنهم أكفر من اليهود والنصارى - يعنون من هذه الجهة - ولهذا كفروا من يقول: إن القرآن مخلوق، وإن الله لا يرى في الآخرة، وإن الله ليس على العرش، وإن الله ليس له علم ولا قدرة ولا رحمة ولا غضب، ونحو ذلك من صفاته"(٣).

---

(١) الملل والنحل (٩٩/١).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢٩/٨-٢٣٠).

(٣) المصدر السابق (٤٨٥/١٢).

وسئل الشيخ عبد الله[١]، والشيخ إبراهيم[٢] ابنا الشيخ عبد اللطيف، والشيخ سليمان بن سحمان[٣] رحمهم الله تعالى، عن الجهمية؟

فأجابوا: أما الجهمية، فالمشهور من مذهب أحمد وعامة علماء السنة رحمهم الله، تكفيرهم، لأن قولهم صريح في مناقضة ما جاء به الرسل، وأنزلت به الكتب، وحقيقة قولهم: جحود

الصانع، وجحود ما أخبر به عن نفسه، بل وجميع الرسل؛ ولهذا قال الإمام: عبد الله بن المبارك: (إنا لنحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية)[٤].

---

(١) هو الإمام العامل الجليل مفتي الديار النجدية ومحيي الآثار السلفية علامة نجد وزعيمها الإسلامي في زمنه الشيخ عبد الله ابن الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ولد هذا العالم الشهير في مدينة الهفوف بالأحساء سنة:١٢٦٥هـ ونشأ أول ما نشأ بها عند جده لأمه الشيخ عبد الله بن أحمد الوهيبي وقرأ القرآن حتى حفظه نظرا وعن ظهر قلب ثم أتى به والده العلامة الشيخ عبد اللطيف من الأحساء إلي الرياض وهو في الرابعة عشرة من عمره فمكث عند والده وقرأ عليه في التوحيد والفقه الحديث والتفسير، انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم (١٠١/١).

(٢) هو العالم الذكي الورع التقي الشيخ إبراهيم ابن الشيخ عبد اللطيف ابن الشيخ عبد الرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ولد بمدينة الرياض سنة ١٢٨٠ هـ ونشأ بها وقرأ القرآن نظرا وعن ظهر قلب ثم شرع في قراءة العلم على أخيه الشيخ عبد الله ابن الشيخ عبد اللطيف والشيخ حمد بن فارس والشيخ محمد بن محمود، انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم (٩٧/١).

(٣) هو العلامة الشهير صاحب المؤلفات والردود الذي جرد قلمه لنصره الإسلام والنضال عن عقيدة التوحيد الشيخ سليمان سحمان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك بن عامر الخثعمي التبالي العسيري النجدي أصله رحمه الله من تبالة قرية من أعمال بيشة ولد سنة: ١٢٦٨هـ وتوفي سنة: ١٣٤٩هـ، انظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم (٢٠٠/١).

(٤) أخرجه الخلال في السنة (م٢/ج٥/ص:١٨١) برقم:١٦٨٤، والأجري في الشريعة (١٩٤) برقم:٥٧٩، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٣٢١/٢) برقم: ٢٣٤٨، وصححه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (١٣٥/٢).

وبهذا كفروا من يقول: القرآن مخلوق، وإن الله لا يرى في الآخرة، وإن الله ليس على العرش،

وإنه ليس له علم ولا قدرة، ولا رحمة، ولا غضب، ولا غير ذلك من صفاته؛ وهم عند كثير من السلف مثل ابن المبارك، ويوسف ابن أسباط، وطائفة من أصحاب أحمد، ليسوا من الثلاث والسبعين فرقة، وقد بينا لك فيما مضى: أن الإمام أحمد، وأمثاله من أهل العلم والحديث، لا يختلفون في تكفير الجهمية، وأنهم ضلال زنادقة مرتدون؛ وقد ذكر من صنف في السنة: تكفيرهم عن عامة أهل العلم والأثر، كاللالكائي، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة له، وابن أبي ملكية، والخلال في السنة له، وإمام الأئمة ابن خزيمة، قد قرر كفرهم ونقله عن أساطين الأئمة، وقد حكى كفرهم شمس الدين ابن القيم في كافيته، عن خمسمائة من أئمة المسلمين وعلمائهم، فكيف إذا انضاف إلى ذلك كونهم من عباد القبور، وعلى طريقتهم؟ فلا إشكال - والحالة هذه - في كفرهم وضلالهم"[(١)].

ومما لا شك فيه، أن القول بأن الإيمان مجرد المعرفة هو ضلال مبين، تنبني عليه مفاسد عظيمة، تتنافى مع الإسلام جملة وتفصيلا.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله:"وزعمت هذه الفرقة أن الله رضي عنهم بالمعرفة! ولو كان أمر الله ودينه على ما يقول هؤلاء ما عرف الإسلام من الجاهلية، ولا فرقت الملل بعضها من بعض، إذ كان يرضى منهم بالدعوى على قلوبهم، غير إظهار الإقرار بما جاءت به النبوة، والبراءة مما سواها، وخلع الأنداد والآلهة بالألسنة بعد القلوب، ولو كان هذا يكون مؤمنا ثم شهد رجل بلسانه أن الله ثاني اثنين كما يقول المجوس والزنادقة، أو ثالث ثلاثة كقول النصارى، وصلى للصليب، وعبد النيران بعد أن يكون قلبه على المعرفة بالله لكان يلزم قائل هذه المقالة أن يجعله مؤمنا مستكملا الإيمان كإيمان الملائكة والنبيين!

فهل يلفظ بهذا أحد يعرف الله أو مؤمن له بكتاب أو رسول؟ وهذا عندنا كفر لن يبلغه إبليس فمن دونه من الكفار قط!"[(٢)].

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/٤٢٩-٤٣١).

(٢) الإيمان لأبي عبيد (٧٨-٧٩).

ومن تلك المفاسد أيضاً:

١/ أنهم أخرجوا ما في القلوب من حب لله وخشيته ونحو ذلك أن يكون من نفس الإيمان.

٢/ جعلوا ما علم أن صاحبه كافر - مثل إبليس وفرعون واليهود وأبي طالب وغيرهم - أنه إنما كان كافرا؛ لأن ذلك مستلزم لعدم تصديقه في الباطن وهذا مكابرة للعقل والحس، وكذلك جعلوا من يبغض الرسول ويحسده كراهة دينه مستلزما لعدم العلم بأنه صادق ونحو ذلك.

٣/ أنهم جعلوا ما يوجد من التكلم بالكفر من سب الله ورسوله، والتثليث وغير ذلك قد يكون مجامعا لحقيقة الإيمان الذي في القلب، ويكون صاحب ذلك مؤمنا عند الله حقيقة سعيدا في الدار الآخرة، وهذا يعلم فساده بالاضطرار من دين الإسلام.

٤/ أنهم جعلوا من لا يتكلم بالإيمان قط مع قدرته على ذلك ولا أطاع الله طاعة ظاهرة مع وجوب ذلك عليه وقدرته يكون مؤمنا بالله تام الإيمان سعيدا في الدار الآخرة. وهذه الفضائح تختص بها الجهمية دون المرجئة من الفقهاء وغيرهم.

٥/ وهو يلزمهم ويلزم المرجئة أنهم قالوا: إن العبد قد يكون مؤمنا تام الإيمان إيمانه مثل إيمان الأنبياء والصديقين ولو لم يعمل خيرا لا صلاة ولا صلة ولا صدق حديث ولم يدع كبيرة إلا ركبها فيكون الظاهرة لازمة للإيمان الباطن كانت من موجبه ومقتضاه وكان من المعلوم أنها تقوى بقوته وتزيد بزيادته وتنقص بنقصانه فإن الشيء المعلول لا يزيد إلا بزيادة موجبه ومقتضيه ولا ينقص إلا بنقصان ذلك؛ فإذا جعل العمل الظاهر موجب الباطن ومقتضاه لزم أن تكون زيادته لزيادة الباطن فيكون دليلا على زيادة الإيمان الباطن ونقصه لنقص الباطن فيكون نقصه دليلا على نقص الباطن وهو المطلوب. وهذه الأمور كلها إذا تدبرها المؤمن بعقله تبين له أن مذهب السلف هو المذهب الحق؛ الذي لا عدول عنه؛ وأن

من خالفهم لزمه فساد معلوم بصريح المعقول وصحيح المنقول كسائر ما يلزم الأقوال المخالفة لأقوال السلف والأئمة والله أعلم[١].

٢/ الأشاعرة:

وقولهم في مسمى الإيمان مر بعدة مراحل، حيث وافقوا السلف في مراحلهم الأولى، ثم انتقلوا للقول بقول مرجئة الفقهاء، واستقر الأشاعرة في أخر مقالتهم على موافقة الجهمية في مسمى الإيمان وهو قولهم أنه التصديق بالقلب فقط[٢].

وهذا هو الذي يهمنا، أي ما استقر عليه مذهب الأشاعرة في دعوتهم لهذا الأصل وتقريرهم له.

فمن تقريرات علماء الأشعرية في مسمى الإيمان وحقيقته، ما يلي:

قال الأشعري في اللمع[٣]: "وإن قال قائل: ما الإيمان عندكم بالله تعالى ؟

قيل له: هو التصديق بالله، وعلى ذلك اجتماع أهل اللغة التي نزل بها القرآن".

وقال البغدادي: "إن أصل الإيمان المعرفة والتصديق بالقلب"[٤].

وقال الجويني: "فحقيقة الإيمان عندنا التصديق وهو معناه في اللغة واللسان"[٥].

وقال الشهرستاني: "الإيمان هو التصديق بالجنان، وأما القول باللسان والعمل بالأركان ففروعه، فمن صدق بالقلب أي أقر بوحدانية الله تعالى، واعترف بالرسل تصديقا لهم فيما جاءوا به من عند الله تعالى بالقلب صح إيمانه حتى لو مات عليه في الحال كان مؤمنا ناجيا، ولا يخرج من الإيمان إلا بإنكار شيء من ذلك"[٦].

---

(١) مجموع الفتاوى (٥٨٢/٧-٥٨٥).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لا بن تيمية (١٤٣/٧) و (١٧٤/١٣-١٧٥) و (٨٦/٢٠) وكتاب الإيمان له أيضاً (١١٨-١٢٤).

(٣) (١٢٣).

(٤) الفرق بين الفِرق (٢٧٥).

(٥) العقيدة النظامية (٨٤).

(٦) الملل والنحل (١١٤/١).

وقال صاحب الجوهرة في جوهرته(١):

وفُسِّر الإيمان بالتصديق *** والنطق فيه الخلف بالتحقيق

قال الشارح: "وبالجملة فالإيمان شرعا هو التصديق بجميع ما جاء به النبي ﷺ مما علم من الدين بالضرورة إجمالا في الإجمالي وتفصيلا في التفصيلي، وأما لغة فهو مطلق التصديق"(٢).

وقال حسن السقاف في شرحه على الطحاوية:"وقيل: أي وقال جماعة منهم الفخر الرازي، إنه (لا خُلفَ) أي: ليس الخلف بين الفريقين حقيقياً وإنما هو لفظي، لأن ما يدل على أن الإيمان لا يتفاوت مصروف إلى أصله، أعني التصديق، وما يدل على أنه يتفاوت مصروف إلى ما به كماله، وهو الأعمال، فالخلاف في هذه المسألة فرعُ تفسير الإيمان، فإن قلنا هو (التصديق فقط) فلا تفاوت، وإن قلنا (هو الأعمال مع التصديق) فمتفاوت"(٣).

ويؤصل الكوثري في تأنيبه(٤) هذه المخالفة، بل تجده سليط اللسان، سفيه الكلام على الأئمة الأعلام من أهل الحديث والفقه، الذين قالوا بأن الإيمان قول وعمل، فيقول مثلاً عن الإمام البخاري رحمه الله: "ومن الغريب أن بعض من يعدونه من أمراء المؤمنين في الحديث يتبجح قائلاً: إني لم أُخرج في كتابي عمن لا يرى أن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص(٥)، مع أنه أخرج عن غلاة الخوارج ونحوهم في كتابه ...".

وقد رد الإمام المعلمي اليماني(٦) على هذا التأنيب بكتاب وسمه بـ(التنكيل بما في تأنيب الكوثري من أباطيل)، **حيث قال** رحمه الله تعالى:" يرمي الكوثري خيار الأمة الذين

---

(١) شرح جوهرة التوحيد (٦١).

(٢) المصدر السابق (٦٣).

(٣) شرح صحيح الطحاوية للسقاف (٩٢).

(٤) تأنيب الخطيب على ما ساقه في ترجمة أبي حنيفة من الأكاذيب للكوثري (٩١).

(٥) سبق تخريج هذا الأثر عن الإمام البخاري رحمه الله في بداية هذا المطلب (٣٢٩).

(٦) هو عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن أبي بكر المعلمي العتمي اليماني ولد في أول سنة ١٣١٣هـ في في اليمن وكفله والداه وكانا من خيار تلك البيئة وهي بيئة متدينة وصالحة ثم قرأ القرآن على رجل =

قالوا: إن الإيمان قول، وعمل واعتقاد ويزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي قالوا ذلك اتباعاً للنصوص الصريحة المستفيضة من القرآن والسنة بانهم- في سبيل الانحياز الى المعتزلة أو الخوارج متهماً لهم أنهم- يقولون: إن من أخل بشيء من العمل يكون أخل بالإيمان، فبئس ما افتراه عليهم، كبرت كلمة تخرج من فيك يا كوثري، أن يكون خيار الأمة وأكابر الأئمة مالك والشافعي وأحمد والبخاري ومسلم وأبو داود والترمذي ومن قبلهم من التابعين والصحابة ﷺ ومن بعدهم ممن هو على آثارهم، منحازين إلى المعتزلة والخوارج، شاعرين بزعمك- أو غير شاعرين- وهم أعرف الناس بشرور المعتزلة والخوارج وضلالهم، وأنصح الأمة للأمة، بالبعد عن الانحراف عن طريق أهل السنة والجماعة، تشهد بذلك أقوالهم وآثارهم وتعاليمهم، وكتبهم ومجالسهم وتلاميذهم، في كل بلد وفي كل عصر ومصر إلى يوم القيامة"[(١)].

٣/ الكرامية:

وهم الذين يقولون أن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط، وهذا القول لم يُسبقوا إليه من قبل بل إنه لم يعرف إلا عن الكرامية.

قال البغدادي: " إن الكرامية خاضوا في باب الإيمان فزعموا أنه إقرار فرد على الابتداء وإن تكريره لا يكون إيمانا إلا من المرتد إذا أقر به بقدرته وزعموا أيضا أنه هو الإقرار السابق في الذر الأول في طلب النبي ﷺ وهو قولهم بلى وزعموا أن ذلك القول باق أبدا لا يدون إلا بالردة وزعموا أيضا أن المقر بالشهادتين مؤمن حقا وإن اعتقد الكفر بالرسالة وزعموا أيضا أن المنافقين الذين أنزل الله تعالى في تكفيرهم آيات كثيرة كانوا مؤمنين حقا وأن إيمانهم كان كإيمان الأنبياء والملائكة وقالوا في أهل الأهواء من مخالفيهم ومخالفي أهل السنة أن عذابهم في الآخرة غير مؤبد"[(٢)].

من عشيرته وعلى والده قراءة متقنة مجودة وقبل أن يختم القرآن ذهب مع والده إلى (بيت الريمي) حيث كان أبوه يمكث يعلم أولادهم ويصلي بهم، انظر: (من ترجمته في كتابه التنكيل ١/١٦٥).

(١) التنكيل بما في تأنيب الكوثري من أباطيل (١/١١٥-١١٦).

(٢) الفرق بين الفِرق (١٨٢-١٨٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"وأما الكرامية، فلهم في الإيمان قول ما سبقهم إليه أحد، قالوا: هو الإقرار باللسان، وإن لم يعتقد بقلبه"[(١)].

وقال أيضاً رحمه الله: " وكذلك الكرامية باينوا سائر الطوائف في قولهم إن الإيمان هو باللسان، فمن أقر بلسانه كان مؤمنا، وإن جحد بقلبه، قالوا: وهو مؤمن مخلد في النار، فإن هذا لم يقله غيرهم"[(٢)].

وبعد أن ساق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى مقالات الكرامية في الإيمان، ذكر رحمه الله تعالى أنه يلزمهم على ذلك: " أن يكون المؤمن الكامل الإيمان معذبا في النار بل يكون مخلدا فيها، وقد تواتر عن النبي ﷺ أنه يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان[(٣)]، وإن قالوا لا يخلد وهو منافق لزمهم أن يكون المنافقون يخرجون من النار والمنافقون قد قال الله فيهم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥] . وقد نهى الله سبحانه نبيه عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم، وقال له: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴾ [التوبة: ٨٠] وقال: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨٤] وقد أخبر أنهم كفروا بالله ورسوله،

(١) النبوات (٥٨٢/١).

(٢) منهاج السنة النبوية (٥٠٣/٢).

(٣) متفق عليه، صحيح البخاري كتاب الإيمان (باب:زيادة الإيمان ونقصانه) برقم:٤٤، وصحيح مسلم كتاب الإيمان (باب:آخر أهل النار خروجا) برقم:٤٧٨، عن أنس، عن النبي ﷺ قال:"يخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من خير"، قال أبو عبد الله: قال أبان، حدثنا قتادة، حدثنا أنس، عن النبي ﷺ:"من إيمان" مكان "من خير".

فإن قالوا: هؤلاء قد كانوا يتكلمون بألسنتهم سرا فكفروا بذلك وإنما يكون مؤمنا إذا تكلم بلسانه ولم يتكلم بما ينقضه فإن ذلك ردة عن الإيمان، قيل لهم: ولو أضمروا النفاق ولم يتكلموا به كانوا منافقين، قال تعالى: ﴿ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴾ [التوبة: ٦٤] ، وأيضا قد أخبر الله عنهم أنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم وأنهم كاذبون فقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [البقرة: ٨] ، وقال تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ﴾ [المنافقون: ١] .

وقد قال النبي ﷺ: " الإسلام علانية والإيمان في القلب"[(١)]، وقد قال الله تعالى: ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٤] وفي الصحيحين[(٢)] عن سعد:" أن النبي ﷺ أعطى رجالا ولم يعط رجلا. فقلت: يا رسول الله أعطيت فلانا وفلانا وتركت فلانا وهو مؤمن؟ فقال: أو مسلم مرتين أو ثلاثا"[(٣)].

٤/ مرجئة الفقهاء:

وهم الذين يقولون في مسمى الإيمان أنه: تصديق القلب وقول اللسان[(٤)].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند عن أنس ﷺ، برقم: ١٢٣٨١ (٣٧٤/١٩) قال الألباني رحمه الله: ضعيف، انظر: (ضعيف الجامع ٣٣٦ برقم: ٢٢٨٠).

(٢) صحيح البخاري كتاب الإيمان (باب: إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة، وكان على الاستسلام أو الخوف من القتل) برقم: ٢٧، وصحيح مسلم كتاب الإيمان (باب: تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه، والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع) برقم:٣٧٨

(٣) مجموع الفتاوى (٥٦/١٣-٥٧).

(٤) انظر: (الفرق بين الفِرق ١٦٦) و (الفِصل في الملل والنحل٢/٢٥٨) و (الملل والنحل ١٦٤/١) و (مجموع الفتاوى ١٩٥/٧).

وهذا القول ينسب لأبي حنيفة وأصحابه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" وهؤلاء المعروفون مثل حماد بن أبي سليمان وأبي حنيفة وغيرهما من فقهاء الكوفة كانوا يجعلون قول اللسان واعتقاد القلب من الإيمان؛ وهو قول أبي محمد بن كلاب وأمثاله لم يختلف قولهم في ذلك ولا نقل عنهم أنهم قالوا الإيمان مجرد تصديق القلب"(١).

وقال رحمه الله تعالى عند ذكره لقول بعض المرجئة بأن قولهم:"التصديق والقول جميعا موافقة لمن قاله من فقهاء الكوفيين كحماد بن أبي سليمان، ومن اتبعه مثل أبي حنيفة وغيره"(٢).

وقال أيضاً رحمه الله: "وهذه الشبهة التي أوقعتهم مع علم كثير منهم وعبادته وحسن إسلامه وإيمانه ولهذا دخل في (إرجاء الفقهاء) جماعة هم عند الأمة أهل علم ودين. ولهذا لم يكفر أحد من السلف أحدا من (مرجئة الفقهاء) بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال؛ لا من بدع العقائد فإن كثيرا من النزاع فيها لفظي لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب فليس لأحد أن يقول بخلاف قول الله ورسوله لا سيما وقد صار ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام من أهل الإرجاء وغيرهم وإلى ظهور الفسق فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سببا لخطأ عظيم في العقائد والأعمال فلهذا عظم القول في ذم الإرجاء"(٣).

ويُفهم من نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن السلف تبديعهم، وعدم تكفيرهم، وعلى هذا فهي من الفرق المبتدعة.

ومن تقريرات مرجئة الفقهاء ما يلي:

مر معنا سابقاً ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن وقوع كثيرٍ من أصحاب العلم والعبادة في هذه المخالفة، وهي إخراج العمل من مسمى الإيمان(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/٥٠٨).

(٢) الإيمان لابن تيمية رحمه الله (٩٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/٣٩٤).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٧/١٩٤-١٩٥) والإيمان له أيضاً (١٥٤-١٥٥).

ومن أولئك العلماء:

الإمام أبو حنيفة رحمه الله حيث قال: "والإيمان هو الإقرار والتصديق وإيمان أهل السماء والأرض لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن بها ويزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق"[(١)].

قال الشارح علي القاري[(٢)]: " (الإيمان هو الإقرار) أي بلسانه بالتحقيق (والتصديق) أي بالجنان وفق التوفيق وتقديم الإقرار للإشعار بأنه الأول في مقام الإظهار وإن كان الثاني هو المبدوء به في حال الاعتبار ولأن الشارع اكتفى بمجرد الإقرار ولم يفرق في الحكم بين المرافق والمنافق وبين الأبرار والفجار"[(٣)].

والإمام الطحاوي رحمه الله حيث قرر في عقيدته أن الإيمان:"هو الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان وجميع ما صح عن رسول الله ﷺ من الشرع والبيان كله حق"[(٤)].

قال معالي الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله في مقدمة شرحه لهذه العقيدة:" أن هذه العقيدة التي ذكرها الطحاوي رحمه الله بُنِيت على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة، وأبي يوسف، ومحمد بن الحسن.

وهؤلاء عند أهل الحديث والأثر وافقوا السنة والجماعة في أكثر المسائل، لكنهم خالفوهم في أصل عظيم من أصول الدين ألا وهو الإيمان، ولهذا أُطلِق عليهم مرجئة الفقهاء.

---

(١) الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة (٥٥).

(٢) علي بن سلطان محمد نور الدين الملّا الهروي القاري فقيه حنفي من صدور العلم في عصره ولد في هراة وسكن مكة وتوفي بها صنف كتبا كثيرة منها تفسير القرآن والأثمار الجنية في أسماء الحنفية و الفصول المهمة ومنح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر وغيرها، انظر: (الأعلام للزركلي ١٢/٥).

(٣) منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر (٢٥٠-٢٥١).

(٤) شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (٢٥٩-٢٦٠).

فهم مرجئة؛ لأن كلامهم في الإيمان كلام المرجئة؛ لأنهم أرجؤوا العمل عن مسمى الإيمان، وقالوا: (إنّ أهله في أصله سواء)، وقيل لهم: مرجئة الفقهاء؛ لأنهم فقهاء اشتهروا بذلك.

فإذًا يظهر من هذا التقديم أن هذا المؤلَّف مَبْنِيٌّ على كلام أهل السنة والجماعة بعامة، وعلى مذهب مرجئة الفقهاء في الإيمان بخاصة.

وهذا هو الواقع فعلاً؛ فإن كلامه في الإيمان هو كلام المرجئة.

فإذًا قوله: (أهل السنة والجماعة) يدخل فيهم المرجئة؛ مرجئة الفقهاء، وهذا منه يدل على أن مدلول (أهل السنة والجماعة) يشمل أهل الحديث والأثر ويشمل الماتريدية والأشاعرة، وهذا باطل"[(١)].

ويقرر ابن أبي العز الحنفي، في شرحه على الطحاوية ذلك فيقول: "وذهب كثير من أصحابنا إلى ما ذكره الطحاوي رحمه الله: أنه الإقرار باللسان، والتصديق بالجنان"[(٢)].

وعلق الإمام ابن باز رحمه الله على هذا القول والاعتقاد المخالف، فقال:" والمقصود أن أهل السنة والجماعة من الصحابة ومن سلك سبيلهم يقولون إن الإيمان قول وعمل يزيد بالطاعة وينقص بالمعاصي والأدلة من الكتاب والسنة كلها تؤيد هذا وتدل على أن الإيمان يشمل قول القلب وقول اللسان وعمل القلب والجوارح وكلها تسمى إيماناً والآيات من القرآن الكريم واضحة في ذلك كثيرة وكذلك السنة عن النبي ﷺ واضحة في ذلك فإن الله جل وعلا أمر عبادة بالإيمان وفصّله في الآيات في بيان أعمال الإيمان قال جل وعلا: ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾[التغابن:٨]، والنور الذي أنزل فيه الأعمال وفيه الأقوال كلها داخلة فيما أنزل والناس مأمورون بالإيمان بهذا والإيمان بهذا وهكذا الإيمان بكل ما حرم الله وأنه حق كله داخل في الإيمان، قال الله تعالى:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ [النساء

(١) شرح الطحاوية لمعالي الشيخ صالح آل الشيخ (٣٩/١).
(٢) المصدر السابق (٢٦٠).

١٣٦]، فالمقصود أن الإيمان يشمل كل ما أمر الله بالتصديق به ويشمل كل ما نهى الله عنه إيماناً بتحريمه والنهي عنه وهكذا قوله ﷺ: (الإيمان بضع وسبعون شعبة –أو قال- بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)[١].

داخل فيه كل شيء مما شرعه الله وأمر به من قول وعمل وهكذا قوله سبحانه:﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ ﴾ [البقرة ١٤٣]، يعني صلاتكم إلى غير هذا فأهل السنة والجماعة قولهم في هذا هو الصواب وقول الحنفية في هذا ضعيف وإن قالوا إنه متوعد إن عصى وترك الواجب فهو متوعد لكن إخراجهم للأعمال من الإيمان خطأ واضح "[٢].

وقال معالي الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله تعالى في تبيينه لهذه المخالفة وأنها على خلاف مذهب أهل السنة والجماعة:"وهذه الجملة مما وافق فيه المؤلف الطحاوي المرجئة وقرّر فيها عقيدتهم، وطريقة أهل السنة ومذهب أهل الحق خلاف هذا لأدلة كثيرة في هذا الموطن، إذا تبين ذلك من جهة أن الطحاوي في هذا الموطن لم يُقرر عقيدة أهل السنة والجماعة وإنما ذكر معتقد طائفته وهم الحنفية في هذه المسألة وهو قول المرجئة – مرجئة الفقهاء–"[٣].

وهذا القول بلا شك يترتب عليه كثيراً من المفاسد، منها:

١/ أن أول من أحدث الإرجاء هم مرجئة الفقهاء، قال عبد الله بن أحمد:"وصف ذر[٤] الإرجاء وهو أول من تكلم فيه، ثم قال: إني أخاف أن يتخذ هذا دينا، فلما أتته الكتب من الآفاق قال فسمعته يقول بعد: وهل أمر غير هذا "[١].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) التعليقات البازية على شرح الطحاوية (٢/٧٥٠-٧٥١).

(٣) شرح الطحاوية لمعالي الشيخ صالح آل الشيخ (٥٦١/١).

(٤) هو ذر بن عبد الله الهمداني المرهبي الكوفي روى عن سعيد ابن جبير وعبد الله بن شداد روى عنه ابنه عمر ومنصور وقال عبد الله ابن محمد حدثنا أبو أسامة سمع الثوري عن الأعمش: قال ذر: لقد نزعت أشياء أخشى أن تتخذ دينا – يعني المحدث من الرأي، انظر: (التاريخ الكبير للبخاري٣/٢٦٧) و (الثقات لابن حبان ٦/٢٩٥).

فبُني على هذا القول أقوال بقيَّت فرق المرجئة، الجهمية زادوا وغلو، والكرامية والأشاعرة وهكذا، فكانوا سبباً في ظهور هذه المخالفة.

٢/ إخراج العمل من مسمى الإيمان، كان سبباً في قول الجهمية ومن نحا نحوهم بأن الأعمال ليست مطلوبة، وأنها ليست بواجبة.

٣/ قولهم كما مر معنا بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فتح باباً للفساق والعصاة من خلال قولهم بأن إيمان أهل السماء وأهل الأرض واحد[٢].

٥/ من يقول، أن العمل شرط كمال أو شرط صحة[٣]:

وهذا كَثُرَ في هذا الزمن، فقد انتشرت أقوال ومؤلفات لمن يُنسبون إلى أهل السنة والجماعة في هذا الأصل، وقولهم أن العمل شرط صحة أو شرط كمال.

سُئل العلامة صالح الفوزان حفظه الله تعالى عمن يقول: الإيمان قول وعمل واعتقاد ولكنه يجعل العمل شرط صحة أو شرط كمال فيه ؟

فأجاب حفظه الله:

"الذي يقول هذا ما فهم الإيمان، ولا فهم العقيدة ... من الواجب عليه أن يدرس العقيدة على أهل العلم، ويتلقاها من مصادرها الصحيحة، وسيعرف الجواب عن هذا السؤال.

---

(١) السنة لعبدالله بن أحمد (١/٣٣٠) برقم: ٦٧٧ ونقل ذلك أيضا الإمام الذهبي في (ميزان الاعتدال٢/٣٢) عن الإمام أحمد أنه قال عن ذر:" لا بأس به، هو أول من تكلم في الإرجاء "، وذكر ابن تيمية رحمه الله في كتابه الإيمان أن أول من أحدث الإرجاء هو حماد بن سلمة شيخ أبي حنيفة (٩٩).

(٢) بتصرف من شرح الشيخ عبد العزيز الراجحي لكتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام، مفرغاً (٣/١).

(٣) انظر: [ص:٣٤٠] من هذا البحث.

وقوله: (الإيمان قول وعمل واعتقاد)، ثم يقول: (إن العمل شرط في كمال الإيمان وصحته)، هذا تناقض!! كيف يكون العمل من الإيمان ثم يقول: العمل شرط؟ ومعلوم أن الشرط يكون خارج المشروط، فهذا تناقض منه.

وهذا يريد أن يجمع بين قول السلف وقول المتأخرين، وهو لا يفهم التناقض، لأنه لا يعرف قول السلف، ولا يعرف حقيقة قول المتأخرين، فأراد أن يدمج بينهما، فالإيمان قول وعمل واعتقاد، والعمل هو من الإيمان، وهو الإيمان، وليس شرطاً من شروط صحة الإيمان، أو شرط كمال، أو غير ذلك من هذه الأقوال التي يروجونها الآن . فالإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، وهو يزيد وينقص بالمعصية"[(١)].

وبناءً على جهل هؤلاء – هداهم الله – الذين أُبْتُليت الأمة بهم وبكتاباتهم التي تؤصِّل لهذه المخالفة في مؤلفاتهم وفي دعوتهم للناس والتلبيس عليهم بأن هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة فقد وردت أسئلة واستفسارات لأهل العلم والفضل عن تلك المؤلفات الداعية للإرجاء، منها:

السؤال: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فقد اطلعت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، على ما ورد إلى سماحة المفتي العام، من عدد من المستفتين المقيدة استفتاءاتهم بالأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، برقم (٥٤١١) وتاريخ ٧/ ١١/ ١٤٢٠ هـ ورقم (١٠٢٦) وتاريخ ٧/ ٢ / ١٤٢١ هـ، ورقم (١٠١٦) وتاريخ ٧/ ٢/ ١٤٢١ هـ، ورقم (١٣٩٥) وتاريخ ٨/ ١٤٢١/٣ هـ، ورقم (١٦٥٠) وتاريخ ١٧/ ٣/ ١٤٢١ هـ، ورقم (١٨٩٣) وتاريخ ٢٥/ ٣/ ١٤٢١ هـ ورقم (٢١٠٦) وتاريخ ٧/ ٤/ ١٤٢١ هـ.

وقد سأل المستفتون أسئلة كثيرة مضمونها: ظهرت في الآونة الأخيرة فكرة الإرجاء بشكل مخيف، وانبرى لترويجها عدد كثير من الكتاب، يعتمدون على نقولات مبتورة من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، مما سبب ارتباكا عند كثير من الناس في مسمى الإيمان، حيث يحاول هؤلاء الذين ينشرون هذه الفكرة أن يخرجوا العمل عن مسمى الإيمان، ويرون

---

(١) الإجابات المهمة في المشاكل الملمة (١٠٤-١٠٥).

نجاة من ترك جميع الأعمال، وذلك مما يسهل على الناس الوقوع في المنكرات وأمور الشرك وأمور الردة إذا علموا أن الإيمان متحقق لهم، ولو لم يؤدوا الواجبات ويتجنبوا المحرمات، ولو لم يعملوا بشرائع الدين بناء على هذا المذهب، ولا شك أن هذا المذهب له خطورته على المجتمعات الإسلامية وأمور العقيدة والعبادة، فالرجاء من سماحتكم بيان حقيقة هذا المذهب وآثاره السيئة وبيان الحق المبني على الكتاب والسنة، وتحقيق النقل عن شيخ الإسلام، حتى يكون المسلم على بصيرة من دينه.

فأجابت:

هذه المقالة المذكورة هي مقالة المرجئة الذين يخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان، ويقولون الإيمان هو التصديق بالقلب، أو التصديق بالقلب والنطق باللسان فقط، وأما الأعمال فإنها عندهم شرط كمال فيه فقط وليست منه، فمن صدق بقلبه ونطق بلسانه فهو مؤمن كامل الإيمان عندهم، ولو فعل ما فعل من ترك الواجبات وفعل المحرمات، ويستحق دخول الجنة ولو لم يعمل خيرا قط، ولزم على ذلك الضلال لوازم باطلة، منها حصر الكفر بكفر التكذيب والاستحلال القلبي، ولا شك أن هذا قول باطل وضلال مبين مخالف للكتاب والسنة وما عليه أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا، وأن هذا يفتح بابا لأهل الشر والفساد للانحلال من الدين وعدم التقيد بالأوامر والنواهي والخوف والخشية من الله سبحانه، ويعطل جانب الجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،ويسوي بين الصالح والطالح والمطيع والعاصي والمستقيم على دين الله، والفاسق المتحلل من أوامر الدين ونواهيه، ما دام أن أعمالهم هذه لا تخل بالإيمان كما يقولون، ولذلك اهتم أئمة الإسلام قديما وحديثا ببيان بطلان هذا المذهب والرد على أصحابه، وجعلوا لهذه المسألة بابا خاصا في كتب العقائد، بل ألفوا فيها مؤلفات مستقلة كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وغيره، قال شيخ الإسلام رحمه الله في (العقيدة الواسطية)[1]:"ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان

(١) [ص:١١٣].

والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية" . وقال في كتاب (الإيمان)[(١)]:"ومن هذا الباب أقوال السلف وأئمة السنة في تفسير الإيمان، فتارة يقولون: هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية وإتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح. وكل هذا صحيح".

وقال رحمه الله: "والسلف اشتد نكيرهم على المرجئة لما أخرجوا العمل من الإيمان، ولا ريب أن قولهم بتساوي إيمان الناس من أفحش الخطأ، بل لا يتساوى الناس في التصديق ولا في الحب ولا في الخشية ولا في العلم، بل يتفاضلون من وجوه كثيرة"[(٢)].

وقال رحمه الله:"وقد عدلت المرجئة في هذا الأصل عن بيان الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، واعتمدوا على رأيهم وعلى ما تأولوه بفهمهم للغة، وهذه طريقة أهل البدع"[(٣)]. انتهى.

ومن الأدلة على أن الأعمال داخلة في حقيقة الإيمان وعلى زيادته ونقصانه بها، قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال: ٢ - ٤] ، وقوله تعالى:﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [المؤمنون: ١ - ٩] ، وقول الرسول ﷺ: "الإيمان

---

(١) [ص:١٣٧].

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٥٥٥).

(٣) كتاب الإيمان (٩٨).

بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان "[١].

قال شيخ الإسلام رحمه الله في (كتاب الإيمان)[٢] أيضا: "وأصل الإيمان في القلب وهو قول القلب وعمله، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد، وما كان في القلب فلا بد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه؛ ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه، وهي تصديق لما في القلب ودليل عليه وشاهد له، وهي شعبة من الإيمان المطلق وبعض له" .

وقال أيضا:"بل كل من تأمل ما تقوله الخوارج والمرجئة في معنى الإيمان علم بالاضطرار أنه مخالف للرسول، ويعلم بالاضطرار أن طاعة الله ورسوله من تمام الإيمان، وأنه لم يكن يجعل كل من أذنب ذنبا كافرا، ويعلم أنه لو قدر أن قوما قالوا للنبي ﷺ: "نحن نؤمن بما جئتنا به بقلوبنا من غير شك ونقر بألسنتنا بالشهادتين، إلا أنا لا نطيعك في شيء مما أمرت به ونهيت عنه، فلا نصلي ولا نصوم ولا نحج ولا نصدق بالحديث ولا نؤدي الأمانة ولا نفي بالعهد ولا نصل الرحم ولا نفعل شيئا من الخير الذي أمرت به، ونشرب الخمر وننكح ذوات المحارم بالزنا الظاهر، ونقتل من قدرنا عليه من أصحابك وأمتك ونأخذ أموالهم، بل نقتلك أيضا ونقاتلك مع أعدائك. هل كان يتوهم عاقل أن النبي ﷺ يقول لهم: أنتم مؤمنون كاملو الإيمان، وأنتم أهل شفاعتي يوم القيامة ويرجى لكم أن لا يدخل أحد منكم النار، بل كل مسلم يعلم بالاضطرار أنه يقول لهم: أنتم أكفر الناس بما جئت به ويضرب رقابهم إن لم يتوبوا من ذلك"[٣] انتهى.

وقال أيضا: "فلفظ الإيمان إذا أطلق في القرآن والسنة يراد به ما يراد بلفظ البر وبلفظ التقوى وبلفظ الدين كما تقدم، فإن النبي ﷺ بين أن الإيمان بضع وسبعون شعبة، أفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، فكان كل ما يحبه الله يدخل

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) لم أقف عليه نصاً في كتاب الإيمان، ولكن وجدته بنصه في مجموع الفتاوى (٦٤٤/٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨٧/٧).

في اسم الإيمان، وكذلك لفظ البر يدخل فيه جميع ذلك إذا أطلق وكذلك لفظ التقوى، وكذلك الدين أو دين الإسلام، وكذلك روي أنهم سألوا عن الإيمان فأنزل الله هذه الآية: ﴿ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٧٧] . إلى أن قال: والمقصود هنا: أنه لم يثبت المدح إلا على إيمان معه العمل، لا على إيمان خال عن عمل"[١].

فهذا كلام شيخ الإسلام في الإيمان، ومن نقل عنه غير ذلك فهو كاذب عليه.

وأما ما جاء في الحديث أن قوما يدخلون الجنة لم يعملوا خيرا قط[٢]، فليس هو عاما لكل من ترك العمل وهو يقدر عليه، وإنما هو خاص بأولئك لعذر منعهم من العمل، أو لغير ذلك من المعاني التي تتفق مع مقاصد الشريعة.

هذا واللجنة الدائمة إذ تبين ذلك، فإنها تنهى وتحذر من الجدال في أصول العقيدة؛ لما يترتب على ذلك من المحاذير العظيمة، وتوصي بالرجوع في ذلك إلى كتب السلف الصالح وأئمة الدين المبنية على الكتاب والسنة وأقوال السلف، وتحذر من الرجوع إلى الكتب المخالفة لذلك، وإلى الكتب الحديثة الصادرة عن أناس متعالمين لم يأخذوا العلم عن أهله ومصادره الأصيلة، وقد اقتحموا القول في هذا الأصل العظيم من أصول الاعتقاد، وتبنوا مذهب المرجئة ونسبوه ظلما إلى أهل السنة والجماعة، ولبسوا بذلك على الناس، وعززوه عدوانا بالنقل عن شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى- وغيره من أئمة السلف بالنقول المبتورة، وبمتشابه القول وعدم رده إلى المحكم من كلامهم، وإنا ننصحهم أن يتقوا الله في أنفسهم، وأن يثوبوا إلى رشدهم، ولا يصدعوا الصف بهذا المذهب الضال، واللجنة أيضا تحذر المسلمين من الاغترار والوقوع في شراك المخالفين لما عليه جماعة المسلمين أهل السنة والجماعة. وفق الله الجميع للعلم النافع والعمل الصالح والفقه في الدين.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء"[٣].

---

(١) المصدر السابق (١٨١/٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة المجموعة الثانية (١٢٦/٢-١٣٣).

ومن ذلك أيضاً السؤال عن كتاب (حقيقة الإيمان بين غلو الخوارج وتفريط المرجئة) لعدنان عبد القادر الذي ملأه بعقيدة الإرجاء، وأصَّل لها ودعا إليها، وزعم فيه أن العمل شرط كمال.

فقد ورد نص هذا السؤال للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:

يسأل السائل عن كتاب بعنوان: (حقيقة الإيمان بين غلو الخوارج وتفريط المرجئة) لعدنان عبد القادر، نشر جمعية الشريعة بالكويت.

فأجابت: هذا الكتاب ينصر مذهب المرجئة الذين يخرجون العمل عن مسمى الإيمان وحقيقته وأنه عندهم شرط كمال، وأن المؤلف قد عزز هذا المذهب الباطل بنقول عن أهل العلم تصرف فيها بالبتر والتفريق وتجزئة الكلام، وتوظيف الكلام في غير محله والغلط في العزو كما في (ص٩) إذ عزا قولا للإمام أحمد - رحمه الله تعالى - وإنما هو لأبي جعفر الباقر، وجعل عناوين لا تتفق مع ما يسوقه تحتها، منها في (ص ٩) إذ قال: (أصل الإيمان في القلب فقط من نقضه كفر)، وساق نصا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية لا يتفق مع ما ذكره، ومن النقول المبتورة بتره لكلام ابن تيمية (ص ٩) عن (الفتاوى ٧/ ٦٤٤، ٧/ ٣٧٧)، ونقل (ص ١٧) عن (عدة الصابرين) لابن القيم وحذف ما ينقض ما ذهب إليه من الإرجاء، وفي (ص ٣٣) حذف بعض كلام ابن تيمية من (الفتاوى ١١/ ٨٧)، وكذا في (ص ٣٤) من (الفتاوى ٧/ ٦٣٨، ٦٣٩)، وفي (ص ٣٧) حذف من كلام ابن تيمية في (الفتاوى ٧/ ٤٩٤)، وفي (ص ٣٨) حذف تتمة كلام ابن القيم من (كتاب الصلاة ص ٥٩)، وفي (ص ٦٤) حذف تتمة كلام ابن تيمية في (الصارم المسلول ٣/ ٩٦٧-٩٦٩)، وفي (ص ٦٧) حذف تتمة كلام ابن تيمية في (الصارم المسلول ٣/ ٩٧١) . إلى آخر ما في هذا الكتاب من مثل هذه الطوام مما ينصر مذهب المرجئة، وإخراجه للناس باسم مذهب أهل السنة والجماعة؛ لهذا فإن هذا الكتاب يجب حجبه وعدم تداوله، وننصح مؤلفه أن يراجع نفسه وأن يتقي الله بالرجوع إلى الحق والابتعاد عن مواطن الضلالة.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء"[١].

ومن المؤلفات المعاصرة الداعية للإرجاء كذلك، وجاء التحذير منها، كتابي (التحذير من فتنة التكفير) و (صيحة نذير) لجامعهما علي حسن الحلبي.

وورد هذا السؤال على اللجنة الدائمة:

يسأل بعض السائلين عن كتابي (التحذير من فتنة التكفير) و (صيحة نذير) لجامعهما: علي حسن الحلبي، وأنهما يدعوان إلى مذهب الإرجاء من أن العمل ليس شرط صحة في الإيمان، وينسب ذلك إلى أهل السنة والجماعة، ويبنى هذين الكتابين على نقول محرفة عن شيخ الإسلام ابن تيمية، والحافظ ابن كثير وغيرهما رحم الله الجميع، ورغبة الناصحين بيان ما في هذين الكتابين ليعرف القراء الحق من الباطل. . . إلخ.

فأجابت:

بعد دراسة اللجنة للكتابين المذكورين، تبين للجنة أن كتاب (التحذير من فتنة التكفير) جمع علي حسن الحلبي فيما أضافه إلى كلام العلماء في مقدمته وحواشيه يحتوي على ما يأتي:

١/ بناه مؤلفه على مذهب المرجئة البدعي الباطل الذين يحصرون الكفر بكفر الجحود والتكذيب والاستحلال القلبي، كما في (ص ٦ حاشية ٢ ص ٢٢)، وهذا خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة من أن الكفر يكون بالاعتقاد وبالقول وبالفعل وبالشك.

٢/ تحريفه في النقل عن ابن كثير - رحمه الله تعالى- في (البداية والنهاية ١٣/١١٨)، حيث ذكر في حاشية (ص ١٥) نقلا عن ابن كثير: (أن جنكز خان ادعى في الياسق أنه من عند الله، وأن هذا هو سبب كفرهم) وعند الرجوع إلى الموضع المذكور لم يوجد فيه ما نسبه إلى ابن كثير - رحمه الله تعالى-.

٣/ تقوله على شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى- في (ص ١٧ — ١٨) إذ نسب إليه جامع الكتاب المذكور أن الحكم المبدل لا يكون عند شيخ الإسلام كفرا إلا إذا

---

(١) المصدر السابق (٢/١٣٥-١٣٦).

كان عن معرفة واعتقاد واستحلال. وهذا محض تقول على شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله- فهو ناشر مذهب السلف أهل السنة والجماعة، ومذهبهم كما تقدم وهذا إنما هو مذهب المرجئة.

٤/ تحريفه لمراد سماحة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله- في رسالته: (تحكيم القوانين الوضعية)، إذ زعم جامع الكتاب المذكور أن الشيخ يشترط الاستحلال القلبي مع أن كلام الشيخ واضح وضوح الشمس في رسالته المذكورة على جادة أهل السنة والجماعة.

٥/ تعليقه على كلام من ذكر من أهل العلم بتحميل كلامهم ما لا يحتمله كما في الصفحات (١٠٨ حاشية ١، ١٠٩ حاشية ٢١، ١١٠ حاشية ٢) .

٦/ كما أن في الكتاب التهوين من الحكم بغير ما أنزل الله، وبخاصة في (ص٥ ح١)، بدعوى أن العناية بتحقيق التوحيد في هذه المسألة فيه مشابهة للشيعة- الرافضة - وهذا غلط شنيع.

٧/ وبالاطلاع على الرسالة الثانية (صيحة نذير) وجد أنها كمساند لما في الكتاب المذكور- وحاله كما ذكر-. لهذا فإن اللجنة الدائمة ترى أن هذين الكتابين لا يجوز طبعهما ولا نشرهما ولا تداولهما؛ لما فيهما من الباطل والتحريف، وننصح كاتبهما أن يتقي الله في نفسه وفي المسلمين، وبخاصة شبابهم، وأن يجتهد في تحصيل العلم الشرعي على أيدي العلماء الموثوق بعلمهم وحسن معتقدهم، وأن العلم أمانة لا يجوز نشره إلا على وفق الكتاب والسنة، وأن يقلع عن مثل هذه الآراء والمسلك المزري في تحريف كلام أهل العلم، ومعلوم أن الرجوع إلى الحق فضيلة وشرف للمسلم"[١].

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

---

(١) المصدر السابق (٢/١٣٧-١٣٩).

المطلب الثاني:

دعوى أن الإيمان في القلب وعدم تأثير الأعمال فيه.

وهذه المخالفة مبناها على المخالفة في مسمى الإيمان وحقيقته، فمن أخرج الأعمال من مسمى الإيمان وحقيقته فقد ادعى أن الأعمال لا تؤثر في الإيمان واعتقد ذلك، ولهذا ظن المرجئة ومن نحا نحوهم وأخذ وتبنى قولهم، أن الإيمان في القلب الذي هو التصديق، وأن الأعمال لا تؤثر فيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن سبب ضلال المرجئة:" ثالثاً: ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تاما بدون شيء من الأعمال ولهذا يجعلون الأعمال ثمرة الإيمان ومقتضاه بمنزلة السبب مع المسبب ولا يجعلونها لازمة له؛ والتحقيق أن إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة ويمتنع أن يقوم بالقلب إيمان تام بدون عمل ظاهر؛ ولهذا صاروا يقدرون مسائل يمتنع وقوعها لعدم تحقق الارتباط الذي بين البدن والقلب..."(١).

وشبهتهم في ذلك:

١/ أنهم جعلوا الإيمان في الشرع بمعناه في اللغة وهو التصديق:

ويرد عليهم بأن الإيمان ليس مرادفا للتصديق، بل لا بد معه من الإقرار والانقياد.

كما أن التصديق مع العمل يتناولهما اسم الإيمان والإسلام جميعاً وجماع ذلك كله تحت اسم الدين، كما ذكر ذلك **الإمام** البغوي رحمه الله، حيث قال:" والتصديق والعمل يتناولهما اسم الإيمان والإسلام جميعا، يدل عليه قوله سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله تعالى:﴿ وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

(١) مجموع الفتاوى (٧/٢٠٤).

فأخبر أن الدين الذي رضيه ويقبله من عباده هو الإسلام، ولن يكون الدين في محل القبول والرضا إلا بانضمام التصديق إلى العمل"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" فالإيمان في القلب لا يكون إيمانا بمجرد تصديق ليس معه عمل القلب وموجبه من محبة الله ورسوله ونحو ذلك؛ كما أنه لا يكون إيمانا بمجرد ظن وهوى؛ بل لا بد في أصل الإيمان من قول القلب وعمل القلب، وليس لفظ الإيمان مرادفا للفظ التصديق كما يظنه طائفة من الناس؛ فإن التصديق يستعمل في كل خبر فيقال لمن أخبر بالأمور المشهورة مثل: الواحد نصف الاثنين، والسماء فوق الأرض مجيبا: صدقت وصدقنا بذلك؛ ولا يقال: آمنا لك ولا آمنا بهذا حتى يكون المخبر به من الأمور الغائبة فيقال للمخبر آمنا له وللمخبر به آمنا به كما قال إخوة يوسف:﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا ﴾ [يوسف: ١٧] أي بمقر لنا ومصدق لنا لأنهم أخبروه عن غائب ومنه قوله تعالى: ﴿ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾ [الشعراء: ١١١] وقوله تعالى: ﴿ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٦١] وقوله تعالى:﴿ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [المؤمنون: ٤٧] وقوله تعالى:﴿ وَإِن لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ لِي فَٱعۡتَزِلُونِ ﴾ [الدخان: ٢١]، وقال تعالى: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ ﴾ [يونس: ٨٣]أي: أقر له"(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: " الإيمان في اللغة هو: الإقرار المستلزم للقبول والإذعان والإيمان وهو مطابق للشرع وقيل: هو التصديق وفيه نظر؛ لأنه يقال: آمنت بكذا وصدقت فلانا ولا يقال: آمنت فلانا.

(١) شرح السنة للبغوي (١/١٠-١١).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/٥٢٩).

وقيل الإيمان في اللغة الإقرار واستدل القائل لذلك أنه يقال: آمن به وأقر به، ولا يقال: آمنه بمعنى صدقه، فلما لم يتوافق الفعلان في التعدي واللزوم علم أنهما ليسا بمعنى واحد.

فالإيمان في اللغة حقيقة: إقرار القلب بما يرد عليه، وليس التصديق.

وقد يرد الإيمان بمعنى التصديق بقرينة مثل قوله تعالى: ﴿ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ ﴾ [العنكبوت: ٢٦] على أحد القولين مع أنه يمكن أن يقال: فآمن له لوط أي انقاد له - أي إبراهيم - وصدق دعوته.

أما الإيمان في الشرع فهو كما سبق في تعريفه في اللغة.

فمن أقر بدون قبول وإذعان فليس بمؤمن، وعلى هذا فاليهود والنصارى اليوم ليسوا بمؤمنين لأنهم لم يقبلوا دين الإسلام ولم يذعنوا... ومحل الإيمان: القلب واللسان والجوارح، فالإيمان يكون بالقلب، ويكون باللسان، ويكون بالجوارح، أي أن قول اللسان يسمى إيمانا، وعمل الجوارح يسمى إيمانا، والدليل: قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٤٣] قال المفسرون: إيمانكم: أي صلاتكم إلى بيت المقدس"[(١)].

٢/ أن الله فرق بين الإيمان والعمل، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [التوبة: ١٨]، والعطف هنا – بحسب شبهتهم – للمغايرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" وأما قولهم: إن الله فرق بين الإيمان والعمل في مواضع فهذا صحيح، وقد بينا أن الإيمان إذا أطلق أدخل الله ورسوله فيه الأعمال المأمور بها. وقد يقرن به الأعمال وذكرنا نظائر لذلك كثيرة، وذلك لأن أصل الإيمان هو ما في القلب. والأعمال الظاهرة لازمة لذلك. لا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كان لنقص الإيمان الذي في القلب؛ فصار

---

(١) شرح الأربعين النووية للعثيمين (١٦١-١٦٢).

الإيمان متناولا للملزوم واللازم وإن كان أصله ما في القلب؛ وحيث عطفت عليه الأعمال فإنه أريد أنه لا يكتفي بإيمان القلب بل لا بد معه من الأعمال الصالحة"[١].

وقال رحمه الله تعالى في موضع أخر: " أن اسم الإيمان قد يذكر مجردا؛ وقد يذكر مقرونا بالعمل أو بالإسلام. فإذا ذكر مجردا تناول الأعمال كما في الصحيحين: (الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق)[٢] وفيهما أنه قال لوفد عبد القيس: (آمركم بالإيمان بالله أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن تؤدوا خمس ما غنمتم)[٣] وإذا ذكر مع الإسلام -كما في حديث (جبريل أنه سأل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان - فرق بينهما فقال: الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله)[٤] إلى آخره... فلما ذكرهما جميعا ذكر أن الإيمان في القلب والإسلام ما يظهر من الأعمال. وإذا أفرد الإيمان أدخل فيه الأعمال الظاهرة لأنها لوازم ما في القلب؛ لأنه متى ثبت الإيمان في القلب والتصديق بما أخبر به الرسول وجب حصول مقتضي ذلك ضرورة؛ فإنه ما أسر أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه فإذا ثبت التصديق في القلب لم يتخلف العمل بمقتضاه ألبتة فلا تستقر معرفة تامة ومحبة صحيحة ولا يكون لها أثر في الظاهر. ولهذا ينفي الله الإيمان عمن انتفت عنه لوازمه؛ فإن انتفاء اللازم يقتضي انتفاء الملزوم كقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ [المائدة: ٨١] وقوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية ونحوها فالظاهر

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩٨/٧).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

والباطن متلازمان لا يكون الظاهر مستقيما إلا مع استقامة الباطن وإذا استقام الباطن فلا بد أن يستقيم الظاهر"[١].

وقال رحمه الله تعالى:" فإذا قُرِن الإيمان بالعمل، كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾[البقرة: ٢٧٧] ، فقد يُقال: اسم الإيمان لم يدخلْ فيه العمل، وإنْ كان لازمًا له، وقد يقال: بل دخَل فيه، وعُطِف عليه عطفَ العام على الخاص"[٢].

وبيان مقصود شيخ الإسلام رحمه الله هو أن الإيمان أصله في القلب وعمل الجوارح لازم ومستلزم له.

ويدل على ذلك تقريره رحمه الله تعالى لكفر تارك الصلاة، حيث قال:"وأيضا فان الإيمان عند أهل السنة والجماعة قول وعمل كما دل عليه الكتاب والسنة واجمع عليه السلف وعلى ما هو مقرر في موضعه فالقول تصديق الرسول والعمل تصديق القول فإذا خلا العبد عن العمل بالكلية لم يكن مؤمنا .

والقول الذي يصير به مؤمن قول مخصوص وهو الشهادتان فكذلك العمل هو الصلاة ... وأيضا فإن حقيقة الدين هو الطاعة والانقياد وذلك إنما يتم بالفعل لا بالقول فقط، فمن لم يفعل لله شيئا فما دان لله دينا، ومن لا دين له فهو كافر"[٣].

وذكر الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى أن الإيمان الباطن الذي هو الأصل، لابد وأن يكون له تأثير على الظاهر الذي هو العمل، أي إن تخلف العمل الظاهر فهو دليلٌ على فساد الباطن وخلوه من الإيمان، **فقال** رحمه الله: "الإيمان له ظاهر وباطن، وظاهره قول اللسان وعمل الجوارح وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبته فلا ينفع ظاهر لا باطن له وان حقن به الدماء وعصم به المال والذرية .

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/٢٧١-٢٧٢).

(٢) المصدر السابق (٧/٥٥٥).

(٣) شرح العمدة لابن تيمية (٨٦).

ولا يجزىء باطن لا ظاهر له إلا إذا تعذر بعجز أو إكراه وخوف هلاك فتخلف العمل ظاهرا مع عدم المانع دليل علي فساد الباطن وخلوه من الإيمان، ونقصه دليل نقصه، وقوته دليل قوته.

فالإيمان قلب الإسلام ولبه، واليقين قلب الإيمان ولبه، وكل علم وعمل لا يزيد الإيمان واليقين قوة فمدخول وكل إيمان لا يبعث على العمل فمدخول"(١).

وقال أيضاً رحمه الله: "فإذا كان الإيمان يزول بزوال عمل القلب فغير مستنكر أن يزول بزوال أعظم أعمال الجوارح، ولا سيما إذا كان ملزوماً لعدم محبة القلب وانقياده الذي هو ملزوم لعدم التصديق الجازم كما تقدم تقريره، فإنه يلزم من عدم طاعة القلب عدم طاعة الجوارح ،إذ لو أطاع القلب وانقاد أطاعت الجوارح وانقادت، ويلزم من عدم طاعته وانقياده عدم التصديق المستلزم للطاعة وهو حقيقة الإيمان.فإن الإيمان ليس مجرد التصديق وإنما هو التصديق المستلزم للطاعة والانقياد وهكذا الهدى ليس هو مجرد معرفة الحق وتبينه بل هو معرفته المستلزمة لإتباعه والعمل بموجبه وإن سمي الأول هدى فليس هو الهدى التام المستلزم للاهتداء كما أن اعتقاد التصديق وإن سمي تصديقا فليس هو التصديق المستلزم للإيمان فعليك بمراجعة هذا الأصل ومراعاته "(٢).

٣/ أن الله خاطب الإنسان بالإيمان قبل وجود الأعمال(٣) فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ ﴾[المائدة: ٦] . وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ ﴾ [الجمعة: ٩].

وأجاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى على هذه الشبهة بقوله:"إن قلتم: إنهم خوطبوا به قبل أن تجب تلك الأعمال فقبل وجوبها لم تكن من الإيمان وكانوا مؤمنين

---

(١) الفوائد (٨٨-٨٩).

(٢) الصلاة وأحكام تاركها لابن القيم (٣٨).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٧/١٩٥).

الإيمان الواجب عليهم قبل أن يفرض عليهم ما خوطبوا بفرضه فلما نزل إن لم يقروا بوجوبه لم يكونوا مؤمنين ولهذا قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧]، ولهذا لم يجئ ذكر الحج في أكثر الأحاديث التي فيها ذكر الإسلام والإيمان كحديث وفد عبد القيس(١) وحديث ضمام بن ثعلبة(٢) وغيرهما وإنما جاء ذكر الحج في حديث ابن عمر(٣) وجبريل(٤) وذلك لأن الحج آخر ما فرض من الخمس فكان قبل فرضه لا يدخل في الإيمان والإسلام فلما فرض أدخله النبي ﷺ في الإيمان إذا أفرد وأدخله في الإسلام إذا قرن بالإيمان وإذا أفرد..."(٥).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الإيمان (باب: الزكاة من الإسلام ...) برقم:٤٦ من حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس، يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: "خمس صلوات في اليوم والليلة". فقال: هل علي غيرها؟ قال: "لا، إلا أن تطوع". قال رسول الله ﷺ: "وصيام رمضان". قال: هل علي غيره؟ قال: "لا، إلا أن تطوع". قال: وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، قال: هل علي غيرها؟ قال: "لا، إلا أن تطوع". قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله ﷺ: "أفلح إن صدق".

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) الإيمان لابن تيمية (١٥٦-١٥٧) ومجموع الفتاوى (١٩٧/٧).

المطلب الثالث:

تكفير أصحاب الكبائر.

الكبائر في اللغة: "جمع كبيرة، وهي الفعلة القبيحة من الذنوب المنهي عنها شرعا، العظيم أمرها كالقتل والزنا والفرار من الزحف وغير ذلك"(١).

وفي الاصطلاح: ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "الكبيرة هي كل ذنب ختمه الله بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب"(٢).

والذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر، دل على ذلك الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة.

فمن أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ [النجم: ٣٢].

قال ابن كثير رحمه الله: "إذا اجتنبتم كبائر الآثام التي نهيتم عنها كفرنا عنكم صغائر الذنوب وأدخلناكم الجنة"(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٩].

---

(١) لسان العرب (١٢٩/٥).

(٢) انظر: (تفسير الطبري ٧٧٥/٣) و (تفسير القرطبي ٢٦٣/٦) و (تفسير ابن كثير ٤٤٠/١).

(٣) تفسير ابن كثير (٤٣٥/١).

قال الطبري رحمه الله:" يعني أنهم يقولون إذا قرءوا كتابهم، ورأوا ما قد كُتب عليهم فيه من صغائر ذنوبهم وكبائرها، نادوا بالويل حين أيقنوا بعذاب الله، وضجوا مما قد عرفوا من أفعالهم الخبيثة التي قد أحصاها كتابهم، ولم يقدروا أن ينكروا صحتها"(١).

وقال ابن كثير رحمه الله:" أي: لا يترك ذنبا صغيرا ولا كبيرا ولا عملا وإن صغر ﴿إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا ﴾ أي: ضبطها، وحفظها"(٢).

وقال الشيخ الشنقيطي(٣) رحمه الله تعالى:" أي: أي شيء ثبت لهذا الكتاب لا يغادر أي: لا يترك صغيرة ولا كبيرة أي: من المعاصي، وقول من قال: الصغيرة القبلة، والكبيرة الزنا، ونحو ذلك من الأقوال في الآية إنما هو على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر، وللعلماء اختلاف كثير في تعريف الكبيرة معروف في الأصول. وقد صرح تعالى بأن المنهيات منها كبائر، ويفهم من ذلك أن منها صغائر، وبين أن اجتناب الكبائر يكفر الله به الصغائر ؛ وذلك في قوله: ﴿ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ ﴾ "(٤).

---

(١) تفسير الطبري (٦٠٧/٧).

(٢) المصدر السابق (١١٣٣/٣).

(٣) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي مفسر مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا) ولد وتعلم بها وحج في عام:١٣٦٧هـ واستقر مدرسا في المدينة المنورة ثم الرياض وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة عام: ١٣٨١هـ وتوفي بمكة سنة: ١٣٩٣هـ، انظر: (الأعلام ٤٥/٦-٤٦).

(٤) أضواء البيان (١٠٥/٤-١٠٦).

ومن السنة النبوية:

دلت السنة النبوية على أن الذنوب تنقسم إلى كبائر وصغائر، من ذلك:

حديث أنس ﷺ قال: ذكر رسول الله ﷺ الكبائر، أو سئل عن الكبائر فقال:"الشرك بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، فقال: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قال: قول الزور، أو قال: شهادة الزور"[١].

وعن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ كان يقول:"الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات ما بينهن إذا اجتنب الكبائر"[٢].

قال الإمام النووي رحمه الله: " وتنقسم – المعاصي – باعتبار ذلك إلى ما تكفره الصلوات الخمس أو صوم رمضان أو الحج أو العمرة أو الوضوء أو صوم عرفة أو صوم عاشوراء أو فعل الحسنة أو غير ذلك مما جاءت به الأحاديث الصحيحة وإلى ما لا يكفره ذلك..."[٣].

ونقل أيضاً رحمه الله مذهب جماهير السلف والخلف في تقسيم المعاصي إلى صغائر وكبائر فقال رحمه الله: "ذهب الجماهير من السلف والخلف من جميع الطوائف إلى انقسام المعاصي إلى صغائر وكبائر وهو مروى أيضا عن بن عباس رضي الله عنهما وقد تظاهر على ذلك دلائل من الكتاب والسنة واستعمال سلف الأمة وخلفها"[٤].

ونقل الإمام ابن القيم رحمه الله الإجماع على ذلك فقال:"دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين بعدهم والأئمة، على أن من الذنوب كبائر وصغائر"[٥].

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الأدب (باب: عقوق الوالدين من الكبائر) برقم: ٥٩٧٧، ومسلم في صحيحة كتاب الإيمان (باب: بيان الكبائر وأكبرها) برقم:٢٦٠.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الطهارة (باب: الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر) برقم: ٥٥٠.

(٣) المنهاج بشرح صحيح مسلم (٧٥/٢).

(٤) المصدر السابق نفسه .

(٥) الجواب الكافي أو الداء والدواء (١٩٢).

وقال أيضاً رحمه الله تعالى:" والمعصية نوعان: كبائر، وصغائر"[(١)].

وبعد هذا البيان في معتقد أهل السنة والجماعة في أن الذنوب والمعاصي تنقسم إلى كبائر وصغائر، فإن علاقته بمسألة التكفير علاقة وثيقة، من حيث أن أشهر من عُرِف عنهم هذا القول: الخوارج والمعتزلة، قد زلوا وضلوا في هذا الأصل، وقالوا إن: "الطاعة كلها من الإيمان فإذا ذهب بعض الإيمان ذهب سائره، فحكموا بأن صاحب الكبيرة ليس معه شيء من الإيمان"[(٢)].

وعلى هذا المعتقد الفاسد، بُنِيَ القول بالتكفير لأصحاب الذنوب والمعاصي.

وعقيدة أهل السنة والجماعة في مرتكب الكبيرة، إن مات عليها، فهو تحت المشيئة إن شاء الله سبحانه وتعالى عذبه، وإن شاء غفر له، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨].

وعن عبادة بن الصامت ﷺ، قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: " أتبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تزنوا، ولا تسرقوا، وقرأ آية النساء – وأكثر لفظ سفيان: قرأ الآية – فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو كفارة له، ومن أصاب منها شيئا من ذلك فستره الله، فهو إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له"[(٣)].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال، قال رسول الله ﷺ: "يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من

---

(١) مدارج السالكين (٨٧).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٧/ ٥١٠).

(٣) متفق عليه، صحيح البخاري كتاب التفسير (باب: قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ ﴾) برقم: ٤٨٩٤، وصحيح مسلم كتاب الحدود (باب: الحدود كفارات لأهلها) برقم: ٤٤٦١

خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير "[١].

وعن أبي سعيد الخدري ﵁ عن النبي ﷺ قال:"يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فيخرجوا منها قد اسودوا فيلقون في نهر الحيا أو الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية "[٢].

فهذه الأدلة كلها تدل على أن صاحب الكبيرة، تحت المشيئة إن شاء الله سبحانه عذبه وإن شاء غفر له، كما أن فيها دلالة واضحة على عِظَم أمر التوحيد، وأنه منجيٍ من الخلود في النار بإذن الله .

قال الطبري رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٤٨].

" وقد أبانت هذه الآية أنّ كل صاحب كبيرة ففي مشيئة الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه عليه، ما لم تكن كبيرة شركًا بالله"[٣].

وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة رحمهم الله تعالى، **قال** البغوي رحمه الله:" اتفق أهل السنة على أن المؤمن لا يخرج عن الإيمان بارتكاب شيء من الكبائر إذا لم يعتقد إباحتها، وإذا عمل شيئا منها، فمات قبل التوبة، لا يخلد في النار، كما جاء به الحديث، بل هو إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه بقدر ذنوبه، ثم أدخله الجنة برحمته"[٤].

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الإيمان (باب: تفاضل أهل الإيمان في الأعمال) برقم: ٢٢.

(٣) تفسير الطبري (٨٩١/٣).

(٤) شرح السنة للبغوي (١٠٣/١).

وقد نقل الإجماع على ذلك **الإمام** النووي رحمه الله حيث قال: " أن مذهب أهل الحق أن من مات على التوحيد مصرا على الكبائر فهو إلى الله تعالى إن شاء عفا عنه فأدخله الجنة أولا وإن شاء عاقبه ثم أدخله الجنة والله أعلم"[١].

وقال أيضاً رحمه الله عند قوله تعالى:: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء: ٤٨].

"وفي هذا دلالة لمذهب أهل الحق وما أجمع عليه السلف أنه لا يخلد في النار أحد مات على التوحيد والله أعلم"[٢].

وممن نقل الإجماع أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، قال:"ونصوص الكتاب والسنة مع اتفاق سلف الأمة وأئمتها متطابقة على أن مِن أهل الكبائر من يُعذب وأنه لا يبقى في النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان"[٣].

أما ما ذكره السلف في عقائدهم من القول بعدم تكفير أصحاب الكبائر فهو متواتر عن الأئمة الأعلام، من ذلك:

قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله:" ولا نكفر مسلما بذنب من الذنوب وإن كانت كبيرة إذا لم يستحلها ولا نزيل عنه اسم الإيمان ونسميه مؤمنا حقيقة ويجوز ان يكون مؤمنا فاسقا غير كافر"[٤].

وقال الإمام أحمد رحمه الله:" هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقها المعروفين بها المقتدي بهم فيها من لدن أصحاب النَّبِيّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إلى يومنا هذا وأدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها

---

(١) المنهاج بشرح صحيح مسلم (١٨/٢).

(٢) المصدر السابق (٥٥/٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١٩٢/١٨).

(٤) الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة (٤٣).

فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة زائل عَنْ منهج السنة وسبيل الحق.

فكان قولهم إن الأيمان قول وعمل ونية وتمسك بالسنة والإيمان يزيد وينقص ويستثنى فِي الإيمان غير أن لا يكون الاستثناء شكا إنما هي سنة ماضية عند العلماء... والكف عَنْ أهل القبلة ولا تكفر أحدًا منهم بذنب ولا تخرجه من الإسلام بعمل إلا أن يكون فِي ذلك حديث فيروى الحديث كما جاء وكما روى وتصدقه وتقبله وتعلم أنه كما روي نحو ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر والخروج من الإسلام فاتبع الأثر فِي ذلك ولا تجاوزه"(١).

وقال الطحاوي رحمه الله:" ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله"(٢).

وأخرج اللالكائي عن أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم ، قال: سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين ، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار ، وما يعتقدان من ذلك ، فقالا: " أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقا وشاما ويمنا فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته ، والقدر خيره وشره من الله عز وجل... ولا نكفر أهل القبلة بذنوبهم ، ونكل أسرارهم إلى الله عز وجل"(٣).

وقال الإمام الصابوني رحمه الله:" ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوبا كثيرة صغائر كانت أو كبائر فإنه لا يكفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها ومات على التوحيد والإخلاص فإن أمره إلى الله عز وجل إن شاء عفا عنه وأدخله الجنة يوم القيامة سالما غانما غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه من الذنوب واكتسبه ثم استصحبه

---

(١) طبقات الحنابلة (١/٥٥ و ٥٩).

(٢) العقيدة الطحاوية (٢٤٥) .

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨٦-٨٧) برقم: ٣٢١.

إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عاقبه وعذبه مدة بعذاب النار وإذا عذبه لم يخلده فيها بل أعتقه وأخرجه منها إلى نعيم دار القرار"(١).

وقال ابن قدامة المقدسي رحمه الله:" ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه عن الإسلام بعمل"(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " ومن أصول أهل السنة: أن الدين والإيمان قول وعمل: قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج؛ بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي كما قال سبحانه في آية القصاص: ﴿ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقال: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾ [الحجرات: ٩ – ١٠]، ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان في مثل قوله تعالى﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء: ٩٢]"(٣).

وقال الإمام الذهبي رحمه الله:" ولا نكفر أحدا من أهل القبلة وإن عمل الكبائر إلا إن استحلوها"(٤).

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٧٦).

(٢) لمعة الاعتقاد (٤٦).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/١٥١).

(٤) الكبائر للذهبي (١١٠).

وقال ابن أبي العز الحنفي رحمه الله:" أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفراً ينقل عن الملة بالكلية، كما قالت الخوارج"[١].

وقد خالفت الخوارج والمعتزلة أهل السنة والجماعة في هذا الأصل، وتبنوه عقيدةً ودعوةً.

نقل الشهرستاني سبب اعتزال مؤسس المعتزلة واصل بن عطاء لمجلس الحسن البصري رحمه الله، فقال رحمه الله:" القول بالمنزلة بين المنزلتين، والسبب فيه أنه دخل واحد على الحسن البصري فقال: يا إمام الدين، لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر والكبيرة عندهم كفر يخرج به عن الملة؛ وهم وعيدية الخوارج. وجماعة يرجئون أصحاب الكبائر، والكبيرة عندهم لا تضر مع الإيمان، بل العمل على مذهبهم ليس ركنا من الإيمان، ولا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم مرجئة الأمة. فكيف تحكم لنا في ذلك اعتقادا؟

فتفكر الحسن في ذلك، وقبل أن يجيب قال واصل بن عطاء: أنا لا أقول إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلقا، ولا كافر مطلقا، بل هو في منزلة بين المنزلتين: لا مؤمن ولا كافر. ثم قام واعتزل إلى أسطوانة من أسطوانات المسجد يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن"[٢].

وقال العمراني اليماني رحمه الله عن المعتزلة:" ثم لما اعتزلت المعتزلة بقول واصل بن عطاء في مرتكب الكبيرة بأنه في منزلة بين المنزلتين انضم إليه عمرو بن عبيد فضموا إلى بدعتهم في الإيمان وإنكَارَهم خروج أحد من النار وخلود أهل الكبائر في النار وإنفاذ الوعيد إنكارهم للقدر"[٣].

---

(١) شرح الطحاوية (٢٤٩).

(٢) الملل والنحل (١/٦١-٦٢).

(٣) الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (١/٦٤).

أما دعوتهم لهذا الأصل فهي ظاهرة بينه، من ذلك:

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي:"إن المكلف لا يخلو؛ إما أن يكون من أهل الثواب، أو يكون من أهل العقاب.

فإن كان من أهل الثواب، فلا يخلو؛ إما أن يكون مستحقاً للثواب العظيم أو مستحقا لثواب غير ذلك".

وقال: " فحصل من هذه الجملة أن صاحب الكبيرة لا يسمى مؤمنا ولا كافرا ومنافقا بل فاسقا"[(١)].

وقال أيضاً: "صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين، وحكم بين الحكمين، لا يكون اسمه اسم الكافر، ولا اسمه اسم المؤمن، وإنما يسمّى فاسقًا، وكذلك فلا يكون حكمه حكم الكافر، ولا حكم المؤمن؛ بل يفرد له حكم ثالث، وهذا الحكم الذي ذكرناه هو سبب تلقيب المسألة بالمنزلة بين المنزلتين"[(٢)].

وأما الخوارج فقد اشتُهِرَ عنهم هذا الأصل، فبوَّب أهل الحديث[(٣)] أبواباً عن الخوارج وصفاتهم، ذكر الإمام مسلم رحمه الله في صحيحة (بابٌ في ذكر الخوارج وصفاتهم)، ثم ساق الروايات ومنها ما رواه أبي سعيد الخدري ﷺ قال: بعث علي ﷺ ، إلى النبي ﷺ بذهيبة فقسمها بين الأربعة الأقرع بن حابس الحنظلي، ثم المجاشعي، وعيينة بن بدر الفزاري، وزيد الطائي، ثم أحد بني نبهان، وعلقمة بن علاثة العامري، ثم أحد بني كلاب، فغضبت

---

(١) شرح الأصول الخمسة (١٣٩-١٤٠).

(٢) المصدر السابق (٦٩٧).

(٣) بوَّب ابن أبي شيبة في مصنفه (باب ما ذكر في الخوارج)، وابن حبان في صحيحة (ذكر الإخبار بأن الحرورية هم من شرار الخلق عند الله جل وعلا) والبخاري في صحيحة (باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم)، وابن ماجة في سننه (باب ذكر الخوارج)، وأبي داود في سننه (باب في قتل الخوارج)، والأجري في الشريعة (باب ذم الخوارج وسوء مذاهبهم ، وإباحة قتالهم وثواب من قتلهم أو قتلوه)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (سياق ما روي عن النبي ﷺ في الخوارج).

قريش، والأنصار، قالوا: يعطي صناديد أهل نجد ويدعنا، قال: (إنما أتألفهم). فأقبل رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتئ الجبين، كث اللحية محلوق، فقال: اتق الله يا محمد، فقال: (من يطع الله إذا عصيت؟ أيأمنني الله على أهل الأرض فلا تأمنوني) فسأله رجل قتله، - أحسبه خالد بن الوليد - فمنعه، فلما ولى قال:" إن من ضئضئ هذا، أو: في عقب هذا قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد"[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"ولهم خاصتان مشهورتان فارقوا بهما جماعة المسلمين وأئمتهم: أحدهما: خروجهم عن السنة وجعلهم ما ليس بسيئة سيئة أو ما ليس بحسنة حسنة وهذا هو الذي أظهروه في وجه النبي ﷺ "[٢].

وقال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: "وأول بدعة حدثت في هذه الأمة هي بدعة الخوارج، لأن زعيمهم خرج على النبي ﷺ وهو ذو الخويصرة من بني تميم، حين قسم النبي ﷺ ذهيبة جاءت فقسمها بين الناس، فقال له هذا الرجل: يا محمد اعدل فكان هذا أول خروج خرج به على الشريعة الإسلامية، ثم عظمت فتنتهم في أواخر خلافة عثمان وفي الفتنة بين علي ومعاوية، فكفروا المسلمين واستحلوا دماءهم"[٣].

وعن عبيد الله بن أبي رافع، مولى رسول الله ﷺ أن الحرورية لما خرجت، وهو مع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قالوا: لا حكم إلا لله، قال علي: كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله ﷺ وصف ناسا، إني لأعرف صفتهم في هؤلاء، "يقولون الحق بألسنتهم لا يجوز هذا، منهم، - وأشار إلى حلقه - من أبغض خلق الله إليه منهم أسود، إحدى يديه طبي

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الأنبياء (باب: قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴾) برقم: ٣٣٤٤، ومسلم في صحيحة كتاب الزكاة (باب: ذكر الخوارج وصفاتهم) برقم:٢٤٥١

(٢) مجموع الفتاوى (٧٢/١٩).

(٣) شرح الواسطية (٢٩/١).

شاة أو حلمة ثدي" فلما قتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: انظروا، فنظروا فلم يجدوا شيئا، فقال: ارجعوا فوالله، ما كذبت ولا كذبت، مرتين أو ثلاثا، ثم وجدوه في خربة، فأتوا به حتى وضعوه بين يديه، قال عبيد الله: وأنا حاضر ذلك من أمرهم، وقول علي فيهم"[١].

وهذا ظاهر في الخوارج سواءً السابقين منهم أو المعاصرين، في كل زمان ومكان، تجدهم يُظّهِرون نصرتهم لدين الله عز وجل، تحت شعارات رنانة مثل: إن الحكم إلا لله، ويجب تطبيق الشريعة الإسلامية، وما هذه الشعارات التي يرددونها مع عِظَمِ مخالفتهم لأمر الله سبحانه وتعالى من تكفير المسلمين ومن ثم استباحة دمائهم، إلا أنها حقٌ أُريد بها باطل[٢].

جاء في حديث عبد الله بن شداد أنه دخل على عائشة رضي الله عنها: فقالت له يا عبدالله بن شداد، هل أنت صادقي عما أسألك عنه؟ تحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي ؟ ... يا ابن شداد فقد قتلهم ؟ فقال: والله ما بعث إليهم حتى قطعوا السبيل، وسفكوا الدم، واستحلوا أهل الذمة. فقالت: آلله ؟ قال: آلله الذي لا إله إلا هو لقد كان..."[٣].

ولا زال الخوارج يسيرون على نفس منهج أسلافهم ويقتفون آثارهم، معرضين عن الحق وهذه خله ذكرها النبي ﷺ عنهم.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الزكاة (باب: ذكر الخوارج وصفاتهم) برقم: ٢٤٦٨

(٢) عن بُسر بن سعيد عن عُبيد الله بن أبي رافع أن الحرورية هاجت وهو مع عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه فقالوا:"لا حُكم إلا لله " فقال: عليّ: (كلمة حق أريد بها باطل، إن رسول الله ﷺ وصف ناساً وأشار إلى خلق من أبغض خلق الله إليه، فيهم أسوَد، إحدى يديه طبْيُ شاة أو حَلمَةُ ثدي) قال عبيد الله: "وأنا حاضرٌ ذلك من أمورهم، وقول عليّ فيهم"، أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الزكاة (باب: التحريض على قتل الخوارج) برقم:٢٤٦٨.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢/٨٦) برقم: ٦٥٦، قال محققه شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:"ينشأ نشء يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج قرن قطع"، قال ابن عمر: سمعت رسول الله ﷺ يقول:"كلما خرج قرن قطع، أكثر من عشرين مرة، حتى يخرج في عراضهم الدجال"[١].

ومن أبرز الجماعات التي تربي من انتسب إليها على مذهب الخوارج حتى يُلحِقُوه بأسلافهم، جماعة الإخوان المسلمين، فقد خرج من رَحِمها أغلب الجماعات التكفيرية اليوم.

ويؤصل منظري الجماعة لهذه المخالفة عياناً بياناً، ويعد سيد قطب من أبرز منظريها وله من الحظوة والحفاوة ما ليس لغيره، وسنقف مع ما سطره سيد قطب في كتبه ومؤلفاته من حيث تبنيه لهذه المخالفة ودعوته إليها، وكيف أنه لا يكل ولا يمل من قوله بالتكفير:

١/ كتاب معالم في الطريق، لسيد قطب:

يعد هذا الكتاب من أكثر كتب سيد قطب المليئة بالتكفير والداعية للفوضى والمظاهرات، ولا ضير إن قلنا بأنه يعد دستور خوارج العصر، وهذه نماذج يسيرة من الكتاب:

قال سيد قطب:"ووجود الأمة المسلمة يعتبر قد انقطع من قرون كثيرة، فالأمة المسلمة ليست أرضا كان يعيش فيها الإسلام وليست قوما كان أجدادهم في عصر من عصور التاريخ يعيشون بالنظام الإسلامي ..."

إلى أن قال:" لابد من بعث لتلك الأمة التي واراها ركام الأجيال وركام التصورات وركام الأوضاع وركام الأنظمة التي لا صلة لها بالإسلام ولا بالمنهج الإسلامي وإن كانت ما تزال تزعم أنها قائمة فيما يسمى بالعالم الإسلامي"[٢].

وقال أيضاً: "إن العالم يعيش اليوم كله في جاهلية من ناحية الأصل الذي تنبثق منه مقومات الحياة وأنظمتها، جاهلية لا تخفف منها شيئا هذه التيسيرات المادية الهائلة وهذا

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب السنة (باب: في ذكر الخوارج) برقم: ١٧٤، قال الألباني: حسن (صحيح ابن ماجة ١/٧٥-٧٦) برقم: ١٤٤.

(٢) معالم في الطريق (٢٤).

الإبداع المادي الفائق، هذه الجاهلية تقوم على أساس الاعتداء على سلطان الله في الأرض، وعلى أخص خصائص الألوهية وهي الحاكمية، التي تسندها إلى البشر"[١].

وقال أيضاً:"وأخيراً يدخل في إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة"[٢].

٢/ تفسيره (في ظلال القرآن):

قال سيد قطب: "لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بلا إله إلا الله. فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد، وإلى جور الأديان ونكصت عن لا إله إلا الله، وإن ظل فريق منها يردد على المآذن: «لا إله إلا الله» دون أن يدرك مدلولها، ودون أن يعني هذا المدلول وهو يرددها، ودون أن يرفض شرعية «الحاكمية» التي يدعيها العباد لأنفسهم- وهي مرادف الألوهية- سواء ادعوها كأفراد، أو كتشكيلات تشريعية، أو كشعوب. فالأفراد، كالتشكيلات، كالشعوب، ليست آلهة، فليس لها إذن حق الحاكمية.. إلا أن البشرية عادت إلى الجاهلية، وارتدت عن لا إله إلا الله. فأعطت لهؤلاء العباد خصائص الألوهية. ولم تعد توحد الله، وتخلص له الولاء"[٣].

وقال أيضاً: "إنه ليس على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة ولا مجتمع مسلم، قاعدة التعامل فيه هي شريعة الله والفقه الإسلامي! .. هذا النوع من الفقه يأتي في حينه وتفصل أحكامه على قد المجتمع المسلم حين يوجد ويواجه الظروف الواقعية التي تكون محيطة بذلك المجتمع يومذاك! إن الفقه الإسلامي لا ينشأ في فراغ ولا تستنبت بذوره في الهواء"[٤].

---

(١) المصدر السابق (٢٦).

(٢) المصدر السابق (١٢٧)، قال محقق الكتاب: هنا اقترب قطب أكثر من الحديث عن المجتمعات المسلمة والتي وصفها على حد تعبيره بأنها تدعي الإسلام ..والمقصود أنها أبعد ما تكون عن ذلك .. وهو ما فسره البعض كما قلنا بنظريته في تكفير المجتمعات (الحاشية ٢).

(٣) في ظلال القرآن (١٠٥٧/٢).

(٤) المصدر السابق (٢١٢٢/٤).

هذا الفكر الموافق لفكر الخوارج، بل هو منهج الخوارج السابقين أصَّل له سيد قطب في كتبه ودافع عنه ودعا إليه، حتى أصبحت كتبه تشتهر بتكفير المجتمعات الإسلامية، فقد ذكر ذلك منظر الإخوان المسلمين اليوم وحامل لواء منهجهم وطريقتهم: يوسف القرضاوي، والذي ذكر أنه: " في هذه المرحلة ظهرت كتب الشهيد سيد قطب التي تمثل المرحلة الأخيرة من تفكيره، والتي تنضح بتكفير المجتمع، وتأجيل الدعوة إلى النظام الإسلامي، والسخرية بفكرة تجديد الفقه وتطويره، وإحياء الاجتهاد، وتدعو إلى العزلة الشعورية عن المجتمع، وقطع العلاقة مع الآخرين، وإعلان الجهاد الهجومي على الناس كافة والاستخفاف بدعاة التسامح والمرونة، ورميهم بالسذاجة والهزيمة النفسية أمام الحضارة الغربية.

يتجلى ذلك أوضح ما يكون في تفسير الشهيد (في ظلال القرآن) في طبعته الثانية وفي (معالم في الطريق) ومعظمه مقتبس من (الظلال) وفي (الإسلام ومشكلات الحضارة) وغيرها. وهذه الكتب كان لها فضلها وتأثيرها الإيجابي الكبير، كما كان لها تأثيرها السلبي"[(١)].

ولا عجب إذا رأيت زعيم القاعدة الخارجي أيمن الظواهري يعترف بفضل سيد قطب عليهم، وأنه باعث تراث الأسلاف حيث يقول:" إن سيد قطب هو الذي وضع دستور الجهاديين في كتابه الديناميت: (معالم في الطريق)، وأن سيداً هو مصدر الإحياء الأصولي!! وأن كتابه (العدالة الاجتماعية في الإسلام) يُعد أهم إنتاج عقلي وفكري للتيارات الأصولية، وإن فكره كان شرارة البدء في إشعال الثورة الإسلامية ضد أعداء الإسلام في الداخل والخارج، والتي ما زالت فصولها الدامية تتجدد يوماً بعد يوم"[(٢)].

وقد خَلُصَ الشيخ عبد اللطيف السبكي، رئيس الفتوى بالأزهر في تلك الفترة، بعد أن ذكر بأنه: " لأول نظرة في الكتاب يدرك القارئ أن موضوعه دعوة إلى الإسلام ولكن أسلوبه أسلوب استفزازي، يفاجئ القارئ بما يهيج مشاعره الدينية وخاصة إذا كان من الشباب أو البسطاء الذين يندفعون في غير روية إلى دعوة الداعي باسم الدين ويتقبلون ما

---

(١) أولويات الحركة الإسلامية (١١٧).

(٢) صحيفة الشرق الأوسط، عدد ٨٤٠٧، في: ١٩ / ٩ / ١٤٢٢هـ.

يوحي إليهم به من أهداف، ويحسبون أنها دعوة الحق الخالصة لوجه الله وأن الأخذ به سبيل إلى الجنة".

وقد انتهى إلى القول بأن مؤلف كتاب (معالم في الطريق):

١/ " إنسانٌ مسرفٌ في التشاؤم، ينظر إلى المجتمع الإسلامي، بل ينظر إلى الدنيا بمنظار أسود ويصورها للناس كما يراها هو، أو أسود مما يراها، ثم يتخيل بعد ذلك آمالاً ويَسْبح في خيال . كما أنه استباح باسم الدين، أن يستفز البسطاء إلى ما يأباه الدين، من مطاردة الحكام مهما يكن في ذلك عنده من إراقة دماء، والفتك بالأبرياء، وتخريب العمران، وترويع المجتمع، وتصدع الأمن، وإلهاب الفتن، في صور من الإفساد لا يعلم مداها غير الله، وذلك هو معنى الثورة الحركية التي رددها كلامه .. أ هـ "[1].

وبعد هذا العرض المختصر لدعوة أبرز منظري الإخوان المسلمين، فإن المتأمل لحال الجماعات التكفيرية اليوم يجد أن أصل نشأتها كان بسبب دعوة الإخوان المسلمين عموما، وسيد قطب خصوصاً .

(١) مجلة الثقافة الإسلامية، العدد الثامن، سنة ٢٣، في شعبان سنة ١٣٨٥ هـ – ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٦٥ م .

المبحث الثاني:

المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة إلى حقوق الصحابة ﷺ .

للصحابة ﷺ مكانة رفيعة ومنزلة سامية، أثنى الله عليهم في كتابه الكريم، وامتدحهم نبيه ﷺ في سنته المطهرة، فهم ﷺ أهل السبق والفضل، نصروا الرسول ﷺ وآووه وجاهدوا معه حق الجهاد، وحملوا هذا الدين وبلغوه بعد وفاة النبي ﷺ نقياً طرياً.

قال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: "خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"(١).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: "لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"(٢).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحة كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه) برقم: ٣٦٥٠، ومسلم في صحيحة كتاب فضائل الصحابة ﷺ (باب:فضل الصحابة ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) برقم: ٦٤٦٩.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحة كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ برقم: ٣٦٧٣، ومسلم في صحيحة كتاب فضائل الصحابة ﷺ (باب:تحريم سب الصحابة ﷺ) برقم: ٦٤٨٧.

وقبل الدخول في صلب المبحث ينبغي علينا معرفة من هو الصحابي.

فقد عرَّف السلف الصحابي بعدة تعاريف[١]، فقد ذكره الإمام البخاري في صحيحة تحت كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ قال: "باب فضائل أصحاب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابة"[٢].

وزاد ابن حجر رحمه الله تعالى قوله: "ومات على الإسلام ".

فقال رحمه الله تعالى:"وأصحّ ما وقفت عليه من ذلك أن الصحابيّ: من لقي النبيّ ﷺ مؤمنا به، ومات على الإسلام"[٣].

وأما منزلة الصحابة ﷺ عند أهل السنة والجماعة فهي وسط لا جفاء ولا غلو .

عرفوا حقوقهم فأدوها لهم، وأنزلوهم منزلتهم من الاحترام والإجلال والتقدير، كما دل على ذلك الكتاب والسنة.

بل جعلوا محبتهم من الإيمان، وبغضهم علامة من علامات النفاق، كما أخبر النبي ﷺ بذلك، فعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال:"آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار"[٤].

---

(١) انظر: مقدمة الاستيعاب لابن عبد البر رحمه الله، و مقدمة ابن الصلاح (٢٩١-٢٩٥).

(٢) صحيح البخاري كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٣٦٥٠/١)، وقال السخاوي: (وممن نص على الاكتفاء بها أحمد ؛ فإنه قال: من صحبه سنة أو شهرا أو يوما أو ساعة، أو رآه فهو من أصحابه. وكذا قال ابن المديني: من صحب النبي ﷺ أو رآه ولو ساعة من نهار، فهو من أصحاب النبي ﷺ) انظر: فتح المغيث بشرح الفية الحديث للعراقي٤/٧٨.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابة (٧/١).

(٤) متفق عليه، صحيح البخاري كتاب الإيمان (باب:علامة الإيمان حب الأنصار) برقم: ١٧، وصحيح مسلم كتاب الإيمان (باب: الدليل على أن حب الأنصار وعلي ﷺ من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق) برقم:٢٣٦ .

وجعلوا محبتهم ومعرفة حقوقهم والكف عما شجر بينهم من أصول اعتقادهم:

قال الإمام أحمد رحمه الله في سياق ذكره لمذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروقها المعروفين بها المقتدي بهم فيها من لدن أصحاب النَّبِيّ ﷺ إلى يومنا هذا وأدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئًا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج من الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق، ثم قال: "ومن الحجة الواضحة الثابتة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رَسُول اللَّهِ ﷺ كلهم أجمعين والكف عَنْ ذكر مساويهم والخلاف الذي شجر بينهم فمن سب أصحاب رَسُول اللَّهِ ﷺ أو أحدًا منهم أو تنقصه أو طعن عليهم أو عرض بعيبهم أو عاب أحدًا منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف لا يقبل اللَّه منه صرفا ولا عدلا بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة.

وخير الأمة بعد النَّبِيّ ﷺ أبو بكر وعمر بعد أبي بكر وعثمان بعد عمر وعلي بعد عثمان ووقف قوم على عثمان وهم خلفاء راشدون مهديون ثم أصحاب رسول اللَّهِ ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساويهم ولا يطعن عَلَى أحد منهم بعيب ولا بنقص فمن فعل ذلك فقد وجب عَلَى السلطان تأديبه وعقوبته ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه فإن تاب قبل منه وإن ثبت عاد عليه بالعقوبة وخلده الحبس حتى يموت أو يراجع"(١).

وقال الطحاوي رحمه الله: " ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"(٢).

---

(١) طبقات الحنابلة (١/٦٣-٦٤).

(٢) شرح الطحاوية (٣٨٠).

وقال ابن بطة رحمه الله: " ويحب جميع أصحاب رسول الله ﷺ على مراتبهم ومنازلهم أولاً فأولاً: من أهل بدر والحديبية وبيعة الرضوان وأحد فهؤلاء أهل الفضائل الشريفة والمنازل المنيفة الذين سبقت لهم السوابق رحمهم الله أجمعين"[(١)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب محمد ﷺ "[(٢)].

فهذا غيض من فيض من كلام سلفنا الصالح في أن محبة الصحابة ﷺ هي أصلٌ من أصول العقيدة الإسلامية الصحيحة.

وفي هذا المبحث سأتطرق لهذه المخالفات وفق المطالب الآتية:

---

(١) الشرح والإبانة (١٧٧).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥٢/٣)

المطلب الأول:

الإعراض عن دعوة الناس لمعرفة حقوق الصحابة ﭫ .

امتثل أهل السنة والجماعة لأمر الله عز وجل وأمر نبيه ﷺ في جميع ما أمر الله به سبحانه في كتابه أو أمر به رسوله ﷺ في سنته القولية أو الفعلية، ومن ذلك الدعوة إلى معرفة حقوق الصحابة ﭫ، فالقرآن الكريم دعا لحقوق الصحابة ﭫ وكذلك السنة النبوية، كيف لا وقد اختارهم الله سبحانه وتعالى لصحبة نبيه ﷺ ولإقامة دينه وتبليغ شرعه، من ذلك:

قال الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ [الحشر: ١٠].

أخرج الطبري رحمه الله في تفسيره عن قتادة رحمه الله أنه قال:" ثم ذكر الله الطائفة الثالثة، فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ﴾ حتى بلغ ﴿ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ إ نما أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ ولم يؤمروا بسببهم"[(١)].

وقال القرطبي رحمه الله: " فيه أربع مسائل: **الأولى**- قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ ﴾ يعني التابعين ومن دخل في الإسلام إلى يوم القيامة... **الثانية**- هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة، لأنه جعل لمن بعدهم حظا في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم، وأن من سبهم أو واحدا منهم أو اعتقد فيه شرا أنه لا حق له في الفيء، روي ذلك عن مالك وغيره، قال مالك: من كان يبغض أحدا من أصحاب محمد ﷺ، أو كان في قلبه عليهم غل، فليس له حق في فيء المسلمين...

---

(١) تفسير الطبري (٧٤٦/١٠).

الرابعة- قوله تعالى: ﴿ يَقُولُونَ ﴾ نصب في موضع الحال، أي قائلين. ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾ فيه وجهان: أحدهما- أمروا أن يستغفروا لمن سبق هذه الأمة من مؤمني أهل الكتاب. قالت عائشة رضي الله عنها فأمروا أن يستغفروا لهم فسبوهم. الثاني: أمروا أن يستغفروا للسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار.

وقال ابن عباس: أمر الله تعالى بالاستغفار لأصحاب محمد ﷺ، وهو يعلم أنهم سيفتنون..."[١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: "لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"[٢].

وعن عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ :"الله الله في أصحابي، الله الله في أصحابي، لا تتخذوهم غرضا بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه"[٣].

خالف أهل السنة والجماعة في هذا الأصل فِرقٌ عدة، منهم: الرافضة والخوارج والمعتزلة ومن نحا نحوهم، وأخذ بمنهجهم وسلك طريقهم من الجماعات المعاصرة اليوم.

وسأتطرق بإذن الله لقول كل فرقةٍ من هذه الفرق في الإعراض عن الدعوة لمعرفة حقوق الصحابة رضي الله عنهم، وليعلم القارئ المبارك أن الرافضة عليهم من الله ما يستحقون جمعوا بين الغلو والجفاء في حق الصحابة رضي الله عنهم فغلو في عليٍ رضي الله عنه وأهل بيته رضي الله عنهم، وجفوا وأعرضوا بل وكفروا جُلَّ الصحابة رضي الله عنهم، مخالفةً لِأمر الله تعالى، وإعراضاً عن سنة رسول الله ﷺ .

---

(١) تفسير القرطبي (٣٧٢/٢٠-٣٧٣).

(٢) سبق تخريجه .

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٧٠/٣٤) برقم: ٢٠٥٥٠، وقال البغوي في شرح السنة، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن لا نعرفه إلا من هذا الوجه (٧١/١٤).

فدونوا ذلك في كتبهم وجعلوه من أصول عقيدتهم، فلا تستقيم ولاية علي ﷺ وآل بيته إلا بالبراءة من الصحابة ﷺ وخصوصاً أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وذي النورين عثمان ﷺ

ثم بقية الصحابة ﷺ .

فأصَّلوا مسألة ارتداد الصحابة ﷺ حتى يلبسوا على أتباعهم، من ذلك:

ما أخرجه الكليني عن حنان، عن أبيه، عن أبي جعفر قال: كان الناس أهل ردة بعد النبي ﷺ إلا ثلاثة فقلت: ومن الثلاثة؟ فقال: المقداد بن الأسود وأبو ذر الغفاري و سلمان الفارسي رحمة الله وبركاته عليهم ثم عرف أناس بعد يسير وقال: هؤلاء الذين دارت عليهم الرحا وأبوا أن يبايعوا حتى جاؤوا بأمير المؤمنين مكرها فبايع وذلك قول الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]"[(١)].

وما رواه الكشي بسنده إلى أبي جعفر الباقر قوله: " ارتدَّ الناس إلا ثلاثة نفر: سلمان وأبو ذر والمقداد "[(٢)].

ويقول القمي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ ﴾[المائدة: ٥٤].

---

(١) أخرجه الكليني في الكافي كتاب الروضة (حديث القباب) برقم: ٣٤١ (٨/٢٤٦-٢٤٧).

(٢) اختيار معرفة الرجال للطوسي (١١٠٨)، وقال عنه الكاشاني في قرة العيون: إسناده معتبر (٤٢٦).

"هو مخاطبة لأصحاب رسول الله ﷺ الذين غصبوا آل محمد حقهم وارتدوا عن دين الله"[(١)].

وقال القاضي الرافضي نور الله الحسيني التستري، عند تعليقه على الحديث الموضوع على رسول الله ﷺ: " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"[(٢)].

قال: "إذا على تقدير صحة الرواية يلزم منها أن كل من اتبع قول بعض الجهال بل الفساق والمنافقين منهم وترك العمل بقول بعض العلماء الصالحين منهم يكون من أهل النجاة، وهو بديهي البطلان، وأيضا يلزم أن يكون التابع لقتلة عثمان والذي تقاعد عن نصرته تابعا للحق، وأن يكون أتباع عائشة وطلحة وزبير ومعاوية الذين بغوا وخرجوا على علي وقاتلوه على الحق ..."[(٣)].

فهذا موقف الرافضة من أصحاب الرسول ﷺ، موقف تكفير لهم، وزعمٌ بأنهم ارتدوا عن دين الإسلام، موقفٌ مبنيٌ على الإعراض عن معرفة حقوق الصحابة رضي الله عنهم والدعوة لمعاداتهم والبراءة منهم، وهذا غيض من فيض، فقد كتب شيخنا الشيخ عبد القادر عطا صوفي رسالة قيمة بعنوان: [موقف الرافضة من الصحابة رضي الله عنهم]، أجاد وأفاد فيها وبين حقيقة موقفهم وحقيقة إعراضهم عن معرفة حقوق أصحاب النبي ﷺ، وطعنهم فيهم إجمالا وفي الخلفاء الثلاثة وأمهات المؤمنين خصوصاً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" وهذا حال أهل البدع المخالفة للكتاب والسنة، فإنهم إن يتبعون إلا الظن، وما تهوى الأنفس، ففيهم جهل، وظلم، لا سيما الرافضة، فإنهم أعظم ذوي الأهواء جهلا وظلما يعادون خيار أولياء الله تعالى من بعد

---

(١) تفسير القمي (١/١٧٠).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: "أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم"، قال أبو عمر: هذا إسناد لا تقوم به حجة؛ لأن الحارث بن غصين مجهول، (٢/٩٢٥) برقم: ١٧٦٠، قال الألباني: موضوع، انظر: السلسة الضعيفة ١/١٤٤.

(٣) إحقاق الحق وإزهاق الباطل للتستري الرافضي (١/٣٩).

النبيين، من السابقين الأولين من المهاجرين، والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم، ورضوا عنه، ويوالون الكفار، والمنافقين من اليهود، والنصارى، والمشركين، وأصناف الملحدين كالنصيرية، والإسماعيلية، وغيرهم من الضالين، فتجدهم، أو كثيرا منهم إذا اختصم خصمان في ربهم من المؤمنين، والكفار، واختلف الناس فيما جاءت به الأنبياء، فمنهم من آمن، ومنهم من كفر - سواء كان الاختلاف بقول، أو عمل كالحروب التي بين المسلمين، وأهل الكتاب، والمشركين - تجدهم يعاونون المشركين، وأهل الكتاب على المسلمين أهل القرآن"(١).

وأما الخوارج فقد جعلوا التكفير من أبرز أصولهم، فكفروا من لا يستحق التكفير بالذنب، ولو كانت صغيرة، فهم يرونها من الكبائر، كما فعلوا مع علي ﷺ .

ويجمع الخوارج بكافة طوائفها أصول عدة، منها:

١/ تكفير عثمان وعلي رضي الله عنهما.

٢/ تكفير أصحاب الكبائر.

٣/ الخروج على الإمام .

قال الأشعري رحمه الله:" أجمعت الخوارج على إكفار علي بن أبي طالب ﷺ أن حكم وهم مختلفون هل كفره شرك أم لا، وأجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النجدات(٢) فإنها لا تقول ذلك، وأجمعوا على أن الله سبحانه يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائماً "(٣).

وقال البغدادي رحمه الله بعد أن ذكر بعضاً من المقالات التي يجتمع عليها الخوارج مع افتراق مذاهبهم: "الصواب فيما يجمع الخوارج كلها ما حكاه شيخنا الحسن رحمه الله من

---

(١) منهاج السنة النبوية (١/١٣-١٤).

(٢) هي فرقة من فرق الخوارج، وتنسب لنجدة بن عامر الحنفي أحد رؤوس الخوارج الزائغين عن الحق، انظر: (مقالات الإسلاميين ٦٠-٦١) و (الفرق بين الفِرق ٨٦) و (الملل والنحل ١٤١).

(٣) مقالات الإسلاميين (٥٩).

تكفيرهم عليا وعثمان وأصحاب الجمل والحكمين ومن صوبهما أو صوب احدهما أو رضي بالتحكيم"(١).

فأصبح التكفير سمة بارزة من سمات الخوارج إلى يومنا هذا، على الرغم من اختلاف المسميات، إلا أنهم يجتمعون ويتلاقون في نفس الأصول، ومنها التكفير.

وعلى هذا فأفرط الخوارج في تكفير بعض الصحابة ﷺ ممن بشرهم النبي ﷺ بالجنة، كما حدث مع عثمان ﷺ، وعلي ﷺ من بعده، وكاتب الوحي معاوية ﷺ وغيرهم من كبار الصحابة ﷺ .

قال الأشعري رحمه الله: " ويكفرون علياً ﷺ في التحكيم ويكفرون الحكمين أبا موسى وعمرو بن العاص ويرون قتل الأطفال"(٢).

وقال أيضاً: " والخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر وينكرون إمامة عثمان ﷺ في وقت الأحداث التي نقم عليه من أجلها ويقولون بإمامة علي قبل أن يحكم وينكرون إمامته لما أجاب إلى التحكيم ويكفرون معاوية وعمرو بن العاص وأبا موسى الأشعري"(٣).

فكيف يمكن لمن يكفر خيار الصحابة ﷺ وكبارهم وممن بشره النبي ﷺ بالجنة أن يدعوا لمعرفة حقوقهم، وإتباع سبيلهم وتوقيرهم.

وما تفعله الإباضية من الخوارج، بحق عثمان وعلي وغيرهما من الصحابة ﷺ من تكفير لهم ونحو ذلك، حيث ذكر ذلك ثلة من علمائهم، وجعلوه عقيدة يدعون أتباعهم إليها، فضيعوا حقوق أصحاب رسول الله ﷺ، وطعنوا فيهم، وضللوهم.

من ذلك:

قال أبو بكر الكندي الإباضي: " باب: البراءة من الإمام .

---

(١) الفرق بين الفِرق (٧٩).

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق (٧٧).

وإذا كان الإمام حدث ،لا يسع الناس جهله، لم يكن إلا البراءة من الإمام وممن يتولاه على حدثه ذلك، والبراءة ممن شك فيه، كسيرة المسلمين في عثمان"[(١)].

وقال جميل بن خميس السعدي: " وبرئنا بعد النبي ﷺ، من أهل القبلة الذين هم أهل القبلة، عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب، وطلحة والزبير ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري وجميع من رضي بحكومة الحكمين"[(٢)].

بل كان قمة الفرح والسرور بما يعادل فرح وسرور المسلمين بيوم بدرٍ عند الخوارج الإباضية هو يوم مقتل عثمان ﷺ، **قال** محمد يوسف وهبي الإباضي المصعبي: "ما رأيت يوما أقر للعين ولا أشبه بيوم بد قط من يوم مقتل عثمان ..."[(٣)].

وأما معاوية ﷺ عند الإباضية الخوارج، فقد قبضه الله منافقاً لعيناً، كما جاء في كتاب السير والجوابات لعلماء وأئمة عُمان[(٤)]، جاء فيه: " واستقام الأمر لمعاوية وظهرت دعوة أهل البغي وطفت دعوة أهل الحق، فلما خلص له الملك قبض الله روحه منافقاً لعيناً".

بل إن دعاة الإباضية الخوارج أخزاهم الله قد حكموا على علي ﷺ بأنه في أسفل النار مع المنافقين الذين قال الله عنهم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٤٥]. ثم أخذ الخلف منهم يتأولون ذلك.

قال سعيد خلفان الخليلي الإباضي: " وكقول ابن النضر في علي بن أبي طالب:

ذاك علي في القرار الأسفل .

وكقوله أيضاً شعراً:

قد قتل الأخيار فيها وصلى ***بقتلهم حر الجحيم المشعل

---

(١) المصنف (٤٤/١٠).

(٢) قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة (٣٤١/٨).

(٣) هيمان الزاد إلى دار المعاد (٥٥/١١).

(٤) (١١٣/١).

فهذا وبابه متأول وليس بأصل يرجع إليه، فتأول بعضهم قوله في القرار الأسفل بمعنى أنه في القرار الأسفل من الفتنة.

وقال الرقيشي: ومعنى البيت فيما عندي: أن علياً عنده في المنزلة السفلى الخسيسة في التعبد في الدين فيما ظهر من أمره وفعله، وأما في الأخرة فالله أعلم"[(١)].

وممن سار على نهج الخوارج في الطعن بصحابة رسول الله ﷺ في العصر الحديث دعاة عدة منهم، سيد قطب، حيث قال: " هذا التّصوّر لحقيقة الحكم قد تغيّر شيئًا ما دون شكّ على عهد عثمان – وإن بقي في سياج الإسلام – لقد أدركت الخلافة عثمان وهو شيخ كبير. ومن ورائه مروان بن الحكم يصرّف الأمر بكثير من الانحراف عن الإسلام. كما أنّ طبيعة عثمان الرّخيّة، وحدبه الشّديد على أهله، قد ساهم كلاهما في صدور تصرّفات أنكرها الكثيرون من الصّحابة من حوله، وكانت لها معقبات كثيرة، وآثار في الفتنة التي عانى الإسلام منها كثيرًا"[(٢)].

وقال أيضاً عن معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما:" إن معاوية وزميله عمْراً لم يغلبا علياً لأنهما أعرف منه بدخائل النفوس، وأخبر منه بالتصرف النافع في الظرف المناسب. ولكن لأنهما طليقان في استخدام كل سلاح، وهو مقيد بأخلاقه في اختيار وسائل الصراع. وحين يركن معاوية وزميله إلى الكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم لا يملك على أن يتدلى إلى هذا الدرك الأسفل. فلا عجب ينجحان ويفشل، وإنه لفشل أشرف من كل نجاح.

على أن غلبة معاوية على علي، كانت لأسباب أكبر من الرجلين: كانت غلبة جيل على جيل، وعصر على عصر، واتجاه على اتجاه. كان مد الروح الإسلامي العالي قد أخذ ينحسر. وارتد الكثيرون من العرب إلى المنحدر الذي رفعهم منه الإسلام، بينما بقي علي

---

(١) تمهيد قواعد الإيمان وتقييد شوارد ومسائل الأحكام والأديان (١/٥٤-٥٥).

(٢) العدالة الاجتماعية في الإسلام (٢١٤)، وهذا الكتاب مليء بالإسقاطات على عثمان ﷺ ونقده والطعن فيه ﷺ .

في القمة لا يتبع هذا الانحسار، ولا يرضى بأن يجرفه التيار. من هنا كانت هزيمته , وهي هزيمة أشرف من كل انتصار"(١).

ولعل الكثير يبرر لسيد قطب، ويدعي بأن ما قاله سيد قطب في كتابيه الأنفين الذكر بأنهما من أقدم ما كتب وألف سيد قطب، وأنه كان قبل التزامه وتدينه الحقيقي، ولهؤلاء أقول **ما قاله الإمام** ابن القيم رحمه الله تعالى:" ولهذا كان من توبة الداعي إلى البدعة إن يبين أن ما كان يدعو إليه بدعة وضلالة وان الهدى في ضده كما شرط تعالى في توبة أهل الكتاب الذين كان ذنبهم كتمان ما أنزل الله من البينات والهدى ليضلوا الناس بذلك أن يصلحوا العمل في نفوسهم ويبينوا للناس ما كانوا يكتمونهم إياه فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠ ﴾ [البقرة: ١٥٩ – ١٦٠]، وهذا كما شرط في توبة المنافقين الذين كان ذنبهم إفساد قلوب ضعفاء المؤمنين وتحيزهم واعتصامهم باليهود والمشركين أعداء الرسول وإظهارهم الإسلام رياء وسمعة أن يصلحوا بدل إفسادهم وأن يعتصموا بالله بدل اعتصامهم بالكفار من أهل الكتاب والمشركين وأن يخلصوا دينهم لله بدل إظهارهم رياء وسمعة فهكذا تفهم شرائط التوبة وحقيقتها والله المستعان"(٢).

فهذان الكتابان لا يزالان يُطبعان، إلى يومنا هذا، ويوزعان وينتشران بين أيدي الناس.

فهذا موقف الخوارج بجميع فرقها وشتى مذاهبها في خير الخلق بعد الأنبياء عليهم السلام.

والفرقة الثالثة هي المعتزلة ومن نحا نحوهم، فموقفهم لا يقل خزيٌ عن موقف الرافضة والخوارج، وهذا نتاج طبيعي لمن خالف الكتاب والسنة، وقدم العقل وأعطاه فوق حجمه، وأنزله فوق منزلته.

---

(١) كتب وشخصيات (٢٤٢).

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (٥٠).

فالمعتزلة طعنوا في جل الصحابة ﷺ، حتى الصديق ﷺ لم يسلم من ألسنتهم، وهو من هو في الصحبة، قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [التوبة: ٤٠].

وعن عمرو بن العاص ﷺ أنه، قال: يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: (عائشة). قال: من الرجال؟ قال: (أبوها) "[1].

وقد ذكر ابن قتيبة رحمه الله تعالى طعن إبراهيم النَّظَّام كبير المعتزلة في أبي بكر الصديق ﷺ وكذلك عمر الفاروق ﷺ، حينما رمى النَّظَّام أبا بكر ﷺ بالتناقض، فقال:" وذكر قول أبي بكر ﷺ، حين سئل عن آية من كتاب الله تعالى، فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني، أم أين أذهب؟ أم كيف أصنع إذا أنا قلت في آية من كتاب الله تعالى، بغير ما أراد الله[2].

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب المناقب (باب:من فضل عائشة رضي الله عنها) برقم:٤٢٢٤، قال الألباني: صحيح، انظر: صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣/٥٧٦-٥٧٧) برقم:٣٨٨٦.

(٢) ذكر هذا الأثر ابن أبي شيبة في مصنفه كتاب فضائل القرآن (باب: من كره أن يفسر القرآن)، عن إبراهيم التيمي، أن أبا بكر سئل عن ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾، فقال: (أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم)، برقم:٣٠١٠٧، قال ابن كثير: منقطع ،انظر: (مقدمة التفسير ١/١٤).

ثم سئل عن الكلالة، فقال: "أقول فيها برأيي فإن كان صوابا، فمن الله، وإن كان خطأ فمني هي ما دون الولد والوالد"[١]. قال –أي النظام–: وهذا خلاف القول الأول"[٢].

وهذا واصل بن عطاء كبير المعتزلة يسطر لهم نموذجاً في الإعراض عن معرفة حقوق الصحابة ﭫ، بل ويؤسس لهم منهجا للطعن فيهم فيقول:" في الفريقين من أصحاب الجمل، وأصحاب صفين إن أحدهما مخطئ لا بعينه. وكذلك قوله في عثمان وقاتليه وخاذليه، قال: إن أحد الفريقين فاسق لا محالة، كما أن أحد المتلاعنين فاسق لا محالة، لكن لا بعينه، وقد عرفت قوله في الفاسق. وأقل درجات الفريقين أن لا يقبل شهادتهما كما لا تقبل شهادة المتلاعنين فلا يجوز قبول شهادة علي، وطلحة والزبير على باقة بقل، وجوز أن يكون عثمان وعلي على الخطأ. هذا قوله، وهو رئيس المعتزلة ومبدأ الطريقة في أعلام الصحابة، وأئمة العترة.

ووافقه عمرو بن عبيد على مذهبه، وزاد عليه بتفسيق أحد الفريقين لا بعينه بأن قال: لو شهد رجلان من أحد الفريقين مثل علي ورجل من عسكره، أو طلحة والزبير لم تقبل شهادتهما، وفيه تفسيق الفريقين وكونهما من أهل النار. وكان عمرو بن عبيد من رواة الحديث، معروفا بالزهد، وواصل مشهورا بالفضل والأدب عندهم"[٣].

فتبعه تلميذه عمرو بن عبيد، فكان أشد من شيخه حيث وصل بها الحال إلى أن قال بتفسيق طرفي موقعة الجمل، فقال: " لا أقبل شهادة الجماعة منهم سواء كانوا من أحد الفريقين وكان بعضهم من حزب على وبعضهم من حزب الجمل فاعتقد فسق الفريقين جميعا"[٤].

---

(١) أخرجه الدارمي في سننه كتاب الفرائض (باب: الكلالة) برقم: ٣٠١٥، عن الشعبي، قال: سئل أبو بكر عن الكلالة فقال: (إني سأقول فيها برأيي، فإن كان صوابا فمن الله، وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان: أراه ما خلا الوالد والولد)، قال محققه: رجاله ثقات غير أنه منقطع.

(٢) تأويل مختلف الحديث (٦٩-٧٠).

(٣) الملل والنحل (٦٣).

(٤) الفرق بين الفرق (٢٥٣).

وظهر في الأونة الأخيرة شرذمة، جمعت بين مذهب الاعتزال والرفض، فأخذت تخوض في أعراض صحابة رسول الله ﷺ و ﷺ، قدحاً وسباً وتجريحاً، منهم:

محمود أبو رية، ذكر تحت عنوان (الصحابة ورواية الحديث)، تشدد الصحابة ﷺ في رواية الحديث، فقال: "نجد هؤلاء الصحابة لم يقف بهم الأمر عند ذلك وإنما كانوا يرغبون عن رواية الحديث، وينهون عنها، وأنهم كانوا يتشددون في قبول الأخبار تشديدًا قويًا"[(١)].

وقال أيضاً تحت عنوان (عدالة الصحابة): "لقد غلا فيها قوم حتى قضوا بعدالتهم جميعا حتى من انغمس منهم في الفتنة أو نزل الكتاب بنفاقه بحيث لا يجوز أن يوجه إلى واحد منهم نقد أو تقابل روايته بشك ومن فعل ذلك فقد فسق.

وهذا لعمرك إسراف في الثقة وإفراط في التقدير ثم هو غير ذلك يتعارض مع ما جاء في الكتاب والسنة في الأدلة القوية ولا يتفق والطبائع البشرية .

إن القول بعدالة جميع الصحابة وتقديس كتب الحديث يرجع إليهما كل ما أصاب الإسلام من طعنات أعدائه وضيق صدور ذوى الفكر من أوليائه، ذلك بأن عدالة جميع الصحابة تستلزم ولا ريب الثقة بما يروون وما رووه قد حملته كتب الحديث بما فيه من غثاء، وهذا الغثاء هو مبعث الضرر وأصل الداء..."[(٢)].

ومنهم أيضاً المدعو **حسن فرحان المالكي،** الذي لا يشك أحداً في ترفضه عند قراءة ما يكتب ويسطر ويتحدث به عن صحابة رسول الله ﷺ و ﷺ، فهذا المدعو يزعم أنه يريد تنقيح كتب التاريخ والحديث، ويريد الإصلاح!!.

وكَتَبَ المدعو كتاباً أسماه (الصحبة والصحابة بين الإطلاق اللغوي والتخصيص الشرعي) والمتأمل لهذا الكتاب يجده يهدف لهدفٍ محدد، وهو إخراج الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان ﷺ ومن هو في طبقته من الصحبة وإدخالهم في التابعين، ذكر ذلك مراراً وتكراراً، حتى يتسنى له جرحه وتعديله هو ومن في طبقته ﷺ فقال:"وأما التابعون بغير

---

(١) أضواء على السنة النبوية (٢٦).

(٢) المصدر السابق (٣١٢-٣١٣).

إحسان فهم الذين ظهر ظلمهم أو فسقهم وكان سوء السيرة غالباً على سيرهم كمعاوية بن أبي سفيان والوليد بن عقبة..."(١).

وقال في كتابه (قراءة في كتب العقائد)(٢): "وكان طلحة والزبير وعائشة ﭫ ينتقدون علناً سياسة عثمان وكان الثوار يأتونهم أحيانا لكن لم يكن للثلاثة من التوهج مثل ما لعلي بن أبي طالب ﭬ لتميزه عنهم بسابقة وعلما وقرابة ومكانة في قلوب الناس ...".

وقال أيضاً في كتابه (مع الشيخ عبد الله السعد في الصحبة والصحابة)(٣): " وكذلك معاوية كان من أهل البغي بالنص المتواتر والبغي هو الظلم وقد جاءت الدلائل الكثيرة والقرائن العديدة على رضاه بهذا البغي وإصراره عليه وإتيانه بلوازمه".

فهذا وأمثاله ممن أعرضوا عن دعوة الناس لمعرفة حقوق الصحابة ﭫ إلى الطعن فيهم والتنقص من قدرهم ومكانتهم، لمرض في قلوبهم وهوى في نفوسهم، واتباعاً للباطل وإعراضاً عن الحق ومخالفة لأمر الله تعالى وأمر رسوله ﷺ، وما عليه السلف الصالح رحمهم الله تعالى ينطبق عليهم ما قرره سلف الأمة من تهمتهم بالزندقة واتباع الهوى ووصفهم بالمبتدعة:

أخرج ابن كثير رحمه الله في كتابه (البداية والنهاية)(٤)عند كلامه عن ترجمة معاوية ﭬ وذكر شيء من أيامه ودولته وما ورد في مناقبه وفضائله قول الإمام أحمد رحمه الله:"إذا رأيت رجلا يذكر أحدا من الصحابة بسوء فاتهمه على الإسلام".

وقال أبو زرعة الرازي رحمه الله:"إذا رأيت الرجل ينتقص أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق ، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا

---

(١) الصحبة والصحابة بين الإطلاق اللغوي والتخصيص الشرعي (١٨٤).
(٢) [ص: ٥٢].
(٣) [ص: ١٣٩].
(٤) [٨/١٧٠].

هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أولى وهم زنادقة"(١).

وقال الإمام البربهاري رحمه الله:" إذا رأيت الرجل يطعن على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه صاحب قول سوء وهوى، لقول رسول ﷺ: (إذا ذكر أصحابي فأمسكوا)(٢). فقد علم النبي ﷺ ما يكون منهم من الزلل بعد موته، فلم يقل فيهم إلا خيرا ...

ولا تحدث بشيء من زللهم، ولا حربهم، ولا ما غاب عنك علمه، ولا تسمعه من أحد يحدث به، فإنه لا يسلم لك قلبك إن سمعت"(٣).

وأنقل هنا ردا للأستاذ الأديب محمود شاكر رحمه الله على سيد قطب ومن نحا نحوه ممن ينتقص أو يُضيِّع حقوق أصحاب النبي ﷺ، ويُعرض عمَّا دلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة من توقيرهم واحترامهم والدعوة إلى الاقتداء بهم، ومعرفة حقوقهم، حيث قال: "حسب امرئ مسلم لله أن يبلغه قول رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده، لو أن أحدكم أنفق مثل أحدٍ ذهباً ؛ ما أدرك مد أحدكم ولا نصيفة)(٤).

حتى يخشع لرب العالمين، ويسمع لنبي الله ويطيع، فَيَكُفَّ عَرْبَ لسانه وضراوة فكره عن أصحاب محمد ﷺ، ثم يعلم علماً لا يشوبه شكٌ ولا ريبة: أن لا سبيل لأحد من أهل الأرض — ماضيهم وحاضرهم — أن يلحق أقل أصحابه درجة، مهما جهد في عبادته، ومهما تورع في دينه، ومهما أخلص قلبه من خواطر السوء في سره وعلانيته. ومن أين يشك وكيف يطمع ورسول الله لا ينطق عن الهوى، ولا يداهن في دين، ولا يأمر الناس بما يعلم أن الحق في خلافه، ولا يحدث بخبر ولا ينعت أحداً بصفة ؛ إلا بما علمه ربه

---

(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (٤٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) شرح السنة للبربهاري (١١١-١١٢).

(٤) سبق تخريجه .

وبما نبأه؟! وربه الذي يقول له ولأصحابه: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الزمر: ٣٣ – ٣٥]

ثم يبين ﷺ كتاب ربه، فيقول: (خير الناس قرني، ثم الذي يلونهم، ثم الذي يلونهم، ثم يجيء قومٌ تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته)(١).

ثم يزيد الأمر بياناﷺ ، فيدل المؤمنين على المنزلة التي أنزلها الله أصحابَ محمد رسول الله، فيقول: (يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان، فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم)(٢).

فإذا كان هذا مبلغ صحبة رسول الله ﷺ ؛ فأي مسلم يطيق بعد هذا أن يبسط لسانه في أحد من صحابة محمد رسول الله ؟! وبأي لسان يعتذر يوم يخاصمه بين يدي ربهم ؟! وما يقول وقد قامت عليه الحجة من كتاب الله ومن خبر نبيه ؟! وأين يفر امرؤ يومئذ من عذاب ربه؟!

وليس معنى هذا أن أصحاب محمد رسول الله ﷺ معصومون عصمة الأنبياء، ولا أنهم لم يخطئوا قط ولم يسيئوا ؛ فهم لم يدّعوا هذا، وليس يدّعيه أحد لهم، فهم يخطئون ويصيبون، ولكن الله فضلهم بصحبة رسوله، فتأدبوا بما أدبهم به، وحرصوا على أن يأتوا من الحق ما استطاعوا، وذلك حسبهم، وهو الذي أمروا به، وكانوا بعدُ توابين أوابين، كما وصفهم في محكم كتابه، فإذا أخطأ أحدهم، فليس يحل لهم ولا لأحد ممن بعدهم أن يجعل الخطأ ذريعة إلى سبهم والطعن عليهم.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ (باب: فضائل أصحاب النبي ﷺ ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه) برقم: ٣٦٤٩.

هذا مجمل ما أدبنا به الله ورسوله، بيد أن هذا المجمل أصبح مجهولاً مطروحاً عند أكثر من يتصدى لكتابة تاريخ الإسلام من أهل زماننا، فإذا قرأ أحدهم شيئاً فيه مطعن على رجل من أصحاب رسول الله ﷺ ، سارع إلى التوغل في الطعن والسب بلا تقوى ولا ورع، كلا، بل تراهم يحيط بها من الريب والشكوك، وما الأسباب الداعية إلى الكذب في الأخبار، ومن العلل الدافعة إلى وضع الأحاديث المكذوبة على هؤلاء الصحابة "(١).

(١) جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر (٢/٩٨٩-٩٩٠).

المطلب الثاني:

دعوى جواز نقد الصحابة ﭫ، لأنهم بشر.

هذه المخالفة مبنية على المخالفة السابقة في المطلب السابق، وهي الإعراض عن دعوة الناس لمعرفة حقوق الصحابة ﭫ، فحين يعرض الدعاة عن تعليم الناس ما قرره الشرع من معرفة حقوق أصحاب النبي ﷺ و ﭫ فلا يمكن أن يُستبعد ظهور من يدعو لهذه المخالفة.

ولعل الأصل الذي يقوم عليه من يدعو لهذه المخالفة، هو مسألة عدالة الصحابة ﭫ وهي شبهه ساقها المستشرقون، وتبناها عقلانيون ينتسبون للإسلام، ويدعون حماية السنة وتطهيرها من الكذب والتدليس وغير ذلك.

وينبغي لنا قبل الشروع في بيان ما كان عليه السلف وما أصَّله أهل العلم الراسخون في هذه المسألة بناءً على الأدلة من الكتاب والسنة، أن نبين معنى العدالة.

جاء في لسان العرب[(١)]، العدل هو:"ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور".

وقال الجرجاني:"العدالة في اللغة: الاستقامة"[(٢)].

وفي الاصطلاح اختلف في تعريفها اختلافاً لفظياً والمعنى ولله الحمد متفق عليه، فعرفها الخطيب البغدادي رحمه الله بأن العدل هو:" من عرف بأداء فرائضه ولزوم ما أمر به، وتوقي ما نهي عنه ، وتجنب الفواحش المسقطة ، وتحري الحق والواجب في أفعاله ومعاملته، والتوقي في لفظه ما يثلم الدين والمروءة"[(٣)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"العدالة هي: صلاح الدين والمروءة"[(٤)].

---

(١) [٤٣٠/١١].

(٢) التعريفات (١٤٧).

(٣) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي (٨٠).

(٤) الاستقامة (٢٦٣).

وقال الجرجاني: " عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب عما هو محظور دينًا"[(١)].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: " من له ملكة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة. والمراد بالتقوى: اجتناب الأعمال السيئة من شرك أو فسق أو بدعة"[(٢)].

وقال السيوطي رحمه الله:" العدالة هي: هيئة راسخة في النفس تمنع من اقتراف كبيرة أو صغيرة دالة على الخسة أو مباح يخل بالمروءة"[(٣)].

وهذه العدالة تحققت في صحابة رسول الله ﷺ ما لم تتحقق في غيرهم، وقد دل القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع السلف الصالح على عدالة الصحابة ﷺ.

فمن أدلة القرآن الكريم:

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قال القرطبي رحمه الله: " فيه أربع مسائل: **الأولى** قوله تعالى:﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ المعنى: وكما أن الكعبة وسط الأرض كذلك جعلناكم أمة وسطا، أي جعلناكم دون الأنبياء وفوق الأمم. والوسط: العدل، وأصل هذا أن أحمد الأشياء أوسطها...

الثانية– قوله تعالى:﴿ لِّتَكُونُوا۟ ﴾ أي لان تكونوا.﴿ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ أي في المحشر للأنبياء على أممهم... **الثالثة**– قال علماؤنا: أنبأنا ربنا تبارك وتعالى في كتابه بما

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر (٦٥).

(٣) الأشباه والنظائر للسيوطي (٣٨٤).

أنعم علينا من تفضيله لنا باسم العدالة وتولية خطير الشهادة على جميع خلقه، فجعلنا أولا مكانا وإن كنا آخرا زمانا... **الرابعة-** وفيه دليل على صحة الإجماع ووجوب الحكم به، لأنهم إذا كانوا عدولا شهدوا على الناس. فكل عصر شهيد على من بعده، فقول الصحابة حجة وشاهد على التابعين، وقول التابعين على من بعدهم. وإذ جعلت الأمة شهداء فقد وجب قبول قولهم"(١).

وقال الشاطبي رحمه الله: " ثناء الله عليهم من غير مثنوية، ومدحهم بالعدالة وما يرجع إليها؛ كقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[آل عمران: ١١٠] .

وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] .

ففي الأولى إثبات الأفضلية على سائر الأمم، وذلك يقضي باستقامتهم في كل حال، وجريان أحوالهم على الموافقة دون المخالفة.

وفي الثانية إثبات العدالة مطلقا، وذلك يدل على ما دلت عليه الأولى"(٢).

وقال ابن حجر الهيتمي(٣): " والصحابة في هذه الآية والتي قبلها هم المشافهون بهذا الخطاب على لسان رسول الله ﷺ حقيقة فانظر إلى كونه تعالى خلقهم عدولا وخيارا ليكونوا شهداء على بقية الأمم يوم القيامة وحينئذ فكيف يستشهد الله تعالى بغير عدول..."(٤).

---

(١) تفسير القرطبي (٤٣٣/٢-٤٣٧).

(٢) الموافقات للشاطبي (٤٤٧/٤).

(٣) هو أحمد بن محمد بن عليّ بن حجر الهيتمي السعدي المكي الفقيه المحدث الصوفي صاحب التآليف العديدة التي عليها المدار عند الشافعية في الحجاز واليمن وغيرهما ولد سنة: ٩٠٩هـ وتوفي سنة:٩٧٤هـ، انظر: (النور السافر عن أخبار القرن العاشر ٢٥٨-٢٥٩) و (فهرس الفهارس ٣٣٧/١) و (الأعلام ٢٣٤/١).

(٤) الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة (٢٥٨).

ومن السنة النبوية:

دلت السنة النبوية على عدالة الصحابة ﭫ، ومن تلك الأحاديث:

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: "خير أمتي قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"[(١)].

وعن أبي سعيد الخدري ﭬ، قال: قال النبي ﷺ: "لا تسبوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد، ذهبا ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه"[(٢)].

وعن أبي بردة، عن أبيه، قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء قال فجلسنا، فخرج علينا، فقال: (ما زلتم هاهنا؟) قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال (أحسنتم أو أصبتم)

قال فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرا مما يرفع رأسه إلى السماء، فقال: "النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون"[(٣)].

وعن عبد الله بن مسعود ﭬ، قال: "إن الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه، يقاتلون على دينه، فما رأى المسلمون حسنا، فهو عند الله حسن، وما رأوا سيئا فهو عند الله سيئ"[(٤)].

هذا غيض من فيض، فقد ذكر الإمام أحمد رحمه الله في كتابه فضائل الصحابة ﭫ أحاديث كثيرة، يمكن الرجوع إليها.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٨٤/٦) برقم:٣٦٠٠، وقال محققه: إسناده حسن.

وقد أجمعت الأمة على عدالة الصحابة ﷺ، فمن ذلك:

قال ابن عبد البر رحمه الله:" وإن كان الصحابة ﷺ قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول..."(١).

وقال الخطيب البغدادي رحمه الله:" باب ما جاء في تعديل الله ورسوله للصحابة ، وأنه لا يحتاج للسؤال عنهم ، وإنما يجب ذلك فيمن دونهم كل حديث اتصل إسناده بين من رواه وبين النبي ﷺ ، لم يلزم العمل به إلا بعد ثبوت عدالة رجاله ، ويجب النظر في أحوالهم ، سوى الصحابي الذي رفعه إلى رسول الله ﷺ ، لأن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم ، واختياره لهم في نص القرآن..."(٢).

وقال أيضاً رحمه الله: " على أنّه لو لم يَرد من الله عز وجل ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد والنصرة وبذل المهج والأموال وقتل الآباء والأولاد والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين القطع على عدالتهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم أفضل من جميع المعدَّلين والمزكين الذين يجيؤون من بعدهم أبد الآبدين، هذا مذهب كافة العلماء، ومن يعتد بقوله من الفقهاء"(٣).

وقال ابن الصلاح رحمه الله:" ثم إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لابس الفتن منهم فكذلك بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع، إحسانا للظن بهم، ونظرا إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكأن الله – سبحانه وتعالى – أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة، والله أعلم"(٤).

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/١٩).

(٢) الكفاية في علم الرواية (٤٦).

(٣) المصدر السابق (٤٨).

(٤) مقدمة ابن الصلاح (٢٩٥).

وقال القرطبي رحمه الله:" فالصحابة كلهم عدول، أولياء الله تعالى وأصفياؤه، وخيرته من خلقه بعد أنبيائه ورسله. هذا مذهب أهل السنة، والذي عليه الجماعة من أئمة هذه الأمة"[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولكن أهل السنة متفقون على عدالة الصحابة"[٢].

وقد نبتت نابتة أعادت ما كان عليه أسلافهم من المعتزلة ومن نحا نحوهم واقتفى أثرهم وسلك سبيلهم، في نقد الصحابة ﵃ بحجة أنهم بشر غير معصومين، وهذا والله مخالفٌ لما دل عليه الدليل من الكتاب والسنة وما عليه إجماع الأمة، من تعديل لصحابة رسول الله ﷺ وهذا التعديل لا يقتضي العصمة، كما فهمهم أصحاب القلوب المريضة والبدع العريضة.

فلم يقل أحدٌ من السلف الصالح بعصمة أحدٍ من الصحابة ﵃ .

والعصمة في اللغة: "العين والصاد والميم أصل واحد صحيح يدل على إمساك ومنع وملازمة"[٣].

وفي الشرع، عُرِّفت بعدة تعريفات، ومنها قول ابن حجر رحمه الله:" أي من عصمه الله بأن حماه من الوقوع في الهلاك أو ما يجر إليه يقال عصمه الله من المكروه وقاه وحفظه واعتصمت بالله لجأت إليه، وعصمة الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام حفظهم من النقائص وتخصيصهم بالكمالات النفيسة والنصرة والثبات في الأمور وإنزال السكينة"[٤].

---

(١) تفسير القرطبي (١٩/٣٥٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/٥٤).

(٣) مقاييس اللغة (٤/٣٣١).

(٤) فتح الباري (١١/٧٣٥).

ثم ذكر الفرق رحمه الله بين عصمة الأنبياء عليهم السلام وغيرهم من البشر، فقال:" والفرق بينهم وبين غيرهم أن العصمة في حقهم بطريق الوجوب وفي حق غيرهم بطريق الجواز"[١].

وهذا هو سبب ضلال من ضل في هذه المسألة، أي أنه لم يفرق بين العِصمة والعدالة.

قال الإمام الشافعي رحمه الله:" لو كان العدل من لا ذنب له لم نجد عدلاً، ولو كان كلّ مذنب عدلاً لم نجد مجروحاً، ولكنّ العدل من اجتنب الكبائر، وكانت محاسنه أكثر من مساويه"[٢].

وقال الإبياري:" وليس المراد بعدالتهم ثبوت العصمة لهم، واستحالة المعصية، وإنما المراد قبول رواياتهم من غير تكلف بحث عن أسباب العدالة، وطلب التزكية، إلا من يثبت عليه ارتكاب قادح، ولم يثبت ذلك، والحمد لله، فنحن على استصحاب ما كانوا عليه في زمن رسول الله ﷺ، حتى يثبت خلافه، ولا التفات إلى ما يذكره أهل السير، فإنه لا يصح، وما صح فله تأويل صحيح..."[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وأهل السنة تحسن القول فيهم وتترحم عليهم وتستغفر لهم، لكن لا يعتقدون العصمة من الإقرار على الذنوب وعلى الخطأ في الاجتهاد إلا لرسول الله، ومن سواه فيجوز عليه الإقرار على الذنب والخطأ، لكن هم

كما قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ ﴾[الأحقاف: ١٦]، وفضائل الأعمال إنما هي بنتائجها وعواقبها لا بصورها"[٤].

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم (٥٥/١).

(٣) البحر المحيط للزركشي (١٨٩/٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٤٣٤/٤).

وممن غرِق في هذه المخالفة، وأخذ يدعو لها جمعٌ كثير، لا نقول من المستشرقين أو الرافضة، لا، بل هم ممن يَنسِّبون أنفسهم للسنة، وأنهم أهل الدفاع عن حياضها، وهم شرٌّ مستطير.

ومن تلك الدعوات[(١)]، **دعوة** أبي رية في كتابه أضواء على السنة النبوية، الذي ملأه بالطعن في السنة وحملتها، ومن ذلك قوله:" ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن علماء الجرح والتعديل قد بذلوا جهداً كبيراً في تمحيص ما روي من أحاديث رسول الله ممّا يستحقّون عليه الثناء الطيب والتقدير الحق، بيد أنهم على فضلهم وتدقيقهم، لم يبلغوا الغاية من عملهم، إذ لا تزال كتب الحديث تحمل الكثير من الأحاديث المشكلة، أو التي يبدو عليها الوضع، ولم يكن ذلك عن تقصير منهم ـ رحمهم الله ـ لأنهم قد بذلوا كل طاقتهم في عملهم، وإنّما كان ذلك لأمر فوق قدرتهم البشريّة، ذلك بأن حكمهم على الرجال إنّما كان (لظاهر أحوالهم) وما وصل إلى علمهم من أخبارهم، أما بواطنهم، ودخائل نفوسهم، ومطويّات ضمائرهم، فهذا أمر من وراء إدراكهم لا يطلع عليه إلاّ علام الغيوب، وربّ رجل حسن السمت، طيب المظهر، إذا كشف عن دخيلته تبين لك سوء مخبره، وهذا أمر لا يمتري فيه أحد"[(٢)].

وقال أيضاً: "وإذا كان الجمهور على أن الصحابة كلهم عدول، ولم يقبلوا الجرح والتعديل فيهم كما قبلوه في سائر الرواة، واعتبروهم جميعا معصومين من الخطأ والسهو والنسيان، فإن كثيرا من المحققين لم يأخذوا بهذه العدالة المطلقة لجميع الصحابة، وإنما قالوا كما قال العلامة المقبلي: إنها أغلبية لا عامة، وأنهم يجوز عليهم ما يجوز على غيرهم من الغلط والنسيان والسهو، بل والهوى. ويؤيدون رأيهم: بأن الصحابة إن هم إلا بشر، يقع منهم ما يقع من غيرهم، مما يرجع إلى الطبيعة البشرية. ويعززون حكمهم بمن كان منهم في عهده ﷺ من المنافقين والكاذبين، وبأن كثيرا منهم قد ارتد عن دينه بعد أن انتقل إلى الرفيق

(١) المؤلفات الداعية لنقد الصحابة والطعن في عدالتهم كثيرة جدا، منها: الخلفاء الراشدون لعبدالوهاب النجار، ونقد الحديث في علم الرواية والدراية لحسين الحاج حسن، وفجر الإسلام لأحمد أمين، وتبصير الأمة بحقيقة السنة، وغيرها.

(٢) أضواء على السنة المحمدية (٣١٠).

الأعلى، بله ما وقع منهم من الحروب والفتن التي أهلكت الحرث والنسل، ولا تزال آثارها، ولن تزال إلى اليوم وما بعد اليوم"(١).

ولم يكتفي بذلك، بل نقل كلاماً لأخيه في المذهب والنحلة، طه حسين، الذي لا يقل سوءً عنه، في تبريره لجواز نقد الصحابة ﷺ والطعن في عدالتهم، **فقال** طه حسين: "وقد فطن المحدّثون القدماء لهذا كلّه، واجتهدوا ما استطاعوا في التماس الصحيح من الحديث وتنقيته عن كذب الكذابين، وتكليف المتكلفين . وكانت طريقتهم في هذا الاجتهاد إنما هي الدرس لحياة الرجال الذين نقلوا الحديث جيلاً بعد جيل حتى تم تدوينه فكانوا يتتبّعون كل واحد من هؤلاء الرجال، ويتحققون من أنه كان نقيّ السيرة صادق الإيمان بالله ورسوله . شديد الحرص على الصدق في حديثه كله، وفي حديثه عن النبي خاصة، وهو جهد محمود خصب بذله المتقنون من علماء الحديث واخلصوا فيه ما وجدوا إلى الإخلاص سبيلاً . ولكن هذا الجهد على شدته، وخصبه لم يكن كافياً، فمن أعسر الأشياء وأشدها تعقيداً، أن تتبع حياة الناس والبحث، والفحص، والتنقيب عن دقائقها، فمن الممكن أن تبحث وتنقب دون أن تصل إلى حقائق الناس، ودقائق أسرارهم، وما تضمر قلوبهم في أعماقها، وما يمنعون في الاستخفاء به من ألوان الضعف في نفوسهم، وفي سيرتهم أيضاً.

ولم يكن بد إلى أن يضاف إلى هذا الجهد جهد آخر، وهو درس النص نفسه . فقد يكون الرجل صادقاً مأموناً في ظاهر أمره بحيث يقبل القضاة شهادته إذا شهد عندهم، ولكن الله وحده هو الذي اختص بعلم السرائر، وما تخفيه القلوب، وتستره الضمائر، وقد يكون الرجال الذين روى عنهم حديثه صادقين مأمونين مثله يقبل القضاة شهادتهم إن شهدوا عندهم . ولكن سرائرهم مدخولة يخفى دخائلها على الناس، فلا بد إذن من أن نتعمق في نص الحديث الذي يرويه عن أمثاله من العدول، لنرى مقدار موافقته للقرآن الذي لا يتطرق إليه الشك، ولا يبلغه الريب من أي جهة من جهاته، لأنه لم يصل إلينا من طريق الرواة أفراداً، أو جماعات، وإنما تناقلته أجيال الأمة الإسلامية مجمعة على نقله في صورته التي نعرفها.

---

(١) المصدر السابق (٣٢٦-٣٢٧).

وهذه الأجيال لم تنقله بالذاكرة، وإنما تناقلته مكتوباً، كتب في أيام النبي نفسه، وجمع في خلافة أبي بكر، وسجل في المصاحف، وأرسل إلى الأقاليم في خلافة عثمان، فاجتمعت فيه الرواية المكتوبة، والرواية المحفوظة في الذاكرة، وتطابقت كلتا الروايتين دائماً، فلا معنى للشك، في نص من نصوص القرآن لأنها وصلت إلينا عن طريق لا يقبل فيها الشك"(١).

ويبين لنا الأستاذ أنور الجندي ما أجمع عليه من تتلمذ على يديهم طه حسين، وجعلوه وسيلة لتحقيق أهدافهم ومعولاً لهدم الإسلام من خلال إرساء منهج الشك، فقال:"يكاد المستشرقون والباحثون الغربيون يجمعون على أن هدف طه حسين الأول الذي أعد له، والذي عمل له خلال حياته كلها من خلال كتاباته سواء منها التي ألقيت في الجامعة كمحاضرات أو نشرت في صحف أو في كتب مطبوعة تجمع على شيء واحد هو: إرساء منهج الشك الفلسفي في حياة الفكر الإسلامي على نحو يسيطر تماماً على التاريخ والنقد الأدبي والمسرح والدراما، واتخاذ كل أساليب البيان للوصول إلى هذه الغاية فقد اتخذ ذلك أول الأمر أسلوبه في الجامعة حيث حمل لواء الدعوة إلى نقد القرآن بوصفه نص أدبي، وتشكيكه في وجود إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام"(٢).

ومن تلك الدعوات أيضاً، دعوة أحمد أمين، فلقد سار على نهج سلفه حذو القذة بالقذة، واتبع طريقتهم، حتى حمل لوائها، فتهجم على الصحابة ﷺ وحاول الطعن في عدالتهم بحجة أنهم بشر، وأنه ولابد من نقدهم، فكان الوضع في الحديث في عهدهم، ويجب تنقية السنة من ذلك !!

يقول أحمد أمين: "نشأ من عدم تدوين الحديث في كتاب خاص في العصور الأولى واكتفائهم بالاعتماد على الذاكرة وصعوبة حصر ما قال رسول الله ﷺ أو فعل في مدة ثلاثة وعشرين عاما من بدء الوحي إلى الوفاة، أن استباح قوم لأنفسهم وضع الحديث ونسبته كذباً إلى رسول الله ﷺ، ويظهر أن هذا الوضع حدث في عهد الرسول ﷺ فحديث "من

---

(١) نقله عنه محمود أبو رية في كتابه أضواء على السنة المحمدية (٣١١).

(٢) العصر تحت ضوء الإسلام (٣٠).

كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار"، يغلب على الظن أنه إنما قيل لحادثة حدثت زُوِّر فيها على الرسول، وبعد وفاته كان الكذب عليه أسهل وتحقيق الخبر عنه أصعب"[(١)].

وقال أيضاً: " وأكثر هؤلاء النقاد عدَّلوا الصحابة كلهم إجمالاً وتفصيلاً فلم يعرضوا لأحد منهم بسوء، ولم ينسبوا لأحد منهم كذباً وقليل منهم أجرى على الصحابة ما أجرى على غيرهم...ويظهر أن الصحابة أنفسهم في زمنهم كان يضع بعضهم بعضاً موضع النقد وينزلون بعضاً منزلة أسمى من بعض فقد رأيت قبل أن منهم من كان إذا رُوي له حديث طلب من المحدث برهاناً..."[(٢)].

فهذه الدعوات وأمثالها تتهاوى عند قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: " ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ أي يجعلهم أزكياء القلوب بالإيمان"[(٣)].

واختم الحديث في هذا المطلب بكلام لابن حزم الأندلسي رحمه الله حيث قال بعد أن عدَّ جملة من الصحابة ﷺ: " فكل من تقدم ذكره من المهاجرين والأنصار ﷺ إلى تمام بيعة الرضوان فإننا نقطع على غيب قلوبهم وأنهم كلهم مؤمنون صالحون ماتوا على الإيمان والهدى والبر كلهم من أهل الجنة لا يلج أحد منهم النار البتة لقول الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ [الواقعة: ١٠ – ١٢] وكقوله

(١) فجر الإسلام لأحمد أمين (٢٤٥).
(٢) المرجع السابق (٢٥٠-٢٥١).
(٣) تفسير القرطبي (٢٠/٤٥٢).

عـــز وجـــل ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾﴾ [الفتح: ١٨]، فمن أخبرنا الله عز وجل أنه علم ما في قلوبهم رضي الله عنهم وأنزل السكينة عليهم فلا يحل لأحد التوقف في أمرهم ولا الشك فيهم البتة (١).

ومن خلال ما تقدم يظهر لنا جلياً كيف تأثر الكثير ممن ينتسبون للأدب واللغة بهذا المنهج وخصوصا ممن كان متخصصا في اللغة وأدابها.

(١) الفِصل في الملل والنحل (٣/١٠٥-١٠٦).

المطلب الثالث:

الخوض فيما جرى بين الصحابة ﷺ.

سبق وأن بينَّا بأن الصحابة ﷺ بشر، يصيبون ويخطئون، وخطأ أحدهم لا يضر إذا قورن بالحسنات التي عملها، من صحبةٍ للنبي ﷺ وجهادٍ معه ﷺ بالمال والنفس والدعوة إلى الله تعالى وغير ذلك.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:" ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد ﷺ الذي هم أحق الناس بشفاعته أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين: إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطئوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور لهم؟ ثم القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله به عليهم من الفضائل علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى"(١).

وموقف أهل السنة والجماعة هو ما دل عليه الكتاب والسنة، من الإمساك وعدم الخوض فيما جرى بين الصحابة ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٤].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/١٥٥-١٥٦).

وسُئل الإمام الزاهد عمر بن عبد العزيز[(١)] رحمه الله عن قتلى صفين فقال:"دماء طهر الله يدي منها، لا أحب أن ألطخ لساني بها"[(٢)].

وقال إبراهيم بن موسى بن آزر[(٣)] حضرت أحمد ابن حنبل وسأله رجل عما جرى بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، فأعرض عنه، فقيل له يا أبا عبد اللَّه هو رجل من بني هاشم فأقبل عليه وقال اقرأ: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ الآية "[(٤)].

وقال الله تعالى: ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال ابن كثير رحمه الله: "قد أخبر الله العظيم أنه قد رضي عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، فيا ويل من أبغضهم أو سَبَّهم أو أبغض أو سبَّ بعضهم "[(٥)].

وعن أبي بردة عن أبيه ﷺ قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي معه العشاء قال فجلسنا، فخرج علينا، فقال: (ما زلتم هاهنا؟) قلنا: يا رسول الله صلينا معك المغرب، ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء، قال (أحسنتم أو أصبتم)

---

(١) عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ولد سنة: ٦٣هـ، كان مما رحم الله هذه الأمة بخلافة عمر بن عبد العزيز ﷺ فاستخلف سنة: ٩٩هـ ومات سنة: ١٠١هـ، انظر: (الطبقات الكبرى ٥/٢٥٣) و (التاريخ الكبير ٦/١٧٤-١٧٥).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/١٢٩).

(٣) هو إبراهيم بن موسى بن آزر الفقيه نقل عن الإمام أحمد أشياء له ابنٌ اسمه إسحاق حدث عن الحسن بن عرفة وعلي بن الحُسَيْن بن إشكاب ومحمد بن سعد العوفي، انظر: (تاريخ بغداد وذيوله ٦/٣٩٤) و (طبقات الحنابلة ١/٢٥٠).

(٤) طبقات الحنابلة (١/٢٥٠).

(٥) تفسير ابن كثير (٢/٨٧٦).

قال فرفع رأسه إلى السماء، وكان كثيرا مما يرفع رأسه إلى السماء، فقال:"النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون"(١).

فالنبي ﷺ أمنة لأصحابه ﷺ، أي أمنٌ وأمانٌ لهم من الفتن والحروب، وقد زكى النبي ﷺ أصحابة ﷺ بأنهم أمانٌ لأمته، كما أن النبي ﷺ أمانٌ لهم، وفيه دلالة على عدالتهم، ورفعة مكانتهم، وأنهم أهل السبق والفضل، وأهل التقدير والاحترام.

قال الإمام النووي:"ومعنى الحديث أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية فإذا انكدرت النجوم وتناثرت في القيامة وهنت السماء، فانفطرت وانشقت، وذهبت. وقوله ﷺ وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، أي من الفتن والحروب وارتداد من الأعراب واختلاف القلوب نحو ذلك مما أنذر به صريحاً وقوله ﷺ وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون. معناه من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم وانتهاك مكة والمدينة وغير ذلك"(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد رضي الله عنه وبين عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه كلام، فقال خالد لعبد الرحمن: تستطيلون علينا بأيام سبقتمونا بها، فبلغنا أن ذلك ذكر للنبي ﷺ، فقال:"دعوا لي أصحابي، فوالذي نفسي بيده، لو أنفقتم مثل أحد – أو مثل الجبال – ذهبا، ما بلغتم أعمالهم"(٣).

وعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:"إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا"(٤).

فالكف عما شجر بين أصحاب النبي ﷺ أصلٌ من أصول أهل السنة والجماعة، ذلك أن الخوض فيما حصل بينهم ضرره عظيم، وعاقبته وخيمة، ونتائجه مهلكة وجسيمة

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم (٧١/١٦).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣١٩/٢١) برقم: ١٣٨١٢، وقال محققه: إسناده صحيح .

(٤) سبق تخريجه.

فحصول الفتنة أمرٌ وارد، لأن ما وقع بينهم إنما هو فتنة عظيمة، كما أخبر بذلك النبي ﷺ .

فعن أبي هريرة ؓ أن رسول الله ﷺ قال:" لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة، دعوتهما واحدة..."(١).

قال النووي رحمه الله: " هذا من المعجزات وقد جرى هذا في العصر الأول"(٢).

وقال ابن حجر رحمه الله:" قوله حتى تقتتل فئتان...أن المراد بالفئتين علي ومن معه ومعاوية ومن معه"(٣).

والخوض فيما شجر بين الصحابة ﵃ يفتح بابٌ عظيم لمن أراد النيل من هذا الدين، فبالطعن في أصحاب محمد ﷺ وهم حملة هذا الدين، طعنٌ فيما حملوه لنا وبلغونا إياه.

قال الإمام مالك رحمه الله:" إنما هؤلاء أقوام أرادوا القدح في النبي ﷺ، فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه، حتى يقال رجل سوء، ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحين"(٤).

وقال أبو زرعة الرازي رحمه الله:"إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة"(٥).

وبعد فإن السلف الصالح ﵃ ورحمهم، قد أجمعوا على الكف عما شجر بين الصحابة ﵃ وعدم الخوض في ذلك، لما علموه من عموم الأدلة المبينة لعدالتهم ﵃، ومعرفة حقوقهم، ولما فيه كذلك من فتح بابٍ من أبواب الفتنة، وأقلها عدم تقديرهم واحترامهم

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الفتن برقم: ٧١٢١، ومسلم في صحيحة كتاب الفتن وأشراط الساعة (باب: باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما) برقم:٧٢٥٦.

(٢) المصدر السابق (١٣/١٨).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٢٨/١٨).

(٤) الصارم المسلول (٥٨٠).

(٥) الكفاية في علم الرواية والدراية للخطيب البغدادي (٤٩).

والتنقص منهم ﷺ من خلال وضعهم في ميزان الجرح والتعديل، والسلف الصالح متفقون ومجمعون على عدالتهم، **قال** ابن الصلاح رحمه الله:" للصحابة بأسرهم خصيصة، وهي أنه لا يسأل عن عدالة أحد منهم، بل ذلك أمر مفروغ منه، لكونهم على الإطلاق معدلين بنصوص الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به في الإجماع من الأمة"[(١)].

وقال الإمام النووي رحمه الله:"ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهاداتهم ورواياتهم، وكمال عدالتهم ﷺ أجمعين"[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"ولكن أهل السنة متفقون على عدالة الصحابة"[(٣)].

ومن أقوال السلف الصالح ﷺ ورحمهم في بيان عقيدة أهل السنة والجماعة في هذه المسألة ما يلي:

قال الحسن البصري رحمه الله عندما سئل عن قتال الصحابة فيما بينهم:" قتال شهده أصحاب محمد ﷺ وغبنا، وعلموا وجهلنا، واجتمعوا فاتبعنا، واختلفوا فوقفنا"[(٤)].

وقال الإمام أحمد رحمه الله:"وخير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر وعمر بعد أبي بكر وعثمان بعد عمر وعلي بعد عثمان ووقف قوم وهم خلفاء راشدون مهديون ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس لا يجوز لأحد أن يذكر شيئا من مساويهم ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا نقص..."[(٥)].

---

(١) مقدمة ابن الصلاح (٢٩٤).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٥/١٣٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥-٥٤).

(٤) تفسير القرطبي (١٩/٣٨٣).

(٥) الصارم المسلول (٥٦٨).

وقال الإمام الطحاوي في عقيدته: "ونحب أصحاب رسول الله ﷺ، ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان"(١).

وقال الإمام أبو بكر الإسماعيلي:"والكف عن الوقيعة فيهم وتأويل القبيح عليهم ويَكِلِونهم فيما جرى بينهم على التأويل إلى الله عز وجل"(٢).

وقال ابن بطة العكبري:"ومن بعد ذلك نكف عما شجر بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد شهدوا المشاهد معه، وسبقوا الناس بالفضل، فقد غفر الله لهم وأمر بالاستغفار لهم والتقرب إليه بمحبتهم، وفرض ذلك على لسان نبيه وهو يعلم ما سيكون منهم وأنهم سيقتتلون، وإنما فُضِّلوا على سائر الخلق لأن الخطأ والعمد قد وُضع عنهم وكل ما شجر بينهم مغفور لهم"(٣).

وقال الإمام ابن أبي زمنين رحمه الله:" ومن قول أهل السنة أن يعتقد المرء المحبة لأصحاب النبي ﷺ وأن ينشر محاسنهم وفضائلهم، ويمسك عن الخوض فيما دار بينهم.

وقد أثنى الله عز وجل في غير موضع من كتابه ثناء أوجب التشريف إليهم بمحبتهم والدعاء لهم..."(٤).

وقال الإمام اللالكائي رحمه الله:"والترحم على جميع أصحاب محمد والكف عما شجر بينهم"(٥).

وقال الإمام أبو عثمان إسماعيل الصابوني:"ويرون الكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ، وتطهير الألسنة عن ذكر ما يتضمن عيبا لهم ونقصا فيهم، ويرون الترحم على جميعهم والموالاة لكافتهم، وكذلك يرون تعظيم قدر أزواجه رضي الله عنهن، والدعاء

---

(١) شرح الطحاوية (٣٨٠).

(٢) اعتقاد أئمة أهل الحديث (٧٩).

(٣) الشرح والإبانة (١٧٣-١٧٤).

(٤) أصول السنة لابن أبي زمنين (٢٠٥).

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨٧).

لهن ومعرفة فضلهن والإقرار بأنهن أمهات المؤمنين "[(١)].

وقال الإمام النووي رحمه الله:"ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم و الإمساك عما شجر بينهم وتأويل قتالهم وأنهم مجتهدون متأولون لم يقصدوا معصية ولامحض الدنيا"[(٢)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ويمسكون عما شجر بين الصحابة"[(٣)].

وقال الإمام الذهبي:" نقرر الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة و قتالهم ﷺ، و ما زال يمر بنا ذلك في الدواوين و الكتب و الأجزاء و لكن أكثر ذلك منقطع و ضعيف و بعضه كذب و هذا فيما بأيدينا و بين علمائنا، فينبغي طيه و إخفاؤه بل إعدامه، لتصفو القلوب و تتوفر على حب الصحابة و الترضي عنهم، وكتمان ذلك متعين عن العامة و آحاد العلماء، و قد يرخص في مطالعة ذلك- خلوة – للعالم المنصف العري من الهوى بشرط أن يستغفر لهم كما علمنا الله تعالى حيث يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]، فالقوم لهم سوابق و أعمال مكفرة لما وقع منهم و جهاد محاء و عبادة ممحصة ولسنا ممن يغلو في أحد منهم، ولا ندعي فيهم العصمة، نقطع بأن بعضهم أفضل من بعض، ونقطع بأن أبا بكر وعمر أفضل الأمة"[(٤)].

وقال ابن حجر رحمه الله:" واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك ولو عرف المحق منهم لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب

---

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٩٤).

(٢) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٢/١٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١٥٤/٣).

(٤) سير أعلام النبلاء (٤٢٥/٨).

إلا عن اجتهاد وقد عفا الله تعالى عن المخطئ في الاجتهاد بل ثبت أنه يؤجر أجرا واحدا وأن المصيب يؤجر أجرين"[١].

وبما أن بين الحق والباطل صراعٌ أزلي، فلابد وأن تجد من يخالف هذا الحق المنصوص عليه من كتاب ربنا جل وعلا وسنة نبينا ﷺ، ويجعل من هواه قائداً له ولمن وافقه ونحا نحوه في الخوض فيما جرى بين صحابة رسول الله ﷺ، غير أبهٍ بما أجمع عليه السلف من النهي عن ذلك .

ومن النماذج القريبة على هذه المخالفة، صدور كتابٍ يخوض فيما جرى بين الصحابة ﷺ، كما هو عنوانه (الخلافات السياسية بين الصحابة ﷺ)، فقد خالف المؤلف هداه الله، الأصل الذي عليه أهل السنة والجماعة من الكف عما شجر بين الصحابة ﷺ .

قائلاً: " فإنَّ الأولوية اليوم هي كشفُ فضائح المستبدِّين، وتجريدهم من أيِّ شرعيَّة أخلاقيَّة أو تاريخيَّة، إضافة إلى أنَّ البِدع السياسيَّة لا تقلُّ خطورةً عن بدع الاعتقاد، كما تشهد به عبرة أربعة عشر قرنًا من تاريخ الإسلام .لكن كشف فضائح المستبدِّين المعاصرين غير ممكن ما دام الحديث عن الانحرافات السياسيَّة التي بدأت في عصر الصَّحابة مطبوع بطابع التبرير والدِّفاع، لا بطابع الدِّراسة المجرَّدة الهادفة إلى الاعتبار، وما دام الحديث عن تلك الفتن والخلافات السياسيَّة يتحكَّم فيه فقهُ التحفُّظ، لا فقه التقويم؛ ذلك أنَّ من طبيعة المبدأ الأخلاقي العموم والاطِّراد، فليس من الممكن تحريم الظُّلم السِّياسيِّ على الخَلَف، وإباحته للسَّلف، دون وقوع في تناقُض فكري وأخلاقي"[٢].

ولإعراضه — هداه الله — عن إتباع السلف الصالح والأخذ بإجماعهم، كما دل على ذلك الكتاب الكريم والسنة النبوية في هذه المسألة، زلت به القدم - نسأل الله العافية - وتجرأ على الصحابة ﷺ، حتى وصل به الحال للطعن بهم، وانظر **لقوله** هذا: "ومهما يرهق الباحث نفسه في تأصيل العدل في الحُكم والقَسْم، فسيجد من المصابين بداء التَّجسيد من

(١) فتح الباري (٥٢/١٣).

(٢) الخلافات السياسية بين الصحابة لمحمد بن المختار الشنقيطي (٢٤).

يحتجُّ عليه قولًا أو فعلًا بعمل بعض الأكابر الذين آثَروا أقاربَهم بالولايات والأموال. ومهما يُرهق نفسه في الحديث عن حقِّ الأمَّة في اختيار قادتها، فسيجد مَن يُحاجحه قولًا أو فعلًا بعمل بعض الأكابر الذين ورثَّوا أبناءهم السُّلطة. وليس من حلٍّ لهذه الأزمة الفكريَّة والعمليَّة سوى التقيُّد بوصية النبيِّ ﷺ لأبي ذرٍّ رضي الله عنه بـ (قلِ الحقَّ وإن كان مرًّا)[1]، وتسميةِ الأخطاء بأسمائها دون مواربة، وخصوصًا أخطاء الأكابر الذين هم محلُّ القُدوة والأُسوة من أجيال الأمَّة"[2].

فهذه المقالة الرديئة تبين لك عِظَم فقه السلف الصالح رضي الله عنهم، وإجماعهم على الكف عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم، لكيلا تضل أفهام العوام، ويتخذها ذريعةً الهوام من أهل البدع والأهواء .

وصدق الإمام ابن القيم رحمه الله، عندما قال: " فإن البدع تستدرج بصغيرها إلى كبيرها، حتى ينسلخ صاحبها من الدين، كما تنسل الشعرة من العجين، فمفاسد البدع لا يقف عليها إلا أرباب البصائر، والعميان ضالون في ظلمة العمى ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠] "[3].

فانظر في ذلك ما سطره سيد قطب في كتابه (كتب وشخصيات)[4] عن أصحاب رسول الله ﷺ، من الطعن في عدالتهم واتهامهم رضي الله عنهم بالكذب والخداع: " إن معاوية وزميله

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٢٧/٣٥) برقم: ٢١٤١٥، عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: أمرني خليلي ﷺ بسبع:"أمرني بحب المساكين، والدنو منهم، وأمرني أن أنظر إلى من هو دوني، ولا أنظر إلى من هو فوقي، وأمرني أن أصل الرحم وإن أدبرت، وأمرني أن لا أسأل أحدا شيئا، وأمرني أن أقول بالحق وإن كان مرا، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنهن من كنز تحت العرش"، قال محققه: حديث صحيح.

(٢) المصدر السابق (٣٢).

(٣) مدارج السالكين (١٦٥).

(٤) (٢٤٢).

عمراً لم يغلبا علياً لأنهما أعرف منه بدخائل النفوس، وأخبر منه بالتصرف النافع في الظرف المناسب. ولكن لأنهما طليقان في استخدام كل سلاح، وهو مقيد بأخلاقه في اختيار وسائل الصراع. وحين يركن معاوية وزميله إلى الكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم لا يملك عليٌ أن يتدلى إلى هذا الدرك الأسفل. فلا عجب ينجحان ويفشل، وإنه لفشل أشرف من كل نجاح.

على أن غلبة معاوية على علي، كانت لأسباب أكبر من الرجلين: كانت غلبة جيل على جيل، وعصر على عصر، واتجاه على اتجاه. كان مد الروح الإسلامي العالي قد أخذ ينحسر. وارتد الكثيرون من العرب إلى المنحدر الذي رفعهم منه الإسلام، بينما بقي علي في القمة لا يتبع هذا الانحسار، ولا يرضى بأن يجرفه التيار. من هنا كانت هزيمته، وهي هزيمة أشرف من كل انتصار".

وقال أيضاً في كتابه (العدالة الاجتماعية)[1]:" وأخيرًا ثارت الثّائرة على عثمان، واختلط فيها الحق والباطل، والخير والشّر. ولكن لابد لمن ينظر إلى الأمور بعين الإسلام، ويستشعر الأمور بروح الإسلام، أن يقرر أنّ تلك الثّورة في عمومها كانت فورة من روح الإسلام؛ وذلك دون إغفال لما كان وراءها من كيد اليهودي ابن سبأ عليه لعنة الله! واعتذارنا لعثمان ﵁: أنّ الخلافة قد جاءت إليه متأخرة، فكانت العصبة الأمويّة حوله وهو يدلف إلى الثّمانين، فكان موقفه كما وصفه صاحبه علي بن أبي طالب: "إنّي إن قعدت في بيتي قال: تركتني وقرابتي وحقي؛ وإن تكلّمت فجاء ما يريد، يلعب به مروان، فصار سيقة له يسوقه حيث شاء، بعد كبر سنّه وصحبته لرسول الله ".

وهذا المنزلق الخطير، هو بسبب البعد عن الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة من النهي عن الخوض فيما شجر بين الصحابة ﵃، لأنه ولا بد من أن يقع الخائض في أعراضهم وينتهك عدالتهم، ويرميهم بأبشع الأوصاف كما مر معنا.

---

(١) (٢١٦-٢١٧).

وأخرج الخلال: " عن أبي بكر المروذي أنه سأل أبا عبد الله عن من يشتم أبا بكر وعمر وعائشة؟ قال: ما أرآه على الإسلام، قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: قال مالك:" الذي يشتم أصحاب النبي ﷺ ليس له سهم، أو قال: نصيب في الإسلام"[(١)].

(١) السنة للخلال (م١، ج٣،ص:٣٨٩).

المطلب الرابع:

تمثيل الصحابة ﷺ في المسلسلات بهدف نشر سيرهم.

هذا المطلب هو امتداد للمطالب السابقة، من حيث أن ترك الدعوة لمعرفة حقوق الصحابة ﷺ وتربية النشء على ذلك يورث هذه المخالفات، ويخرج جيلاً تتخطفه الأهواء.

فمن تلك المخالفات، دعوى جواز تمثيل الصحابة ﷺ وتجسيدهم، وهذا العمل فيه ما فيه من الامتهان للصحابة ﷺ والحط من قدرهم، بخلاف المنكرات التي تقع خلال التمثيل من تبرج وسفور واختلاط وغير ذلك.

وقد أطبق العلماء في هذا العصر على تحريم تمثيل الصحابة ﷺ، رداً على دعوى بعض الدعاة المنتسبين للعلم، والذين جوزوا هذا العمل الشنيع، بدعوى أن هناك خلاف في هذه المسألة .

قال الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله تعالى:" لا أعلم قائلاً بجواز (التمثيل) مطلقاً، ومن أجازه حفه بشروط وضوابط، وفي هذه الحال فللمجيز جوازاً مقيداً بشروط: شبَه أفضت به إلى القول بالجواز بشروطه"[(١)].

وفيما يلي أنقل بعضاً من فتاوى كبار العلماء في العالم الإسلامي:

أولاً: قرار هيئة كبار العلماء رقم (١٣) وتاريخ ١٦/ ٤ / ١٣٩٣ هـ[(٢)]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن هيئة كبار العلماء في دورتها الثالثة المنعقدة فيما بين ١/ ٤ /١٣٩٣هـ، و ١٣٩٣/٤/١٠ هـ قد اطلعت على خطاب المقام السامي رقم (٤٤/ ٩٣/ ١) وتاريخ ١/١/ ١٣٩٣ هـ، الموجه إلى رئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، والذي جاء فيه ما نصه: نبعث إليكم مع هذا الرسالة الواردة إلينا من طلال ابن الشيخ

---

(١) حكم التمثيل لبكر أبو زيد (٤٩).

(٢) أبحاث هيئة كبار العلماء (٣/٣٢٨-٣٣٠).

محمود البسني المكي مدير عام شركة لونا فيلم من بيروت بشأن اعتزام الشركة عمل فيلم سينمائي يصور حياة (بلال) مؤذن رسول الله ﷺ ونرغب إليكم بعد الاطلاع عليها عرض الموضوع على كبار العلماء لإبداء رأيهم فيه وإخبارنا بالنتيجة:

وبعد اطلاع الهيئة على خطاب المقام السامي وما أعدته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على ذلك وتداول الرأي فيه- قررت الهيئة بالإجماع ما يلي:

١ - أن الله سبحانه وتعالى أثنى على الصحابة، وبين منزلتهم العالية، ومكانتهم الرفيعة. وفي إخراج حياة أي واحد منهم على شكل مسرحية أو فيلم سينمائي منافاة لهذا الثناء الذي أثنى الله تعالى عليهم به، وتنزيل لهم من المكانة العالية التي جعلها الله لهم وأكرمهم بها.

٢ - أن تمثيل أي واحد منهم سيكون موضعا للسخرية والاستهزاء به، ويتولاه أناس غالبا ليس للصلاح والتقوى مكان في حياتهم العامة، والأخلاق الإسلامية، مع ما يقصده أرباب المسارح من جعل ذلك وسيلة إلى الكسب المادي، وأنه مهما حصل من التحفظ فيشتمل على الكذب والغيبة، كما يضع تمثيل الصحابة ﷺ في أنفس الناس وضعا مزريا، فتتزعزع الثقة بأصحاب الرسول ﷺ، وتخف الهيبة التي في نفوس المسلمين من المشاهدين، وينفتح باب التشكيك على المسلمين في دينهم، والجدل والمناقشة في أصحاب محمد ﷺ، ويتضمن ضرورة أن يقف أحد الممثلين موقف أبي جهل وأمثاله، ويجري على لسانه سب بلال وسب الرسول ﷺ وما جاء به من الإسلام، ولا شك أن هذا منكر، وكما يتخذ هدفا لبلبلة أفكار المسلمين نحو عقيدتهم، وكتاب ربهم، وسنة نبيهم محمد ﷺ.

٣ - ما يقال من وجود مصلحة، وهي: إظهار مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب، مع التحري للحقيقة، وضبط السيرة، وعدم الإخلال بشيء من ذلك بوجه من الوجوه؛ رغبة في العبرة والاتعاظ- فهذا مجرد فرض وتقدير، فإن من عرف حال الممثلين وما يهدفون إليه عرف أن هذا النوع من التمثيل يأباه واقع الممثلين، ورواد التمثيل، وما هو شأنهم في حياتهم وأعمالهم.

٤ – من القواعد المقررة في الشريعة: أن ما كان مفسدة محضة أو راجحة فإنه محرم، وتمثيل الصحابة على تقدير وجود مصلحة فيه، فمفسدته

راجحة؛ فرعاية للمصلحة، وسدا للذريعة، وحفاظا على كرامة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يجب منع ذلك.

وقد لفت نظر الهيئة ما قاله طلال من أن محمدا ﷺ وخلفاءه الراشدين هم أرفع من أن يظهروا صورة أو صوتا في هذا الفيلم- لفت نظرهم إلى أن جرأة أرباب المسارح على تصوير (بلال) وأمثاله من الصحابة إنما كان لضعف مكانتهم، ونزول درجتهم في الأفضلية عن الخلفاء الأربعة، فليس لهم من الحصانة والوجاهة ما يمنع من تمثيلهم وتعريضهم للسخرية والاستهزاء في نظرهم، فهذا غير صحيح؛ لأن لكل صحابي فضلا يخصه وهم مشتركون جميعا في فضل الصحبة وإن كانوا متفاوتين في منازلهم عند الله جل وعلا، وهذا القدر المشترك بينهم وهو فضل الصحبة يمنع من الاستهانة بهم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وآله وصحبه.

هيئة كبار العلماء

رئيس الدورة الثالثة

محمد الأمين الشنقيطي

عبد الله بن حميد ... عبد الله خياط ... عبد الرزاق عفيفي

عبد المجيد حسن ... عبد العزيز بن صالح ... عبد العزيز بن باز

إبراهيم بن محمد آل الشيخ ... سليمان العبيد ... محمد الحركان

عبد الله بن غديان ... راشد بن خنين ... صالح بن غصون

صالح بن لحيدان ... عبد الله بن منيع ... محمد بن جبير

ثانياً: فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء(١)

وسُئلت اللجنة الدائمة هذا السؤال:

هل يجوز تمثيل الصحابة لأننا نقدم تمثيليات وقد أوقفنا إحداها رغبة في معرفة الحكم.

فأجابت:

تمثيل الصحابة أو أحد منهم ممنوع؛ لما فيه من الامتهان لهم والاستخفاف بهم وتعريضهم للنيل منهم، وإن ظن فيه مصلحة فما يؤدي إليه من المفاسد أرجح، وما كانت مفسدته أرجح فهو ممنوع، وقد صدر قرار من مجلس هيئة كبار العلماء في منع ذلك.

وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

عضو ... عضو ... نائب رئيس اللجنة ... الرئيس

عبد الله بن قعود ... عبد الله بن غديان ... عبد الرزاق عفيفي ... عبد العزيز بن عبد الله بن باز

ثالثاً: قرار رابطة العالم الإسلامي(٢).

وقد صدر قرار من رابطة العالم الإسلامي بخصوص تمثيل رسول الله ﷺ في فيلم - استعرض حكم تمثيل أصحاب رسول الله ﷺ بما نصه:

وكما يحرم ذلك كله في حق الرسول ﷺ يحرم تمثيل الصحابة الأكرمين ﭫ أجمعين باتفاق أهل العلم؛ لشرفهم بالصحبة العظيمة، واختصاصهم بها دون من عداهم من الناس، ولكرامتهم عند الله تعالى وثنائه عليهم في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح: ٢٩] ، فهم أحقاء إجماعا بالتكريم والتعظيم والتوقير؛

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية (٧١٢/١).

(٢) أبحاث هيئة كبار العلماء (٢٩٦/٣).

ولذلك أجمع أهل العلم على حرمة تصويرهم في الأفلام أو على المسارح؛ لما فيه من المنافاة الصارخة لكل ذلك. اهـ.

كما صدر قرار من المنظمات الإسلامية العالمية المنعقدة في دورتها في مكة المكرمة في ذي الحجة سنة ١٣٩٠هـ، جاء فيه ما نصه: قرر المؤتمر استنكاره الشديد لمحاولة إخراج فيلم سينمائي يمثل فيه النبي ﷺ بأية صورة من الصور أو كيفية من الكيفيات، كما يستنكر تمثيل الصحابة ﵃، ويناشد المؤتمر كل الحكومات الإسلامية أن تقضي على هذه المحاولة في مهدها".

رابعاً: قرار المجمع الفقهي الإسلامي في حكم تمثيل الأنبياء والصحابة[١].

فإن المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته العشرين المنعقدة بمكة المكرمة، في الفترة من ١٩-٢٣ محرم ١٤٣٢هـ التي يوافقها:٢٥-٢٩ ديسمبر ٢٠١٠م لاحظ استمرار بعض شركات الإنتاج السينمائي في إعداد أفلام ومسلسلات فيها تمثيل أشخاص الأنبياء والصحابة فأصدر البيان التالي:

تأكيداً لقرار المجمع في دورته الثامنة المنعقدة عام ١٤٠٥هـ الصادر في هذا الشأن، المتضمن تحريم تصوير النبي محمد ﷺ وسائر الرسل والأنبياء عليهم السلام والصحابة ﵃، ووجوب منع ذلك.

ونظراً لاستمرار بعض شركات الإنتاج السينمائي في إخراج أفلام ومسلسلات تمثل أشخاص الأنبياء والصحابة، فإن المجمع يؤكد على قراره السابق في تحريم إنتاج هذه الأفلام والمسلسلات، وترويجها والدعاية لها واقتنائها ومشاهدتها والإسهام فيها وعرضها في القنوات، لأن ذلك قد يكون مدعاة إلى انتقاصهم والحط من قدرهم وكرامتهم، وذريعة إلى السخرية منهم، والاستهزاء بهم.

---

(١) من موقع الإسلام سؤال وجواب (http://islamqa.info/ar/163107)

ولا مبرر لمن يدعي أن في تلك المسلسلات التمثيلية والأفلام السينمائية التعرف عليهم وعلى سيرتهم؛ لأن كتاب الله قد كفى وشفى في ذلك قال تعالى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [يوسف:٣] وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[يوسف: ١١١]. ويذكر المجمع بقرار هيئة كبار العلماء، وفتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية، وفتوى مجمع البحوث الإسلامية في القاهرة، وغيرها من الهيئات والمجامع الإسلامية في أقطار العالم التي أجمعت على تحريم تمثيل أشخاص الأنبياء والرسل عليهم السلام مما لا يدع مجالاً للاجتهادات الفردية، كما يذكر بما صدر عن الرابطة في ١٤٣١/١١/١٦هـ.

ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن الله تعالى فضل الأنبياء والرسل على غيرهم من العالمين، كما قال تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦]

ففي قوله ﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ تفضيل الأنبياء على سائر الخلق، ومحمد ﷺ هو خير الأنبياء وأفضلهم، كما قال عن نفسه: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع، وأول مشفع"(١).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الفضائل (باب: تفضيل نبينا ﷺ على جميع الخلائق) برقم: ٥٩٤٠.

وهذا التفضيل الإلهي للأنبياء الكرام -وفي مقدمتهم نبينا محمد ﷺ -يقتضي توقيرهم واحترامهم، فمن ألحق بهم أيّ نوع من أنواع الأذى فقد باء بالخيبة والخسران في الدنيا والآخرة، قال تعالى -في حق نبيه محمد ﷺ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ [الأحزاب:٥٧]

فجعل أذى الرسول ﷺ من أذى الله تعالى، وحكم على مؤذيه بالطرد والإبعاد عن رحمته، والعذاب المهين له.

وقد قرّر أهل العلم أن أذية الرسول ﷺ تحصل بكل ما يؤذيه من الأقوال والأفعال.

وتمثيل أنبياء الله يفتح أبواب التشكيك في أحوالهم والكذب عليهم، إذ لا يمكن أن يطابق حال الممثلين حال الأنبياء في أحوالهم وتصرفاتهم وما كانوا عليه -عليهم السلام - من سمت وهيئة وهدي، وقد يؤدي هؤلاء الممثلون أدواراً غير مناسبة -سابقاً أو لاحقاً- ينطبع في ذهن المتلقي اتصاف ذلك النبي بصفات تلك الشخصيات التي مثلها ذلك الممثل.

فعلى الأمة أن تقوم بواجبها الشرعي في الذبّ عن الأنبياء والمحافظة على مكانتهم، والوقوف ضد من يتعرض لهم بشيء من الأذى.

والصحابة الكرام رضوان الله عليهم شرفهم الله بصحبة النبي ﷺ، واختصهم بها دون غيرهم من الناس، ولكرامتهم عند الله أثنى الله عليهم بقوله: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفتح:٢٩].

ولا يمكن للممثلين مطابقة ما كان عليه الصحابة ﷺ من سمت وهدي.

والـذين يقومـون بإعـداد السـيناريو في تمثيـل الصـحابة ﷺ ينقلـون الغـث والسـمين، ويحرصون على نقل ما يساعدهم في حبكة المسلسل أو الفيلم وإثارة المشاهد، وربما زادوا عليها أشياء يتخيلونها وأحداثاً يستنتجونها، والواقع بخلاف ذلك.

وقد يتضمن ذلك أن يمثل بعض الممثلين دور الكفار ممن حارب الصحابة أو عذب ضعفاءهم، ويتكلمون بكلمات كفرية كالحلف باللات والعزى، أو ذم النبي ﷺ وما جاء به، مما لا يجوز التلفظ به ولا إقراره.

وما يقال من أن تمثيل الأنبياء عليهم السلام والصحابة الكرام فيه مصلحة للدعوة إلى الإسلام، وإظهار لمكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب غير صحيح.

ولو فرض أن فيه مصلحة فإنها لا تعتبر أيضاً، لأنه يعارضها مفسدة أعظم منها، وهي ما سبق ذكره مما قد يكون ذريعة لانتقاص الأنبياء والصحابة والحط من قدرهم.

ومن القواعد المقررة في الشريعة الإسلامية أن المصلحة المتوهمة لا تعتبر، ومن قواعدها أيضاً: أن المصلحة إذا عارضتها مفسدة مساوية لها لا تعتبر؛ لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، فكيف إذا كانت المفسدة أعظم من المصلحة وأرجح، كما هو الشأن في تمثيل الأنبياء والصحابة.

ثم إن الدعوة إلى الإسلام وإظهار مكارم الأخلاق تكون بالوسائل المشروعة التي أثبتت نجاحها على مدار تاريخ الأمة الإسلامية.

ووسائل الإعلام مدعوة إلى الإسهام في نشر سير الأنبياء والرسل عليهم السلام والصحابة الكرام ﷺ دون تمثيل شخصياتهم، وهي مدعوة إلى امتثال التوجيهات الإلهية والنبوية في القيام بالمسؤوليات المتضمنة توعية الجماهير ؛ لكي تتمسك بدينها وتحترم سلفها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين.

خامساً: خطاب إحالة إلى هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية[١].

حكم تمثيل الصحابة في مسرحية أو فيلم سينمائي

يحسن بنا قبل تقديم ما تيسر الحصول عليه من أقوال أهل العلم في حكم تمثيل الصحابة رضي الله عنهم أن نشير إلى اعتبارات تحسن ملاحظتها أثناء بحث المسألة.

الأول: ما لأصحاب رسول الله ﷺ من المكانة العليا في الإسلام بحكم معاصرتهم رسول الله ﷺ وقيامهم بواجب نصرته وموالاته والتفاني في سبيل الله ببذلهم أموالهم وأولادهم ونفوسهم، فقد اتفق أهل العلم على أنهم صفوة هذه الأمة وخيارها، وأن الله شرفهم بصحبة رسول الله ﷺ وأثنى عليهم في كتابه الكريم بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾ [الفتح:٢٩]. وجاءت الأحاديث الصحيحة بتسجيل فضلهم وأن لهم قدم صدق عند الله، ففي صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال حدثنا أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال:" قال رسول الله ﷺ: "يأتي على الناس زمان فيغزوا فئام من الناس فيقال هل فيكم من صاحب رسول الله ﷺ فيقولون نعم فيفتح لهم: ثم يأتي على الناس زمان فيغزوا فئام من الناس فيقال هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ فيقولون نعم فيفتح لهم"[٢].

وفي صحيح البخاري عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال:" قال رسول الله ﷺ "خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو

(١) مجلة البحوث الإسلامية (١/٢٢٦-٢٢٨).

(٢) سبق تخريجه.

ثلاثا ثم إن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون ويظهر فيهم السمن"[(١)].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال في شأن بعض أصحابه ﵃: "لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه"[(٢)].

الثاني: النظرة العامة إلى مشاهدة التمثيل: -

من أنه حال من أحوال اللهو والتسلية وشغل فراغ الوقت، فمشاهده في الغالب لا يريد من المشاهدة ما فيه مجال للعظة والتأمل، وإنما يقصد من ذلك إشباع غرائزه بما يشرح النفس وينسي الهموم، وينقل المرء من حال الجد إلى حال العبث والهزل.

الثالث: حال محترفي التمثيل من المناحي المسلكية: -

إن المتتبع لحياة الممثلين يخرج بنتيجة هي أن غالبهم سقط من الناس ليس للصلاح والتقوى مكان في حياتهم العامة ولا للأخلاق الإسلامية والعربية محل في دائرة أخلاقهم، ولا للقيم الإنسانية اعتبار عندهم، فإذا تقمص أحدهم شخصية صالح أو نبيل أو شهم أو عفيف أو جواد فذلك لأجل ما سيتقاضاه ثمنا لذلك، ثم يعود إلى سيرته الأولى ضاحكا لاهيا ساخرا معرضا عن الجوانب المشرقة في حياتهم.

الرابع: أغراض التمثيل: -

قد لا يختلف اثنان في أن الهدف الأول لأرباب المسارح في إقامة التمثيل فيها المكاسب المادية ومكاسبهم المادية لا تحصل إلا بمداعبة غرائز المشاهدين، وشهواتهم، فإذا عرفنا أن غالب المشاهدين لا يقصدون من مشاهدتهم التمثيل إلا قضاء فراغ أوقاتهم بما فيه العبث واللهو والتسلية، وفهمنا أن الهدف الأول والأخير من التمثيل الكسب المادي أدركنا أن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

القائمين على التمثيل سيحرصون على إنماء رصيد مشاهدي مسرحياتهم بتحقيق رغبة المشاهد في إشباع غرائزه العاطفية، وعرض ذلك على شاشات التمثيل وخشبات المسارح.

الخامس: اعتياد كثير من المؤرخين في مؤلفاتهم التاريخية على التساهل في تحقيق الوقائع التاريخية يضاف إلى ذلك أن مجموعة من ذوي الميول المنحرفة والأهواء المغرضة قد نفثوا سمومهم في التاريخ الإسلامي ما بين وقائع تاريخية كاذبة وتعليلات للجوانب التاريخية في الإسلام ترمي إلى التقليل من القيمة العليا لتضحية المسلمين في سبيل الله، فإذا كانت مادة التمثيل ستنقل من التاريخ، وليس هناك مرجع غيره أمكن تصور وجود الكذب والافتراء على السلف الصالح لاسيما صفوة هذه الأمة أصحاب رسول الله ﷺ.

المبحث الثالث:

المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة للإمامة، ولزوم الجماعة .

الدعوة للإمامة وإقامتها، ووجوب لزوم الجماعة، أصلٌ من الأصول العقدية عند أهل السنة والجماعة، إذ أنه لا يمكن أن يكون هناك إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة[1]، فإقامة الدين والشريعة وحفظ الأموال والأعراض والأنفس ،كلها قائمةٌ على هذا الأصل، لهذا اهتم أئمة السلف بتدوينها في مصنفاتهم ودراستها وتعلمها وتعليمها علماً وعملاً، قولاً وفعلاً وتقريراً، وما ذاك إلا لما لها من شأن عظيم ومكانة رفيعة في الإسلام، اهتم بها وبيَّن أركانها وواجباتها وحقوقها، وجعلها من مقاصد الدين العظيمة.

قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

قال ابن عبد البر رحمه الله: "وفيه الحض على الاعتصام والتمسك بحبل الله في حال اجتماع وائتلاف وحبل الله في هذا الموضع فيه قولان أحدهما كتاب الله والآخر الجماعة ولا جماعة إلا بإمام وهو عندي معنى متداخل متقارب لأن كتاب الله يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة"[2]، ثم ساق هذه الآية.

---

(١) هذا جزء من أثر يروى عن عمر بن الخطاب ﷺ أخرجه الدارمي في سننه (٣١٥/١) برقم:٢٥٧، عن تميم الداري ﷺ ، قال: تطاول الناس في البناء في زمن عمر ﷺ فقال عمر:"يا معشر العريب، الأرض الأرض، إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة، فمن سوده قومه على الفقه، كان حياة له ولهم، ومن سوده قومه على غير فقه، كان هلاكا له ولهم"، قال محققه: في إسناده علتان: الأولى جهالة صفوان بن رستم والثانية الانقطاع. وعبد الرحمن بن ميسرة لم يدرك تميما الداري.

(٢) التمهيد (٢٧٢/٢١).

إن المتأمل لنهضة الإسلام وعز المسلمين، يجد أن السبب الأول بعد توفيق الله عز وجل هو تمسكهم بالكتاب والسنة، واجتماعهم على إمامٍ واحدٍ وجماعةٍ واحدةٍ، وأن انكسارهم وتفرقهم سببه الابتعاد عن الكتاب والسنة، وتفرقهم نتيجة لذلك فأصبحوا أحزاباً وشيَّعاً.

وبما أن الدعوة إلى الله عز وجل هي الطريق الموصل لهذه الغاية، فقد أخفق كثيرٌ من الدعاة بعلمٍ أو بغير علم، في دورهم حول هذا المقصد العظيم من مقاصد الدين، فظهر لنا دعاةُ فرقةٍ وتحزبٍ، كان الولاء بالنسبة لهم للحزب والجماعة والطائفة، لا للإسلام والمسلمين، فزادوا من مرض الأمة وانكسارها، وتفرقها وتشرذمها، وسبب ذلك هو مخالفتهم لهذا الأصل المقرر في الكتاب والسنة وإجماع الأمة، فأعرضوا عن تقرير هذه المسائل للأمة، وأعرضوا عن الرد على أهل تلك المقالات المؤدية للافتراق، وقاموا بالتقليل من شأن الرَّاد على أصحاب تلك الدعاوى باتهامه بتهمٍ باطلة، ولعل أشهرها، أنه يفرق الأمة !!

فخرجت نتيجةً لذلك الفرق والأحزاب، وحصلت الفرقة والتناحر، وفي هذا المبحث بإذن الله سأتطرق لأبرز تلك المخالفات من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول:

الإعراض عن تقرير مسائل الإمامة، ولزوم الجماعة في الدعوة إلى الله.

مسائل الإمامة، والحث على الجماعة، أمر الله بها في كتابه الكريم، وقرَّرها النبي ﷺ في سنته الغراء، ودوَّنها السلف الصالح في كتبهم ومؤلفاتهم، وهذا بلا شك مظهر من مظاهر أهمية الدعوة لتقرير هذه المسألة العقدية، وإبطال إعراض كل مُعرِضٍ عن تقريرها.

ومن أدلة القرآن الكريم، ما يلي:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [البقرة: ٣٠].

قال الطبري رحمه الله: "خلف فلان فلانا في هذا الأمر، إذا قام مقامه فيه بعده. كما قال جل ثناؤه ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾ [سورة يونس: ١٤]، يعني بذلك أنه أبدلكم في الأرض منهم، فجعلكم خلفاء بعدهم. ومن ذلك قيل للسلطان الأعظم: خليفة، لأنه خلف الذي كان قبله، فقام بالأمر مقامه، فكان منه خلفا"(١).

وقال القرطبي رحمه الله: "هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع، لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليفة. ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة ولا بين الأئمة..."(٢).

وقال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [النساء: ٥٩].

---

(١) تفسير الطبري (١/٣٢٣).

(٢) تفسير القرطبي (١/٣٩٥).

قال الطبري رحمه الله: "وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك عندي، قول من قال: هو خطاب من الله ولاة أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى من ولوا أمره في فيئهم وحقوقهم، وما ائتمنوا عليه من أمورهم، بالعدل بينهم في القضية، والقسم بينهم بالسوية. يدل على ذلك ما وعظ به الرعية في: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾، فأمرهم بطاعتهم، وأوصى الراعي بالرعية، وأوصى الرعية بالطاعة"[(١)].

وقال القرطبي رحمه الله:" تقدم في هذه الآية إلى الرعية فأمر بطاعته عز وجل أولا، وهي امتثال أو أمره واجتناب نواهيه، ثم بطاعة رسوله ثانيا فيما أمر به ونهى عنه، ثم بطاعة الأمراء ثالثا..."[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحديد: ٢٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " ولهذا كان قوام الدين بكتاب يهدي وسيف ينصر وكفى بربك هاديا ونصيرا".

وقال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: "من الواضح المعلوم من ضرورة الدين أن المسلمين يجب عليهم نصب إمام تجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الله في أرضه، ولم يخالف في هذا إلا من لا يعتد به ... وأكثر العلماء على أن وجوب الإمامة الكبرى بطريق الشرع كما دلت عليه الآية المتقدمة وأشباهها وإجماع الصحابة رضي الله عنهم ولأن الله تعالى قد يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، كما قال تعالى: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ لأن قوله:

---

(١) المصدر السابق (٣/٩١٧).

(٢) المصدر السابق (٦/٤٢٨).

﴿ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ ﴾ فيه إشارة إلى إعمال السيف عند الإباء بعد إقامة الحجة"(١).

وأما السنة النبوية فقد دلت على وجوب نصب الإمام، ولزوم الجماعة، وحذرت من الفرقة والاختلاف، والسمع والطاعة في غير معصية الله، فمن ذلك:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال:"كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: (نعم). قلت: يا رسول الله، هل بعد هذا الشر من خير؟ قال: (نعم، وفيه دخن). قلت: يا رسول الله، وما دخنه؟ قال: (قوم يهدون بغير هديي، ويستنون بغير سنتي تعرف منهم وتنكر). قلت: هل بعد هذا الخير من شر؟ قال: (نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها). قال: قلت: يا رسول الله، صفهم لنا، قال: (هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا)، قال: قلت: يا رسول الله، فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم). قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)"(٢).

وفي هذا الحديث دلالة واضحة على أن الخير في تنصيب الإمام والاجتماع عليه، ولزوم الجماعة، وأن الشر يكون بخلاف ذلك، واختُلِف في الشر المذكور في هذا الحديث وكذلك الخير الذي بعده.

قال ابن حجر رحمه الله:" قال عياض المراد بالشر الأول الفتن التي وقعت بعد عثمان والمراد بالخير الذي بعده ما وقع في خلافة عمر بن عبد العزيز والمراد بالذين تعرف منهم وتنكر الأمراء بعده فكان فيهم من يتمسك بالسنة والعدل وفيهم من يدعو إلى البدعة ويعمل بالجور، قلت والذي يظهر أن المراد بالشر الأول ما أشار إليه من الفتن الأولى

---

(١) أضواء البيان (٨٥/١).

(٢) سبق تخريجه.

وبالخير ما وقع من الاجتماع مع علي ومعاوية وبالدخن ما كان في زمنهما من بعض الأمراء..."[١].

وعن علقمة بن وائل الحضرمي عن أبيه قال: سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال: يا نبي لله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه، ثم سأله ؟ فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية أو في الثالثة ؟ فجذبه الأشعث بن قيس، وقال: " اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم"[٢].

قال الإمام أحمد رحمه الله:" الفتنةُ إذا لم يكن ثمَّ إمامٌ يقومُ بأمر الناس"[٣].

عن عبد الله بن عمر، عن النبي ﷺ أنه قال:"على المرءِ المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلاَّ أن يؤمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة"[٤].

وعن عبد الله بن عمر أنه جاء إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرة ما كان، زمن يزيد بن معاوية، فقال عبد الله بن مطيع: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: أني لم أتاك لأجلس، أتيتك لأحدثك حديثاً، سمعت رسول الله ﷺ يقول:"من خلع يداً من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات ليس في عنقه بيعه، مات ميتة جاهلية"[٥].

---

(١) فتح الباري (١٣/٥٥).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الإمارة (باب: في طاعة ولي الأمر وإن منعوا الحقوق) برقم:٤٧٨٢.

(٣) أخرجه الخلال في كتاب السنة (م١/ج١/ص:٥٨) برقم: ١١.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الإمارة (باب:وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية) برقم:٤٧٦٣.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الإمارة (باب: وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة) برقم:٤٧٩٣.

وعن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله ﷺ قال:"إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم"(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"فإذا كان قد أوجب في أقل الجماعات وأقصر الاجتماعات أن يولي أحدهم كان هذا تنبيها على وجوب ذلك فيما هو أكثر من ذلك"(٢).

وقال أيضاً:"يجب أن يعرف أن ولاية أمور الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين ولا للدنيا إلا بها ... فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيها بذلك على سائر أنواع الاجتماع، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولا يتم ذلك إلا بقوة وإمارة، وكذلك سائر ما أوجبه من الجهاد والعدل وإقامة الحج والجمع والأعياد ونصر المظلوم، وإقامة الحدود، لا تتم إلا بالقوة والإمارة...فالواجب اتخاذ الإمارة ديناً وقربة يتقرب بها إلى الله، فإن التقرب إليه فيها بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات، وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرياسة أو المال"(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ، قال:"من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه حتى يراجعه" قال:"ومن مات وليس عليه إمام جماعة فإن موتته موتة جاهلية"(٤).

قال الخطابي رحمه الله:"وذلك أن أهل الجاهلية لم يكن لهم إمام يجمعهم على دين ويتألفهم على رأي واحد بل كانوا طوائف شتى وفرقا مختلفين آراؤهم متناقضة وأديانهم

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجهاد (باب:في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم) برقم: ٢٦٠٨، وقال الألباني: حسن صحيح، صحيح سنن أبي دواد (١٢٥/٢) برقم:٢٦٠٨.

(٢) مجموع الفتاوى (٦٥/٢٨).

(٣) المصدر السابق (٣٩٠/٢٨-٣٩١).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (١٥٠/١) برقم:٢٥٩، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

متباينة وذلك الذي دعا كثيرا منهم إلى عبادة الأصنام وطاعة الأزلام رأيا فاسدا اعتقدوه في أن عندها خيرا وأنها تملك لهم نفعا أو تدفع عنهم ضرا"(١).

أما الآثار المروية عن السلف ﷺ ورحمهم فهي كثيرة جداً، ولعل من أبرز الأحداث التي تدل على ذلك، هو تنصيب أبي بكر الصديق ﷺ خليفة للمسلمين بعد وفاة النبي ﷺ مباشرة، وقبل دفنه .

فعن عائشة رضي الله عنها، زوج النبي ﷺ، أن رسول الله ﷺ، مات وأبو بكر بالسنح، فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثنه الله، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم، فجاء أبو بكر " فكشف عن رسول الله ﷺ فقبله، قال: بأبي أنت وأمي، طبت حيا وميتا، والذي نفسي بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدا، ثم خرج فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر،

فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمدا ﷺ فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، وقال:﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، قال: فنشج الناس يبكون، قال: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب إليهم أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني قد هيأت كلاما قد أعجبني، خشيت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب بن المنذر: لا والله لا نفعل، منا أمير، ومنكم أمير، فقال أبو بكر: لا،

(١) العُزلة للخطابي (٨).

ولكنا الأمراء، وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب دارا، وأعربهم أحسابا، فبايعوا عمر، أو أبا عبيدة بن الجراح، فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا، وخيرنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ، فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة، فقال عمر قتله الله "(١).

قال ابن حجر رحمه الله:" استدل به الداودي على أن إقامة الخليفة سنة مؤكدة لأنهم أقاموا مدة لم يكن لهم إمام حتى بويع أبو بكر وتعقب بالاتفاق على فرضيتها وبأنهم تركوا لأجل إقامتها أعظم المهمات وهو التشاغل بدفن النبي ﷺ حتى فرغوا منها والمدة المذكورة زمن يسير في بعض يوم يغتفر مثله لاجتماع الكلمة"(٢).

ومما يدل على أهمية بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه خاصة، ووجود إمامٍ للمسلمين يجتمعون عليه، **ما ذكره** ابن كثيرٍ رحمه الله، قال:" فصل في ذكر أمور مهمة وقعت بعد وفاته ﷺ وقبل دفنه، ومن أعظمها وأجلها وأيمنها بركة على الإسلام وأهله بيعة أبي بكر الصديق رضي الله عنه..."(٣).

فجُعلت البيعة للإمام من أهم الأمور وأجلها في الإسلام، لأنه كما قلنا سابقاً أنه بوجود الإمام يحصل الأمن والأمان بإذن الله وتقام شرائع الدين ويحفظ الله به حوزة الإسلام والمسلمين، حتى ولو كان جائراً ظلماً .

٢/ وعن علي رضي الله عنه أنه قال:"لا بد للناس من إمارة برة كانت أو فاجرة"(٤).

٣/ وقال الحسن البصري رحمه الله: "والله لا يستقيم الدين إلا بولاة الأمر وإن جاروا وظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون مع إن والله إن طاعتهم لغيظ وإن فرقتهم لكفر"(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ، برقم: ٣٦٦٧-٣٦٦٨

(٢) فتح الباري (٧/٤٩).

(٣) البداية والنهاية (٥/٢٩٥).

(٤) منهاج السنة النبوية (١/٣٣٩).

(٥) جامع العلوم والحكم (٢٥٦).

٤/ وقال الأوزعي رحمه الله:"كان يقال: خمس كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، وأتباع السنة، وعمارة المساجد، وتلاوة القرآن، والجهاد"[(١)].

٥/ وقال الماوردي[(٢)]: " وعقدها لمن يقوم بها في الأمة واجب بالإجماع"[(٣)].

٦/ وقال ابن حزم رحمه الله:" وقد علمنا بضرورة العقل وبديهته أن قيام الناس بما أوجبه الله تعالى من الأحكام عليهم في الأموال والجنايات والدماء والنكاح والطلاق وسائر الأحكام كلها ومنع الظالم وإنصاف المظلوم وأخذ القصاص على تباعد أقطارهم وشواغلهم واختلاف آرائهم وامتناع من تحرى في كل ذلك ممتنع غير ممكن إذ قد يريد واحد أو جماعة أن يحكم عليهم إنسان ويريد آخر أو جماعة أخرى أن لا يحكم عليهم إما لأنها ترى في اجتهادها خلاف ما رأى هؤلاء وإما خلافا مجردا عليهم وهذا الذي لا بد منه ضرورة وهذا مشاهد في البلاد التي لا رئيس لها فإنه لا يقام هناك حكم حق ولا حد حتى قد ذهب الدين في أكثرها فلا تصح إقامة الدين إلا بالإسناد إلى واحد أو إلى أكثر من واحد..."[(٤)].

٧/ وقال الإمام أبو يعلى رحمه الله:" نصبة الإمام واجبة وقد قال أحمد رضي الله عنه ...:الفتنة إذا لم تكن يقوم بأمر الناس. والوجه فيه: أن الصحابة لما اختلفوا في السقيفة، فقالت الأنصار: منا أمير ومنكم أمير، ودفعهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقالوا: "إن العرب لا تدين إلا لهذا الحي من قريش ". ورووا في ذلك أخباراً، فلولا أن الإمامة واجبة لما ساغت

---

(١) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣٠) برقم: ٤٨.

(٢) علي بن محمد ابن حبيب أقضى القضاة أبو الحسن الماوردي البصري صاحب الحاوي والإقناع في الفقه وأدب الدين والدنيا والتفسير ودلائل النبوة والأحكام السلطانية وقانون الوزارة وسياسة الملك. ولد سنة ٣٦٤هـ وتوفي سنة ٤٥٠هـ، أخذ الفقه عن أبي القاسم الصيمري وانتسب في (الحاوي) إليه في شيء حكاه عنه فقال: كان شيخنا فلان. قال الخطيب أبو بكر البغدادي في (التاريخ): كان من وجوه الفقهاء الشافعيين وله تصانيف عدة في أصول الفقه وفروعه وغير ذلك قال الذهبي: صدوق في نفسه، لكنه معتزلي، انظر: (طبقات الفقهاء الشافعية ٦٣٧/٢) و (ميزان الاعتدال ١٥٥/٣) و (طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ٢٦٧/٥).

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي (١٥).

(٤) الفِصل في الملل والنحل (٦/٣).

تلك المحاورة والمناظرة عليها، ولقال قائل: ليست بواجبة لا في قريش ولا في غيرهم. وطريق وجوبها السمع لا العقل، لما ذكرناه في غير هذا الموضع، وأن العقل لا يعلم به فرض شيء ولا إباحته، ولا تحليل شيء ولا تحريمه. وهي فرض على الكفاية"[(١)].

٨/ **وقال** الإمام النووي رحمه الله:" لا بد للأمة من إمام يقيم الدين، وينصر السنة، وينتصف للمظلومين، ويستوفي الحقوق ويضعها مواضعها"[(٢)].

٩/ **وقال** شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"كل بني آدم لا تتم مصلحتهم لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا بالاجتماع والتناصر، فالتعاون والتناصر على جلب منافعهم، والتناصر لدفع مضارهم، ولهذا يقال: الإنسان مدني بالطبع، فإذا جمعوا فلا بد لهم من أمور يفعلونها يجتلبون بها المصلحة، وأمور يجتنبونها لما فيها من المفسدة، ويكونون مطيعين للآمر بتلك المقاصد، وللناهي عن تلك المفاسد، فجميع بني آدم لا بد لهم من طاعة آمر وناه، فمن لم يكن من أهل الكتب الإلهية ولا من أهل دين، فإنهم يطيعون ملوكهم فيما يرون أنه يعود بمصالح دنياهم. مصيبين تارة ومخطئين أخرى"[(٣)].

١٠/ **وقال** ابن رجب رحمه الله: "السمع والطاعة لولاة أمور المسلمين فيها سعادة للدنيا، وبها تنتظم مصالح العباد في معايشهم، وبها يستعينون على إظهار دينهم وطاعة ربهم"[(٤)].

١١/ **وقال** ابن حجر الهيتمي رحمه الله:"اعلم أيضا أن الصحابة ﷺ أجمعوا على أن نصب الإمام بعد انقراض زمن النبوة واجب بل جعلوه أهم الواجبات حيث اشتغلوا به عن دفن رسول الله ﷺ واختلافهم في التعيين لا يقدح في الإجماع المذكور"[(٥)].

١٢/ **وقال** الشوكاني رحمه الله:" يجب على المسلمين نصب إمام.

---

(١) الأحكام السلطانية للفراء (١٩).

(٢) روضة الطالبين وعمدة المفتين (٤٢/١٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٦٢/٢٨).

(٤) جامع العلوم والحكم (٢٥٦).

(٥) الصواعق المحرقة (١٤).

أقول: قد أطال أهل العلم الكلام على هذه المسألة في الأصول والفروع واختلفوا في وجوب نصب الإمام هل هو قطعي أو ظني؟ وهل هو شرعي فقط؟ أو شرعي وعقلي؟ وجاءوا بحجج ساقطة وأدلة خارجة عن محل النزاع والحاصل أنهم أطالوا في غير طائل ويغني عن هذا كله أن هذه الإمامة قد ثبت عن رسول الله ﷺ الإرشاد إليها والإشارة إلى منصبها كما في قوله: "الأئمة من قريش"[(١)] وثبت كتابا وسنة الأمر بطاعة الأئمة"[(٢)].

وبعد هذا البيان لمعتقد أهل السنة والجماعة حول الإمامة ولزوم الجماعة، يتضح لنا جلياً حرصهم على أتباع الكتاب والسنة، علماً وعملاً، وكيف وظفوا ذلك في بيان هذا الأصل والدعوة إليه، كما دل عليه الدليل، دون تأويل أو تحريف، أو أتباعٍ للهوى، كما تفعل الفرق المخالفة لهم في هذا الأصل العظيم.

ويجب أن يُعلم أن سبب ضلال الفرق المخالفة، هو دعوتهم للإمامة ولكن بخلاف الأدلة من الكتاب والسنة، وما عليه سلف الأمة، ولو أنهم استدلوا بالقرآن الكريم فإن استدلالهم يكون بخلاف الدليل، كما استدل الخوارج على قضية التحكيم بقوله تعالى:﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾ [الأنعام: ٥٧][(٣)].

فهذه الفرقة لها جذورٌ تاريخية ممتدة من العهد الأول، ومازال لها أتباعٌ كثر، ومع هذا كله فلم تقم لهم قائمة، ولم يذكر التاريخ أنهم ولُّو إمامة وخلافة في هذه الأمة قط.

قال وهب ابن منبه[(٤)] رحمه الله:"ما اجتمعت الأمة على رجل قط من الخوارج ولو أمكن الله الخوارج من رأيهم لفسدت الأرض وقطعت السبل وقطع الحج من بيت الله الحرام

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣١٨/١٩) برقم: ١٢٣٠٧، عن أنس بن مالك ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قام على باب البيت ونحن فيه، فقال: "الأئمة من قريش إن لهم عليكم حقا، ولكم عليهم حقا مثل ذلك، ما إن استرحموا فرحموا، وإن عاهدوا وفوا، وإن حكموا عدلوا، فمن لم يفعل ذلك منهم، فعليه لعنة الله، والملائكة، والناس أجمعين"، قال محققه: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

(٢) السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار (٩٣٦).

(٣) انظر: ص:٤٨ من هذا البحث.

(٤) هو الأسوار الإمام العلامة الأخباري القصصي أبو عبد الله الأبناوي اليماني الذماري الصنعاني.

=

وإذا لعاد أمر الإسلام جاهلية حتى يعود الناس يستغيثون برؤوس الجبال كما كانوا في الجاهلية وإذا لقام أكثر من عشرة أو عشرين رجلا ليس منهم رجل إلا وهو يدعو إلى نفسه بالخلافة "(١).

ولعل سببُ ذلك يرجع إلى تكفيرهم لمرتكب الكبيرة، والخروج على أئمة الجور، وهذه من أبرز أصول مذهب الخوارج.

فالإمام عندهم قد يُخرج عليه عند ارتكابه لأي ذنب، وعلى هذا ترى كثيراً من الخوارج يكفر بعضهم بعضاً.

قال ابن حزم رحمه الله: "ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضا عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها فظهر ضعف القوم وقوة جهلهم"(٢).

وهذا هو لبُّ دعوة خوارج اليوم، فلم يَدَعوا إماماً من أئمة المسلمين اليوم إلا وكفروه، ومن ثم استحلوا الخروج عليه، ومن هنا حدثة الفرقة، إذ أنه لا إمام، ولا يمكن أن تحصل الجماعة دون إمام.

عن عوف بن مالك، عن رسول الله ﷺ قال:"خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم"، قيل: يا رسول الله، أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال:"لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئا تكرهونه، فاكرهوا عمله، ولا تنزعوا يدا من طاعة"(٣).

أخو: همام بن منبه ومعقل بن منبه وغيلان بن منبه مولده:في زمن عثمان سنة أربع وثلاثين ورحل وحج وأخذ عن: ابن عباس وأبي هريرة - إن صح - وأبي سعيد والنعمان بن بشير وجابر وابن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص - على خلاف فيه — وطاووس مات مابين ١١٠-١١٤ على خلاف في ذلك، انظر: (سير أعلام النبلاء ٤٣٣/٥).

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٨٣/٦٣).

(٢) الفِصل في الملل والنحل (١٢٨/٣).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الإمارة (باب: خيار الأئمة وشرارهم) برقم:٤٨٠٤.

ولذلك أمر رسول الله ﷺ بقتل من يريد أن يبث الفرقة بين المسلمين إذا كانوا قد اجتمعوا على إمام.

فعن عرفجة، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول:"من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد، يريد أن يشق عصاكم، أو يفرق جماعتكم، فاقتلوه"(١).

فإذا تم تكفير الإمام فإن الرعية لها مثل الحكم، سواءً الشاهد منهم أو الغائب.

قال البغدادي: "وقال بعض البيهسية فإذا كفر الإمام كفرت الرعية...وافترقت العوفية من البيهسية فرقتين فرقة قالت من رجع عنا من دار هجرته ومن الجهاد إلى حال القعود برئنا منه وفرقة قالت بل تتولاه لأنه رجع إلى أمر كان مباحا له قبل هجرته إلينا، وكلا الفريقين قال إذا كفر الإمام كفرت الرعية الغائب منهم والشاهد..."(٢).

وهذا ما يحمله الفكر التكفيري اليوم، وما يحمله دعاتهم ومنظريهم.

فهذا أبو الأعلى المودودي قد غلا في مسألة الإمامة، حتى جعلها هي الغاية من الدين.

قال:" إنّ مسألة القيادة والزعامة، إنّما هي مسألة المسائل في الحياة الإنسانيّة وأصل أصولها"(٣).

وقال أيضاً:"إنّ غاية الدين الحقيقيّة إقامة نظام الإمامة الصالحة الراشدة "(٤).

ولا يرى المودودي جواز الإمامة إلا من خلال الانتخابات، فقضية التغلب أو ولاية العهد لا يراها أبداً بل هي لا تصح في نظره كأسلافه من الخوارج، حيث قال:"لا بد وأن

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الإمارة (باب:حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع) برقم: ٤٧٩٨.

(٢) الفرق بين الفِرق (١٠٢-١٠٣).

(٣) الأسس الأخلاقية للحركة الإسلامية (١٢).

(٤) المصدر السابق نفسه.

يتم عمل الدولة كله ابتداء بتأسيس وتشكيل أول لبنة فيها، ثم انتخاب رئيس الدولة وأولي الأمر..."[١].

فهل جهل المودودي وأتباعه بأن الاستخلاف سنة، قد عمل بها الصحابة ﷺ ومضت الأمة على هذه السنة، ولم يخالفهم فيها أحدٌ إلا الخوارج ومن نحا نحوهم.

قال الخطابي رحمه الله: "الاستخلاف سنة اتفق عليها الملأ من الصحابة وهو اتفاق الأمة لم يخالف فيه إلا الخوارج والمارقة الذين شقوا العصا وخلعوا ربقة الطاعة"[٢].

وقال الماوردي رحمه الله:"وأما انعقاد الإمامة بعهد من قبله فهو مما انعقد الإجماع على جوازه، ووقع الاتفاق على صحته؛ لأمرين عمل المسلمون بهما ولم يتناكروهما:

أحدهما: إن أبا بكر ﷺ عهد بها إلى عمر ﷺ فأثبت المسلمون إمامته بعهده.

والثاني: أن عمر ﷺ عهد بها إلى أهل الشورى، فقبلت الجماعة دخولهم فيها، وهم أعيان العصر اعتقادا لصحة العهد بها، وخرج باقي الصحابة منها"[٣].

وبهذا يتضح مخالفة المودودي للسلف الصالح في تقرير هذه المسألة.

ويواصل المودودي تقريره وتأصيلة لموضوع الإمامة، حيث زعم أنه لا يمكن أن يُنصّب الإمام الفاسق أو الظالم، حيث **قال** في صفات ولي الأمر:"أن لا يكونوا ظالمين فاسقين فاجرين غافلين عن الله متعدين لحدوده بل مؤمنين متقين يعملون الصالحات، وإذا تسلط ظالم أو فاسق على منصب الإمارة أو الإمامة فإمارته باطلة في نظر الإسلام"[٤].

وهذا يدل على أمرٍ عظيم يعتقده المودودي، وهو إنكاره لما صح عن النبي ﷺ في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة من وجوب السمع والطاعة للإمام ولو كان ظالما فاسقا،

---

(١) الخلافة والملك (٢٢).

(٢) معالم السنن (٣/٦).

(٣) الأحكام السلطانية للماوردي (٣٠-٣١).

(٤) المرجع السابق (٢٣).

وما عليه سلف الأمة من وجوب السمع والطاعة، وأن الفسق والظلم لا يوجب الخروج على الإمام لأن ما يقع بالخروج عليه من المفاسد أعظم مما يراد إزالته[١].

عن عبد الله قال: قال لنا رسول الله ﷺ:"إنكم سترون بعدي أثرة وأمورا تنكرونها، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال:"أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم"[٢].

وعن حذيفة بن اليمان، قال: قلت يا رسول الله، إنا كنا بشر، فجاء الله بخير، فنحن فيه، فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال: «نعم»، قلت: هل وراء ذلك الشر خير؟ قال: «نعم»، قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال: «نعم»، قلت: كيف؟ قال: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس»، قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله، إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك، فاسمع وأطع"[٣].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: "ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إماماً عليه، براً كان أو فاجراً، فهو أمير المؤمنين"[٤].

وقال أيضاً رحمه الله: "والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر ومن ولي الخلافة واجتمع الناس عليه ورضوا به ومن عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين والغزو ماض مع الإمام إلى يوم القيامة البر والفاجر لا يترك وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلى الأئمة ماض ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم ودفع الصدقات إليهم

---

(١) انظر: (مجموع الفتاوى ٤٧٢/١٤) و (منهاج السنة النبوية ٤٦٣/٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الفتن (باب قول النبي ﷺ: سترون بعدي أمورا تنكرونها) برقم: ٧٠٥٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الإمارة (باب:وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن...) برقم:٤٧٨٥.

(٤) الأحكام السلطانية للفراء (٢٠).

جائزة نافذة من دفعها إليهم أجزأت عنه براكان أو فاجرا وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولاه جائزة باقية تامة ركعتين من أعادهما فهو مبتدع"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"وبذلك مضت سنة رسول الله ﷺ حيث أمر بقتال الخوارج عن السنة، وأمر بالصبر على جور الأئمة وظلمهم والصلاة خلفهم مع ذنوبهم، وشهد لبعض المصرين من أصحابه على بعض الذنوب أنه يحب الله ورسوله، ونهى عن لعنته وأخبر عن ذي الخويصرة وأصحابه مع عبادتهم وورعمهم أنهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية"(٢).

وممن تأثر بالمودودي، وسار على نهجه بل ربما فاقه وتجاوزه **سيد قطب**، الذي يعتبر في نظر الإخوان المسلمين هو المنظر للجماعة، والأب الروحي لهم، فقد أعرض سيد قطب عن تقرير مسائل الإمامة ولزوم الجماعة، كما قررها السلف من خلال الكتاب والسنة إلى تقرير مذهب الخوارج، وسلوك طريقهم، ومما يدل على ذلك قوله فيمن خرج على عثمان بن عفان رضي الله عنه وثار عليه من السبئية والخوارج، قال:"وأخيرًا ثارت الثائرة على عثمان، واختلط فيها الحقُّ بالباطل، والخير بالشر، ولكن لا بدّ لمن ينظر إلى الأمور بعين الإسلام ويستشعر الأمور بروح الإسلام أن يقرّر أن تلك الثورة في عمومها كانت فورة من روح الإسلام"(٣).

فمن طعن في عثمان رضي الله عنه وقرر أن الخروج عليه فورة من روح الإسلام، من باب أولى أن يكون داعيةٌ لتضييع حقوق الأئمة اليوم ومعرِضٌ عن بيان حقوقهم، من خلال تكفيرهم، واستباحة الخروج عليهم، وهذا يتضح جلياً عندما ترى خوارج اليوم يصرحون بأن سيداً هذا هو باعث روح الإسلام وواضع دستور الجهاديين كما ذكر ذلك **أيمن الظواهري** زعيم تنظيم القاعدة الحالي:"إن سيد قطب هو الذي وضع دستور "الجهاديين !!" في كتابه الديناميت!! (معالم في الطريق)، وإن سيد هو مصدر الإحياء الأصولي، وإن كتابه العدالة الاجتماعية في الإسلام، يعد أهم إنتاج عقلي وفكري للتيارات الأصولية، وإن فكره كان

---

(١) أصول السنة للإمام أحمد (٤٢-٤٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٤٧٠-٤٧١).

(٣) العدالة الاجتماعية (٢١٦).

شرارة البدء في إشعال الثورة الإسلامية ضد أعداء الإسلام في الداخل والخارج، والتي ما زالت فصولها الدامية تتجدد يوماً بعد يوم"[١].

فهؤلاء ومن نحا نحوهم أعرضوا عن الدعوة إلى تقرير مسائل الإمامة ولزوم الجماعة إلى تقرير مسائل الفرقة ولزوم الحزبية البغيضة، بناءً على تكفيرهم للمجتمعات لأن تكفير الأئمة يلزم منه تكفير الرعية كما مر معنا سابقاً[٢]، فإذا كان الطعن في الخليفة الراشد ﷺ، والقول بأن الخروج عليه من روح الإسلام، فمن باب أولى أنهم لا يتورعون عن تكفير أئمة هذا الزمان ويرون استحلال الخروج عليهم، لأنه لا إسلام ولا مسلمين اليوم عندهم.

وممن تأثر بسيد قطب شقيقه محمد قطب فكراً ونسباً، حيث قال: "كيف دار في أخلاد المسلمين أنهم يستطيعون أن يستوردوا من أي نظام على وجه الأرض غير إسلامي، ويستوردوا أصول مجتمعهم وقواعده من أية فكرة على وجه الأرض غير إسلامية، ويستوردوا تقاليدهم من أي مجتمع على وجه الأرض غير مسلم، ثم يظلوا مع ذلك مسلمين؟!"[٣].

وقال أيضاً: "حين تعود البشرية الضالة إلى الله، تستقيم حياتها على الصراط في السياسة والاجتماع والأقتصاد والأخلاق وعلاقة الجنسين والفن .. وكل شيء !

لقد وضعت الجاهلية حجاباً كثيفاً بين البشرية ومنهج الله..."[٤].

---

(١) صحيفة الشرق الأوسط، عدد (٨٤٠٧) تاريخ: ١٤٢٢/٩/١٩هـ.

(٢) انظر: ص٤٤٦ من هذا المطلب، وممن يؤكد ذلك هو أن الخارجي أبي محمد عاصم المقدسي، كتب كتاباً اسماه (الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية)، والقارئ له يتضح له مدى جهله وتناقضه، ومخالفته لأئمة الهدى في هذا الزمان الذين أثنوا على هذه الدولة المباركة وما تقدمه للإسلام والمسلمين، بخلاف ما فيه من تجنٍ وكذب، وتكفيرٍ لعلماء المسلمين.

(٣) هل نحن مسلمون لمحمد قطب (٦).

(٤) جاهلية القرن العشرين لمحمد قطب (٢٢٣)، وحتى عنوان الكتاب هذا لا يُسلم له به، فقد رد الإمام الألباني على هذه التسمية كما في (موسوعة الألباني في العقيدة ٣٢٣/٤-٣٢٥) وكذلك العلامة صالح الفوزان في (الأجوبة المفيدة على المناهج الجديدة ٨٦-٨٩) بأنه لا يصح هذا القول أبداً لأن فيه تعميم على المجتمعات بأنها جاهلة ومنحرفة.

وقال أيضاً: "حتى الجاهليات التي كانت تقول إنها تعرف الله ...، حتى الجاهليات التي كانت تقول إنها تعبد الله ... حتى الجاهليات التي كانت تظن أنها تؤدي العبادة الحقة لله... كيف يعبدون الله في زعمهم ثم يأخذون نظام حياتهم عن غير الله"[١].

والمتأمل لهذه النقول يجد أن أصلها شبهة تعد من أعظم الشبهات التي يثيرها دعاة الفرقة والتحزب، وهي عدم القول والإعتراف بالإمامة القطرية، حيث أنهم لا يرون إلا الإمامة العامة، ولذلك تجد من يعيش حتى في المملكة العربية السعودية لا يرى بأنها وطن له، وإنما الوطن هو كل ما يعيش فيه المسلم، ولابد من إمام عام للمسلمين.

يقول سيد قطب تحت عنوان جنسية المسلم عقيدته:"...وأن هناك دارا واحدة هي دار الإسلام تلك التي تقوم فيها الدولة المسلمة فتهيمن عليها شريعة الله وتقام فيها حدوده ويتولى المسلمون فيها بعضهم بعضا وما عداها فهو دار حرب علاقة المسلم بها إما القتال وإما المهادنة على عهد أمان ولكنها ليست دار إسلام ولا ولاء بين أهلها وبين المسلمين...فلا وطن للمسلم إلا الذي تقام فيه شريعة الله فتقوم الروابط بينه وبين سكانه على أساس الارتباط في الله ولا جنسية للمسلم إلا عقيدته التي تجعله عضوا في الأمة الإسلامية في دار الإسلام ..."[٢].

ولعل هذه الشبهه لها تعلق كبير بمسألة تعدد الحكام والدويلات الإسلامية، وهذا الأمر ولله الحمد لم يغفله أهل العلم، بل تحدثوا عنه وبينوا الحق فيه، **قال** شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:"والسنة أن يكون للمسلمين إمام واحد والباقون نوابه فإذا فرض أن الأمة خرجت عن ذلك لمعصية من بعضها وعجز من الباقين أو غير ذلك فكان لها عدة أئمة: لكان يجب على كل إمام أن يقيم الحدود ويستوفي الحقوق"[٣].

---

(١) المصدر السابق (٢٠٦-٢٠٧).

(٢) معالم في الطريق (١٧٨-١٧٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٤/١٧٥-١٧٦).

والمتأمل لحال الأمة الإسلامية يجدها من القرن الثالث الهجري تقريبا قد تفرقت إلى دويلات عديدة، ولكل دولة حاكم، ولم يقل أحد من العلماء الأكابر بهذه المقالة، بل اجمعوا على السمع والطاعة في المعروف، ومن ذلك:

قال القرطبي رحمه الله تعالى: " وهذا أدل دليل على منع إقامة إمامين، ولأن ذلك يؤدي إلى النفاق والمخالفة والشقاق وحدوث الفتن وزوال النعم، لكن إن تباعدت الأقطار وتباينت كالأندلس وخراسان جاز ذلك"(١).

وقال ابن كثير رحمه الله:" وحكى إمام الحرمين عن الأستاذ أبي إسحاق أنه جوز نصب إمامين فأكثر إذا تباعدت الأقطار واتسعت الأقاليم بينهما، وتردد إمام الحرمين في ذلك، قلت: وهذا يشبه حال خلفاء بني العباس بالعراق والفاطميين بمصر والأمويين بالمغرب"(٢).

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: " الأئمة مجمعون من كل مذهب، على أن من تغلب على بلد أو بلدان له حكم الإمام في جميع الأشياء، ولولا هذا ما استقامت الدنيا، لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا، ما اجتمعوا على إمام واحد، ولا يعرفون أحدا من العلماء ذكر أن شيئا من الأحكام، لا يصح إلا بالإمام الأعظم"(٣).

فهذه نماذج من إعراض هؤلاء عن تقرير مسائل الإمامة ولزوم الجماعة إلى مسائل التكفير والخروج، وبث الفرقة بين المجتمعات الإسلامية، بخلاف ما دل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية، وما كان يدعو له أصحاب النبي ﷺ وتابعيهم بإحسان من أهل السنة والجماعة.

---

(١) تفسير القرطبي (٤٠٨/١).

(٢) تفسير ابن كثير (٧٤/١).

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٥/٩).

المطلب الثاني:

الأعراض عن التحذير من الدعاوى المؤدية إلى الفرقة.

أخبر النبي ﷺ أن هذه الأمة ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة، **فعن** عوف بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: (الجماعة)"[1].

وفي مقابل هذه الفُرقة أمرنا الله عز وجل بالدعوة إلى سبيله، فقال سبحانه: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال عز وجل: ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وبما أن هناك حق، وهناك دعوة له أمرنا الله بها في كتابه، ونبينا محمد ﷺ في سنته، فهناك شرٌ قد حذرنا الله منه ونبينا ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴾ [الفرقان: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

---

(١) سبق تخريجه.

وفي حديث حذيفة بن اليمان ﷺ المشهور، قال ﷺ: " قلت: يا رسول الله هل بعد هذا الخير من شر، قال: نعم دعاة على أبواب جهنم من أطاعهم قذفوه فيها"(١).

وعن تميم الداري ﷺ: "أن النبي ﷺ، قال: (الدين النصيحة) قلنا: لمن؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة أو العبادات المخالفة للكتاب والسنة؛ فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلى واعتكف فإنما هو لنفسه وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين هذا أفضل. فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله؛ إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعا وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء"(٣).

فالجماعة رحمه، بها تأتلف القلوب، وتصلح الأحوال، وينتشر الأمن والأمان.

والفرقة ضعفٌ وتشرذم وهلاك، فما أهلك الأمة اليوم وأمرضها سوى دعاة الفرقة والتحزب الذين فُتِح بسببهم وبسبب دعوتهم المخالفة للكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة، بابٌ عظيم من الفساد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" وباب الفساد الذي وقع في هذه الأمة. بل وفي غيرها: هو التفرق والاختلاف فإنه وقع بين أمرائها وعلمائها من ملوكها ومشايخها وغيرهم من ذلك ما الله به عليم. وإن كان بعض ذلك مغفورا لصاحبه لاجتهاده الذي يغفر

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٣١-٢٣٢).

فيه خطؤه أو لحسناته الماحية أو توبته أو لغير ذلك؛ لكن يعلم أن رعايته من أعظم أصول الإسلام ولهذا كان امتياز أهل النجاة عن أهل العذاب من هذه الأمة بالسنة والجماعة"(١).

وقد حذر النبي ﷺ من أهل الأهواء والبدع والضلالة، الذين يفرّقون الأمة، ويسعون لشتاتها، وإضعافها، من ذلك:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال:"من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا"(٢).

وعن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: " يا عائشة، ﴿ **إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا** ﴾ [الأنعام: ١٥٩] إنهم أصحاب البدع، وأصحاب الأهواء، وأصحاب الضلالة من هذه الأمة، يا عائشة، إن لكل صاحب ذنب توبة، إلا أصحاب الأهواء والبدع، أنا منهم بريء وهم مني برآء"(٣).

وقد كان السلف رضي الله عنهم ورحمهم يحذرون من أولئك الدعاة ومما يحملونه من دعوة مخالفة للكتاب والسنة، دعوةٌ تزرع في الأمة فتنة الفرقة، وتذيب رحمة الجماعة والائتلاف، دعوة قائمة على تفتيت الصف وتفريق الجماعة، لأن الجماعة هي الحصن الحصين الذي أمر الله سبحانه وتعالى به، كما أمر به رسول الله ﷺ .

قال عمر رضي الله عنه: "إياكم والفرقة بعدي"(٤).

---

(١) المصدر السابق (٢٢/٣٦٠).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب العلم (باب: من سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة) برقم: ٦٨٠٤.

(٣) رواه ابن أبي عاصم في السنة (١٠) برقم: ٤، وقال الألباني في تعليقه عليه: إسناده ضعيف، وأبو نعيم الأصبهاني في الحلية (٤/١٣٧)، وقال: هذا حديث غريب من حديث شعبة، تفرد به بقية.

(٤) البداية والنهاية (٨/١٥٩).

وقال ابن مسعود ﷺ: "وستجدون أقواماً يزعمون أنهم يدعون إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم عليكم بالعلم وإياكم والبدع والتنطع والتعمق وعليكم بالعتيق"(١).

وقال أيضاً ﷺ: " اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم"(٢).

وقال ابن بطة رحمه الله بعد أن ذكر مقالات الجهمية: "وإنما ذكرت هذه الأقوال من مذاهبهم ليعلم إخواننا ما قد اشتملت عليه مذاهب الجهمية المقبوحة المنبوحة من ألوان الضلال وصنوف الشرك وقبائح الأقوال ليجتنب الحدث ممن لا علم له مجالستهم وصحبتهم وألفتهم، ولا يصغي إلى شيء من أقوالهم وكلامهم، والله الموفق"(٣).

فهذا تحذير منه رحمه الله من دعاوى الجهمية خاصة، وبقية الفرق عامة، ويشمل ذلك أيضاً التحذير من أيِّ دعوة تفرق صف الأمة، وتزرع الفتنة، وتذيب الجماعة.

وقال القرافي(٤) رحمه الله: " أرباب البدع والتصانيف المضلة ينبغي أن يشهر الناس فسادها وعيبها وأنهم على غير الصواب ليحذرها الناس الضعفاء فلا يقعوا فيها، وينفر عن تلك المفاسد ما أمكن بشرط أن لا يتعدى فيها الصدق ولا يفترى على أهلها من الفسوق والفواحش ما لم يفعلوه بل يقتصر على ما فيهم من المنفرات خاصة فلا يقال على المبتدع إنه يشرب الخمر، ولا أنه يزني ولا غير ذلك مما ليس فيه، وهذا القسم داخل في النصيحة

---

(١) البدع لابن وضاح (٤٦-٤٧).

(٢) أخرجه الدارمي في سننه (٢٨٨/١) برقم:٢١١.

(٣) الإبانة الكبرى (٣٣٩/٢).

(٤) الإمام العلامة وحيد دهره وفريد عصره أحد الأعلام المشهورين انتهت إليه رئاسة الفقه على مذهب مالك رحمه الله تعالى وجد في طلب العلوم فبلغ الغاية القصوى أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن أبو العباس شهاب الدين الصنهاجي القرافي نسبته إلى قبيلة صنهاجة (من برابرة المغرب) وإلى القرافة (المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعيّ) بالقاهرة وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة له مصنفات جليلة في الفقه والأصول، منها (أنوار البروق في أنواء الفروق) و (الإحكام في تمييز الفتاوي عن الأحكام وتصرف القاضي والإمام) و (الذخيرة) في فقه المالكية، و (اليواقيت في أحكام المواقيت)، انظر: (الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ٢٣٦/١) و (الأعلام ٩٤/١-٩٥).

غير أنه لا يتوقف على المشاورة، ولا مقارنة الوقوع في المفسدة ومن مات من أهل الضلال ولم يترك شيعة تعظمه، ولا كتبا تقرأ، ولا سببا يخشى منه إفساد لغيره فينبغي أن يستر بستر الله – تعالى، ولا يذكر له عيب ألبتة، وحسابه على الله تعالى... فالأصل إتباع هذا إلا ما استثناه صاحب الشرع"(١).

وقال الشاطبي رحمه الله بعد أن ذكر قصة عاصم الأحول مع عمرو بن عبيد المعتزلي وكيف طعن به قتادة وحذَّر منه، قال:" فمثل هؤلاء لابد من ذكرهم والتشريد بهم، لأن ما يعود على المسلمين من ضررهم إذا تركوا، أعظم من الضرر الحاصل بذكرهم والتنفير عنهم إذا كان سبب ترك التعيين الخوف من التفرق والعدواة. ولا شك أن التفريق بين المسلمين وبين الداعين للبدعة وحدهم – إذا أقيم – عليهم أسهل من التفرق بين المسلمين وبين الداعين ومن شايعهم واتبعهم، وإذا تعارض الضرران يرتكب أخفهما وأسهلهما، وبعض الشر أهون من جميعه، كقطع اليد المتآكلة، إتلافها أسهل من إتلاف النفس"(٢).

وعلى طريق السلف الصالح سار علمائنا، حيث حذروا من تلك الدعاوى المؤدية إلى الفرقة ومن أصحابها، وكل من تبناها، فهذا الإمام العلم، عبد العزيز بن باز رحمه الله يحذر من دعاوى الخوارج ومن نشراتهم، **فيقول** رحمه الله:"وأوصي بالحذر من دعاة الهدم، من دعاة الضلالة، فيجب الحذر منهم والتحذير، يجب الحذر والتحذير من دعاة الضلالة، مثل هؤلاء الذين يرسلون دعواتهم الضالة المضللة من لندن، ومن بلاد الكفرة كـ (المسعري) وأشباهه ومن يتعاون معه على التخريب والفساد وتضليل الناس، هذا شر عظيم وفساد كبير. قد سمعتم من كلمة الشيخ صالح: بيان ما جاء في بعض نشراتهم من سب لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وأنه ساذج، وأنه ليس بعالم، وأنه، وأنه، هذا الكلام لا يقوله من في قلبه أدنى محبة للخير، ومن في قلبه أدنى غيرة، ومن هو مسلم حقيقة يحب الله ورسوله، كيف يرمي دعاة الهدى الذين أنقذ الله بهم من الشرك وعبادة القبور وعبادة الأصنام وعبادة الشجر والحجر إلى توحيد الله وطاعته. فيجب القضاء على هذه

(١) الفروق للقرافي (٢٠٨/٤).

(٢) الاعتصام (١٦٦/٣).

النشرات، والتحذير منها، وإتلافها مهما كانت، فالمصلح: هو الذي يدعو إلى الله، يدعو إلى التمسك بالدين، يدعو إلى التناصح، يدعو إلى التعاون مع ولاة الأمور في الخير، يدعو لهم بالتوفيق والهداية، وأن الله يعينهم على الخير، وأن الله يهديهم ويصلح لهم البطانة، وأن الله يوفقهم لإقامة الحق"(١).

كما حذر كبار العلماء من الدعاوى المؤدية للافتراق، وممن يحمل هذه الدعوة، في كثير من الفتاوى، من ذلك:

سُئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء(٢)، هذا السؤال:

ما موقع تتبع عورات العلماء من الشرع بدعوى التحذير من زلاتهم ولفت نظر الناس إليها، مع العلم إنَّ هذا العمل يقوم به طلبة العلم، ويحذِّرون العوام من الناس، وممن يحذِّروهم من علماء أجلاء أحياناً، كالسيوطي بدعوى إنه أشعري، وغيره كثير.؟

فأجابت:

العلماء ليسوا معصومين من الخطأ كما في الحديث: "إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد"(٣)، ولا ينقص ذلك من قدرهم ما دام قصدهم التوصل إلى الحق، ولا تجوز الوقيعة في أعراضهم من أجل ذلك، وبيان الحق والتنبيه على الخطأ واجب، مع احترام العلماء ومعرفة قدرهم، إلا ما كان مبتدعاً أو مخالفاً في العقيدة فإنه يحذَّر منه إن كان حياً، ومن كتبه التي فيها أخطاء؛ لئلا يتأثر بذلك الجهال، لا سيما إذا كان داعية ضلال؛ لأنَّ هذا من بيان الحق والنصيحة للخلق، وليس الهدف منه النيل من الأشخاص، والعلماء الكبار مثل السيوطي وغيره ينبه على أخطائهم، ويستفاد من علمهم، ولهم فضائل تغطي على ما عندهم من أخطاء، لكن الخطأ لا يقبل منهم ولا من غيرهم.

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٨/٤١٥).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١٢/٩٨).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة (باب: أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ) برقم: ٧٣٥٢، ومسلم في صحيحة كتاب الأقضية (باب: بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ) برقم: ٤٤٨٧.

وسُئل الشيخ ابن باز رحمه الله هذا السؤال[١]:

سماحة الشيخ هل الكلمة تؤثر في الأمن وتزعزعه مثل الأوراق التي تأتي بالفاكسات من خارج هذه البلاد، من بعض الحاقدين على هذه البلاد وولاتها وعلمائها؟

فأجاب رحمه الله بقوله:

توزيع الأشرطة الخبيثة التي تدعو إلى الفرقة والاختلاف، وسب ولاة الأمور والعلماء، لا شك أنها من أعظم المنكرات.

والواجب الحذر منها، سواء كانت جاءت من لندن من الحاقدين والجاهلين الذين باعوا دينهم وباعوا أمانتهم على الشيطان من جنس محمد المسعري ومن معه، الذين أرسلوا الكثير من الأوراق الضارة المضلة، والمفرقة للجماعة، يجب الحذر منهم، ويجب إتلاف ما يأتي من هذه الأوراق؛ لأنها شر وتدعو إلى الشر، وما هكذا النصيحة.

فالنصيحة تكون بالثناء على ما فعل من الخير، والحث على إصلاح الأوضاع، والتحذير مما وقع من الشر، هذه طريقة أهل الخير الناصحين لله ولعباده.

وسُئل العلامة الشيخ صالح الفوزان حفظه الله هذا السؤال[٢]:

هل يجب على العلماء أن يبينوا للشباب وللعامة خطر التحزب والتفرق والجماعات؟

فأجاب:

نعم، يجب بيان خطر التحزب، وخطر الانقسام والتفرق؛ ليكون الناس على بصيرة، لأنه حتى العوام ينخدعون!، كَمْ من العوام الآن انخدعوا ببعض الجماعات يظنون أنها على حق؟، فلابد أن نُبيِّن للناس – المتعلِّمين والعوام – خطر الأحزاب والفرق؛ لأنهم إذا سكتوا قال الناس: العلماء كانوا عارفين عن هذا وساكتين عليه!؛ فيدخل الضلال من هذا الباب؛ فلا بد من البيان عندما تحدث مثل هذه الأمور، والخطر على العوام أكثر من الخطر على المتعلمين!؛ لأنَّ العوام مع سكوت العلماء يظنون أنَّ هذا هو الصحيح وهذا هو الحق.

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٨/٤١٠-٤١١).

(٢) الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة (١٢٣-١٢٤).

وسئل أيضاً حفظه الله، هذا السؤال[١]:

هل التحذير من المناهج المخالفة ودعاتهم يعتبر تفريقاً للمسلمين وشقاً لصفهم؟.

فأجاب حفظه الله:

التحذير من المناهج المخالفة لمنهج السلف يعتبر جمعاً لكلمة المسلمين لا تفريقاً لصفوفهم لأن الذي يفرّق صفوف المسلمين هو المناهج المخالفة لمنهج السلف.

وهذه نصيحة يوجهها فضيلة الشيخ العلامة صالح الفوزان حفظه الله[٢]:

هل من كلمة توجهونها لطلبة العلم؟

فأجاب حفظه الله:

نحث طلبة العلم على القيام بالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم كما أمرهم بذلك رسول الله ﷺ وكما أخذ الله عليهم الميثاق بقوله تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ** ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. وأن يتبعوا في النصيحة والبيان منهج الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة وأن يحذروا منهج الخوارج والمعتزلة الذين يتبعون ف أسلوب النصيحة والبيان الخروج على أئمة المسلمين والتشهير والعنف والتنفير، قال ﷺ: "يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا"[٣].

هذا ما نوصي به طلبة العلم ولاسيما الدعاة هذا وبالله التوفيق

(١) المصدر السابق (١٤٧).

(٢) الأجوبة المفيدة على أسئلة المناهج الجديدة (٢٥٤-٢٥٥).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحة كتاب العلم (باب: ما كان النبي ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا) برقم: ٦٩، ومسلم في صحيحة كتاب الجهاد والسير (باب:في الأمر بالتيسير وترك التنفير) برقم:٤٥٢٨.

المطلب الثالث:

الإعراض عن الرد على أهل الأهواء، ودعاة الافتراق.

الرد على أهل الأهواء أصل من أصول أهل السنة والجماعة، وواجبٌ يجب عليهم القيام به، حفظاً للدين والسنة من عبث أهل الأهواء والبدعة، وأصحاب الشبهات والشهوات، دل على ذلك القرآن الكريم في أكثر من موضع، منها:

قال الله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "والأمر بالمعروف وهو الحق الذي بعث الله به رسوله، والنهي عن المنكر وهو ما خالف ذلك من أنواع البدع والفجور بل هو من أعظم الواجبات وأفضل الطاعات؛ بل هو طريق أئمة الدين ومشايخ الدين نقتدي بهم فيه"(١).

وقال أيضاً رحمه الله جواباً عن السؤال:"هل يجب على ولي الأمر زجرهم وردعهم؟ فنعم يجب ذلك في هؤلاء وفي كل من أظهر مقالة تخالف الكتاب والسنة؛ فإن ذلك من المنكر الذي أمر الله بالنهي عنه"(٢).

وقال السعدي رحمه الله: " أي: وليكن منكم أيها المؤمنون الذين مَنَّ الله عليهم بالإيمان والاعتصام بحبله، جماعة ﴿ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾... وهذا إرشاد من الله للمؤمنين أن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلى سبيله وإرشاد الخلق إلى دينه، ويدخل في ذلك العلماء المعلمون للدين، والوعاظ الذين يدعون أهل الأديان إلى الدخول في دين الإسلام، ويدعون المنحرفين إلى الاستقامة..."(٣).

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/٥١٠).

(٢) المصدر السابق (١٢/٤٦٤).

(٣) تفسير السعدي (١٢٥).

والقرآن الكريم مليء بالرد على باطل أهل الباطل، وبيان الحق، ومقارعة الحجة بالحجة ومن ذلك:

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١].

وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ ﴾ [المائدة: ٦٤].

وغير هذه من الآيات التي يرد فيها الله سبحانه وتعالى على المخالفين، سواءً كانوا من اليهود والنصارى أو المشركين، أو أصحاب الشبهات والشهوات.

وكذلك السنة النبوية دلت على الرد على المخالف، حيث أن الرسول ﷺ كان كثيراً ما يرد على المخالفين، أو من يخطئ من المؤمنين، فيبين لهم ويرشدهم، من ذلك:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يقسم قسما، أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله اعدل، فقال:"ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل". فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال:"دعه، فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه، - وهو قدحه -، فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود، إحدى عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقة من الناس"[(١)].

---

(١) سبق تخريجه.

وعن أنس بن مالك ﷺ، قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله ﷺ إليهم، فقال:"أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"(١).

وعن عائشة ﷺ، قالت:"ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده، ولا امرأة، ولا خادما، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط، فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله، فينتقم لله عز وجل"(٢).

فلم يغضب نبينا ﷺ على شيئا من أمور الدنيا، بقدر غضبه عندما تنتهك محارم الله.

ومما يدل على عِظم هذا الأصل، أن الرسول ﷺ قد جعل الجهاد باللسان من أنواع الجهاد لما فيه من صيانة الدين وحماية جنابِهِ، وحفظ السنة من كيد الكائدين وعبث العابثين.

فعن أنس ﷺ، أن النبي ﷺ قال:"جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم"(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"فالراد على أهل البدع مجاهد، حتى كان يحي ابن يحي يقول: الذب عن السنة أفضل من الجهاد"(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب النكاح (باب:الترغيب في النكاح) رقم:٥٠٦٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الفضائل (باب: مباعدته ﷺ للآثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته) برقم: ٦٠٥٠.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الجهاد (باب:كراهية ترك الغزو) برقم: ٢٥٠٤، قال الألباني: صحيح، انظر: (صحيح سنن أبو داود ٩٧/٢) برقم:٢٥٠٤.

(٤) مجموع الفتاوى (١٣/٤).

وقال أيضاً رحمه الله:"وإذا كان النصح واجباً في المصالح الدينية الخاصة والعامة: مثل نقلة الحديث الذين يغلطون ويكذبون، ومثل أئمة البدع من أهل المقالات المخالفة للكتاب والسنة، فإن بيان حالهم وتحذير الأمة منهم واجب باتفاق المسلمين، حتى قيل لأحمد بن حنبل: الرجل يصوم ويصلي ويعتكف أحب إليك أو يتكلم في أهل البدع؟ فقال: إذا قام وصلَّى واعتكف فإنما هو لنفسه، وإذا تكلم في أهل البدع فإنما هو للمسلمين، هذا أفضل. فبين أن نفع هذا عام للمسلمين في دينهم من جنس الجهاد في سبيل الله؛ إذ تطهير سبيل الله ودينه ومنهاجه وشرعته ودفع بغي هؤلاء وعدوانهم على ذلك واجب على الكفاية باتفاق المسلمين، ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء، لفسد الدين، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب؛ فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعاً، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداءً"[1].

وهذا الإمام ابن القيم رحمه الله يبين رتب الأقلام، فيقول عن قلم الرد على المبطلين والمرجفين: " القلم الثاني عشر القلم الجامع وهو قلم الرد على المبطلين ورفع سنة المحقين وكشف أباطيل المبطلين على اختلاف أنواعها وأجناسها وبيان تناقضهم وتهافتهم وخروجهم عن الحق ودخولهم في الباطل وهذا القلم في الأقلام نظير الملوك في الأنام وأصحابه أهل الحجة الناصرون لما جاءت به الرسل المحاربون لأعدائهم وهم الداعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة المجادلون لمن خرج عن سبيله بأنواع الجدال وأصحاب هذا القلم حرب لكل مبطل وعدو لكل مخالف للرسل فهم في شأن وغيرهم من أصحاب الأقلام في شأن فهذه الأقلام التي فيها انتظام مصالح العالم ويكفي في جلالة القلم أنه لم تكتب كتب الله إلا به وأن الله سبحانه أقسم به في كتابه وتعرف إلى غيره بأن علم بالقلم وإنما وصل إلينا ما بعث به نبينا بواسطة القلم"[2].

وقال أيضاً رحمه الله عن أفضلية جهاد القلب واللسان، وكونها مقدمة على الجهاد باليد:"إن الدعوة إلى الله ورسوله جهاد بالقلب وباللسان، وقد يكون أفضل من الجهاد

---

(١) المصدر السابق (٢٨/٢٣١).

(٢) التبيان في أقسام القرآن (٢١٢).

باليد"[١]، ورد المقالات، وبيان الحق فيها هو مما يحبه أهل العلم، وهو المعترك الخاص بهم دون غيرهم فجهادهم في هذا الميدان أعظم من غيره من الميادين، لأنهم يعلمون علم اليقين أنه لا غيبة لمخالفٍ للسنة، لأن الأصل بيان الحق وإظهار النصيحة[٢].

القدح ليس بغيبة في ستة *** متظلم ومعرف ومحذر
ولمظهر فسقاً ومستفت ومن *** طلب الإعانة في إزالة منكر[٣]

وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله:"رد المقالات الضعيفة وتبيين الحق في خلافها بالأدلة الشرعية ليس هو مما يكرهه أولئك العلماء بل مما يحبونه ويمدحون فاعله ويثنون عليه.

فلا يكون داخلاً في الغيبة بالكلية فلو فرض أن أحداً يكره إظهار خطئه المخالف للحق فلا عبرة بكراهته لذلك فإن كراهة إظهار الحق إذا كان مخالفاً لقول الرجل ليس من الخصال المحمودة بل الواجب على المسلم أن يحب ظهور الحق ومعرفة المسلمين له سواءٌ كان ذلك في موافقته أو مخالفته، وهذا من النصيحة لله ولكتابه ورسوله ودينه وأئمة المسلمين وعامتهم وذلك هو الدين كما أخبر به النبي ﷺ"[٤].

ومن هنا تبين لنا أن الرد على المخالف من أهل الأهواء، إنما هو عبادة يتقرب بها إلى الله عز وجل، بل هي من أجل العبادات، كيف لا، وقد وُكِلَ أمرها إلى أهل العلم الذين هم ورثة الأنبياء عليهم السلام، **فعن** كثير بن قيس، قال: كنت جالسا عند أبي الدرداء في مسجد دمشق، فأتاه رجل، فقال: يا أبا الدرداء، أتيتك من المدينة، مدينة رسول الله ﷺ ؛ لحديث بلغني أنك تحدث به عن النبي ﷺ: قال: فما جاء بك تجارة؟ قال: لا، قال: ولا جاء بك غيره؟ قال: لا، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:"من سلك طريقا يلتمس فيه

---

(١) أحكام أهل الذمة (١٢٥٤/٣).

(٢) انظر: (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ٦٧) و (مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٣٣/٢٨) و (الاعتصام للشاطبي ١٦٣/١).

(٣) هذه الأبيات نسبها نجم الدين محمد الغزي في كتابه (الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة) (١٠/١) لمحمد بن عوجان، وهو أحد تلاميذ الحافظ ابن حجر.

(٤) الفرق بين النصيحة والتعيير (١٠-١١).

علما، سهل الله له طريقا إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض، حتى الحيتان في الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، إنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"[1].

وقال الإمام أحمد رحمه الله في مقدمة كتابه:[الرد على الزنادقة والجهمية][2]: الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍ تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عقال الفتنة فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم

يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن الضالين.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" فالمرصدون للعلم عليهم للأمة حفظ علم الدين وتبليغه؛ فإذا لم يبلغوهم علم الدين أو ضيعوا حفظه كان ذلك من أعظم الظلم للمسلمين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٩] فإن ضرر كتمانهم تعدى إلى البهائم وغيرها فلعنهم اللاعنون حتى البهائم. كما أن معلم الخير يصلي

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب العلم (باب:الحث على طلب العلم) برقم:٣٦٤١، وابن ماجة كتاب السنة (باب:فضل العلماء والحث على طلب العلم) برقم: ٢٢٣، والترمذي كتاب العلم (باب: ما جاء في فضل الفقه على العبادة) برقم: ٢٨٧٧، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي دواد (٢/٤٠٧) برقم: ٣٦٤١.

(٢) (١٧٠-١٧٤).

عليه الله وملائكته ويستغفر له كل شيء حتى الحيتان في جوف البحر والطير في جو السماء"[1].

وينبغي أن يُعلم بعد هذا البيان، بأن الإعراض عن الرد على المخالف هو سمةٌ وأصلٌ من أصول أهل الأهواء، ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"وبإزاء هؤلاء المكفرين بالباطل أقوام لا يعرفون اعتقاد أهل السنة والجماعة كما يجب أو يعرفون بعضه ويجهلون بعضه وما عرفوه منه قد لا يبينونه للناس بل يكتمونه ولا ينهون عن البدع المخالفة للكتاب والسنة ولا يذمون أهل البدع ويعاقبونهم؛ بل لعلهم يذمون الكلام في السنة وأصول الدين ذما مطلقا؛ لا يفرقون فيه بين ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع وما يقوله أهل البدعة والفرقة أو يقرون الجميع على مذاهبهم المختلفة كما يقر العلماء في مواضع الاجتهاد التي يسوغ فيها النزاع وهذه الطريقة قد تغلب على كثير من المرجئة وبعض المتفقهة والمتصوفة والمتفلسفة كما تغلب الأولى على كثير من أهل الأهواء والكلام وكلا هاتين الطريقتين منحرفة خارجة عن الكتاب والسنة"[2].

وقال تلميذه ابن القيم رحمه الله:"ومن له خبرة بما بعث الله به رسوله ﷺ وبما كان عليه هو وأصحابه رأي أن أكثر من يشار إليهم بالدين هم أقل الناس دينا، والله المستعان، وأي دين وأي خير فيمن يرى محارم الله تنتهك وحدوده تضاع ودينه يترك وسنة رسول الله ﷺ يرغب عنها وهو بارد القلب ساكت اللسان؟ شيطان أخرس، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بلية الدين إلا من هؤلاء الذين إذا سلمت لهم مآكلهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدين؟، وخيارهم المتحزن المتلمظ، ولو نوزع في بعض ما فيه غضاضة عليه في جاهه أو ماله بذل وتبذل وجد واجتهد، واستعمل مراتب الإنكار الثلاثة بحسب وسعه. وهؤلاء – مع سقوطهم من عين الله ومقت الله لهم – قد بلوا في الدنيا بأعظم بلية

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨٧/٢٨).

(٢) المصدر السابق (٤٦٨/١٢).

تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب؛ فإنه القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله ورسوله أقوى، وانتصاره للدين أكمل"[١].

ومن القواعد المبتدعة والمقررة حول هذه المخالفة، ما أقره[٢] وقعده مؤسس جماعة الإخوان المسلمين حسن البنا في قاعدتهم الشهيرة: [نجتمع فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا][٣].

فهذه القاعدة السيئة تستخدم لهدم الدين من عدة جوانب، وتشترك في مخالفاتٍ عقديةٍ عديدة وكثيرة، وعلاقتها بالإعراض عن الرد على أهل الأهواء، هو أنها تجمع كل الملل والنحل المخالفة لأهل السنة والجماعة في الأصول وغيرها، فكيف يمكن أن ننكر المنكر الذي يعذر بعضنا بعضا فيه، وكيف نجتمع على الباطل الذي أمرنا برده وبيانه للناس.

فالرافضة – أخزاهم الله – يطعنون بالله عز وجل وبالقرآن الكريم وبأزواج النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم وغير هذه الضلالات المخرجة من الملة، ويتفقون معنا باسم الإسلام، فهل يغني عنهم هذا الاتفاق شيئا؟.

وهل من مؤمنٍ يؤمنُ بالله واليوم الآخر يجتمع مع من يقرُّ الطعن بالقرآن الكريم ونسبة وقوع التحريف فيه وبقذف زوجات النبي ﷺ وتكفير صحابة رسول الله ﷺ و رضي الله عنهم .

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

---

(١) إعلام الموقعين (١٢١/٢).

(٢) جاء في مجلة المنار (٤٨٠/٣٥) عن عبد الرحمن عاصم قال: (وللسيد – محمد رشيد رضا- قاعدة دعا إليها وجرى عليها، وهي: أن نتعاون على ما نتفق عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما نختلف فيه، وكان يسميها قاعدة المنار الذهبية)، ومن هذا يتبين أن أصل القاعدة للشيخ محمد رشيد رضا، وتبناها حسن البنا، وهي مازالت في طور التبني مع يوسف القرضاوي الذي لازال يدافع عنها.

(٣) انظر: ص:١٦١ من هذا البحث، حيث ذكرت هذه القاعدة ورد الإمام ابن باز رحمه الله عليها.

والمتأمل لهذه القاعدة يجدها قد خالفت هذا النص القرآني، وفتحت أبواب الشر على الإسلام والمسلمين، فالله تعالى يقول: ﴿ صِرَٰطِى ﴾ أي أنه صراط وطريق واحد لا غيره، كما أخبر النبي ﷺ بذلك في الحديث الذي **رواه** جابر بن عبد الله، قال:"كنا عند النبي ﷺ فخط خطا، وخط خطين عن يمينه، وخط خطين عن يساره، ثم وضع يده في الخط الأوسط، فقال: «هذا سبيل الله» ثم تلا هذه الآية ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ "[1].

قال الطبري رحمه الله: أي طريقه ودينه الذي ارتضاه لعباده، قويما لا اعوجاج به عن الحق ﴿ فَٱتَّبِعُوهُ ﴾، يقول: فاعملوا به، واجعلوه لأنفسكم منهاجا تسلكونه، فاتبعوه، ولا تسلكوا طريقا سواه، ولا تركبوا منهجا غيره، ولا تبغوا دينا خلافه، من اليهودية والنصرانية والمجوسية وعبادة الأوثان، وغير ذلك من الملل، فإنها بدع وضلالات، فيشتت بكم، إن اتبعتم السبل المحدثة التي ليست لله بسبل ولا طرق ولا أديان"[2].

وقال ابن القيم رحمه الله:"وهذا لأن الطريق الموصل إلى الله واحد. وهو ما بعث به رسله وأنزل به كتبه. لا يصل إليه أحد إلا من هذه الطريق. ولو أتى الناس من كل طريق، واستفتحوا من كل باب، فالطرق عليهم مسدودة، والأبواب عليهم مغلقة، إلا من هذا الطريق الواحد، فإنه متصل بالله، موصل إلى الله"[3].

وبناءً على هذه القاعدة، يتوقف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويتوقف الرد على المخالف بحجة أنه يعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا عليه، ويفتح الباب لمن أراد الكيد والطعن بالدين وأهله، ومن أراد هدم السنة وانتشار البدعة والفرقة والنزاع والصراع.

---

(١) أخرجه ابن ماجة في سننه كتاب السنة (باب: أتباع سنة الرسول ﷺ) برقم: ١١، قال الألباني: صحيح، انظر: (صحيح سنن ابن ماجة ٢٠/١-٢١) برقم:١١.

(٢) تفسير الطبري (٢٢٢/٥).

(٣) التفسير القيم (١٨-١٩).

الفصل الرابع:

المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة في معاملة المخالفين.

وفيه تمهيد وثلاثة مباحث:

المبحث الأول:

المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة للتحذير من الكفر والشرك، وكيفية التعامل مع الكفار.

المبحث الثاني:

المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة للتحذير من الفسق، وكيفية التعامل مع الفُسَّاق.

المبحث الثالث:

المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة للتحذير من البدع وأهلها، وكيفية التعامل مع المبتدعة.

تمهيد:

منهج التعامل مع المخالفين عند أهل السنة والجماعة، منهجٌ مبنيٌ على الكتاب والسنة النبوية، وما كان عليه السلف الصالح ﷺ ورحمهم.

والمخالف لأهل السنة والجماعة لا يخرج عن أحد الأصناف الثلاثة، فإما أن يكون من أهل الكفر والشرك، أو من أهل الفسق، أو من أهل البدع والأهواء، وهذه الأصناف الثلاثة لكل واحدٍ منهم طريقة في التعامل معه، ولما يدعو إليه، وهذا ما يجهله كثير من عوام المسلمين، ولعل السبب في ذلك يعود للإعراض عن بيان حقيقة كل صنفٍ من هذه الأصناف، وتحذير الناس منهم، وتعليمهم كيفية التعامل معهم، وهذه الجهود جميعها منصبةٌ على الدعاة إلى الله تعالى، فمنهم من وفى وأدى ما عليه، ومنهم من قصَّر فيما يجب عليه، ومنهم من سلك مسالك أهل البدع والأهواء، وأخذ بمنهجهم البعيد كل البعد عن منهج أهل السنة والجماعة في كيفية التعامل مع هذه الأصناف، علماً وعملاً ودعوةً.

والمتأمل لحال السلف رحمهم الله تعالى يجدهم قد وفَّوا في ذلك من خلال التأليف والدعوة والبيان، بل إنهم قد تجاوزوا ذلك بأن قعَّدوا القواعد في طريقة التعامل مع المخالف والرد عليه عن طريق تتبع النصوص واستقراءها، ومن خلال دراسة منهجهم واستعراضه يتبين لنا أن منهج السلف رحمهم الله يحمل الرحمة والعدل والأنصاف مع المخالفين وهذا ما أمر الله به في كتابه، وما دعا إليه النبي ﷺ في سنته قولاً وعملاً.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

قال الطبري رحمه الله:"يعني بذلك جل ثناؤه:يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد، ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعداوتهم لكم، ولا تقصروا

فيما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدي، واعملوا فيه بأمري"(١).

وإذا كان من العدل والإنصاف بيان ما للمخالف من حقوق، فإنه من الإنصاف أيضاً بيان ما عليه من مخالفات، وتحذير الأمة منها وممن يدعو لها، أو يقرر ما يتعلق بها من مسائل كالدعوة إلى وحدة الأديان أو التقريب بين المتناقضات، كالتقريب بين السنة والرافضة.

وبناءً على هذا، فإني قد حصرت تلك المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة للتحذير من الكفر والشرك وأهل الفسق والبدع والأهواء وكيفية التعامل معهم في هذا الفصل من خلال المباحث التالية:

---

(١) تفسير الطبري (٤/٤١٤).

المبحث الأول:

المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة للتحذير من الكفر والشرك وكيفية التعامل مع الكفار.

وهذا هو الصنف الأول من أصناف المخالفين لأهل السنة والجماعة، ومن خلال معرفة موقفهم من الإسلام والمسلمين تتحدد طريقة التعامل معهم إجمالاً، فمن كان منهم معاهداً ومسالماً ولم يصدر منه خطرٌ على الإسلام وأهله، فهذا يعامل بالحسنى، لقوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة: ٨].

قال القرطبي رحمه الله:"هذه الآية رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم"(١).

وأما من كان مُظهراً للعداوة والبغضاء، من أهل المكر والكيد بالإسلام وأهله، فهذا يجب التعامل معه بإظهار العداوة له، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [الممتحنة: ٩].

وهذا التعامل إن كان بالحسنى فإنه لا يقتضي المحبة والمودة والموالاة ولا يستلزمها، **قال** ابن حجر رحمه الله تعالى:" البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه في قوله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ الآية فإنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل والله أعلم"(٢).

(١) تفسير القرطبي (٢٠/٤٠٧).

(٢) فتح الباري (٥/٣٣٨).

وفي هذا المبحث بإذن الله تعالى سأتعرض لأبرز المخالفات المتعلقة بالتحذير من الكفر والشرك وكيفية التعامل مع الكفار، من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول:

الإعراض عن الدعوة إلى ذم الافتراق.

أمرنا الله عز وجل بتوحيد الصف ولزوم الجماعة، ونهانا سبحانه وتعالى عن الاختلاف والتفرق، **فقال** سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

كما أخبر النبي ﷺ بافتراق الأمة، وحثنا على لزوم الجماعة وبيَّنا لنا الطريق المنجية وقت الفتن والمحن، **فعن** عوف بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة، وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة، وثنتان وسبعون في النار"، قيل: يا رسول الله من هم؟ قال: الجماعة"[(١)].

والمتأمل لحال الأمة يجدها هزيلة ومريضة، قد تكالب عليها الأعداء من كل حدب وصوب يزرعون الفرقة، ويوقدون الفتنة، ولا سبيل لهم للنصر على هذه الأمة إلا بسلوك هذه المسالك.

وقد أخبر الله تعالى بعداوة اليهود والمشركين لهذه الأمة، وأنهم من أشد الناس عداوة للذين آمنوا فقال سبحانه: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ ﴾ [المائدة: ٨٢].

---

(١) سبق تخريجه.

قال الطبري رحمه الله: " لتجدن، يا محمد، أشدَّ الناس عداوةً للذين صدَّقوك واتبعوك وصدّقوا بما جئتهم به من أهل الإسلام،﴿ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ ﴾ يعني: عبدة الأوثان الذين اتخذوا الأوثان آلهة يعبدونها من دون الله"(١).

وكذلك النصارى عداوتهم ظاهرة بينه، ولا يعني أنهم أقرب مودةً للذين آمنوا بأنهم يوالون ويُقرَّبون، بل هم كاليهود والمشركين، ولكن عداوتهم أخف.

قال البغوي رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية:" لم يرد به جميع النصارى لأنهم في عداوتهم المسلمين كاليهود في قتلهم المسلمين، وأسرهم وتخريب بلادهم وهدم مساجدهم وإحراق مصاحفهم، لا ولا كرامة لهم، بل الآية فيمن أسلم منهم مثل النجاشي وأصحابه.

وقيل: نزلت في جميع اليهود وجميع النصارى، لأن اليهود أقسى قلبا والنصارى ألين قلبا منهم، وكانوا أقل مظاهرة للمشركين من اليهود"(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"فإن عداوة المشركين واليهود للمؤمنين أشد من عداوة النصارى، والنصارى أقرب مودة لهم، وهذا معروف من أخلاق اليهود، فإن اليهود فيهم من البغض والحسد والعداوة ما ليس في النصارى. وفي النصارى من الرحمة والمودة ما ليس في اليهود، والعداوة أصلها البغض فاليهود كانوا يبغضون أنبياءهم، فكيف ببغضهم للمؤمنين.

وأما النصارى فليس في الدين الذي يدينون به عداوة ولا بغض لأعداء الله الذين حاربوا الله ورسوله وسعوا في الأرض فسادا، فكيف بعداوتهم وبغضهم للمؤمنين المعتدلين أهل ملة إبراهيم، المؤمنين بجميع الكتب والرسل؟

---

(١) تفسير الطبري (٤/٦٣٠).

(٢) تفسير البغوي (٢/٧٤).

وليس في هذا مدح للنصارى بالإيمان بالله، ولا وعد لهم بالنجاة من العذاب، واستحقاق الثواب وإنما فيه أنهم أقرب مودة، وقوله تعالى﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [المائدة: ٨٢]"[١].

ومما يدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وهذه هي الغاية من تلك المسالك التي يسلكها اليهود والمشركون والنصارى، من بث الفرقة والفتنة بين المسلمين حتى ينسلخوا من دينهم، ويتبعوهم في دينهم وملتهم.

قال السعدي رحمه الله:"فهذا فيه النهي العظيم، عن إتباع أهواء اليهود والنصارى، والتشبه بهم فيما يختص به دينهم، والخطاب وإن كان لرسول الله ﷺ فإن أمته داخلة في ذلك، لأن الاعتبار بعموم المعنى لا بخصوص المخاطب، كما أن العبرة بعموم اللفظ، لا بخصوص السبب"[٢].

ولذلك أخبر النبي ﷺ بهذا الأمر الواقع لا محالة، وقد بيَّن ﷺ المخرج وطريق النجاة من ذلك، وهو في لزوم الجماعة.

عن أبي سعيد ﷺ، أن النبي ﷺ، قال:"لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه"، قلنا يا رسول الله: اليهود، والنصارى قال: (فمن)"[٣].

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/٦٤).

(٢) تفسير السعدي (٥٠).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الأنبياء (باب:ما ذكر في بني إسرائيل) برقم: ٣٤٥٦، ومسلم في صحيحة كتاب العلم (باب:اتباع سنن اليهود والنصارى) برقم:٦٧٨١.

وعن جابر ﷺ، قال: سمعت النبي ﷺ، يقول:"إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم"(١).

وبعد فإن مهمة الدعاة ليست باليسيرة، ولا بالهينة خصوصاً وأن القرآن الكريم والسنة النبوية قد حذَّرا من التفرق وذمه، وأمرا بالدعوة إلى الاجتماع والألفة والاعتصام بحبل الله والتمسك به.

فمن أعرض عن ذم الافتراق الذي يزرعه اليهود والنصارى والمشركين، فإنه حتما هو من أهل الأهواء والبدع، لأن الله تعالى يقول: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة"(٢).

ولقد كان السلف ﷺ ورحمهم يدعون إلى الجماعة ويحذرون من الفرقة والاختلاف، وذلك لأنهم علموا يقيناً بخبر الصادق ﷺ بوقوع الافتراق وأنه حقٌ لا محالة، فحذروا من كل سبيل وطريق ومسلك يؤدي إليه، ومن ذلك:

قال عبد الله بن عباس ﷺ: "قدم على عمر بن الخطاب ﷺ رجل فجعل عمر يسأله عن الناس، فقال: يا أمير المؤمنين، قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا، قال ابن عباس فقلت: والله ما أحب أن يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة، قال: فزجرني عمر ﷺ ثم قال: مه، فانطلقت إلى منزلي مكتئبا حزينا فبينا أنا كذلك إذ أتاني رجل فقال: أجب أمير المؤمنين فخرجت، فإذا هو بالباب ينتظرني فأخذ بيدي فخلا بي، فقال: ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفا؟، فقلت: يا أمير المؤمنين متى يتسارعوا هذه المسارعة يحتقوا ومتى

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب صفة القيامة والجنة والنار (باب:تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرين) برقم: ٧١٠٣

(٢) تفسير القرطبي (٥/٢٥٥)، وتفسير ابن كثير (١/٣٥٤).

يحتقوا يختصموا، ومتى يختصموا يختلفوا ومتى يختلفوا يقتتلوا، قال: لله أبوك، إن كنت لأكتمها الناس حتى جئت بها"(١).

وقال سماك بن الوليد الحنفي لابن عباس رضي الله عنهما:"ما يقول في سلطان علينا يظلمونا ويشتمونا ويعتدون علينا في صدقاتنا ألا نمنعهم؟

قال: لا، أعطهم يا حنفي، فإن أباك أهذب الشفتين منتفش المنخرين، يعني: زنجي، وأعطه صدقتك، فلنعم القلوص قلوص يؤمر الرجل بين عرسه ووطبه، يعني زوجته وقربة اللبن، ثم أخذ ذراعي فغمزها وقال: يا حنفي: الجماعة، الجماعة، إنما هلكت الأمم الخالية بتفرقها، أما سمعت قول الله عز وجل:﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [آل عمران: ١٠٣]"(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " تعلمون أن من القواعد العظيمة التي هي من جِماع الدين: تأليف القلوب، واجتماع الكلمة، وصلاح ذات البَيْن، فإن الله تعالى يقول: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡ ﴾ [سورة الأنفال:١]"(٣).

وسار على نهج السلف وطريقهم علماؤنا، وحذروا من الفرقة، ودعوا إلى ذمها، وبينوا خطرها، **قال** الشيخ ابن باز رحمه الله:" الواجب على علماء المسلمين توضيح الحقيقة ومناقشة كل جماعة أو جمعية ونصح الجميع بأن يسيروا في الخط الذي رسمه الله لعباده ودعا إليه نبينا محمد، ومن تجاوز هذا واستمر في عناده لمصالح شخصية أو لمقاصد لا يعلمها إلا الله، فإن الواجب التشهير به والتحذير منه ممن عرف الحقيقة، حتى يتجنب الناس طريقهم وحتى لا يدخل معهم من لا يعرف حقيقة أمرهم فيضلوه ويصرفوه عن الطريق المستقيم الذي أمرنا الله بإتباعه في قوله جل وعلا: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ

---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة (١/١٣٧) برقم: ٨٩.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (٣/٧٢٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٨/٥٠).

ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].
ومما لا شك فيه أن كثرة الفرق والجماعات في المجتمع الإسلامي مما يحرص عليه الشيطان أولا وأعداء الإسلام من الإنس ثانيا؛ لأن اتفاق كلمة المسلمين ووحدتهم وإدراكهم الخطر الذي يهددهم ويستهدف عقيدتهم يجعلهم ينشطون لمكافحة ذلك والعمل في صف واحد من أجل مصلحة المسلمين ودرء الخطر عن دينهم وبلادهم وإخوانهم، وهذا مسلك لا يرضاه الأعداء من الإنس والجن، فلذا هم يحرصون على تفريق كلمة المسلمين وتشتيت شملهم وبذر أسباب العداوة بينهم، نسأل الله أن يجمع كلمة المسلمين على الحق، وأن يزيل من مجتمعهم كل فتنة وضلالة، إنه ولي ذلك والقادر عليه"(١).

وبعد هذا البيان لابد من ذكر بعضٍ من النماذج التي تبين عداوة المشركين واليهود والنصارى لأهل الإسلام، وهي نماذج كثيرة سببها حقدهم وغيظهم من اجتماع المسلمين ووحدتهم، نعم فاليهود والنصارى والمشركين دعاة فرقة وتشرذم أخبر الله عنهم في كتابه وأخبر عنهم النبي ﷺ سنته.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [الروم: ٣٢].

فأصل الفرقة والتحزب هم اليهود والنصارى والمشركين ومن نحا نحوهم من أهل البدع والأهواء، ولكن لما كان أهل الحق من المسلمين على قلب رجل واحد، ألفةٌ ووحدةٌ واجتماعٌ، أغاظ ذلك هؤلاء، وحرك ما في نفوسهم من الحقد والغل والحسد، وردهم إلى طبائعهم الخسيسة وأخلاقهم الرديئة، فحاولوا زرع الفتنة لتفريق الجماعة والألفة والمودة.

أخرج أبو دواد في سننه عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجل، من أصحاب النبي ﷺ: أن كفار قريش كتبوا إلى ابن أبي، ومن كان يعبد معه الأوثان من الأوس والخزرج،

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٤/١٣٦-١٣٧).

ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة قبل وقعة بدر: إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لتقاتلنه، أو لتخرجنه أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلتكم، ونستبيح نساءكم، فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن كان معه من عبدة الأوثان، اجتمعوا لقتال النبي ﷺ، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ لقيهم، فقال: «لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ، ما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم، وإخوانكم» فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفرقوا، فبلغ ذلك كفار قريش، فكتبت كفار قريش بعد وقعة بدر إلى اليهود: إنكم أهل الحلقة والحصون، وإنكم لتقاتلن صاحبنا، أو لنفعلن كذا وكذا، ولا يحول بيننا وبين خدم نسائكم شيء، وهي الخلاخيل، فلما بلغ كتابهم النبي ﷺ، أجمعت بنو النضير بالغدر، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: اخرج إلينا في ثلاثين رجلا من أصحابك، وليخرج منا ثلاثون حبرا، حتى نلتقي بمكان المنصف فيسمعوا منك، فإن صدقوك وآمنوا بك آمنا بك، فقص خبرهم، فلما كان الغد، غدا عليهم رسول الله ﷺ بالكتائب فحصرهم، فقال لهم: «إنكم والله لا تأمنون عندي إلا بعهد تعاهدوني عليه»، فأبوا أن يعطوه عهدا، فقاتلهم يومهم ذلك، ثم غدا الغد على بني قريظة بالكتائب، وترك بني النضير ودعاهم إلى أن يعاهدوه، فعاهدوه، فانصرف عنهم، وغدا على بني النضير بالكتائب، فقاتلهم حتى نزلوا على الجلاء، فجلت بنو النضير، واحتملوا ما أقلت الإبل من أمتعتهم، وأبواب بيوتهم، وخشبها، فكان نخل بني النضير لرسول الله ﷺ خاصة، أعطاه الله إياها وخصه بها، فقال: ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ ﴾ [الحشر: ٦] يقول: بغير قتال، فأعطى النبي ﷺ أكثرها للمهاجرين، وقسمها بينهم وقسم منها لرجلين من الأنصار، وكانا ذوي حاجة لم يقسم لأحد من الأنصار غيرهما، وبقي منها صدقة رسول الله ﷺ التي في أيدي بني فاطمة رضي الله عنها"(١).

---

(١) سنن أبو داود كتاب الخراج والأمارة (باب:في خبر النضير) برقم:٣٠٠٤، وقال الألباني: صحيح الإسناد، (صحيح سنن أبي داود ٢/٢٥٠-٢٥١)

فانظر إلى زرع الفتنة من مشركي قريش للأنصار الذين كانوا يعيشون في طمأنينة وهدوء ورخاء، فهذا الأمر لا يعجبهم أبدا.

ومن النماذج أيضاً، ما أخرجه الطبري بسنده عن زيد بن أسلم، قال:" مر شاس بن قيس وكان شيخا قد عسا في الجاهلية، عظيم الكفر، شديد الضغن على المسلمين، شديد الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول الله ﷺ من الأوس والخزرج، في مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه. فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الإسلام، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية، فقال: قد اجتمع ملأ بني قيلة بهذه البلاد! لا والله ما لنا معهم، إذا اجتمع ملأهم بها، من قرار! فأمر فتى شابا من يهود وكان معه، فقال: اعمد إليهم، فاجلس معهم، وذكرهم يوم بعاث وما كان قبله، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظفر فيه للأوس على الخزرج، ففعل. فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا، حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب: أوس بن قيظي، أحد بني حارثة بن الحارث من الأوس – وجبار بن صخر، أحد بني سلمة من الخزرج. فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه: إن شئتم والله رددناها الآن جذعة! وغضب الفريقان، وقالوا: قد فعلنا، السلاح السلاح!! موعدكم الظاهرة فخرجوا إليها. وتحاوز الناس. فانضمت الأوس بعضها إلى بعض، والخزرج بعضها إلى بعض، على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فخرج إليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم، فقال:"يا معشر المسلمين، الله الله، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، واستنقذكم به من الكفر، وألف به بينكم، ترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا؟ فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان، وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح من أيديهم، وبكوا، وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس وما صنع. فأنزل الله في شاس بن قيس وما صنع:"﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ [آل عمران: ٩٩] الآية. وأنزل الله عز وجل في أوس بن قيظي وجبار بن صخر

ومن كان معهما من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا عما أدخل عليهم شأس بن قيس من أمر الجاهلية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٠٠] إلى قوله: ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [آل عمران: ١٠٥]"[١].

فهذه نماذج من عهد النبوة، ولازال كيد الأعداء مستمر ومحاولة تفريق الأمة الإسلامية بطرق ووسائل شتى، حتى تمكنا اليهود والنصارى والمشركين من زرع من يخدمهم بين صفوف المسلمين ومن أبنائهم، فزينوا لهم الفرقة والاختلاف والخروج بأسماء رنانة كالديمقراطية، فأخذوا بتمجيدها وتزيينها، حتى انخدع بها كثيرٌ من الرعاع، فحصلت الفرقة والاختلاف بسبب المطالبة بها وذلك من خلال المظاهرات والاحتجاجات، فبسببها سُفِكت الدماء وانتهكت الأعراض وبُدِّل الأمن خوفاً والسلم حرباً، حتى أصبح المؤمن لا يأمن على نفسه وعرضه وولده وماله.

ومن ذلك دعمهم للأحزاب الدينية والسياسية، حتى يستمر الاقتتال فيما بينهم ولا يجتمعوا أبدا، ويضمنوا أن لا تقوم للمسلمين قائمة، فالأمر بات مكشوفاً واضحاً عياناً بياناً.

فأعداء الدين من اليهود والنصارى والمشركين ومن نحا نحوهم، يعلمون أن قوة المسلمين في وحدتهم واجتماعهم، وضعفهم يكمن في اختلافهم وتفرقهم إلى أحزابٍ وجماعات، فلأجل ذلك لا يألون جهدا في زرع الفرقة، وإزكاء الفتنة بين المسلمين، ولا سبيل للنجاة من هذا إلا بالتمسك بالكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة من اجتماعٍ وألفة، وبيان ذلك للأمة من خلال الخطب والمحاضرات والدروس وغيرها.

---

(١) تفسير الطبري (٣/٣٤٥-٣٤٦) قال محققه: ضعيف، وانظر: سيرة ابن هشام (٢/١٣٠-١٣٢).

المطلب الثاني:

الإعراض عن تقرير عقيدة الولاء والبراء.

يعتبر الولاء والبراء ركنٌ من أركان العقيدة عند أهل السنة والجماعة، وله من الأهمية العظمى ما لا يخفي على مسلم، **قال** ابن عقيل الحنبلي(١) رحمه الله:" إذا أردت أن تعلم محل الإسلام من أهل الزمان فلا تنظر إلى زحامهم في أبواب الجوامع، ولا ضجيجهم في الموقف بلبيك، وإنما انظر إلى مواطأتهم أعداء الشريعة"(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"الحمد والذم والحب والبغض والوعد والوعيد والموالاة والمعاداة ونحو ذلك من أحكام الدين. لا يصلح إلا بالأسماء التي أنزل الله بها سلطانه. فأما تعليق ذلك بأسماء مبتدعة فلا يجوز بل ذلك من باب شرع دين لم يأذن به الله. وأنه لا بد من معرفة حدود ما أنزل الله على رسوله"(٣)، وقبل أن نقرر ذلك ونؤصله ينبغي علينا معرفة حقيقة الولاء والبراء، وتتضح جلياً من خلال تعريفيهما في اللغة والاصطلاح.

الولاء في اللغة: من ولي، قال ابن فارس: "الواو واللام والياء: أصل صحيح يدل على قرب... ومنه الصاحب، والحليف، وابن العم، والناصر، والجار"(٤).

---

(١) الإمام العلامة البحر شيخ الحنابلة أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي الظفري الحنبلي المتكلم صاحب التصانيف كان يسكن الظفرية ومسجده بها مشهور ولد سنة ٤٣١هـ، وتوفي سنة ٥١٣هـ وافق المعتزلة في عدة بدع نسأل الله العفو والسلامة هذا الرجل من كبار الأئمة نعم كان معتزليا ثم اشهد على نفسه أنه تاب عن ذلك وصحت توبته ثم صنف في الرد عليهم وقد أثنى عليه أهل عصره ومن بعدهم وأطراه بن الجوزي وعول على كلامه في أكثر تصانيفه، انظر: (تاريخ بغداد ١٤٥/٢١-١٤٦) و(السير١٤/٣٨٥-٣٨٦) و(ميزان الاعتدال ٢٤٣/٤).

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢٣٧/١).

(٣) مجموع الفتاوى (١٥٤/٤).

(٤) مقاييس اللغة (١٤١/٦)، وانظر: (النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٢٧/٥) و (لسان العرب ٤٠٨/١٥) و(تاج العروس ٢٤١/٤٠-٢٤٥).

وفي الاصطلاح: محبة المؤمنين ونصرتهم ومعاونتهم، بقدر ما عندهم من طاعات[١].

والبراء في اللغة: من برأ، بمعني: تباعد وتنزه.

قال ابن فارس: " الباء والراء والهمزة فأصلان إليهما ترجع فروع الباب:

أحدهما الخلق، يقال: برأ الله الخلق يبرؤهم برءا. والبارئ الله جل ثناؤه.

والأصل الآخر: التباعد من الشيء ومزايلته، من ذلك البُرءُ وهو السلامة من السقم"[٢].

وفي الاصطلاح: هو البغض والبعد عن من حاد الله ورسوله والمؤمنين[٣].

قال الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ رحمه الله:"وأصل الموالاة: الحب، وأصل المعاداة: البغض؛ وينشأ عنهما من أعمال القلوب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة والمعاداة، كالنصرة، والأنس، والمعاونة، وكالجهاد، والهجرة، ونحو ذلك من الأعمال؛ والولي ضد العدو"[٤].

ولقد دل القرآن الكريم والسنة النبوية على هذا الركن العظيم، فمن أدلة الكتاب:

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٥ - ٥٦].

قال الطبري رحمه الله:" ليس لكم أيها المؤمنون ناصر إلا الله ورسوله والمؤمنون الذين صفتهم ما ذكر تعالى ذكره، فأما اليهود والنصارى الذين أمركم الله أن تبرأوا من ولايتهم،

---

(١) انظر: (مجموع الفتاوى ١١/١٦٠-١٦١ و ٢٨/٢٠٨-٢٠٩) و(الداء والدواء ٣٥١) و(شرح الطحاوية ٢٨٣).

(٢) مقاييس اللغة (١/٢٣٦)، وانظر: (تهذيب اللغة ١٥/١٩٣) و (النهاية في غريب الحديث والأثر ١/١١١) و(تاج العروس ١/١٤٥-١٤٩).

(٣) انظر: (مجموع الفتاوى ١١/١٦٠-١٦١) و (الداء والدواء ٣٥٠-٣٥١) و (تيسير العزيز الحميد٣٣٦-٣٣٧).

(٤) الدرر السنية (٢/٣٢٥).

ونهاكم أن تتخذوا منهم أولياء، فليسوا لكم أولياء لا نصراء، بل بعضهم أولياء بعض، ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"يأمر سبحانه بموالاة المؤمنين حقا – الذين هم حزبه وجنده – ويخبر أن هؤلاء لا يوالون الكافرين ولا يوادونهم.

والموالاة والموادة: وإن كانت متعلقة بالقلب، لكن المخالفة في الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين ومباينتهم ومشاركتهم في الظاهر: إن لم تكن ذريعة أو سببا قريبا أو بعيدا إلى نوع ما من الموالاة والموادة، فليس فيها مصلحة المقاطعة والمباينة، مع أنها تدعو إلى نوع ما من المواصلة – كما توجبه الطبيعة وتدل عليه العادة"(٢).

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ ﴾ [التوبة: ٧١]

وقال الله تعالى: ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤].

(١) تفسير الطبري (٤/٥٩٣).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (١١٦).

ومن السنة النبوية:

عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال:" ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار"(١).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ: عن النبي ﷺ أنه قال:"المرء مع من أحب"(٢).

وعنه أيضاً ﷺ قال: دخلت على النبي ﷺ فقال:"يا ابن مسعود أي عرى الإيمان أوثق؟ قلت: الله ورسوله أعلم قال: أوثق عرى الإسلام: الولاية في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله"(٣).

وعن جرير قال: أتيت النبي ﷺ وهو يبايع، فقلت: يا رسول الله، ابسط يدك حتى أبايعك، واشترط علي، فأنت أعلم، قال: أبايعك على أن تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين، وتفارق المشركين"(٤).

فالولاء والبراء، لهما علاقة وثيقة بأصل الإيمان، حيث أن المؤمن الذي يؤمن بالله واليوم الآخر لا يمكن بحال من الأحوال أن يوادَّ المشركين والكفار، ولو كانوا من الأقرباء أو الأرحام أو من غيرهم.

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري كتاب الإيمان (باب:حلاوة الإيمان) يرقم:١٦، ومسلم في صحيحة كتاب الإيمان (باب:بيان خصال من اتصف بهنَّ وجد حلاوة الإيمان) برقم: ١٦٦.

(٢) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الأدب (باب:علامة حب الله عز وجل) برقم:٦١٦٨، ومسلم في صحيحة كتاب القدر (باب:المرء مع من أحب) برقم: ٦٧١٨.

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤٨٨/٣٠) برقم: ١٨٥٢٤، والطبراني في المعجم الصغير (٣٧٢/١) برقم: ٦٢٤، وقال الألباني: صحيح، (انظر: صحيح الجامع ٤٠٣/١) برقم:٢٠٠٦.

(٤) أخرجه النسائي في سننه كتاب البيعة (باب:البيعة على فراق المشركين) برقم:٤١٧٧، وأحمد في المسند (٢٤٢/٣٣) برقم: ٢٠٠٤٣، قال الألباني: إسناده صحيح (السلسلة الصحيحة ٢٢٨/٢) برقم:٦٣٦.

قال الله تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال الطبري رحمه الله: "لا تجد يا محمد قوما يصدقون الله، ويقرون باليوم الآخر يوادُّون من حاد الله ورسوله وشاقهما وخالف أمر الله ونهيه، ولو كان الذين حادوا الله ورسوله آباءهم وإنما أخبر الله جل ثناؤه نبيه ﷺ بهذه الآية ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم ﴾ ليسوا من أهل الإيمان بالله ولا باليوم الآخر، فلذلك تولوا الذين تولوهم من اليهود"[1].

فولاء الكفار نهى الله تعالى، لأنه سبيل لمحبتهم ومودتهم، فالمعصية تجرُّ إلى أختها حتى تخرج صاحبها من الدين نسأل الله السلامة والعافية، فيحصل لهم تولي الكفار ومحبة دينهم.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِىۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الممتحنة: ١].

قال السعدي رحمه الله: "أي تسارعون في مودتهم وفي السعي بأسبابها، فإن المودة إذا حصلت، تبعتها النصرة والموالاة، فخرج العبد من الإيمان، وصار من جملة أهل الكفران،

---

(١) تفسير الطبري (٧٢٤/١٠).

وانفصل عن أهل الإيمان، وهذا المتخذ للكافر وليا، عادم المروءة أيضا، فإنه كيف يوالي أعدى أعدائه الذي لا يريد له إلا الشر، ويخالف ربه ووليه الذي يريد به الخير، ويأمره به، ويحثه عليه؟! ومما يدعو المؤمن أيضا إلى معاداة الكفار، أنهم قد كفروا بما جاء المؤمنين من الحق، ولا أعظم من هذه المخالفة والمشاقة، فإنهم قد كفروا بأصل دينكم، وزعموا أنكم ضلال على غير هدى"[(١)].

وبسبب هذا التولي ذم الله عز وجل من يتولى أهل الكتاب ومن نحا نحوهم، بل حقت عليهم اللعنة على لسان الأنبياء عليهم السلام.

قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [المائدة: ٧٨ - ٨٠].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"دل ذلك على أن من اتخذهم أولياء؛ ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه... فإنه أخبر في تلك الآيات أن متوليهم لا يكون مؤمنا. وأخبر هنا أن متوليهم هو منهم؛ فالقرآن يصدق بعضه بعضا"[(٢)].

وقال أيضاً رحمه الله:"فبين سبحانه وتعالى أن الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه مستلزم لعدم ولايتهم، فثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان؛ لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم"[(٣)].

---

(١) تفسير السعدي (٨١٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/١٧-١٨).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (٣٣١).

فالموالاة والمعاداة هي من أوثق عرى الإيمان ومن أوجب الواجبات، كيف لا، وهي ركنٌ من أركان العقيدة الإسلامية، ينبغي الاهتمام بها، وتعليمها للناس، وبسبب الإعراض عن الدعوة إليها ضل الناس حولها وانقسموا إلى فريقين خالفوا أهل السنة والجماعة في ذلك، فريقٌ غلا حتى برِيءَ من أصحاب الذنوب من أهل القبلة، وفريق فرَّط حتى والى أعداء الدين والملة.

وهنا سأنقلُ بعض النقول عن بعض الدعاة في هذه المسألة وكيف أنهم وللأسف أماتوا عقيدة الولاء والبراء هذه.

قال مؤسس جماعة الإخوان المسلمين حسن البنا:"وموقفنا من الدعوات المختلفة التي طغت في هذا العصر ففرقت القلوب وبلبلت ،الأفكار أن نزنها بميزان دعوتنا، فما وافقها فمرحباً به وما خالفها فنحن براء منه، ونحن مؤمنون بأن ،دعوتنا عامة محيطة لا تغادر جزءاً صالحاً من أية دعوة إلا ألمت به وأشارت إليه"(١).

وتبع البنا هذا دعاة الأخوان على مر تاريخهم، فالولاء لمن كان في جماعتهم، ولو كان من أفسق الخلق، بل لو كان من الفرق المخالفة لهم، وأعضاء الجماعة خير شاهد على ذلك حيث أنها خليطٌ من كل الفرق المخالفة كالصوفية والرافضة والتبليغ وغيرها.

فخرج نتاج ذلك سريعاً بأن يقول منظِّر الإخوان المسلمين الحالي، يوسف القرضاوي:"إنَّ العداوة بيننا وبين اليهود من أجل الأرض فقط لا من أجل الدين"(٢).

وقال:" لا نُقاتل الكفار لأنهم كفار، وإنما نُقاتلهم لأنهم اغتصبوا أرضنا وديارنا وأخذوها بغير حقٍّ"(٣).

---

(١) رسائل حسن البنا (٧-٨).

(٢) الأمة الإسلامية حقيقة لا وهم (٧٠).

(٣) جريدة الراية، العدد ٤٦٩٦، تاريخ ١٤١٥/٨/٢٤هـ.

والخوارج ممن غلا في الولاء والبراء، وانحرفوا عن طريق أهل السنة والجماعة بأن تبرؤ من خيرة الصحابة ﷺ [(١)]، ومنهم عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

وهؤلاء ومن نحا نحوهم لم يفرقوا بين ممن يجب له الولاء، وبين من يجب البراء منه، ولم يعلموا أن فساق المسلمين يجب لهم الولاء من جهة والبراء من جهة أخرى، وهذا هو تقسيم أهل السنة والجماعة للناس في هذه المسألة فهداهم الله تعالى للحق بفضله سبحانه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" إذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة: استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير واستحق من المعادات والعقاب بحسب ما فيه من الشر فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة فيجتمع له من هذا وهذا كاللص الفقير تقطع يده لسرقته ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته. هذا هو الأصل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة وخالفهم الخوارج والمعتزلة ومن وافقهم عليه فلم يجعلوا الناس لا مستحقا للثواب فقط ولا مستحقا للعقاب فقط"[(٢)].

قال الشيخ ابن سحمان رحمه الله تعالى عمن تجب له المحبة ويجب له الولاء من أهل الإيمان والصلاح الذين هم خيار أهل الإسلام،: " الذي يحب جملة هو من آمن بالله ورسوله وقام بوظائف الإسلام ومبانيه العظام علماً وعملاً واعتقاداً وأخلص أعماله وأفعاله وأقواله لله وانقاد لأوامره وانتهى عما نهى الله عنه ورسوله وأحب في الله ووالى في الله وأبغض في الله وعادى في الله وقدم قول رسول الله ﷺ على قول كل أحد كائنا من كان..."[(٣)].

---

(١) انظر: (ص:٣٧٧-٣٧٨) من هذا البحث، نقلت فيه أقوال الخوارج في البراءة من أغلب الصحابة ﷺ، وتكفيرهم لهم، وانظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع(٦٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٩).

(٣) إرشاد الطالب إلى أهم المطالب (١٣).

وقال رحمه الله عمن يجب أن يوالى ويُحب من جهة ويبغض من جهة:"من يحب من وجه ويبغض من وجه، فهو المسلم الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فيحب ويوالى على قدر ما معه من الخير، ويبغض ويعادى على قدر ما معه من الشر ومن لم يتسع قلبه لهذا كان ما يفسد أكثر مما يصلح..."(١).

أما من يجب البراءة منه وبغضه جملةً فقال رحمه الله عنه:"من كفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ولم يؤمن بالقدر خيره وشره وأنه كله بقضاء الله وقدره وأنكر البعث بعد الموت وترك أحد أركان الإسلام الخمسة وأشرك بالله سبحانه وتعالى في عبادته أحداً من الأنبياء والأولياء والصالحين وصرف لهم نوعا من أنواع العبادة كالحب والدعاء والخوف والرجاء والتعظيم والتوكل والاستغاثة والاستعاذة والذبح..."(٢).

---

(١) المصدر السابق (١٤).

(٢) المصدر السابق (١٩).

المطلب الثالث:

الدعوة إلى وحدة الأديان.

الصراع بين الحق والباطل قائمٌ إلى قيام الساعة، وحتماً سينتصر الحق على الباطل ولو طال أمده، وعلى صوته، ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٨].

وحقيقة الدعوة إلى وحدة الأديان[١]، هي أن جميع الأديان السماوية والوضعية متساوية، سائرة على الصراط المستقيم، فلا يوجد هناك ولاء وبراء ولامسلم وكافر بل الكل في قالب واحد.

وهذه الدعوة إلى وحدة الأديان، ومساواة الحق بالباطل، ليست ضلالة جديدة، وردةٌ وليدة، بل سبقها دعوات ضالة منحرفة، تهاوت أمام صلابة هذا الدين، بفضل الله أولاً ثم بجهاد أهل العلم في ردهم لتلك الدعوات المنحرفة والضالة.

قال الله تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ١٠٩].

قال الطبري رحمه الله: " إن الله جل ثناؤه لما جمع لرسوله محمد ﷺ أمره في دار هجرته، واستقر بها قراره، وأظهر الله بها كلمته، وفشا في دور أهلها الإسلام، وقهر بها المسلمون من فيها من أهل الشرك من عبدة الأوثان، وذل بها من فيها من أهل الكتاب - أظهر أحبار يهودها لرسول الله ﷺ الضغائن، وأبدوا له العداوة والشنآن، حسدا وبغيا، إلا نفرا منهم هداهم الله للإسلام فأسلموا"[٢].

---

(١) انظر: (الأبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان للشيخ بكر أبو زيد ٨) و (وحدة الأديان للشيخ سعيد معلوي ٣٩/١).

(٢) تفسير الطبري (٢١١/١).

وقال أيضاً رحمه الله:" وقد صرح هذا القول من قول الله جل ثناؤه، بأن خطابه بجميع هذه الآيات من قوله:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا ﴾ [البقرة: ١٠٤] وإن صرف في نفسه الكلام إلى خطاب النبي ﷺ، إنما هو خطاب منه للمؤمنين من أصحابه، وعتاب منه لهم، ونهي عن انتصاح اليهود ونظرائهم من أهل الشرك وقبول آرائهم في شيء من أمور دينهم – ودليل على أنهم كانوا استعملوا أو من استعمل منهم في خطابه ومسألته رسول الله ﷺ الجفاء، وما لم يكن له استعماله معه، تأسيا باليهود في ذلك أو ببعضهم. فقال لهم ربهم ناهيا عن استعمال ذلك: لا تقولوا لنبيكم صلى الله عليه وسلم كما تقول له اليهود:﴿ رَٰعِنَا ﴾، تأسيا منكم بهم، ولكن قولوا:"انظرنا واسمعوا"، فإن أذى رسول الله ﷺ كفر بي، وجحود لحقي الواجب لي عليكم في تعظيمه وتوقيره، ولمن كفر بي عذاب أليم؛ فإن اليهود والمشركين ما يودون أن ينزل عليكم من خير من ربكم، ولكن كثيرا منهم ودوا أنهم يردونكم من بعد إيمانكم كفارا، حسدا من عند أنفسهم لكم ولنبيكم محمد ﷺ، من بعد ما تبين لهم الحق في أمر محمد، وأنه نبي إليهم وإلى خلقي كافة"[(١)].

فهذه بداية دعوتهم لوحدة الإديان عندما أبطل الله عز وجل الأديان السابقة المحرفة وغيرها من الوثنية، فحاولوا الأنتقام من أهل الحق بالتلبيس عليهم، ولكن الله عز وجل رد كيدهم في نحورهم وأخبرنا بطريق السلامة، وهي متابعة الرسول ﷺ والسمع والطاعة له ﷺ.

وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن ابن سينا وغيره من الفلاسفة تبنيهم للدعوة لوحدة الأديان سيراً على خطى اليهود والنصارى فقال:" أطبقت على ذلك الفلاسفة كما قال ابن سينا وغيره: أجمع فلاسفة العالم على أنه لا يقرع العالم ناموس أعظم من هذا الناموس؛ لكن من لم يتبعه يعلل نفسه بأنه لا يجب عليه اتباعه؛ لأنه رسول إلى العرب الأميين دون أهل الكتاب؛ لأنه إن كان دينه حقا فديننا أيضا حق والطريق إلى الله

(١) المصدر السابق (١/٧١٢-٧١٣).

تعالى متنوعة ويشبهون ذلك بمذاهب الأئمة فإنه وإن كان أحد المذاهب يرجح على الآخر فأهل المذاهب الأخرى ليسوا كفارا ولا من أهل الكتاب"(١).

وقال أيضاً:"وابن سبعين وابن هود والتلمساني ونحوهم يدخلون مع النصارى بيعهم ويصلون معهم إلى الشرق ويشربون معهم ومع اليهود الخمر ويميلون إلى دين النصارى أكثر من دين المسلمين"(٢).

وفي هذا العصر الحديث ظهرت هذه الظاهرة وحمل لوائها دعاة ينسبون أنفسهم إلى الإسلام، فبدأو بالحوار حول هذه النظرية وهذه الدعوة الردية، وكان من أقطابها محمد عبده ومحمد حسين هيكل وعبد الجواد الشرقاوي(٣)، ثم سار عل نهجهم واقتفى آثرهم دعاة يطلقون على أنفسهم، (مفكرين) تبنوا هذه المسيرة الخبيثة، فأخذوا يدعون لها، كيداً للإسلام وأهله، ومحاولة لإرضاء أصحاب الديانات الباطلة، والتي أبطلها الله عز وجل في كتابه، وأبطلها رسوله ﷺ كذلك في سنته، لأنها مبنية على باطل، فالدين عند الله الإسلام، وهو الدين الحق، وما سواه باطل، ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾ [المائدة: ١٠٠].

فلا دين حقٌ يُعبد الله به ويتقرب إليه به سوى الإسلام، **قال** الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩].

وكل من تعبد لله بدينٍ أخر غير الإسلام فهو مردود عليه، قد خسر الدنيا والأخرة واجهد نفسه وضيعها، وباء بالخسران المبين، **قال** تعالى:﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠٣/٤).

(٢) المصدر السابق (١٤-١٦٤).

(٣) انظر: الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان (١٤).

وعن جابر بن عبد الله ﷺ، أن النبي ﷺ قال:" أعطيت خمسا، لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة"(١).

وعن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ، أنه قال:" والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار"(٢).

قال النووي رحمه الله: " فيه نسخ المللم كلها برسالة نبينا ﷺ وفي مفهومه دلالة على أن من لم تبلغه دعوة الإسلام فهو معذور وهذا جار على ما تقدم في الأصول أنه لا حكم قبل ورود الشرع على الصحيح والله أعلم وقوله ﷺ لا يسمع بي أحد من هذه الأمة أي من هو موجود في زمني وبعدي إلى يوم القيامة فكلهم يجب عليهم الدخول في طاعته وإنما ذكر اليهودي والنصراني تنبيها على من سواهما وذلك لأن اليهود النصارى لهم كتاب فإذا كان هذا شأنهم مع أن لهم كتابا فغيرهم ممن لا كتاب له أولى والله أعلم"(٣).

وسأذكر هنا بعض الأمثلة لتبني المفكرين ومن نحا نحوهم لهذه العقيدة، ودعوتهم إليها:

يقول مصطفى محمود:" الإسلام لا ينظر إلى النصرانية على أنها نقيض يحاربه وإنما ينظر إلى النصارى على أنهم أشقاء وأهل مودة يؤاخيهم ويناصرهم"(٤).

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحة كتاب التيمم برقم:٣٣٥، ومسلم في صحيحة كتاب المساجد ومواضع الصلاة برقم: ١١٦٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الإيمان (باب:وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته) برقم:٣٨٦.

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٦١/٢).

(٤) أكذوبة اليسار الإسلامي (٥٥)، نقلاً عن وحدة الأديان للشيخ سعيد معلوي (١٨٠/١).

وقال أيضاً:"اختلاف الأديان هو اختلاف الشرائع فقط"[١].

وقال أيضاً:"لا معنى للتفرقة بين رسول ورسول فالمسيحي الصالح مسلم لله إذا آمن بجميع الرسل والكتب وبالآخرة وبأن الله واحد والأديان في أصلها العقائدي دين واحد وما هي إلا مراحل نزلت فيها النواميس على وفاق الطبيعة البشرية وتطورها"[٢].

ومنهم أيضاً محمد عمارة حيث يقول: "وعن العلاقة بينه – أي الإسلام — وبين أمم الرسالات السماوية أعلن الإيمان بالتعددية في إطار الوحدة أزلاً وأبداً، ومحمد ﴿ **رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ** ﴾ [البقرة: ١٠١]، من عقائد الدين ومقاصده والقرآن ﴿ **كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ** ﴾ [البقرة: ٨٩]، والله سبحانه في العقائد قد ﴿ **۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ** ﴾ [الشورى: ١٣] "[٣]. إلى أن قال بعد ذكر قول الله تعالى: ﴿ **قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٣٦].

"ولقد مد هذا الإعلان عن وحدة الدين وخيوط التعددية التي تنحو نحو استيعاب ما يمكن استيعابه من المواريث الدينية لأمم الرسل السابقين .

وزاد من متانة هذه الخيوط والأسباب من تعدد الشرائع الدينية أزلاً وأبداً ..فإرادة الله هي في تعددية الشرائع والمناهج والسبل في إطار وحدة الدين ..."[٤].

---

(١) القرآن محاولة لفهم عصري (١٥٠)، نقلاً عن وحدة الأديان للشيخ سعيد معلوي (١/١٨٠).

(٢) المصدر السابق نفسه (١٥٤).

(٣) هل المسلمون أمة واحدة (٢٨-٢٩).

(٤) المصدر السابق نفسه.

ومنهم أيضاً حسن الترابي وحسن حنفي[(١)].

أقول: لقد قرَّر أهل العلم، بعد السبر والتتبع أن للإسلام نواقضٌ عشر، من وقع في واحدٍ منها فقد نقض إسلامه وخرج من دين الله تعالى[(٢)]، وهذه الدعوة الظالمة الغاشمة تحتوي على نواقض عدة من نواقض الإسلام، منها:

١/ من لم يكفر المشركين، أوشك في كفرهم، أو صحح مذهبهم. كفر إجماعاً.

إن هذه الدعوة تشترط توحيد الأديان جميعاً في قالبٍ واحد كما مر معنا من أقوال دعاتها، وهذا مخالف لنصوص الكتاب والسنة والتي أثبتت أن هناك حق وهو الإسلام ولا طريق للجنة سواه، وأن هناك سُبُلاً نهانا الله عنها، وذكر أنها سببٌ للتفرق ومفارقة صراطه المستقيم، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام: ١٥٣].

كما أخبرنا الله تعالى بكفر اليهود والنصارى والمشركين وأن مصيرهم نار جهنم خالدين فيها أبدا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦﴾ [البينة: ٦].

وعلى ذلك فهناك مؤمن وهناك كافر، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ فَمِنكُمۡ كَافِرٞ وَمِنكُم مُّؤۡمِنٞۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢﴾ [التغابن: ٢]

وأمر الله عز وجل نبيه ﷺ أن يدعو أهل الكتاب إلى كلمة سواء وهي كلمة التوحيد[(٣)] فمن لم يستجب لها فإن جهنم مثواه ومأواه، وهو من أهل الكفر.

---

(١) انظر: (وحدة الأديان للشيخ سعيد معلوي ١/١٨٨-١٩٠) فقد ذكر الشيخ حفظه الله تعالى تبنيهم لهذه الدعوة الباطلة ونقل أقوالهم من مصادرها.

(٢) انظر: (مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب ١/٣٨٥-٣٨٧).

(٣) انظر: (تفسير الطبري ٣/٢٥٨) و (تفسير ابن كثير ١/٣٣٧).

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أنه يجب التفريق بين أهل الإسلام وغيرهم، بل تجب البراءة من كل مخالف لنا في الدين ولو كان أقرب قريب، قال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [الممتحنة: ٤].

والدعوة لوحدة الأديان تستلزم مودة أهل الملل الأخرى وعدم تكفيرهم، بل هم وأهل الحق من المسلمين سواء، بل وصل الحال لبعضهم أنه ادعى دخول أهل الكفر للجنة وأن ذلك مستساغٌ عقلاً، **حيث يقول أبو رية:**"كيف سيحرم أديسون مخترع النور الكهربائي من الجنة وقد أضاء العالم كله حتى مساجد المسلمين باختراعه".

وعندما قيل له: إن أديسون لم ينطق الشهادتين.

قال: إذا كان الرجل العظيم لم يدخل الجنة شرعاً، أفلا يمكن أن يدخلها عقلاً بفضل الله ورحمته، مادام يؤمن بخالق السموات والأرض"[1].

وإليك فتوى اللجنة الدائمة حول حكم الدعوة إلى وحدة الأديان[2]:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء استعرضت ما ورد إليها من تساؤلات، وما ينشر في وسائل الإعلام من آراء ومقالات بشأن الدعوة إلى (وحدة الأديان): دين الإسلام، ودين اليهودية، ودين النصارى، وما تفرع عن ذلك من دعوة إلى بناء مسجد وكنيسة ومعبد في محيط واحد، في رحاب الجامعات والمطارات والساحات العامة، ودعوة إلى طباعة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد، إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يعقد لها من مؤتمرات وندوات وجمعيات في الشرق والغرب.

---

(١) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب (٣١٠).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (١٢/٢٧٤-٢٨٤).

وبعد التأمل والدراسة فإن اللجنة تقرر ما يلي:

أولا: إن من أصول الاعتقاد في الإسلام، المعلومة من الدين بالضرورة، والتي أجمع عليها المسلمون: أنه لا يوجد على وجه الأرض دين حق سوى دين الإسلام، وأنه خاتمة الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع، فلم يبق على وجه الأرض دين يتعبد الله به سوى الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٥] والإسلام بعد بعثة محمد ﷺ هو ما جاء به دون ما سواه من الأديان.

ثانيا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام: أن كتاب الله تعالى: (القرآن الكريم) هو آخر كتب الله نزولا وعهدا برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل؛ من التوراة والزبور والإنجيل وغيرها، ومهيمن عليها، فلم يبق كتاب منزل يتعبد الله به سوى القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾ [المائدة: ٤٨].

ثالثا: يجب الإيمان بأن التوراة والإنجيل قد نسخا بالقرآن الكريم، وأنه قد لحقهما التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان، كما جاء بيان ذلك في آيات من كتاب الله الكريم، منها قول الله تعالى: ﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ ﴾ [المائدة: ١٣] وقوله جل وعلا: ﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴾ [البقرة: ٧٩]، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ

وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٨]، ولهذا فما كان منها صحيحا فهو منسوخ بالإسلام، وما سوى ذلك فهو محرف أو مبدل، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه غضب حين رأى مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة فيها شيء من التوراة، وقال ﷺ: "أفي شك أنت يا بن الخطاب؟ ألم آت بها بيضاء نقية؟! لو كان أخي موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي "(١).

رابعا: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام: أن نبينا ورسولنا محمدا ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين، كما قال الله تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب: ٤٠] فلم يبق رسول يجب اتباعه سوى محمد ﷺ، ولو كان أحد من أنبياء الله ورسله حيا لما وسعه إلا اتباعه ﷺ، وإنه لا يسع أتباعهم إلا ذلك، كما قال تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران: ٨١] ونبي الله عيسى عليه السلام إذا نزل في آخر الزمان يكون تابعا لمحمد ﷺ، وحاكما بشريعته، وقال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، كما أن من أصول الاعتقاد في الاسلام أن بعثة محمد ﷺ عامة للناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ:

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٤٩/٢٣) برقم:١٥١٥٦، وقال الألباني: حسن، (إرواء الغليل ٣٤/٦) برقم:١٥٨٩.

٢٨]، وقال سبحانه: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ [الأعراف: ١٥٨] وغيرها من الآيات.

خامسا: ومن أصول الإسلام أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم، وتسميته كافرا ممن قامت عليه الحجة، وأنه عدو لله ورسوله والمؤمنين، وأنه من أهل النار، كما قال تعالى: ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ [البينة: ١] ، وقال جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ [البينة: ٦] وقال تعالى: ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقال تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ ﴾ [إبراهيم: ٥٢] ، وغيرها من الآيات. وثبت أن النبي ﷺ قال: "والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة: يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار"(١).

ولهذا فمن لم يكفر اليهود والنصارى فهو كافر، طردا لقاعدة الشريعة: (من لم يكفر الكافر بعد إقامة الحجة عليه فهو كافر) .

سادسا: وأمام هذه الأصول الاعتقادية، والحقائق الشرعية، فإن الدعوة إلى (وحدة الأديان) والتقارب بينها وصهرها في قالب واحد، دعوة خبيثة ماكرة، والغرض منها خلط الحق بالباطل، وهدم الإسلام وتقويض دعائمه، وجر أهله إلى ردة شاملة، ومصداق ذلك في قول الله سبحانه: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ ﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقوله جل وعلا: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ﴾ [النساء: ٨٩].

---

(١) سبق تخريجه.

سابعا: وإن من آثار هذه الدعوة الآثمة إلغاء الفوارق بين الإسلام والكفر، والحق والباطل، والمعروف والمنكر، وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين، فلا ولاء ولا براء، ولا جهاد ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله، والله جل وتقدس يقول: ﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩]. ويقول جل وعلا: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [التوبة: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [آل عمران: ١١٨]

ثامنا: إن الدعوة إلى (وحدة الأديان) إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام؛ لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد، فترضى بالكفر بالله عز وجل، وتبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الشرائع والأديان، وبناء على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعا، محرمة قطعا بجميع أدلة التشريع في الإسلام من قرآن وسنة وإجماع.

تاسعا: وبناء على ما تقدم:

١/ فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا الدعوة إلى هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها، وتسليكها بين المسلمين، فضلا عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها، والانتماء إلى محافلها.

٢/ لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردين، فكيف مع القرآن الكريم في غلاف واحد؟ فمن فعله أو دعا إليه فهو في ضلال بعيد؛ لما في ذلك من الجمع بين الحق (القرآن الكريم) والمحرف أو الحق المنسوخ (التوراة والإنجيل) .

٣/ كما لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة: (بناء مسجد وكنيسة ومعبد) في مجمع واحد؛ لما في ذلك من الاعتراف بدين يعبد الله به غير دين الإسلام، وإنكار ظهوره على

الدين كله، ودعوة مادية إلى أن الأديان ثلاثة، لأهل الأرض التدين بأي منها، وأنها على قدم التساوي، وأن الإسلام غير ناسخ لما قبله من الأديان، ولا شك أن إقرار ذلك واعتقاده أو الرضا به كفر وضلال؛ لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع المسلمين، واعتراف بأن تحريفات اليهود والنصارى من عند الله، تعالى الله عن ذلك. كما أنه لا يجوز تسمية الكنائس (بيوت الله) وأن أهلها يعبدون الله فيها عبادة صحيحة مقبولة عند الله؛ لأنها عبادة على غير دين الإسلام، والله تعالى يقول: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ٨٥]. بل هي بيوت يكفر فيها بالله، نعوذ بالله من الكفر وأهله، **قال** شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "ليست - البيع والكنائس - بيوتا لله، وإنما بيوت الله المساجد، بل هي بيوت يكفر فيها بالله، وإن كان قد يذكر فيها، فالبيوت بمنزلة أهلها، وأهلها الكفار، فهي بيوت عبادة الكفار"[1].

عاشرا: ومما يجب أن يعلم: أن دعوة الكفار بعامة، وأهل الكتاب بخاصة إلى الإسلام واجبة على المسلمين، بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة، ولكن ذلك لا يكون إلا بطريق البيان والمجادلة بالتي هي أحسن، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام، وذلك للوصول إلى قناعتهم بالإسلام، ودخولهم فيه، أو إقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤] أما مجادلتهم واللقاء معهم ومحاورتهم لأجل النزول عند رغباتهم، وتحقيق أهدافهم، ونقض عرى الإسلام ومعاقد الإيمان فهذا باطل يأباه الله ورسوله والمؤمنون والله المستعان على ما يصفون، قال تعالى: ﴿ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ﴾ [المائدة: ٤٩].

(١) مجموع الفتاوى (٢٢ / ١٦٢).

وإن اللجنة إذ تقرر ما تقدم ذكره وتبينه للناس؛ فإنها توصي المسلمين بعامة، وأهل العلم بخاصة بتقوى الله تعالى ومراقبته، وحماية الإسلام، وصيانة عقيدة المسلمين من الضلال ودعاته، والكفر وأهله، وتحذرهم من هذه الدعوة الكفرية الضالة: (وحدة الأديان)، ومن الوقوع في حبائلها، ونعيذ بالله كل مسلم أن يكون سببا في جلب هذه الضلالة إلى بلاد المسلمين، وترويجها بينهم. نسأل الله سبحانه، بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعيذنا وجميع المسلمين من مضلات الفتن، وأن يجعلنا هداة مهتدين، حماة للإسلام على هدى ونور من ربنا حتى نلقاه وهو راض عنا.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

المبحث الثاني:

المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة للتحذير من الفسق، وكيفية التعامل مع الفساق.

التحذير من الفسّاق واجبٌ شرعي أمر الله تعالى به في كتابه وأمر به نبينا ﷺ في سنته، ويتبين لنا أهمية ذلك من خلال معرفة حقيقة الفسق من خلال تعريفه في اللغة والاصطلاح.

أما في اللغة: فالفاء والسين والقاف كلمة واحدة، وهي الفسق، وهو الخروج عن الطاعة وترك أمر الله عز وجل والعصيان والخروج عن طريق الحق سبحانه، والفسق هو الفجور(١).

وفي الاصطلاح: اختلف العلماء في تعريف الفسق اصطلاحاً، ولعل هذا الاختلاف إنما هو اختلاف ألفاظٍ فقط مع الاتفاق على المعنى العام له، ومن ذلك:

قال القرطبي رحمه الله:"والفسق هو الخروج من طاعة الله عز وجل، فقد يقع على من خرج بكفر وعلى من خرج بعصيان"(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" فإن الفسق يكون تارة بترك الفرائض وتارة بفعل المحرمات"(٣).

وقال ابن الوزير اليماني رحمه الله:" وهو أقسام باعتبار العرف الاول والآخر –أي الفسق–

فأما العرف الأول في اسم الفاعل فانه يدل أن الفاسق من الكفار من لا حياء ولا مروءة ولا عهد ولا عقد له.

---

(١) انظر: (مقاييس اللغة ٥٠٢/٤) و (تاج العروس ٣٠٢/٢٦).

(٢) تفسير القرطبي (٣٦٩/١).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٥١/٧).

وأما العرف المتأخر فالفسق يختص بالكبيرة من المعاصي مما ليس بكفر والفاسق يختص بمرتكبها"[١].

ومن خلال ما مضى من تعاريف أهل العلم للفسق، يتضح لنا أن الفسق ينقسم إلى قسمين، هما:

١/ فسقٌ مخرج من الملة.

٢/ وفسقٌ لا يخرج من الملة.

قال محمد بن نصر المروزي[٢]الفسق فسقان: "فسق ينقل عن الملة وفسق لا ينقل عن الملة"[٣].

وقال البيضاوي[٤] رحمه الله:"والفسق له درجات ثلاث:

الأولى: التغابي وهو أن يرتكبها أحياناً مستقبحاً إياها.

الثانية: الانهماك وهو أن يعتاد ارتكابها غير مبال بها.

الثالثة: الجحود وهو أن يرتكبها مستصوباً إياها، فإذا شارف هذا المقام وتخطى خططه خلع ربقة الإيمان من عنقه، ولابس الكفر"[٥].

---

(١) إيثار الحق على الخلق لابن الوزير (٤٠٧).

(٢) محمد بن نصر ابن الحجاج المروزي الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله الحافظ مولده ببغداد، في سنة:٢٠٢هـ حدث بِهَا عَن عَبْد الله بن المبارك وروى عنه عبد الله بن أَحْمَد بن حنبل ومنشؤه بنيسابور ومسكنه سمرقند كان أبوه مروزيا ولم يرفع لنا في نسبه ذكره الحاكم فقال: إمام عصره بلا مدافعة في الحديث، انظر: (تاريخ بغداد ٨٢/٤ ومابعدها) و (السير ١٣٤/١١ ومابعدها).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٢٨/٧).

(٤) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي أبو الخير قاضي القضاة ناصر الدين البيضاويّ كان إماما علامة عارفا بالفقه والتفسير والأصلين والعربية والمنطق نظّارا صالحا متعبّدا زاهدا شافعيا ولي قضاء القضاة بشيراز ودخل تبريز وناظر بها توفي سنة:٦٨٥هـ، انظر: (طبقات الشافعية للسبكي ١٥٧/٨) و(بغية الوعاء للسيوطي ٥٠/٢) و (طبقات المفسرين للداوودي ٢٤٨/١).

(٥) تفسير البيضاوي (٦٤/١)، وانظر: (أضواء البيان للشنقيطي ٩٣/٢) و (تفسير السعدي٣٣).

ومما يبين لنا خطورة الفسق، هو أن الله تعالى كثيراً ما يذكره في مقابل الإيمان، من ذلك:

قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴾ [السجدة: ١٨].

قال القرطبي رحمه الله: " لما قسم الله تعالى المؤمنين والفاسقين الذين فسقهم بالكفر- لأن التكذيب في آخر الآية يقتضي ذلك- اقتضى ذلك نفي المساواة بين المؤمن والكافر"(١).

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول:"لا يرمي رجل رجلا بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك"(٢).

ويطلق الفسق في القرآن الكريم ويراد به الكفر الأكبر، كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [التوبة: ٨٤].

ومن هنا يتبين لنا خطورة الفسق، وأنه يجب التحذير من الفسَّاق، والبعد عنهم وهجرهم بحسب أحوال الهجر وضوابطه، وفي هذا المبحث بإذن الله تعالى سأبين المخالفات الواقعة في ذلك، من خلال المطالب الآتية:

---

(١) تفسير القرطبي (٣٨/١٧)، وانظر: (منهاج السنة النبوية ٣٧٦/٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الأدب (باب:ما ينهى من السباب واللعن) برقم:٦٠٤٥.

المطلب الأول:

الإعراض عن تحذير الناس من الفساق بحجة تأليف قلوبهم.

من منهج أهل السنة والجماعة التحذير من الفسق وتحذير الناس من الفسَّاق، عملاً بوصية الرسول ﷺ، كما في حديث تميمٍ الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال:"الدين النصيحة" قلنا: لمن؟ قال:"لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"[(١)]. ولما في ذلك من الفائدة العميمة على أفراد المجتمع المسلم.

وقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة النبوية على التحذير من الفسق، وأن أعظم الفسق هو الإشراك بالله والكفر به سبحانه وتعالى، **قال** الله تعالى:﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴾ [السجدة: ٢٠].

كما أن من الفسق ما هو دون الكفر، وأنه كبيرة من الكبائر، ولذا جاء التحذير منه كذلك في الكتاب والسنة النبوية، **قال** الله تعالى:﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ [الحجرات: ٧].

فالمراد بالفسوق هنا: الكذب[(٢)]، ولا شك أن الكذب كبيرة من الكبائر.

كما أن الفسق صفة سيئة، حذر الله من كل من اتصف بها من الخلق، وأن الهداية بعيدة عمن اتصف بها، قال الله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة: ١٠٨].

فتبين لنا مما سبق أن التحذير من الفسق والفساق أمرٌ شرعي، يجب القيام به على أكمل وجه.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) انظر: (تفسير الطبري ٢٨٢/١٠) و (تفسير القرطبي ٣٧٢/١٩).

ومن الأدلة على عِظَمِ خطر الفسَّاق، هو أن الله عز وجل إذا أراد هلاك الديار والقرى أمر جبابرتها من الفسَّاق، فعصوا الله تعالى، فحق عليهم العذاب، **قال** تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾ [الإسراء: ١٦].

قال قتادة، قوله: " ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ ﴾ يقول: أكثرنا مترفيها: أى جبابرتها، ففسقوا فيها وعملوا بمعصية الله ﴿ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾ وكان يقال: إذا أراد الله بقوم صلاحا، بعث عليهم مصلحا، وإذا أراد بهم فسادا بعث عليهم مفسدا، وإذا أراد أن يهلكها أكثر مترفيها"(١).

وقد سُئلت اللجنة الدائمة عن التحذير من الفسَّاق، وهذا نص السؤال(٢):

هل إذا عرف إنسان بسوء سلوكه وكان مجاهرا بكبيرة مثل شرب الخمر أو غيرها، ونصحنا غيرنا بالبعد عنه وعن التعامل معه هل هذا جائز؟

فأجابت: التحذير من عمل الفساق ومرتكبي الكبائر واجب، فإذا خشي المسلم على إخوانه من عمل أولئك وجب نصحهم، وكشف أحوال الفساق؛ حتى لا يقع أحد في شراكهم. ويجب أيضا مناصحة الفساق ومرتكبي الكبائر لعل الله يهديهم، قال ﷺ:"الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: "لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"(٣).

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

وقد يُحتج على عدم التحذير من الفسَّاق بحجج واهية، منها:

١/ أن التحذير من الفسَّاق هو من الغيبة المحرمة التي نهى الله تعالى عنها ورسوله ﷺ.

ذكر أهل العلم مواضع لا غيبة فيها وهي ستة مواضع جُمعت في هذا البيت:

---

(١) تفسير الطبري (٧/٣٥٧).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (١٢/٣٨٥-٣٨٦).

(٣) سبق تخريجه.

الذم ليس بغيبة في ستة   متظلم ومعرف ومحذر
ولمظهر فسقاً ومستفت ومن   طلب الإعانة في إزالة منكر

قال زكريا السنيكي[(١)] رحمه الله في شرحه على روض الطالب: "(وتباح الغيبة للتحذير من فسق) أو ابتداع (خاطب ومخطوبة ووال) بأن يبين لمن له عليه ولاية (وراوي علم) بأن يبين للأخذ عنه وفي معناه الشاهد وصرح به الروضة (و) للتحذير (من عيب خاطب) ومخطوبة (ومشترى) بفتح الراء (و) تباح (الغيبة باللقب لتعريف) كالأعمش والأعرج إن كان معروفا به ولو أمكن التعريف بغيره كان أولى (والشكوى) أي وتباح الغيبة لأجل شكوى ظالم (عند منصف) له كأن يقول له ظلمني فلان وفعل بي كذا (و) تباح الغيبة (لفاسق) أي لأجل فسقه (عند من يمنعه) كأن يقول له فلان يعمل كذا فازجره عنه (وعند مفت) كأن يقول له: ظلمني فلان فهل له ذلك وما طريقي في خلاصي منه؟ والأحوط أن يقول ما تقول في رجل كان من أمره كذا وكل ذلك للنصيحة والتحذير (لا لإيذاء) ...(ومن تجاهر بمعصية) كشرب خمر ومصادرة الناس وجباية الأموال ظلما (ذكر بها فقط) أي لا بغيرها إلا أن يوجد لجواز ذكره سبب آخر..."[(٢)].

فالفاسق المظهر لفسقه، يجوز التحذير منه لأجل أن لا يغتر الناس به وينخدع الرعاع بفعله وفسقه، وفيه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي جعله الله تعالى سبباً لنيل هذه الأمة الخيرية من بين الأمم.

والعباد هم شهداء الله في أرضه، كما في حديث أنس بن مالك ﷺ ، قال:"مروا بجنازة، فأثنوا عليها خيرا، فقال النبي ﷺ: (وجبت) ثم مروا بأخرى فأثنوا عليها شرا، فقال:

---

(١) زكريا ابن القاضي زين الدين الأنصاري زكريا بن محمد بن زكريا الشيخ الإمام شيخ مشايخ الإسلام علامة المحققين وفهامة المدققين زين الدين أبو يحيى الأنصاري السنيكي المصري الأزهري الشافعي وسكينة بليدة من شرقية مصر، ولد في سنة:٨٢٣هـ، وتوفي سنة:٩٢٦هـ، انظر: (الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة ١/١٩٨) و (الأعلام ٣/٤٦-٤٧).

(٢) أسنى المطالب في شرح روض الطالب (٣/١١٦-١١٧).

(وجبت) فقال عمر بن الخطاب ﷺ : ما وجبت؟ قال:"هذا أثنيتم عليه خيرا، فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتم عليه شرا، فوجبت له النار، أنتم شهداء الله في الأرض"(١).

فهذه شهادة الصحابة ﷺ على صاحب الخير بالذكر الطيب الجميل، كما أنهم ﷺ ذكروا الفاسق بما عنده من فسقٍ، ولم ينكر عليهم رسول ﷺ، بل أقرهم على ذلك، تقريراً وقولاً بقوله ﷺ: " أنتم شهداء الله في الأرض".

وقد يحتج البعض بالنهيِ عن سب الأموات وذكر مساوئهم والتحذير منهم في مثل هذه المسألة، كما في حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال النبي ﷺ: "لا تسبوا الأموات، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا"(٢).

فهذا الحديث لا يشمل من أظهر بدعته أو فسقه أو كان في التحذير منه مصلحة راجحة كالنهي عن الاقتداء بهم، كما قرر ذلك أهل العلم من السلف.

قال النووي رحمه الله:"إن النهي عن سب الأموات هو في غير المنافق وسائر الكفار وفي غير المتظاهر بفسق أو بدعة فأما هؤلاء فلا يحرم ذكرهم بشر للتحذير من طريقتهم ومن الاقتداء بآثارهم والتخلق بأخلاقهم"(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" فإذا كان الرجل مخالطا في السير لأهل الشر يحذر عنه"(٤).

٢/ كما يُحتج بالإعراض عن التحذير من الفسَّاق بحجة تأليف قلوبهم.

تأليف القلوب أمرٌ مطلوب، حتى مع غير المسلمين، فقد أخبر الله تعالى نبيه محمدا ﷺ بأنه لو كان فظاً غليظ القلب لم يبقى أحد معه ولا انفضَّ الناس عنه ﷺ .

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الجنائز (باب:تثاء الناس على الميت) برقم:١٣٦٧، ومسلم في صحيحة كتاب الجنائز (باب: فيمن يثني الناس عليه خيرٌ أو شرٌ من الموتى) برقم:٢٢٠٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الجنائز (باب: ما ينهى من سب الأموات) برقم: ١٣٩٣

(٣) المنهاج بشرح صحيح مسلم (٢٠/٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٤١٤/٣٥).

قال الله تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ففي هذه الآية إخبارٌ من الله تعالى من أن نبيه ﷺ كان ليناً هيناً مع أصحابه ﷺ، ولو كان بخلاف ذلك لتركه الناس وانفضوا من حوله.

وهذه الرحمة إنما تكون في الدعوة إلى الله عز وجل مع الجميع فإذا حصل إعراضٌ من المدعو واستكبار وعناد بحيث لم ينزجر ولم يرتدع، فهنا يجب استخدام الشدة معه، والشدة لها موضعٌ تُستخدم فيه ومنه قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [التوبة: ٧٣].

قال القرطبي رحمه الله:" الغلظ: نقيض الرأفة، وهي شدة القلب على إحلال الأمر بصاحبه. وليس ذلك في اللسان... وهذه الآية نسخت كل شي من العفو والصلح والصفح"(١). كما أن اللين وتأليف القلوب له موضع يُستخدم فيه، وهذا الأمر دلَّ عليه الكتاب والسنة النبوية.

فهذا إبراهيم عليه السلام قد استخدم أسلوب الشدة بعد الرحمة والرأفة في دعوة قومه .

قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام لما يئسِ من استجابة قومه له: ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٧].

ففي قوله عليه السلام ﴿ أُفٍّ لَّكُمْ ﴾ من التقبيح لهم وللألهة التي يعبدونها من دون الله تعالى(٢).

---

(١) تفسير القرطبي (١٠/٣٠١).

(٢) انظر: (تفسير الطبري ٨/٥٥).

ومن الضوابط التي قرَّرها أهل العلم في مثل هذه المسألة:

١/ مراعاة المصالح والمفاسد في هذه المسألة، فهذه القاعدة دل عليها القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

قال الطبري رحمه الله:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ وللمؤمنين به: ولا تسبوا الذين يدعو المشركون من دون الله من الآلهة والأنداد، فيسب المشركون الله جهلا منهم بربهم، واعتداء بغير علم"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"حرم سب الآلهة مع أنه عبادة لكونه ذريعة إلى سبهم لله سبحانه وتعالى؛ لأن مصلحة تركهم سب الله سبحانه راجحة على مصلحة سبنا لآلهتهم"(٢).

وقد نهى النبي ﷺ عن سب وشتم الآخرين، لأن مفسدته تعود على الرجل نفسه، ولا مصلحة فيه أبداً، بل عده ﷺ من الكبائر كما **في حديث** عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ قال:"من الكبائر شتم الرجل والديه" قالوا: يا رسول الله، وهل يشتم الرجل والديه؟ قال:"نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه"(٣).

وفي هذا الحديث مراعاة للمصلحة ودرءً للمفسدة (بسد الذرائع) وجميع الطرق الموصِلَةِ لها، حيث أن الشدة إذا لم توضع في موضعها ذريعة للمفسدة، وقد يكون اللين إذا لم يوضع في موضعه ذريعة للمفسدة.

٢/ أن لا يكون تأليف القلوب على حساب الحق، ومعنى هذا، أن لا يكون تأليف قلوب المدعوين على حساب العقيدة، فلا يمكن أن يكون هناك اجتماع وائتلاف ما لم يكن

---

(١) تفسير الطبري (١٠٩/٥).

(٢) الفتاوى الكبرى (١٧٤/٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الأدب (باب: لا يسب الرجل والديه) برقم: ٥٩٧٣، ومسلم في صحيحة كتاب الإيمان (باب:بيان الكبائر وأكبرها) برقم: ٢٦٣ واللفظ له.

هناك دعوة للأصل الأول الذي خلق الله تعالى لأجله الجن والأنس، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

فالغاية هي عبادة الله تعالى، وهي التي تأتلف القلوب حولها وتُدعا إليها أولاً فإن صلُحت يكون الاجتماع والأئتلاف وإن فسُدت فلا اجتماع ولا أئتلاف.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:"وهذا الأصل العظيم: وهو الاعتصام بحبل الله جميعا وأن لا يتفرق هو من أعظم أصول الإسلام ومما عظمت وصية الله تعالى به في كتابه. ومما عظم ذمه لمن تركه من أهل الكتاب وغيرهم ومما عظمت به وصية النبي ﷺ في مواطن عامة وخاصة"[(١)].

(١) مجموع الفتاوى (٣٥٩/٢٢).

المطلب الثاني:

عدم معرفة ضوابط هجر الفسَّاق.

الهجر أمر شرعي أمر الله تعالى به في مواضع من كتابه، كما أمر به النبي ﷺ وفعله في أحوالٍ كثيرة ومواضع عديدة ذُكِرت في سنته ﷺ، وسار على سنته صحابته ﵃ أجمعين وأجمع السلف على ذلك.

والهجر في اللغة: الهاء والجيم والراء أصلان يدل أحدهما على قطيعة وقطع، والآخر على شد شيء وربطه، والهجر: ضد الوصل(١).

وفي الشرع له معنيان:

الأول: هو بمعنى الترك للمنكرات، كقوله تعالى: ﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ﴾ [المدثر: ٥].

الثاني: الهجر على وجه التأديب والعقوبة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" فالهجرة تارة تكون من نوع التقوى إذا كانت هجرا للسيئات...وتارة تكون من نوع الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة الحدود وهو عقوبة من اعتدى وكان ظالما"(٢).

فإذا كان الهجر أمرٌ شرعي، فإنه يُعدُ عبادةً من العبادات والتي لابد من أداءِ حقها، والقيام بها كما أمر الله تعالى وأمر نبيه ﷺ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" فالهجرة الشرعية هي من الأعمال التي أمر الله بها ورسوله. فالطاعة لا بد أن تكون خالصة لله وأن تكون موافقة لأمره فتكون خالصة لله صوابا. فمن هجر لهوى نفسه أو هجر هجرا غير مأمور به: كان خارجا عن هذا. وما أكثر

---

(١) انظر: (مقاييس اللغة ٣٤/٦) و (النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٤٤/٥) و (تاج العروس ٣٩٧/٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٢١١/٢٨).

ما تفعل النفوس ما تهواه ظانة أنها تفعله طاعة لله. والهجر لأجل حظ الإنسان لا يجوز أكثر من ثلاث"(١).

والهجر من المسائل التي يجهلها كثيرٌ من الناس، والتي تتضح الحاجة إلي معرفتها وبيانها من خلال الواقع الذي نعيشه، وسأورد بإذن الله تعالى ضوابط الهجر الشرعي في حق الفسَّاق والتي يجهلها كثيرٌ من الناس.

ومن تلك الضوابط:

أولاً: القصد من الهجر مرضاة الله تعالى، لأنه كما تقدم معنا أن الهجر أمرٌ شرعي وهو عبادة من العبادات الشرعية المستلزمة للأخلاص والمتابعة.

فإذا قُصِدَ من الهجر أمرٌ دنيوي فإنه لا يحل لأمرئٍ هجرُ أخيه فوق ثلاث ليال، وأما دون ذلك فهو أمرٌ مشروع (٢)، كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ، **فعن** أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:"لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام"(٣).

ثانياً: التثبت واليقين من وقوع الفسق من الفاسق، وذلك أن الأحكام لا تبنى على الظنِّ بل يجب فيها اليقين، **قال** النووي رحمه الله:"من القواعد التي يبنى عليها كثير من الأحكام، استصحاب حكم اليقين، والإعراض عن الشك"(٤).

وقال ابن مفلح رحمه الله:" ولا تجوز الهجرة بخبر الواحد بما توجب الهجرة"(٥).

---

(١) المصدر السابق (٢٠٧/٢٨).

(٢) انظر: (المنهاج شرح صحيح مسلم ١٠١/١٦) و (مجموع الفتاوى ١٢٧/١٠) و (فتح الباري٧٠٧/١٠) و (فيض القدير للمناوي ١٢/٣).

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الأدب (باب: ما ينهى عن التحاسد والتدابر) برقم: ٦٠٦٥، ومسلم في صحيحة كتاب البر والصلة والآداب (باب: تحريم التحاسد والتباغض والتدلبر) برقم: ٦٥٢٦

(٤) روضة الطالبين وعمدة المفتين (٧٧/١).

(٥) الأداب الشرعية لابن مفلح (٢٤٠/١).

ثالثاً: تحقيق المقصود من الهجر، أي أن يرتدع الفاسق عن فسقهِ ويكف عنه، وتكون المصلحة المبتغاة من الهجر قد تحققت، لأن الهجر وسيلة لتحقيق غاية.

رابعاً: أن يكون الهاجر قوياً مؤثراً في تحقيق المصلحة من الهجر، لأن المصلحة هي تأديب الفاسق ورجوعه، **قال** شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر؛ بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر"(١).

خامساً: النظر لحال المهجور، من حيث القوة والضعف، فالقوي لا ينتفع بالهجر، فيسلك معه مسلك التأليف، كما فعل النبي ﷺ مع أولئك السادة المطاعين في أقوامهم فإنه ﷺ تألفهم، ومن ذلك قوله ﷺ: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن"(٢).

قال النووي رحمه الله: "وفيه تأليف لأبي سفيان وإظهار لشرفه"(٣).

سادساً: ما يتعلق بعقوبة المهجور، من حيث الشدة واللين ومن حيث طول المدة وقصرها.

وهذا كله يتعلق بما ارتكبه من فسق، فينظر إلى فسقه ويحدد له عقوبة الهجر.

قال الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى:" أما إذا كان الهجر لله، للمعاصي فهذا لا يتقيد بثلاث ولا بأربع ولا بأكثر، بل يجوز الهجر ويشرع الهجر لمن أظهر المعاصي ولو أكثر من ثلاثة أيام، ولو سنة، ولو سنتين، ولو أكثر منه، حتى يتوب العاصي، حتى يقلع عن ضلاله ومعصيته..."(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠٦/٢٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحة كتاب الجهاد والسِّير (باب: فتح مكة) برقم:٤٦٢٢.

(٣) المنهاج شرح مسلم (١١٠/١٢)

(٤) موقع الشيخ ابن باز http://www.binbaz.org.sa/node/9415.

المبحث الثالث:

المخالفات العقدية المتعلقة بالدعوة للتحذير من البدع وأهلها وكيفية التعامل مع المبتدعة.

من نعم الله تعالى على هذه الأمة أنه أكمل لهم هذا الدين فجعله دينا كاملا، وأتم سبحانه على عبادة النعم، وارتضى لهم الإسلام دينا، قال تعالى:﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة: ٣].

قال الطبري رحمه الله:" اليوم أكملت لكم أيها المؤمنون فرائضي عليكم وحدودي، وأمري إياكم ونهيي، وحلالي وحرامي وتنزيلي من ذلك ما أنزلت منه في كتابي، وتبياني ما بينت لكم منه بوحيي على لسان رسولي، والأدلة التي نصبتها لكم على جميع ما بكم الحاجة إليه من أمر دينكم، فأتممت لكم جميع ذلك، فلا زيادة فيه بعد هذا اليوم..."(١).

وحذر سبحانه وتعالى من الخروج عن هذه الشريعة الكاملة التامة وتتبع السبل والطرق المفضية إلى الفرقة والتفرق عن هذا الصراط المستقيم.

قال تعالى:﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وهذه السبل، هي البدع والشبهات، قالهُ مجاهدٌ رحمه الله(٢).

وبيَّن الرسول ﷺ بأن هذه البدع هي الضلال، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه

---

(١) تفسير الطبري (٤/٣٣٠).

(٢) المصدر السابق (٥/٢٢٣).

منذر جيش يقول: (صبحكم ومساكم) ويقول: (بعثت أنا والساعة كهاتين)، ويقرن بين إصبعيه السبابة، والوسطى، ويقول:"أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة"(١).

وأمر ﷺ بردها، لأنها من الأمور المحدثة في الدين، **فعن** عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد"(٢).

كما شدد ﷺ وحذر من الدعوة إلى البدع والضلالات، **عن أبي هريرة** رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال:"من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا"(٣).

وسار السلف الصالح رضي الله عنهم على هذا الطريق من التحذير من البدع والمبتدعة، والحث على التمسك بالسنة، **فعن** ابن مسعود رضي الله عنه قال:" اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم"(٤).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال:"كل بدعة ضلالة ، وإن رآها الناس حسنة"(٥).

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (٩٣/١) برقم:١٧٤، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٦).

(٥) أخرجه ابن بطة في الإبانة الكبرى (١٠٠/١) برقم: ٢٠٥، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤٣).

وقال ابن الماجشون[١] سمعت مالكا يقول:"من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمدا ﷺ خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فما لم يكن يومئذ دينا، فلا يكون اليوم دينا"[٢].

وقال الإمام أحمد رحمه الله:" أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة..."[٣].

وفي هذا المبحث سأتناول بإذن الله بعض المخالفات المتعلقة بالتحذير من البدع وأهلها من خلال الإعراض عن تقرير موقف أهل السنة والجماعة من البدع والمبتدعة، وما يتعلق بمعرفة ضوابط هجر المبتدع التي يجهلها كثيرٌ من الناس، كما سأتطرق لبحث مسألةٍ ضل فيها أقوامٌ من الدعاة، ألا وهي مسألة التقريب بين أهل السنة والجماعة والرافضة، وسيكون ذلك من خلال المطالب الأتية:

---

(١) العلامة الفقيه مفتي المدينة أبو مروان عبد الملك ابن الإمام عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة بن الماجشون التيمي مولاهم المدني المالكي تلميذ الإمام مالك صدوق له أغلاط في الحديث وقال ابن عبد البر:كان فقيها فصيحا دارت عليه الفتيا في زمانه وعلى أبيه قبله وكان ضريرا ،توفي سنة: ٢١٣هـ، انظر: (السير ٩/٩٣) و (تقريب التهذيب ١/٣٦٤).

(٢) الاعتصام للشاطبي (١/٦٥-٦٦).

(٣) طبقات الحنابلة (٢/١٦٦).

المطلب الأول:

الإعراض عن تقرير موقف أهل السنة والجماعة من البدع وأهلها.

أهل السنة والجماعة هم الطائفة المنصورة، ومنهجهم وسبيلهم هو الطريق الذي حث الله تعالى على لزومه، وتوعد من خالفه، ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]، **وعن** ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال:"إن الله لا يجمع أمتي – أو قال: أمة محمد ﷺ– على ضلالة، ويد الله مع الجماعة "[١].

وموقفهم رضي الله عنهم ورحمهم من البدع وأهلها مشهورٌ مبثوثٌ في كتب أهل العلم، من المنابذة لهم والتحذير منهم وبيان خطرهم، بل وهجرهم وزجرهم، والمتأمل لموقف أهل السنة والجماعة من البدع وأهلها يجدُ أن التحذير من البدع والمبتدعة أصلاً من أصولهم، وهذا يتضح جلياً من خلال بعض النقول التي سأوردها بإذن الله تعالى، والتي تبين حقيقة موقفهم من البدع والمبتدعة، ولا غرابة في ذلك فالنبي ﷺ قد حذر من الإحداث في الدين، قال ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد"[٢]، وكان ﷺ يقول في جميع خطبه: "أما بعد، فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة"[٣].

وكان ﷺ يحذر أمته مما سيكون في أخر الزمان من أمورٍ محدثة في الدين، حيث سينشط دعاة البدعة ويدعون لها، **فعن أبي هريرة** رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، أنه قال:"سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم ما لم تسمعوا أنتم، ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم"[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه كتاب الفتن (باب:ما جاء في لزوم الجماعة) برقم: ٢٣٠٥، وقال الألباني: صحيح، (صحيح سنن الترمذي ٤٥٨/٢) برقم:٢١٦٧.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحة (باب: النهي عن رواية الضعفاء والاحتياط في تحملها) برقم:١٥.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما عند قول الله تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ﴾ [النساء: ١٤٠]، "دخل في هذه الآية كل محدث في الدين وكل مبتدع إلى يوم القيامة"[١].

وعنه أيضاً حينما قال له رجلٌ أوصني، قال: "عليك بتقوى الله، والاستقامة، اتبع ولا تبتدع"[٢].

وعن معاذٍ بن جبل ﷺ قال: "أوشك قائلا من الناس يقول: قد قرأت القرآن ولا أرى الناس يتبعوني ، ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره ، فإياكم وما ابتدع؛ فإن كل ما ابتدع ضلالة"[٣].

وعنه ﷺ أيضاً قال:" أيها الناس ، عليكم بالعلم قبل أن يرفع ، ألا وإن رفعه ذهاب أهليه وإياكم والبدع ، والتبدع ، والتنطع ، وعليكم بأمركم العتيق"[٤].

وقال الإمام الشافعي رحمه الله:"لأن يبتلي الله المرء بكل ذنب نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من الكلام"[٥].

ومن خلال هذه النصوص وغيرُها كثيرٌ متواترٌ مبثوثٌ في كتب السلف ﷺ ورحمهم يتبين لنا مدى اهتمامهم بالتحذير من البدع والمبتدعة، حيث أن المبتدع قد خالف شرطاً من شروطِ قبول العمل[٦] وهو الاتباع، (أي اتباع النبي ﷺ) فالمبتدع ما ابتدع بدعته إلا وهو وهو يريد سلوكُ طريقٍ جديدٍ مخالفٍ لما جاءِ به الرسول ﷺ، ولذا عرَّف أهل العلم البدعة

---

(١) تفسير البغوي (٣٠١/٢)، وذكره القرطبي في تفسيره (١٨٦/٧).

(٢) أخرجه الدارمي في سننه ٢٥٠/١ برقم: ١٤١، وابن بطة في الإبانة الكبرى ٨٨/١ برقم:١٥٧.

(٣) البدع لابن وضاح (٤٦) برقم: ٦٣.

(٤) المصدر السابق (٤٨) برقم:٦٦.

(٥) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٧٠) برقم:٣٠٠

(٦) انظر: (مجموع الفتاوى ٣٣٣/١).

بأنها:"طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه"(١).

وبهذا يكون المبتدع قد خالف كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ الآمرة بالأخذ عن الرسول ﷺ واتباعه والأقتداء به ﷺ، **قال** الله تعالى: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ **وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟** ﴾ [الحشر: ٧].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد"(٢).

ومما يدل على الأمر بالأتباع، أن النبي ﷺ كان يأمر أصحابة ﷺ بأن يصلوا كما كان يصلي ﷺ، وكان يأمرهم في الحج بأخذ المناسك منه واتباعه في ذلك، لأن كلُ عملٍ خالف أمرهُ ﷺ فهو مردود على صاحبة.

فعن مالك ﷺ قال: "أتينا إلى النبي ﷺ ونحن شببة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يوما وليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيما رفيقا، فلما ظن أنا قد اشتهينا أهلنا - أو قد اشتقنا - سألنا عمن تركنا بعدنا، فأخبرناه، قال: ارجعوا إلى أهليكم، فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم - وذكر أشياء أحفظها أو لا أحفظها - وصلوا كما رأيتموني أصلي، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن لكم أحدكم، وليؤمكم أكبركم"(٣).

---

(١) الاعتصام للشاطبي (٤٧/١).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحة كتاب الأذان (باب: باب الأذان للمسافر، إذا كانوا جماعة، والإقامة، وكذلك بعرفة وجمع، وقول المؤذن: الصلاة في الرحال، في الليلة الباردة أو المطيرة) برقم: ٦٣١.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: رأيت رسول الله ﷺ يرمي على راحلته يوم النحر يقول: "لتأخذوا مناسككم، فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه"(١).

فهذه الأدلة وغيرها كثيرة، تؤكد وجوب الاتباع وملازمة أمرِ رسول الله ﷺ في العبادات وغيرها، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ولا شك أن المبتدع قد خالف ببدعته هذا الأصل، حيث كان الرعيل الأول يأخذون هذا الدين من الكتاب والسنة وعليها حصل الأجتماع، فلما ظهر أهل البدعة دعو الناس لخلاف ذلك فحصلت الفرقة بعد الأجتماع، والعداوة بعد الألفة والمحبة بين المسلمين.

قال أبو المظفر السمعاني رحمه الله:" وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة وطريق النقل فأورثهم الاتفاق والائتلاف، وأهل البدعة أخذوا الدين من المعقولات والآراء فأورثهم الافتراق والاختلاف"(٢).

ومن شبه المعرضين عن تحذير المسلمين من البدع والمبتدعة، قولهم: " إن هذا الأمر يفرق بين المسلمين"(٣).

وهذه الشبهه ليست ببعيدة عن الشبهه المتعلقة بالدعوة إلى التوحيد، وهو قولهم إن الدعوة إلى التوحيد سببٌ للتفريق بين المسلمين، فمن ضلَّ في الأصل الذي لأجله خلق الله الخلق، فما دونه يكون فيه أضل وأغوى.

كما أن هذه الشبهه يرددها دعاة الفِرق والجماعات المعاصرة، التي تؤصل لتجميع الناس حولهم دون النظر في ما يعتقدونه وما يرتكبونه من مخالفات في العقيدة.

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه كتاب المناسك (باب:في رمي الجمار) برقم:١٩٧٠، والنسائي في سننه كتاب مناسك الحج (باب: الركوب إلى الجمار واستظلال المحرم) برقم:٣٠٦٢، وقال الألباني: صحيح انظر: (صحيح سنن أبي داود ٥٥٢/١) برقم:١٩٧٠

(٢) الأنتصار لأصحاب الحديث (٤٧).

(٣) انظر: (ص: ١٥٨ وما بعدها من هذا البحث).

فبيان حقيقة البدعة والرد على أصحابها ليس من أولويات أولئك الدعاة، بل هي مما يفرق الأمة ويشتتها، ولم يعلم هؤلاء أن النبي ﷺ أرسله الله تعالى ليدعو الناس لعبادته سبحانه وتعالى وحده دونما سواه، فحصل بذلك التفريق بين هذا الحق وبين الباطل الذي كان عليه المشركين، ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [الإسراء: ٨١].

المطلب الثاني:

عدم معرفة ضوابط هجر المبتدعة.

سبق وأن بينَّا ضوابط هجر الفسَّاق، وأن الهجر عبادةٌ لله تعالى، ينبغي فيها الإخلاص لله والمتابعة لرسول الله ﷺ، ولذلك أجمع السلف على الهجر الشرعي وأنه من جنس الجهاد كما نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى، فقال:" الهجر من باب العقوبات الشرعية فهو من جنس الجهاد في سبيل الله"(١).

وممن نقل الإجماع على ذلك:

عبد الرحمن ابن أبي الزناد(٢) رحمه الله، قال:"أدركنا أهل الفضل والفقه من خيار أولية الناس يعيبون أهل الجدل والتنقيب ، والأخذ بالرأي أشد العيب ، وينهوننا عن لقائهم ومجالستهم ، وحذرونا مقاربتهم أشد التحذير ، ويخبرونا أنهم على ضلال ، وتحريف لتأويل كتاب الله ، وسنن رسول الله ﷺ"(٣).

الإمام ابن أبي زمنين رحمه الله تعالى:" ولم يزل أهل السنة يعيبون أهل الأهواء المضلة، وينهون عن مجالستهم ويخوفون فتنتهم ويخبرون بخلاقهم، ولا يرون ذلك غيبة لهم ولا طعنا عليهم"(٤).

البغوي رحمه الله تعالى، قال: "وقد مضت الصحابة والتابعون وأتباعهم، وعلماء السنة على هذا مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة، ومهاجرتهم"(٥).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٨).

(٢) الإمام الفقيه الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن الفقيه أبي الزناد عبد الله بن ذكوان المدني ولد بعد المائة وسمع أباه وسهيل بن أبي صالح وعمرو بن أبي عمرو وهشام بن عروة ويحيى بن سعيد وطبقتهم وكان من أوعية العلم، انظر: (السير ٧/٤٣٩).

(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/٢١٦).

(٤) أصول السنة لابن أبي زمنين (٢٣٩).

(٥) شرح السنة للبغوي (١/٢٢٧).

ومما يجب معرفته والعناية به في هذا الباب، معرفة ضوابط هجر المبتدع، وذلك أن الهجر عبادة كسائر العبادات، له شروطه وأحكامه، وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مسلك الهجر الصحيح، **فقال**: "فإن أقواما جعلوا ذلك عاما فاستعملوا من الهجر والإنكار ما لم يؤمروا به فلا يجب ولا يستحب وربما تركوا به واجبات أو مستحبات وفعلوا به محرمات. وآخرون أعرضوا عن ذلك بالكلية فلم يهجروا ما أمروا بهجره من السيئات البدعية؛ بل تركوها ترك المعرض؛ لا ترك المنتهي الكاره أو وقعوا فيها وقد يتركونها ترك المنتهي الكاره ولا ينهون عنها غيرهم ولا يعاقبون بالهجرة ونحوها من يستحق العقوبة عليها فيكونون قد ضيعوا من النهي عن المنكر ما أمروا به إيجابا أو استحبابا فهم بين فعل المنكر أو ترك النهي عنه وذلك فعل ما نهوا عنه وترك ما أمروا به. فهذا هذا. ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه. والله سبحانه أعلم"(١).

ومن الضوابط المتعلقة بهجر المبتدعة، ما يلي:

أولاً: الهجر عبادةٌ من العبادات التي شرعها الله في كتابه، وعمل بها النبي ﷺ في حياته، ونص عليها في أقواله، وسار على ذلك الصحابة ﭫ، فينبغي الأخلاص لله عز وجل في هجر المبتدع، وأن يكون ذلك الهجر موافقاً للسنة النبوية، فلا يدخل في ذلك لا رياء ولا سمعة، كما يجب البعد كل البعد عن حظوظ النفس والهوى، وطاغوت الحزبية البغيضة.

ثانياً: معرفة البدع وأنواعها ومراتبها، فينبغي على المسلم معرفة البدع المخالفة للسنة، والتي اتفق عليها أهل العلم بأنها من البدع، **قال** شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" والبدعة التي يعد بها الرجل من أهل الأهواء ما اشتهر عند أهل العلم بالسنة مخالفتها للكتاب والسنة ،كبدعة الخوارج والروافض والقدرية والمرجئة"(٢).

والبدع أيضاً درجات ودركات، فمنها ما هو مكفرٌ ومنها ما هو دون ذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومما ينبغي أيضا أن يعرف أن الطوائف المنتسبة إلى متبوعين في أصول الدين والكلام: على درجات منهم من يكون قد خالف

(١) مجموع الفتاوى (٢١٣/٢٨).

(٢) المصدر السابق (٤١٤/٣٥).

السنة في أصول عظيمة ومنهم من يكون إنما خالف السنة في أمور دقيقة. ومن يكون قد رد على غيره من الطوائف الذين هم أبعد عن السنة منه؛ فيكون محمودا فيما رده من الباطل وقاله من الحق؛ لكن يكون قد جاوز العدل في رده بحيث جحد بعض الحق وقال بعض الباطل فيكون قد رد بدعة كبيرة ببدعة أخف منها؛ ورد بالباطل باطلا بباطل أخف منه وهذه حال أكثر أهل الكلام المنتسبين إلى السنة والجماعة"(١).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله:" فأما أهل البدع الموافقون لأهل الإسلام، ولكنهم مخالفون في بعض الأصول - كالرافضة والقدرية والجهمية وغلاة المرجئة ونحوهم، فهؤلاء أقسام:

أحدها: الجاهل المقلد الذي لا بصيرة له، فهذا لا يكفر ولا يفسق، ولا ترد شهادته، إذا لم يكن قادرا على تعلم الهدى، وحكمه حكم المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم، وكان الله عفوا غفورا.

القسم الثاني: المتمكن من السؤال وطلب الهداية، ومعرفة الحق، ولكن يترك ذلك اشتغالا بدنياه ورياسته، ولذته ومعاشه وغير ذلك، فهذا مفرط مستحق للوعيد، آثم بترك ما وجب عليه من تقوى الله بحسب استطاعته، فهذا حكمه حكم أمثاله من تاركي بعض الواجبات، فإن غلب ما فيه من البدعة والهوى على ما فيه من السنة والهدى: ردت شهادته، وإن غلب ما فيه من السنة والهدى: قبلت شهادته.

القسم الثالث: أن يسأل ويطلب، ويتبين له الهدى، ويتركه تقليدا وتعصبا، أو بغضا أو معاداة لأصحابه، فهذا أقل درجاته: أن يكون فاسقا، وتكفيره محل اجتهاد وتفصيل، فإن كان معلنا داعية: ردت شهادته وفتاويه وأحكامه، مع القدرة على ذلك، ولم تقبل له شهادة، ولا فتوى ولا حكم، إلا عند الضرورة، كحال غلبة هؤلاء واستيلائهم، وكون القضاة

---

(١) المصدر السابق (٣/٣٤٨).

والمفتين والشهود منهم، ففي رد شهادتهم وأحكامهم إذ ذاك فساد كثير، ولا يمكن ذلك، فتقبل للضرورة"[١].

وقال الشاطبي رحمه الله:"وإذا ثبت أن المبتدع آثم، فليس الإثم الواقع عليه على رتبة واحدة، بل هو على مراتب مختلفة، (واختلافها يقع من جهات بحسب النظر الفقهي، فيختلف) من جهة كون صاحبها (مدعيا للاجتهاد فيها أو مقلدا أو من جهة وقوعها في الضروريات أو الحاجيات أو التحسينيات، وكل مرتبة منها لها في نفسها مراتب، ومن جهة كون صاحبها) مستترا بها أو معلنا، (ومن جهة كونه داعيا لها أو غير داع لها، ومن جهة كونه مع الدعاء إليها خارجا على غيره أو غير خارج)، ومن جهة كون البدعة حقيقية أو إضافية، ومن جهة كونها بينة أو مشكلة، ومن جهة كونها كفرا أو غير كفر، ومن جهة الإصرار عليها أو عدمه، إلى غير ذلك من الوجوه التي يقطع معها بالتفاوت في عظم الإثم وعدمه، أو يغلب على الظن"[٢].

ثالثاً: وإذا كان الحال كذلك، من أن البدع مراتب تتفاوت فإن العقوبة تكون على سياق هذا التفاوت، لأن الغاية من الهجر هو الزجر والتأديب، فلابد وأن تكون العقوبة موافقة للبدعة المرتكبة، ومناسبةٌ لها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" الهجر على وجه التأديب وهو هجر من يظهر المنكرات يهجر حتى يتوب منها ...حين ظهر منهم ترك الجهاد المتعين عليهم بغير عذر ولم يهجر من أظهر الخير وإن كان منافقا فهنا الهجر هو بمنزلة التعزير. والتعزير يكون لمن ظهر منه ترك الواجبات وفعل المحرمات كتارك الصلاة والزكاة والتظاهر بالمظالم والفواحش والداعي إلى البدع المخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة التي ظهر أنها بدع.

وهذا حقيقة قول من قال من السلف والأئمة: إن الدعاة إلى البدع لا تقبل شهادتهم ولا يصلى خلفهم ولا يؤخذ عنهم العلم ولا يناكحون. فهذه عقوبة لهم حتى ينتهوا؛ ولهذا يفرقون بين الداعية وغير الداعية؛ لأن الداعية أظهر المنكرات فاستحق العقوبة بخلاف

---

(١) الطرق الحكمية لابن القيم (١٤٦-١٤٧).

(٢) الاعتصام (٢٨٦/١).

الكاتم فإنه ليس شرا من المنافقين الذين كان النبي ﷺ يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله مع علمه بحال كثير منهم"[١].

رابعاً: الحكم على المبتدع يكون يقيناً، إذ لا مجال للشك والظن في مثل هذه المسائل والتي تنبني عليها مسألة عظيمة، وهي مسألة (الاسم والحكم).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وليس لأحد أن يكفر أحدا من المسلمين وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة وتبين له المحجة ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة وإزالة الشبهة"[٢].

فإخراج الناس من السنة إلى البدعة أمرٌ عسير، ليس بهينٍ ولايسير، ولذلك نقل الإمام أبي بكر الخلال رحمه الله عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى قوله:" إخراج الناس من السنة شديد"[٣].

ولذلك يجب إقامة الحجة على المبتدع الذي خالف أصلاً من أصول أهل السنة والجماعة أو أكثر وبيان الحق له.

وعلى الإنسان المسلم أن يحذر من مخالفة السنة، فمن أهل العلم من قال إذا خالف في كثيرٍ من الفروع صار من أهل البدعة، **قال** شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" من خالف الكتاب المستبين والسنة المستفيضة أو ما أجمع عليه سلف الأمة خلافا لا يعذر فيه فهذا يعامل بما يعامل به أهل البدع"[٤].

وقال الشاطبي رحمه الله، في معرض كلامه حول افتراق فرق المبتدعة: "وذلك أن هذه الفرق إنما تصير فرقا بخلافها للفرقة الناجية في معنى كلي في الدين وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات، إذ الجزئي والفرع الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعا، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية، لأن الكليات تضم من الجزئيات غير قليل، وشأنها في الغالب أن لاتختص بمحل دون محل، ولا بباب دون باب.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٤-٢٠٥).

(٢) المصدر السابق (١٢/٤٦٦).

(٣) السنة لأبي بكر الخلال (م١/ج٢/ص:٢٩١)، برقم:٥١٣.

(٤) مجموع الفتاوى (٢٤/١٧٢).

واعتبر ذلك بمسألة التحسين العقلي، فإن المخالفة فيها أنشأت بين المخالفين خلافا في الفروع لا تنحصر، ما بين فروع عقائد وفروع أعمال.

ويجري مجرى القاعدة الكلية كثرة الجزئيات، فإن المبتدع إذا أكثر من إنشاء الفروع المخترعة عاد ذلك على كثير من الشريعة بالمعارضة، كما تصير القاعدة الكلية معارضة أيضا، وأما الجزئي فبخلاف ذلك، بل يعد وقوع ذلك من المبتدع له كالزلة والفلتة، وإن كانت زلة العالم مما يهدم الدين"(١).

خامساً: مراعاة المصالح والمفاسد المترتبة على الهجر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:" وهذا الهجر يختلف باختلاف الهاجرين في قوتهم وضعفهم وقلتهم وكثرتهم فإن المقصود به زجر المهجور وتأديبه ورجوع العامة عن مثل حاله. فإن كانت المصلحة في ذلك راجحة بحيث يفضي هجره إلى ضعف الشر وخفيته كان مشروعا. وإن كان لا المهجور ولا غيره يرتدع بذلك بل يزيد الشر والهاجر ضعيف بحيث يكون مفسدة ذلك راجحة على مصلحته لم يشرع الهجر؛ بل يكون التأليف لبعض الناس أنفع من الهجر. والهجر لبعض الناس أنفع من التأليف"(٢).

وبناءً على هذا الضابط يكون الهجر مقيداً وليس على الإطلاق، وقيدُهُ النظر في المصلحة المترتبة على الهجر، فالنبي ﷺ هجر أقواماً وترك أخرين، بحسب ما تقتضيه المصلحة الشرعية ومن ذلك هجر النبي ﷺ كعب بن مالك وصاحبيه ﷺ(٣) ولم يهجر النبي ﷺ عبدالله بن أُبي بن سلول وجماعة من المنافقين لأسباب شرعية اقتضت ذلك(٤).

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١٣٩/٣-١٤٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠٦/٢٨).

(٣) أخرج قصة هجر النبي ﷺ لكعب وصاحبيه البخاري في صحيحة كتاب المغازي (باب: حديث كعب بن مالك، وقول الله عز وجل:﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ ﴾) برقم:٤٤١٨، ومسلم في صحيحة كتاب التوبة (باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه) برقم:٧٠١٦.

(٤) انظر: فتاوى ابن باز (٢٣٥/٤).

المطلب الثالث:

الدعوة إلى التقريب بين السنة والشيعة[١].

هذه الدعوة من أعجب ما يمكن للمرء أن يقف حياله، حيث أراد القائمون عليها سواءً كانوا أفراداً أو جماعات التقريب بين المتناقضين، بين الحق الذي جاء به القرآن الكريم والسنة النبوية، وبين الباطل الذي جاء به اليهودي عبد الله بن سبأ، ثم ما لبث أن شرَّع لهم الأصول اليهودية من القول بألوهية علي ﷺ وزعمه بالوصية لعلي ﷺ كما كانت ليوشع بن نون وصي موسى ﷺ ثم قال بالتوقف والغيبة والرجعة وغير ذلك مم يزعمه الرافضة اليوم من أصولٍ وعقائد مخالفة للكتاب والسنة[٢].

هذه الدعوة تبناها أقوامٌ ودعاةٌ من الفريقين في القديم والحديث، ولم تكلل بالنجاح، لأن ما بني على باطل فهو باطل، وهذا القول ليس تشائماً بقدر ما هو ملامسٌ للب الحقيقة التي غفل عنها دعاة التقريب، فالخلاف في الأصول كما هو معلوم للجميع، وفي كثير من الفروع إن جاز لنا التعبير بذلك، وما حدث من الشيعة حول هذه المسألة ما هو إلا مكرٌ وخداع لجعل أهل السنة والجماعة يتنازلون عن أصولٍ عدة حتى توافق ما هم عليه من الباطل ولا أدل على ذلك من كثرة طعن الرافضة في زوجات رسول الله ﷺ وصحابته ﷺ، بل وتكفيرهم وحمل العداوة لهم من سب وشتم ولعن[٣]، وما تشهده الساحة اليوم من تكفير لأهل السنة والجماعة، بل لعموم المسلمين الذين لا يقرون بولاية علي بن أبي طالب ﷺ .

---

(١) كتب الشيخ ناصر القفاري رسالة علمية وسمها بـ(مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة) أجاد الشيخ وأفاد فيها وبين كل ما يتعلق بهذه المسألة، كذلك الشيخ بكر أبو زيد رحمه الله له كتابٌ قيم وهو (حقيقة دعوة التقريب).

(٢) انظر: (الفرق بين الفِرق ١٩٣) و (الفِصل في الملل والنحل١/٥٩٠-٥٩٤) و (الملل والنحل١/٢٠٤-٢٠٥).

(٣) انظر: (ص: ٣٩٠-٣٩١) من هذا البحث فقد ذكرت بعض الروايات من كتب الرافضة التي تدل على موقفهم المخزي من صحابة رسول الله ﷺ و ﷺ .

بل الأدهى والأمر هو اعتقادهم بوقوع التحريف في كتاب الله عز وجل، وقد كتبوا حول هذه العقيدة كتاباتٍ كثيرة، ولعل أشهرها ما جمعه الهالك نوري الطبرسي في كتابه (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) حيث جمع فيه الروايات المنقولة عن الأئمة بحسب زعمه حول وقوع التحريف، ومن ذلك أيضاً ما وقع في تفسير الهالك القمي حيث زعم أن بعض الآيات في القرآن الكريم بخلاف ماهي عليه الأن، وأن يد التحريف قد طالتها[١].

فهل يمكن أن تدعو للتقريب مع من يعتقد هذه العقائد الفاسدة، التي يُعدُّ معتقِدِها خارجاً عن دائرة الإسلام، بل هل يمكن أن تقبل هذه الفكرة من أصلها؟.

وحقيقة التقريب عند الرافضة هو:"أن يتكلموا ويكتبوا وينشروا التشيع والرفض وأن يسكت أهل السنة عن بيان الحق . وإن سمع هؤلاء الرافضة كلمة حقٍّ قالوا وحدة المسلمين في خطر"[٢].

وإن مما يحزُّ في النفس أن ينساق بعض الدعاة إلى هذه الدعوة، ويأخذ بجلابيبها مُعرضين عن معرفة حقائق الرافضة على مر التاريخ من غدر وخيانة ولؤمٍ وخسة ودناءة، فما أوتيَ الإسلام إلا من قبلهم، وما خذل العالم الإسلامي بمثل ما خُذِل من قبلهم[٣].

---

(١) وذلك مثل ما قرره القمي في مقدمة تفسيره (١/ ١٠) بقوله: وأما ما هو كان على خلاف ما أنزل الله فهو قوله تعالى:﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾، فقال أبو عبد الله لقاريء هذه الآية (خير أمة) يقتلون أمير المؤمنين والحسن والحسين بن علي؟ فقيل له: كيف نزلت يا ابن رسول الله؟ فقال:إنما نزلت (كنتم خير أئمة أخرجت للناس) ألا ترى مدح الله لهم في آخر الآية﴿ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾...

(٢) حقيقة دعوة التقريب لبكر أبو زيد (٢٩).

(٣) من ذلك ما فعله الوزير الرافضي ابن العلقمي من تعاون مع التتار ضد المسلمين، وحينها حصلت في العراق مذبحة عظيمة قام بها التتار فقُتل خلقٌ كثير من المسلمين بل إن ابن العلقمي حسَّنَ =

وممن حمل راية التقريب (محمد عبده) حيث كان يرى أن طائفة الشيعة من أحوج الفرق إلى التقريب إلى الحق[1].

كما سلك الشيخ **محمد رشيد رضا** مسلك شيخه محمد عبده وأخذ ينادي بالتقريب بين أهل السنة والشيعة، أو بين الوهابية والرافضة، فقال: "وأما رأيي في الاتفاق فهو قاعدة المنار الذهبية التي بيناها مرارًا وهي: (أن نتعاون على ما نتفق عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما نختلف فيه)، فأهل السنة متفقون مع الشيعة على أركان الإسلام الخمسة، وعلى تحريم الفواحش ماظهر منها وما بطن، وعلى محبة آل البيت عليهم السلام وتعظيمهم، وعلى جميع المصالح الوطنية من سياسية واقتصادية، وفي البلاد العربية على إعلاء شأن الأمة العربية ولغتها.. إلخ واستقلال بلادها وعمرانها، فيجب أن يتعاونوا على ذلك كله، وهم يختلفون في مسألة الإمامة (وقد مضى وانقضى الزمن الذي كان فيه هذا الخلاف عمليًّا) وفي المفاضلة بين الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وفي عصمة الأئمة الاثني عشر، مع مسائل أخرى تتعلق بصفات الله تعالى وفيما دون ذلك من الفروع العملية، فلكلٍّ من الفريقين أن يعتقد ما يطمئن إليه قلبه، ويعمل بما يقوم عنده الدليل على ترجيحه أو يقلد فيه من يثق بهم من العلماء، وأن يبين ذلك قولاً وكتابةً من غير طعن في عقيدة الآخر ولا في الصحابة وأئمة العلماء المجتهدين والمحدثين. كما فعل بعض أدبائهم في قصائد نظمها في مدح الأئمة وشرحها وجعل مقدمتها في بيان العقيدة الإسلامية عندهم، وفيها ما لا يوافقهم عليه أهل السنة، ولا يكفرونهم به. ولم ينكر ذلك عليه أحد منهم. فيجب على محبي الاتفاق أن يقنعوهم بقاعدتنا ويؤلفوا جمعية أو حزبًا من الطائفتين للعمل بمقتضاها، بالرغم من زعم مجلة المشرق اليسوعية أن الاتفاق متعذر، واستدلالها عليه بالمناظرة التي

لهولاكو قتل خليفة المسلمين وأشار عليه بذلك، انظر: (العبر في خبر من غبر٣/٢٧٧-٢٨٤) و (البداية والنهاية لابن كثير ١٢/٢٧٢-٢٧٥) و (تاريخ الخلفاء للسيوطي ٣٣٣).

(١) نقلاً عن مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة لناصر القفاري (٢/١٩٣).

دارت بين المنار والعرفان، وما كان صاحباها إلا أخوان، ولا يتعذر عليهما العودة إلى ما كانا عليه بمقتضى هذه القاعدة"(١).

ولكن بعد محاولات الشيخ محمد رشيد رضا، علم يقيناً أن الطريق مسدود وأن الحق ما قاله أهل العلم من أن الرافضة شر من وطيء الحصى، وأنه لا يمكن بحال من الأحوال التقارب معهم.

إن الروافض شر من وطئ الحصى*** من كل إنس ناطق أو جان
مدحوا النبي وخونوا أصحابه ***ورموهم بالظلم والعدوان
حبوا قرابته وسبوا صحبه***جدلان عند الله منتقضان(٢)

فعاد الشيخ محمد رشيد للحق وقال: "وقد ظهر لي باختباري الطويل وبما اطَّلعت عليه من اختيار العقلاء وأهل الرأي أن أكثر علماء الشيعة يأبون هذا الاتفاق أشد الإباء؛ إذ يعتقدون أنه ينافي منافعهم الشخصية من مال وجاه"(٣).

ومنهم الشّيخ محمّد الغزالي والذي قال:"إنني آسف لأن بعض من يرسلون الكلام على عواهنه لا ..بل بعض من يسوقون التهم جزافاً غير مبالين بعواقبها دخلوا في ميدان الفكر الإسلامي بهذه الأخلاق المعلولة فأساءوا إلى الإسلام وأمته شر إساءة.

سمعتُ واحدا من هؤلاء يقول في مجلس علم: إن للشيعة قرآنا آخر يزيد أو ينقص عن قرآننا المعروف، فقلت له: أين هذا القرآن؟"(٤).

خالف الغزالي بهذا القول إجماع الرافضة على قولهم واعتقادهم بوقوع التحريف في كتاب الله عز وجل، ولعل الغزالي عفا الله عنه لم يطلع على كتاب (فصل الخطاب في

---

(١) مجلة المنار (٢٩٠/٣١).

(٢) هذه الأبيات من نونية الإمام القحطاني رحمه الله (٢٦).

(٣) مجلة المنار (٢٩٠/٣١).

(٤) دفاع عن العقيدة والشريعة (٢١٩-٢٢٠)، وانظر: (ص: ٢١٢ وما بعدها من هذا الكتاب، حيث دافع مؤلفه عن الشيعة الرافضة دفاع جاهلٍ بمعتقدهم، فأثنى عليهم كثيرا بل وأخذ يثني على فتوى الشلتوت التي يقول فيها إن المذهب الجعفري خامس المذاهب الإسلامية!!).

إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) للرافضي الهالك نوري الطبرسي، والذي نقل فيه روايات جمة مزعومة عن الأئمة بوقوع التحريف، وكذلك الكتب المعتمدة عند الرافضة كالكافي والبحار ومن لا يحضره الفقيه والوسائل وغيرها التي تؤكد على هذه العقيدة المخزية.

ولأهل العلم والفضل فتاوى حول هذه الدعوة، منها:

فتوى الشيخ ابن باز رحمه الله تعالى، حيث سُئل رحمه الله هذا السؤال:

من خلال معرفة سماحتكم بتاريخ الرافضة، ما هو موقفكم من مبدأ التقريب بين أهل السنة وبينهم؟ .

فأجاب رحمه الله بقوله: "التقريب بين الرافضة وبين أهل السنة غير ممكن؛ لأن العقيدة مختلفة، فعقيدة أهل السنة والجماعة توحيد الله وإخلاص العبادة لله سبحانه وتعالى، وأنه لا يدعى معه أحد لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، وأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم الغيب، ومن عقيدة أهل السنة محبة الصحابة ﷺ والترضي عنهم والإيمان بأنهم أفضل خلق الله بعد الأنبياء وأن أفضلهم أبو بكر الصديق، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي ﷺ، والرافضة خلاف ذلك فلا يمكن الجمع بينهما، كما أنه لا يمكن الجمع بين اليهود والنصارى والوثنيين وأهل السنة، فكذلك لا يمكن التقريب بين الرافضة وبين أهل السنة لاختلاف العقيدة التي أوضحناها"[(١)].

واختم هذا المطلب بكلامٍ رصين للشيخ بكر أبو زيد رحمه الله تعالى حول حقيقة هذه الدعوى والمغزى منها قال رحمه الله:"ولهذا فنقول بكل اطمئنان: إن دعوة التقريب وقد تكشفت حقيقتها ليست صالحة بحال لتأليف الأمة ورأب صدعها وإصلاح ذات بينها وإنما هي دعوة للرفض مبنية على الحيلة والتآمر للتقريب بين الحق والباطل حتى إذا تمكنت هذه المؤامرة الخطيرة من مصارع أهل السنة نفخت بتأجيج الفتن وتعميق جذور الخلاف وحينئذٍ تبرز الأصول الشيعية المستترة تهيئة لإشعال الأمة في لحظة مؤقتة.

فحرام والله النداء بهذه الدعوة وتأييدها والتمكين لها في الأرض وواجب على العلماء كشفها بعد وقوفهم على حقيقة الرافضة وما لديهم من الدين الباطل والأصل الفاسد وصد

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (١٥٦/٥).

زحفهم الفكري عن المسلمين وواجب على من بسط الله يده على أيٍّ من بلاد العالم الإسلامي عدم التمكين لدعوتهم ودعاتها وإنما هو الإسلام وحده بصفائه ونوره ونفي ما يناقضه والعمل على أوبتهم إلى السنة والشفقة عليهم من عذاب الفرقة . والله يتولى الصالحين من عباده"[١].

(١) حقيقة دعوة التقريب (٦٠-٦١).

الخاتمة

وبعد، أحمد الله عز وجل أن وفق وأعان على إتمام هذا البحث، وفي نهايته بعد شكر الله والثناء عليه أختم بأهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات، وهي:

أولاً: خطورة مخالفة أهل السنة والجماعة فيما يتعلق بالأصول العقدية في الدعوة إلى الله تعالى ويتضح ذلك جلياً من خلال مشاهدة ما عليه الفِرق اليوم من بُعدٍ عما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﭫ الذين هم خير القرون، من التمسك بالكتاب والسنة والاعتصام بهما والاتباع والبعد عن الابتداع.

ثانياً: منهج أهل السنة والجماعة هو المنهج الأسلم والأعلم والأحكم، فقد أمر الله تعالى بمتابعة السلف الصالح ﭫ وزكى فهمهم، **فقال** تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

ثالثاً: أن أصل دعوة الرسل عليهم السلام هي الدعوة إلى توحيد الله تعالى، وهذا الأصل الذي لا بد وأن يكون هدف الداعية إلى الله تعالى والغاية من دعوته.

قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [النحل: ٣٦].

رابعاً: من هنا تتضح لنا أهمية الدعوة إلى التوحيد، حيث أن الله تعالى ما خلق الخلق إلا لأجل هذه الغاية العظيمة، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وأن المفرط في الدعوة لهذا الأصل العظيم قد خالف دعوة الأنبياء عليهم السلام إلى الله تعالى، وهذا دليل على ذهاب جهده هباء منثورا.

قال عبد الرحمن بن حسن رحمه الله:" وعلى كل حال، إذا عملتم بالتوحيد، وأنكرتم الشرك والضلال، وفارقتم البدع، فلا يلزمكم هجرة عن الوطن والمال، بل يجب عليكم الدعوة إلى الله، وطلب أدلة التوحيد في كتاب الله".

خامساً: الدعوة التي يراد لها النجاح يجب أن لا تخالف المنهج السوي لا في مصادر الاستدلال ولا في طرق عرضها، لأن الداعي إلى الله يجب أن ينطلق في دعوته من جهة ما يستدل به من الكتاب والسنة والإجماع.

سادساً: الاستدلال بالكتاب والسنة يجب أن يكون من خلال فهم السلف ﷺ " أولئك أصحاب محمد كانوا أبر هذه الأمة قلوبا ، وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، قوم اختارهم الله عز وجل لصحبة نبيه ، وإقامة دينه ، فتشبهوا بأخلاقهم وطرائقهم ، فإنهم كانوا ورب الكعبة على الهدي المستقيم".

سابعاً: من ثمرات الالتزام بمنهج السلف ﷺ تحقيق كمال الدين، حيث أن الدين قد كمل وأتمه الله عز وجل، فلسنا بحاجة للإحداث فيه ما ليس منه، فيسلك بنا ذلك إلى الابتداع والزيغ والضلال.

ثامناً: خطر الابتداع في الدين حيث أنها أحب إلى إبليس من المعصية، لأن المعصية يُتاب منها ويعلم صاحبها ومرتكبها أنها معصية، أما البدعة فيتقرب بها إلى الله تعالى ويظن أنه على خير وصواب.

تاسعاً: أهمية الدعوة إلى العقيدة الصحيحة، وأنها هي سبيل النجاة الوحيد الذي يجب على كل من آمن بالله ورسوله ﷺ أن يسلكه.

عاشراً: أهمية دعوة الناس إلى أركان العقيدة الصحيحة، وبيانُ خطورة المخالفة ولو في ركنٍ واحدٍ، حيث ينبني عليه هدمُ بقية الأركان، **قال** تعالى:﴿ **ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ** ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

الحادي عشر: من أعظم أسباب ضلال الخوارج ومن نحا نحوهم والمرجئة ومن نحا نحوهم هو جهلهم بمسائل الإيمان (مسألة الاسم والحكم) فظهر التهاون والتساهل في التكفير، كما ظهر القول بالإرجاء.

الثاني عشر: من أعظم ما ينبغي العناية به بعد العناية بالكتاب والسنة، العناية بمعرفة حقوق حملة هذا الدين، أصحاب محمد ﷺ و ﷺ، حيث كان لهم الفضل والسبق، والطعن

فيهم ﷺ طعن في الدين، فهم الذين زكاهم الله تعالى في كتابه، وأوصى رسول الله ﷺ بهم وبمعرفة حقوقهم وتوقيرهم ونهى عن أذيتهم ﷺ بالقول أو الفعل.

الثالث عشر: وللإمامة ولزوم الجماعة أهمية قصوى في تحقيق الأمن والأمان للناس، فبالإمامة يستقيم الأمر، ويُعبدُ الله تعالى، وتقِلُ وتنخفض نسبة الجريمة ويأمن الناس على أنفسهم وأعراضهم وأموالهم، وهذه من الضروريات التي أمر الإسلام بحفظها وحظَّ على ذلك، ولا يمكن ذلك إلا من خلال لزوم الجماعة وإمامها.

الرابع عشر: دعوة المخالفين أمرٌ أمر بها الشارع الحكيم، حتى يعود المخالف عن مخالفته ويرجع للحق والصواب، وأهل السنة والجماعة هم أرحم الناس بالناس لذلك تجدهم يحرصون على دعوة من خالفهم للحق مع بيان ما وقع فيه من مخالفة، ودعوتهم لهم بالتزام سنة النبي ﷺ قولاً وعملاً.

الخامس عشر: الحث على تعلم العلم الشرعي، فبمعرفة الحق يعرف العبد ما نهى الله تعالى عنه فيجتنه ويبتعد عنه.

السادس عشر: تحذير الناس من الفسق والفساق ومن البدع والمبتدعة أمرٌ حث عليه الشرع وأمر به، فهو من النصيحة الواجبة لله ولرسوله وللمسلمين.

السابع عشر: مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، هي مسألة مستحيلة، وهذا نتاج محاولات من حاول سابقاً ولم يفلح، فالقوم دينهم التقية أي الكذب والنفاق، وينهم مبنيٌ على الحقد والكراهية للإسلام وأهله، فكيف سيحصل التقارب معهم وهم أصلاً قد طعنوا في الدين من القرآن الكريم وسنة النبي الأمين ﷺ حتى الصحابة ﷺ حملة هذا الدين.